الكشف والبيان

المعروف

تفسير الثعلبي

للإمام الهمام أبو إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي

ت ٤٢٧ هـ

دراسة وتحقيق

الإمام أبي محمد بن عاشور

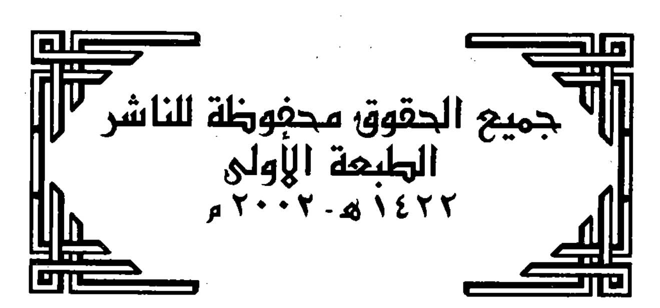
مراجعة وتدقيق

الأستاذ نظير الساعدي

الجزء الرابع

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

الكشف والبيان

المعروف

تفسير الثعلبي

سورة المائدة

مدنية، فيها من المنسوخ تسع آيات منها قوله: ﴿لا تحلوا شعائر اللّه﴾ نسختها آية السيف(١)

قال رسول اللّه ﷺ في خطبته يوم حجة الوداع قال: «يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرموا حرامها»(٢) [١] وهي إحدى عشر ألفاً وتسعمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً، وألفان وثمانمائة وأربع كلمات، ومائة وعشرون آية.

عن عبد اللّه بن عمر قال: قرأ رسول اللّه ﷺ سورة المائدة وهو على راحلة فلم تستطع أن تحمله حتى نزل عنها.

أبو أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من قرأ سورة المائدة أُعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات»(٣) [٢].

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ

---

(١) عن هامش المخطوط: (بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه) (سورة الأنفال: ٧٥). مما جاوز الرحم من المعصية، أجراً من اللّه.
أُنزلت آخر سورة كاملة «براءة» وآخر آية في سورة النساء (يستفتونك).
وقال السدّي: آخر ما نزل من القرآن تلك الآيات: (يبيِّنَ اللّه لكم أن تضلوا) (سورة النساء: ١٧٦) (فإن تولوا فقل حسبي اللّه) (سورة التوبة: ١٢٩) (اتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) (سورة البقرة: ٢٨١).

(٢) تفسير القرطبي: ٦ / ٣١.

(٣) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٢٥٧، وفي المصدر: (ورفع له عشر درجات).

بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

﴿**يا أيها**﴾ يا نداء أي إشارة، ها تنبيه ﴿ **الذين آمنوا**﴾[١] [نصب على البدل من: أيّها][٢] ﴿**أوفوا بالعقود**﴾ يعني بالعهود.

قال الزجّاج: العقود أو كل العهود. يقال: عاقدت فلاناً وعاهدت فلاناً، ومنه ذلك باستيثاق وأصله عقد الشيء بغيره. وهو وصله به كما يعقد الحبل بحبل إذا وصل شّداً قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم   شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا[٣]

واختلفوا في هذه العقود ما هي، قال ابن جريح: هذا الخطاب خاص لأهل الكتاب وهم الذين آمنوا بالكتب المقدسة والرسل المتقدمين.

أوفوا بالعهود التي عهد بها بينكم في شأن محمد، وهو قوله ﴿**وإذ أخذ اللّه ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة**﴾[٤]. وقوله ﴿**وإذ أخذ اللّه ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيّننه للناس ولا تكتمونه**﴾[٥] وقال الآخرون: فهو عالم.

قال قتادة: أراد به الذي تعاقدوا عليه في الجاهلية دليله قوله ﴿**والذين عقدت أيمانكم**﴾[٦].

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٢ / ٢٣٠: اختلف فيه فقيل: إنّهم المؤمنون من أُمّتنا وهذا قول الجمهور وقيل: إنّهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج.

(٢) هكذا في المخطوط.

(٣) الصحاح: ١ / ٣٣١.

(٤) سورة آل عمران: ٨١.

(٥) سورة آل عمران: ١٨٧.

(٦) سورة النساء: ٣٣.

ابن عباس: هي عهود الأيمان و[الفراق]، غيره: هي العقود التي عقدها الناس بينهم، ﴿**أُحلت لكم بهيمة الأنعام**﴾ اختلفوا فيها، فقال الحسن وقتادة والربيع والضحّاك والسدّي: هي الأنعام كلها وهي إسم للبقر والغنم والإبل، يدل عليه قوله تعالى ﴿**ومن الأنعام حمولةً وفرشاً**[١]﴾ ثم بيّن ما هي، فقال ﴿**ثمانية أزواج من الضأن اثنين**﴾ وأراد بها ما حرّم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام.

وقال الشعبي: بهيمة الأنعام: الأجنّة التي توجد ميتة في بطن أمهاتها إذا ذُبحت.

وروى عطية العوفي عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿**أُحلت لكم بهيمة الأنعام**﴾ قال ما في بطونها، قلت: إن خرج ميتاً آكله. قال: نعم هي بمنزلة رئتها وكبدها[٢].

وروى قابوس عن أبيه عن ابن عباس أن بقرة نُحرت فوجد في بطنها جنين، فأخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال: هذا من بهيمة الأنعام التي أُحلت لكم[٣].

وقال أبو سعيد الخدري: سألنا رسول اللّه ﷺ عن الجنين، فقال: «ذكاته ذكاة أمّه»[٤] [٣].

قال الكلبي: بهيمة الأنعام وحشها، كالظباء وبقر الوحش مفردين، وإنما قيل لها بهيمة لأن كل حي لا يمّيز فهو بهيمة، سمّيت بذلك لأنها أُبهمت عن أن تميّز.

﴿**إلاّ ما يتلى عليكم**﴾ يقول: عليكم في القرآن [لأنه حاكم] وهو قوله ﴿**حرّمت عليكم الميتة والدم**﴾ إلى قوله ﴿**وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق**﴾ وقوله ﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللّه عليه وإنه لفسق**﴾[٥].

﴿**غير محلي الصيد وأنتم حرم**﴾ قال الأخفش: هو نصب على الحال يعني أوفوا بالعقود منسكين غير محلي الصيد وفيه [معنى النهي][٦].

وقال الكسائي: هو حال من قوله ﴿**أُحلت لكم بهيمة الأنعام غير محلي الصيد**﴾ كما يقول: أُحل لكم الطعام غير معتدين فيه.

معناه أنّه أحلت لكم الأنعام كلها إلاّ ما كان منها وحشياً فإنه صيد ولا يحل لكم إذا كنتم

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٦ / ٦٨.

(٣) تفسير الطبري: ٦ / ٦٨.

(٤) مسند أحمد: ٣ / ٣١.

(٥) سورة الأنعام: ١٢١.

(٦) كلمة غير مقروءة والظاهر ما أثبتناه.

محرمين. فذلك قوله تعالى ﴿وأنتم حرم﴾ قرأه العامة بضم أوّله وهي من حرم يحرم حراماً في الحركات وهما جميعاً جمع حرام، ويقال: رجل حرام وحُرم ومحرِم، وحلال وحِلّ ومحلّ ﴿إن اللّه يحكم ما يريد﴾ [يحرم ما يريد على من يريد](١).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر اللّه﴾ الآية نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة بن هند بن شرحبيل البكري، وقال: إنه لما أتى المدينة وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ، فقال له: إلى ما تدعو الناس؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»(٢) [٤]. فقال: حسنٌ إلاّ إن لي مَنْ لا أقطع أمراً دونهم ولعلي أُسلم وآتي بهم.

وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: يدخل عليكم بعض من ربيعة يتكلم بلسان الشيطان، ثم خرج شريح من عنده، فلما خرج، قال رسول اللّه ﷺ لقد دخل بوجه كافر، وخرج بعقب غادر، فمرّ بسرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز:

لقد لفها الليل بسواق حطم ... ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر الوضم ... باتوا نياماً وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم ... خلج الساقين ممسوح القدم(٣)

فلما كان في العام القابل خرج حاجّاً في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلّدوا الهدي فقال ناس من أصحابه للنبي ﷺ: هذا الحطم خرج حاجّاً فحل بيننا وبينه، فقال النبي ﷺ: «مه قد قلد الهدي» [٥].

فقال لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّما هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية. فأبى النبي ﷺ. فأنزل اللّه عزّ وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُحّلوا شعائر اللّه﴾.

ابن عباس ومجاهد: هي مناسك الحج، وكان المشركون يحجّون ويهدون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم اللّه تعالى عنها، [وقال الحسن دين الله كلّه] يدل عليه قوله ﴿ومن يعظم شعائر اللّه فإنها من تقوى القلوب﴾(٤).

عطية عن ابن عباس: هي أن تصيد وأنت محرم، يدل عليه قوله ﴿فإذا حللتم فاصطادوا﴾.

عطاء: شعائر حرمات اللّه اجتناب سخطه واتباع طاعته بالذّي حرم اللّه.

أبو عبيدة: هي الهدايا المشعرة وهي أن تطعن في سنامها ويحلل ويقلّد ليعلم أنها هدي،

---

(١) زيادة عن زاد المسير: ٢ / ٢٣١.

(٢) أسباب نزول الآيات: ١٢٥، وتفسير القرطبي: ٦٧ / ٤٣.

(٣) جامع البيان: ٦ / ٧٩.

(٤) سورة الحج: ٣٢.

والإشعار العلامة، ومنه [الحديث]: حين ذبح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أشعر أمير المؤمنين بها[١] كأنه أعلم بعلامة، وهي على هذا القول فعيلة، بمعنى مفعّلة.

قال الكميت:

نـقـتـلـهـم جـيـلا فـجـيـلاً تـراهـم شـعـائـر قـربـان بـهـم يـتـقـرب[٢]

ودليل هذا التأويل قوله: **﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر اللّه لكم فيها خير﴾**[٣] وقيل: الشعائر المشاعر.

وقال القتيبي: شعائر اللّه واحدتها شعيرة[٤]، وهي كل شيء جعل علماً من أعلام طاعته.

﴿ولا الشهر الحرام﴾ بالقتال فيه فإنه محرم لقوله **﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾**[٥].

وقال: النسّيء، وذلك أنهم كانوا يحلّونه عاماً ويحرمونه عاماً، دليله قوله **﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾**[٦] **﴿ولا الهدي﴾** وهو كل ما يهدى إلى بيت اللّه من بعير أو بقرة أو شاة.

﴿ولا القلائد﴾ قال أكثر المفسّرين هي الهدايا، والمراد به [المقلدات] وكانوا إذا أخرجوا إلى الحرم في الجاهلية قلّدوا السمر فلا يتعرض لهم أحد وإذا رجعوا تقلّدوا قلادة شعر فلم يتعرّض لهم أحد فهي عن استحلال واجب منهم.

وقال مطرف بن الشخيّر وعطاء: هي القلائد نفسها وذلك أنّ المشركين كانوا يأخذون من لحاء[٧] شجر مكّة ونحوها فيقلّدونها فيأمنون بها في الناس فنهى اللّه عز وجل أن ينزع شجرها فيقلدوه كفعل أهل الجاهلية **﴿ولا آمين﴾** قاصدين **﴿البيت الحرام﴾** يعني الكعبة.

وقرأ الأعمش: ولا آمّي البيت الحرام بالإضافة كقوله تعالى **﴿غير محلّي الصيد﴾**.

﴿يبتغون﴾ يطلبون **﴿فضلاً من ربهم﴾** يعني الرزق بالتجارة **﴿ورضواناً﴾** معناه على زعمهم وعدهم لأن الكافر لا نصيب له في الرضوان، وهذا كقوله **﴿وانظر إلى إلٰهك﴾**[٨] فلا يرضى اللّه تعالى عنهم حتى يسلموا.

---

(١) غريب الحديث لابن سلام: ٢ / ٦٦، وتاريخ دمشق: ٤٤ / ٣٩٧.
(٢) تفسير الطبري: ٢ / ٦٠.
(٣) سورة الحج: ٣٦.
(٤) في تفسير القرطبي: ٦ / ٣٧ عن ابن فارس: شعارة.
(٥) سورة البقرة: ٢١٧.
(٦) سورة التوبة: ٣٧.
(٧) لحاء الشجر: قشره.
(٨) سورة طه: ٩٧.

قتادة: هو أن يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها.

وقيل: إبتغاء الفضل للمؤمنين والمشركين عامّة، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة لأن الناس كانوا يحجون من بين مسلم وكافر، يدل عليه قراءة حميد بن قيس **﴿يبتغون فضلاً من ربّكم﴾** على الخطاب للمؤمنين، وهذه الآية منسوخة بقوله **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾**(١) وقوله **﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾**.

فلا يجوز أن يحجّ مشرك، ولا يأمن الكافر بالهدي والقلائد والحج.

﴿وإذا حللتم﴾ من إحرامكم **﴿فاصطادوا﴾** أمر إباحة وتخيير كقوله **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل اللّه﴾**(٢) **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾**.

روح ابن عبادة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: أقبل رجل مؤمن كان حليفاً لأبي سفيان بن الهذيل يوم الفتح بعرفة لأنه كان يقتل حلفاء محمد ﷺ فقال رسول اللّه ﷺ: «لعن اللّه من قبل دخل الجاهلية [ما شيء كان في الجاهلية إلاّ وهو](٣) تحت قدميّ هاتين إلاّ سدانة الكعبة وسقاية الحج فإنّهما مردودتان إلى أهليهما»(٤) [٦].

وقال الآخرون: نزلت في حجاج كفار العرب، وقوله **﴿لا يجرمنّكم﴾**، قرأ الأعمش وعيسى ويحيى بن أبي كثير: يجرمنكم بضم الياء وقرأ الباقون بالفتح، وهما لغتان ولو أن الفتح أجود وأشهر وهو اختيار أبي محمد وأبي حاتم، قال أبو عبيد: لأنها اللغة الفاشية وإن كانت الأُخرى مقبولة.

واختلفوا في معناه، فقال ابن عباس وقتادة: لا يحملنكم. قال أبو عبيد: يقال جرمني فلان على أن صنعت كذا أي حملني.

قال الشاعر، وهو أبو أسماء بن الضرية:

يا كرز إنك قد فتكت بفارس ... بطل إذا هاب الكماة مجرّب

ولقد طعنت أبا عيينة طعنةً ... جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا(٥)

والمؤرج: لا يدعونكم. الفرّاء: لأكسبنكم، يقال فلان جُرمه أهله أي كافيهم.

وقال الهذلي يصف عقاباً:

---

(١) سورة التوبة: ٥.

(٢) سورة الجمعة: ١٠.

(٣) زيادة عن تفسير القرطبي: ٤ / ١١٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٦٠.

(٥) لسان العرب: ١٢ / ٩٣ ـ ٩٤.

جرمة ناهض في رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا[١]

وقال بعضهم وهو الأخفش: قوله ﴿**لا جرم إنَّ لهم النار**﴾: أي حق لهم النار.

﴿**شنآن قوم**﴾ أي بغضهم وعداوتهم وهو مصدر شنئت.

قرأ أهل المدينة والشام، وعاصم والأعمش: بجزم النون الأول، وقرأ الآخرون بالفتح، وهما لغتان إلاّ أن الفتح أجود لأنه أفخم اللغتين. فهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لأن المصادر نحوه على فعلان بفتح العين مثل الضربان والنزوان والعسلان ونحوها.

﴿**أن صدوكم**﴾ قرأ ابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمر: إن صدّوكم بكسر الألف على الاستيناف والجزاء واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة عبد اللّه: أن يصدّوكم، وقرأ الباقون بفتح الألف أي لأن صدّوكم، ومعنى الآية لا يحملنكم بغض قوم على الاعتداء لأنهم صدّوكم، واختاره أبو حاتم ومحمد بن جرير، قال ابن جرير: لأنه لا يدافع بين أهل العلم أن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فإذا كان كذلك فالصدّ قد يقدم.

﴿**أن تعتدوا**﴾ عليهم فتقتلوهم وتأخذوا أموالهم.

﴿**وتعاونوا**﴾ أي ليعين بعضكم بعضاً، ويقال للمرأة إذا كسى لحمها وتراجمها: متعاونة ﴿**على البرّ**﴾ وهو متابعة الأمر ﴿**والتقوى**﴾ وهو مجانبة الهوى ﴿**ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ يعني المعصية والظلم.

عن واصب بن معبد صاحب النبي ﷺ قال: جئت إلى النبي ﷺ أسأله عن البر والإثم قال: «جئت إليّ تسألني عن البر والإثم»؟ فقلت: والذي بعثك بالحق ما جئت أسألك عن غيره، فقال: «البر ما انشرح به صدرك، والإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك عنه الناس»[٢] [٧].

عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، قال: حدّثني أبي قال: سمعت النؤاس بن سمعان الأنصاري، قال: سألت رسول اللّه ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك فكرهت أن يطلع عليه الناس»[٣] [٨] ﴿**واتقوا اللّه إن اللّه شديد العقاب**﴾.

﴿**حرّمت عليكم الميتة**﴾وهي كل ما له نفس سائلة مما أباح اللّه عز وجل أكلها، فارقتها روحها بغير تذكية، وإنما قلنا: نفس سائلة لأن السمك والجراد دمان وهما حلال.

﴿**والدّم**﴾ أُجمِل هاهنا وفسر في آية أخرى فقال عز من قائل: ﴿**أو دماً مسفوحاً**﴾ فالدم الملطخ فهو كاللحم في أكله لأن الكبد والطحال دمان وهما حلال.

---

(١) الصحاح: ١ / ١٦٤.

(٢) المعجم الكبير: ٢٢ / ١٤٨.

(٣) مسند أحمد: ٤ / ١٨٢.

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أُحلّت لنا ميتتان ودمان فالميتتان الحوت والجراد وأما الدّمان فالطحال والكبد»[١] [٩].

﴿ولحم الخنزير﴾ وكل شيء منه حرام وإنما خصّ اللحم لأنّ اللحم من أعظم منافعه.
﴿وما أُهلّ به﴾ ذبح ﴿لغير اللّه﴾ وذكر عليه غير اسم اللّه.

قال أبو ميسرة: في المائدة ثمان عشرة[٢] فريضة ليس في سورة من القرآن وهي آخر سورة نزلت ليس فيها منسوخ.

﴿والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلاّ ما ذكّيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام﴾، ﴿وما علّمتم من الجوارح مكلّبين﴾، ﴿وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾، ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾، ﴿والسارق والسارقة﴾.

﴿ولا تقتلوا الصيد﴾ إلى قوله **﴿ذو انتقام﴾**[٣] **﴿ما جعل اللّه من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾**[٤].

فأما المنخنقة فهي التي تختنق فتموت، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها، والموقوذة: التي تضرب بالخشب حتّى تموت.

قال قتادة: كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصا حتّى إذا ماتت أكلوها. فقال فيه: قذّه يقذّه وقذا إذا ضربه حتى شفى على الهلاك.

قال الفرزدق:

شغارة[٥] تقذ الفصيل برجلها ... طارة لقوادم الأبكار[٦]

والمتردية: التي تتردى من مكان عال أو في بئر فتموت.

والنطيحة: التي تنطحها صاحبتها فتموت، و«هاء» التأنيث تدخل في الفعيل بمعنى الفاعل فإذا كان بمعنى المفعول إستوى فيها المذكر والمؤنث نحو لحية دهين، وعين كحيل، وكف خضيب، فإنما أُدخل الهاء ها هنا لأن الإسم لا يسقط منها ولو أسقط الهاء منها لم يدرَ أهي

---

(١) كنز العمال: ١٥ / ٢٧٧، ح / ٤٠٩٧٢.
(٢) كلمة غير مقروءة والظاهر ما أثبتناه.
(٣) سورة المائدة: ٩٥.
(٤) سورة المائدة: ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٥) الشغارة: هي الناقة ترفع قوائمها لتضرب والنطر الحلب بالسبابة والوسطى ويستعين بطرف الإبهام.
(٦) كتاب العين: ٧ / ٤١٧، تفسير الطبري: ٦ / ٩٢ وتفسير القرطبي: ٦ / ٤٨.

صفة لمؤنث أو مذكر، والعرب تقول لحية دهين، وعين كحيل، وكف خضيب فإذا حذفوا الإسم وأفردوا الصفة أدخلوا الهاء، قالوا: رأينا كحيلة وخضيبة ودهينة، وأكيلة السبع فأدخلوا الهاء مثل الذبيحة والسكينة وما أكل السبع غير [المعلم].

وقرأ ابن عباس: وأكيل السبع، وقرأ ابن أبي زائدة: وأكيلة السبع، وقرأ الحسن وطلحة ابن سليمان: وما أكل السبع بسكون الباء [وهي لغة لأهل نجد][١].

قال حسّان بن ثابت في عتبة بن أبي لهب:

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع[٢]

قال قتادة: كان أهل الجاهلية إذا أكل السبع ملياً أو أكل منه أكلوا ما بقي **﴿إلاّ ما ذكّيتم﴾** يعني إلاّ ما أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، والتذكية تمام فري الأوداج، وإنهار الدم، ومنه الذكاة في السنّ وهو أن يأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة ومثله المثل السائد: جري المذكيات غلاب[٣].

قال الشاعر[٤]:

يفضله إذا اجتهدوا عليه تمام السن منه والذكاء[٥]

ومنه الذكاء في الفهم إذا كان تام العقل سريع القبول.

ويقول في الذكاة إذا أتممت إشعالها، فمعنى ذكيتم أدركتم ذبحه على التمام.

وقال ابن عباس وعتبة بن عمير: إذا طرفت بعينها أو ظربت بذَنبِها أو ركضت برجلها أو تحركت فقد حلت لك.

وعن زيد بن ثابت: أن ذئباً نيب في شاة فذبحوها بمروة فرخص النبي ﷺ في أكله[٦].

أبو قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد بن أوس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه كتب الإحسان على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[٧] [١٠].

---

(١) زيادة عن تفسير القرطبي: ٦ / ٥٠.
(٢) تفسير القرطبي: ١٧ / ٨٣.
(٣) الغاب: المغالبة أي إنّ المذكّي يغالب مجاريه فيغلبه لقوّته.
(٤) والقائل هو: زهير.
(٥) لسان العرب: ١٤ / ٢٨٨.
(٦) مسند أحمد: ٥ / ١٨٤.
(٧) سنن ابن ماجة: ٢ / ١٠٥٨.

قال عاصم عن عكرمة: إن رجلاً أضجع شاته وجعل يحدّ شفرته ليذبحها، فقال له النبي ﷺ: «تريد أن تميتها موفات قبل أن تذبحها!»[1] [١١].

﴿**وما ذبح على النصب**﴾ قال بعضهم: فهو جمع واحدها نصاب، وقيل: هو واحدة جمعها أنصاب مثل عنق وأعناق.

وقرأ الحسن بن صالح وطلحة بن مصرف: النصب بجزم الصّاد.

وروى الحسن بن علي الجعفي عن أبي عمرو: النصب بفتح النون وسكون الصّاد.

وقرأ الجحدري: بفتح النون والصّاد [جعله] إسماً موحداً كالجبل والجمل والجمع أنصاب كالأجمال والأجبال وكلها لغات وهو الشيء المنصوب، ومنه قوله تعالى ﴿**كأنهم إلى نصب يوفضون**[2]﴾ واختلفوا في معنى النصب ها هنا.

فقال مجاهد وقتادة وابن جريح: كان حول البيت ثلاثمائة وستين حجراً وكان أهل الجاهلية يذكّون عليها يشرّحون اللّحم عليها وكانوا يعظمون هذه الحجارة ويعبدونها ويذبحون لها، وكانوا مع هذا يبدلونها إذا شاؤوا لحجارة [من قبالهم][3] منها، قالوا: وليست هي بأصنام إنما الصنم ما يصوّر وينقش.

وقال الآخرون: هي الأصنام المنصوبة.

قال الأعشى:

وذا النصب المنصوب لا تستكّنه لعاقبة واللّه ربك فاعبدا[4]

ثم اختلفوا في معناها. فقال بعضهم: تقديره على إسم النصب. ابن زيد ﴿**وما ذبح على النصب وما أهلّ لغير اللّه به**﴾ هما واحدة.

قطرب: معناه: ما ذبح للنصب أي لأجلها على معنى اللام وهما يتعاقبان في الكلام. قال اللّه تعالى ﴿**فسلام لك**﴾[5] أي عليك، وقال ﴿**وإن أسأتم فلها**﴾[6] أي فعليها، ﴿**وأن تستقسموا**﴾ معطوف على ما قبله، وأن في محل الرفع أي وحرم عليكم الإستقسام بالأزلام، والاستقسام طلب القسم والحكم من الأزلام وهي القداح التي لا ريش لها ولا نصل، واحدها زلم مثل عمر، وزلم وهي القداح.

(١) المستدرك للحاكم: ٤ / ٢٣١.
(٢) سورة المعارج: ٤٣.
(٣) هكذا في الأصل.
(٤) الصحاح: ١ / ٢٢٥، وتاج العروس: ١ / ٤٨٦.
(٥) سورة الواقعة: ٩١.
(٦) سورة الإسراء: ٧.

قال الشاعر:

فلئن جذيمة قتّلت سرواتها فنساؤها يضربن بالأزلام[١]

وكان استقسامهم بالأزلام على ما ذكره المفسّرون أن أهل الجاهلية إذا كان سفراً أو غزواً أو تجارة أو تزويجاً أو غير ذلك ضرب القداح وكانت قداحاً مكتوب على بعضها: نهاني ربي، وعلى بعضها: أمرني ربي، إن خرج الآمر مضى لأمره، وإن خرج الناهي أمسك.

وقال سعيد بن جبير: الأزلام حصى بيض كانوا يضربون بها.

أبو هشام عن زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق قال: كانت هبل أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكانت عند هبل أقداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب، قدح فيه: العقل، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فإن خرج العقل حمله، وقدح فيه: نعم، للأمر، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح فإن خرج ذلك القدح فعلوا ذلك الأمر.

وقدح فيه: لا إذا أرادوا أمر يضربون فإن خرج قدح «لا» لم يفعلوا ذلك الأمر، وقدح فيه: منكم وقدح فيه: ملصق وقدح فيه: من غيركم، وقدح فيه المياه إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القداح فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختتنوا غلاماً أو أن ينكحوا امرأة أو يدفنوا ميّتاً أو شكّوا في نسب خصمهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وبجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضربها ثم قرّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق، ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب فيضرب، فإن خرج عليه: منكم، كان وسيطاً منهم وإن خرج عليه: من غيركم، كان حليفاً، وإن خرج عليه: ملصق، كان على منزلته منهم لا نسب له ولا حليف، وإن كان في شيء مما سوى هذا مما يعملون به كنعم عملوا به، فإن خرج: لا، أخّروا عامهم ذلك حتى يأتوه مرة أخرى ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح. فقال الله عز وجل ﴿**ذلكم فسق**﴾[٢].

قال مجاهد: هي كعاب فارس والرّوم التي يتقامرون بها[٣].

قال سفيان بن وكيع: الشطرنج.

رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكهّن أو استقسم أو تطيّر

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٥٨.

(٢) بطوله في تفسير الطبري: ٦ / ١٠٤ وتصويب العبارة منه.

(٣) تفسير الطبري: ٦ / ١٠٢.

طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة»[١] [١٢].

﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**﴾ يعني عن أن يرجعوا إلى دينهم كفّاراً، وفيه لغتان قال: الشعبي وائس يايس إياساً وإياسة.

قال النضر بن شميل: ﴿**فلا تخشوهم واخشوني اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ نزلت الآية في يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر للهجرة والنبي ﷺواقف بعرفات على ناقته العضباء وكادت عضد الناقة ينقد من ثقلها فبركت[٢].

وقال طارق بن شهاب: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: آية [نقرؤها] لو علينا نزلت في ذلك اليوم لاتخذناه عيداً، قال: أية آية؟ قال: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت**﴾، قال عمر: قد علمت في أي يوم نزلت وفي أي مكان، إنها نزلت يوم عرفة في يوم جمعة ونحن مع رسول اللّه ﷺ وقوفاً بعرفات وكلاهما بحمد اللّه لنا عيد، ولا يزال ذلك اليوم عيداً للمسلمين ما بقي منهم أحد وقد صار من ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولا يجمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده.

وروى هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية بكى عمر (رضي الله عنه) فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عمر» قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأمّا إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلاّ نقص، فقال: «صدقت» [١٣][٣].

وكانت هذه الآية نعي رسول اللّه ﷺ وعاش بعدها أحد وثمانون يوماً أو نحوها.

واختلف المفسّرون في معنى الآية فقال ابن عباس والسدّي: ﴿**اليوم**﴾ وهو يوم نزول هذه الآية ﴿**أكملت لكم دينكم**﴾ أي الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض. فهذا معنى قول ابن عباس والسدي.

وقال سعيد بن جبير وقتادة: اليوم أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك، وقيل: هو أن اللّه تعالى أعطى هذه الأمة من أنواع العلم والحكمة جميع ما أعطى سائر الرسل والأُمم فزادهم.

وقيل: إن شرائع الأنبياء زالت ونقضت وشريعة هذه الأمة باقية لا تنمح ولا تتغيّر إلى يوم القيامة [. . . . . . .][٤] هو بايعك ثم فرّقوه، يكن هذا لغيرهم، وقيل: لم يكن إلاّ هذه الأُمة،

(١) تاريخ دمشق: ١٨ / ٩٨ ط دار الفكر.

(٢) تفسير القرطبي: ٦ / ٦١.

(٣) تفسير الطبري: ٦ / ١٠٧. ١٠٦.

(٤) كلام غير مقروء.

وقيل: هو أن اللّه تعالى جمع بهذه الآية جميع [. . . . .][١] الولاية وأسبابها.

قال الثعلبي: وسمعت أبا القاسم بن حسيب قال: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرّازي قال: سمعت العباس بن حمزة قال: سمعت ذا النون يقول يعلمنا من سياسة فيقول أربعة أشياء: الكتاب والرسول، والخلعة والولاية.

قال: كتاب جعله أشرف الكتب وأكثرها يسراً وأخفّها أمراً وأغزرها علماً وأوفرها حكماً، ورسول اللّه جعله أعظم الرسل وأفضلهم، والخلعة جعله عطاءً ولم يجعلها عارية، والولاية جعلها دائمة إلى نفخ الصور.

﴿**وأتممت عليكم نعمتي**﴾ حققت وعدي في قولي ولأُتم نعمتي عليكم فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين.

وقال الشعبي: نزلت هذ الآية بعرفات حيث هدم منار الجاهلية ومناسكهم واضمحل الشرك ولم يحج معهم في ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت [غيرهم].

السّدي: أظهرتكم على العرب.

﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر**﴾ إجتهد ﴿**في مخمصة**﴾ مجاعة يقال: هو خميص البطن إذا كان طاوياً خاوياً، ورجل خمصان وامرأة خمصانة إذا كانا ضامرين مضيمين والخَمص والخُمص الجوع.

قال الشاعر:

يرى الخمص تعذيباً وإن يلق شبعة يبت قلبه من قلّة الهمّ مبهماً[٢]

﴿**غير متجانف لإثم**﴾.

قال أبو عبيدة: غير متحرف مائل، قطرب: مائل، المبرّد: [زايغ] وقرأ النخعي: متجنف وهما بمعنى واحد يقال: تجنّف وتجانف مثل تعهد وتعاهد.

قتادة: غير متعرض بمعصية في مقصده وهو قول الشافعي.

وقال أبو حنيفة: ما أكل فوق الشبع ﴿**فإن اللّه غفور رحيم**﴾ فيه إضمار، تقديره: فأكله، ويكتفى بدلالة الكلام عليه، فإن اللّه غفور رحيم أي غفور له غفور كما يقول عبد اللّه: ضربت، فيريد ضربته.

قال الشاعر:

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) زاد المسير: ٢ / ٢٤٠.

ثلاث كلّهنّ قتلت عمداً فأخزى اللّه رابعة تعود[١]

وقد فسر رسول اللّه ﷺ المخمصة [بما رواه] [الأوزاعي] عن حسان بن عطية عن أبي واقد قال: سألت رسول اللّه ﷺ: إنا بأرض يصيبنا بها مخمصة فمتى تحل لنا الميتة؟

قال ﷺ: «إذا لم تصطبحوا[٢] ولم تغتبقوا ولم تحتفئوا بقلا فشأنكم بها»[٣] [١٤].

﴿**يسألونك ماذا أحلّ لهم**﴾ الآية.

قال أبو رافع: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ وأخذ رسول اللّه ﷺ رداءه فخرج فقال: قد أذنا لك يا رسول اللّه، قال: أجل يا رسول اللّه ولكنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو.

عن عبد اللّه بن يحيى عن أبيه عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب»[٤] [١٥].

رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: فأمرني أن لا أدع كلباً بالمدينة إلاّ قتلته وقلت حتى خفت العوالي [فأتيت] إلى امرأة في ناحية المدينة عندها كلب يحرس عنها فرحمته فتركته، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بأمري، فأمرني بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته.

وقال ابن عمر: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول رافعاً صوته: «اقتلوا الكلاب» [١٦][٥].

قال: وكنا نلقى المرأة [تقدم من] المدينة بكلبها فنقتله، فأمر النبي ﷺ بقتلها وحرم ثمنها.

وروى علي بن رباح اللخمي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يحل ثمن الكلاب ولا حلوان الكاهن ولا مهر البغي»[٦] [١٧].

ونهى عن اقتنائها وإمساكها وأمر بغسل الإناء من ولوغها سبع مرات أُولاهنّ بالتراب نرجع إلى الحديث الأول.

قال: فلما أمر رسول اللّه ﷺ بقتل الكلاب جاء ناس فقالوا: يا رسول اللّه ماذا يحلّ لنا من هذه الآمة التي نقتلها، فسكت رسول اللّه فأنزل اللّه هذه الآية وأذن رسول اللّه في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها، وأمر بقتل الكلب العقور وما يضر ويؤذي ورفع القتل عمّا سواها ممّا لا ضرر فيه.

---

(١) شرح الرضي على الكافية: ١ / ٢٣٩.
(٢) في المعجم الكبير (٣ / ٢٥١) وتفسير ابن كثير: ٢ / ١٦، : تصطحبوا.
(٣) مسند أحمد: ٥ / ٢١٨.
(٤) السنن الكبرى: ٣ / ١٤٨.
(٥) المعجم الأوسط: ٦ / ٢٥٢.
(٦) سنن أبي داود: ٢ / ١٤١، ح / ٣٤٨٤، وسنن النسائي: ١ / ١٧٧.

وروى الحسن عن عبد اللّه بن معقل قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لولا أنّ الكلاب أُمّة من الأُمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم وأيما قوم اتخذوا كلباً ليس بكلب حرث أو صيد أو ماشية نقصوا من أجورهم كل يوم قيراطاً»[١] [١٨].

عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ قال: «من اقتنى كلباً ليس كلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينتقص من أجره قيراطان كل يوم»[٢] [١٩].

والحكمة في ذلك ما روى أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الرزاق السريعي قال: قيل لعبد اللّه بن المبارك: ما تقول في قول المصطفى ﷺ: «من اقتنى كلباً لا كلب صيد ولا ماشية نقص من عمله كل يوم كذا وكذا من الأجر»[٣] [٢٠].

فقال حدّثني [الأصمعي] قال: قال أبو جعفر المنصور لعمرو بن عبيد: ما بلغك في الكلب؟ قال: بلغني أن من أخذ كلباً لغير زرع ولا حراسة نقص من أجره كل يوم قيراط. فقال له: ولم ذلك؟ قال: هكذا جاء الحديث، قال: خذها بحقّها إنّما ذلك لأنّه ينبح على الضيف ويروع السائل[٤].

وكانت أسخياء العرب تبغض الكلاب لهذا المعنى وتذم من ربطه وهمّ بقتله.

قال الثعلبي: أنشدني أبو الحسن الفارسي قال: أنشدني أبو الحسن الحراني البصري أنّ بعض شعراء البصرة نزل بعمّار فسمع لكلابه نبحاً فأنشأ يقول:

نزلنا بعمار فأشلى كلابه ... علينا فكدنا بين بيتيه نؤكل

فقلت لأصحابي أسر إليهم ... إذا اليوم أم يوم القيامة أطول[٥]

قال عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال: نزلت في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل [الطائيين] وهو زيد الخيل الذي سمّاه رسول اللّه ﷺ زيد الخير وذلك إنهما جاءا إلى النبي ﷺ قالا: يا رسول اللّه إنّا قوم نصيد الكلاب والبزاة فإن كلاب آل درع وآل حورية تأخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنه ما يدرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا يدرك ذكاته وقد حرّم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت ﴿**يسألونك**﴾ يا محمد ﴿**ماذا أحلّ لهم**﴾ قل: ﴿**أحلّ لكم الطيّبات**﴾ يعني الذبائح التي أحلّها الله ﴿**وما علمتم**﴾ يعني وصيد ما علمتم ﴿**من الجوارح**﴾.

---

(١) مسند أحمد: ٤ / ٨٥.
(٢) صحيح مسلم: ٥ / ٣٨.
(٣) مسند أحمد: ٢ / ٦٠.
(٤) تنوير الحوالك: ٦٩٧ ح ١٧٤٢،
(٥) عمار: اسم شخص، والبيت في تفسير القرطبي: ٦ / ٧٤.

واختلفوا في هذه الجوارح التي يحل صيدها بالتعليم غير المدرك ذكاته وما أدركت فما ذكاته فهو لك، وإلاّ فلا يطعم، وهذا غير معمول به.

وقال سائر العلماء: هي الكواسب من السباع والبهائم والطير مثل النمر والفهد والكلب والعقاب، والصقر، والبازي، والباشق، والشاهين ونحوها مما يقبل التعليم، فسميت جوارح لجرحها أربابها أقواتهم من الصيد أي كسبها. يقال: فلان جارحة أهلها أي كاسبهم ولا جارحة لفلان إذ لم تكن لها كسب ﴿**مكلبين**﴾ منصوب على الحساب في المعنى وصيد ما علمتم من الجوارح مكلبين إلى هذه الحال أي في حال صيدكم [أصحاب] كلاب، والتكليب إغراء الصيد وإشلاؤه[١] على الصيد.

قال الشاعر:

باكره عند الصباح مكلّب أزلّ كسرحان القصيمة أغبر[٢]

قرأ أبن مسعود وأبو زرين والحسن: مكلبين بتخفيف اللام على هذا المعنى، وهي قراءة الحسن والقتيبي أيضاً، ويجوز أن يكون من قولهم: أكلب الرجل، إذا كثرت كلابه، مثل: وأمشى إذا كثرت ماشيته، وذكر الكلاب لإنها أكثر وأعم والمراد به جميع الجوارح.

﴿**تعلّمونهن**﴾ آداب الصيد ﴿**مما علّمكم اللّه**﴾ أي من العلم الذي علمكم اللّه، وقال السّدي: من بمعنى الكاف، أي كما علّمكم اللّه، وهو أن لا [يجثمن][٣] ولا يعضنّ ولا يقتلن ولا يأكلن ﴿**فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم اللّه عليه**﴾ عند إرسال البهم والجوارح.

حكم الآية

والمعلم من الجوارح الذي يحلّ صيده هو أن يكون إذا أرسله صاحبه وأشلاه استشلى وإذا أخذ أمسك ولم يأكل. فإذا دعاه أجابه، وإذا أراده لم يفرّ منه، فإذا فعل ذلك مرّات. فهو معلّم فمتى كان بهذا الوصف. فاصطاد جاز أكله فإذا أمسك الصيد ولم يأكل منه جاز أكله، وكان حلالاً، فإن أكل منه، فللشافعي فيه قولان: أحدهما: لا يحلّ ولا يؤكل وهو الأشهر والأظهر من مذهبه لأنّ اللّه عز وجل قال: ﴿**فكلوا مما أمسكن عليكم**﴾ وهو لم يمسك علينا وإنما أمسك على نفسه، وهذا قول الحسن وطاووس والشعبي وعطاء والسدّي.

وقال ابن عباس: إذا أرسلت الكلب فأكل من صيد فهي ميتة لا يحل أكله لأنه سبع أمسكه على نفسه، ولم يمسك عليك ولم يتعلم ما علّمته، فاضربه ولا تأكل من صيده.

---

(١) أشليت الكلب على الصيد دعوته فأرسلته، وقيل: أغريته.

(٢) لسان العرب: ١٢ / ٤٨٦.

(٣) هكذا في الأصل.

يدل عليه ما روى الشعبي عن عدي بن حاتم أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن الصيد فقال: «إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم اللّه عليه فإن أدركته لم يقتل، فاذبح واذكر اسم اللّه عليه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل فكل فقد أمسك عليك، فإن وجدته قد أكل منه فلا تطعم منه شيئاً، فإنما أمسك على نفسه، فإن خالط كلبَك كلابٌ فقتلن ولم يأكلن فلا تأكل منه فإنك لا تدري أيّها قتل»[١]. (وإذا رميت سهمك فاذكر اسم اللّه، فإن أدركته فكل، إلاّ أن تجده وقع في ماء فمات فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك) فإن وجدته بعد ليلة أو ليلتين ولم تر فيه سهمك فإن شئت أن تأكل منه فكل»[٢] [٢١].

والقول الثاني: أنه يحلّ وإن أكل وهو قول سلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقّاص، وابن عمر، وأبي هريرة، قال حميد بن عبد اللّه وسعد ابن أبي وقّاص: لنا كلاب ضواري يأكلن ويبقين، قال: كل وإن لم يبق إلاّ نصفه أو ثلثيه فكل ميتة.

وروى ذلك عن النبي ﷺ ولا فرق في حمله على ما ذكرنا من الطيور والسباع المعلمة.

وروى أبو قلابة عن ثعلبة[٣] الخشني: أنه جاء إلى النبي ﷺ قال: يا رسول اللّه إن أرضنا أرض صيد فأُرسل سهمي وأذكر اسم اللّه وأرسل كلبي المعلم وأذكر اسم اللّه وأرسل كلبي الذي ليس معلم فقال النبي ﷺ: «ما حبس عليك سهمك، وذكرت اسم اللّه [فكل]، وما حبس عليك كلبك المعلم وذكرت اسم اللّه، فكل وما حبس عليك كلبك الذي ليس معلم فأدركت ذكاته فكل وإن لم تدرك ذكاته فلا تأكل»[٤] [٢٢].

﴿واتقوا اللّه إنّ اللّه سريع الحساب﴾ ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ يعني الذبائح **﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم﴾** يعني ذبائح اليهود والنصارى، ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل أن يبعث محمد ﷺ حلال لكم، فمن دخل في دينهم بعد بعث النبي ﷺ فلا تحل ذبيحته، فأما إذا سمّى أحدهم غير اللّه عند الذبح مثل قول النصارى: باسم المسيح، اختلفوا فيه.

فقال ربيعة: سمعت ابن عمر يقول: لا تأكلوا ذبائح النصارى، فإنهم يقولون: باسم المسيح، فإنهم لا يستطيعون أن تهدوهم وقد ظلموا أنفسهم، دليله قوله **﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللّه عليه فإنه فسق﴾**.

والقول الثاني: إنّه يجوّز ذبيحتهم، الكتابي، وإن سمّي غير اللّه فإن هذا مستثنى من قوله

---

(١) سنن النسائي: ٧ / ١٧٩.

(٢) السنن الكبرى: ٩ / ٢٤٢ والمعجم الكبير: ١٧ / ٧٤ بتفاوت يسير.

(٣) في المصدر: عن أبي ثعلبة.

(٤) المعجم الكبير: ٢٢ / ٢٣١.

تعالى ﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللّه عليه**﴾ وهي إنما نزلت في ذبائح المشركين وما كانوا يذبحونها لأصنامهم، وعلى هذا أكثر العلماء.

قال الشعبي وعطاء: في النصراني يذبح فيقول: باسم المسيح قالا: يحلّ. فإنّ اللّه عز وجل قد أحل ذبائحهم وهو أعلم بما يقولون.

وسأل الزهري ومكحول عن ذبائح عبدة أهل الكتاب، [والمربيات] لكنائسهم وما ذبح لها فقالا: هي حلال، وقرأ هذه الآية.

وقال الحسن والحرث العكلي: ما كنت أسأله عن ذبحه فإنه أحل اللّه لنا طعامه، فإذا ذبح اليهودي والنصراني فذكر غير اسم اللّه وأنت تسمع فلا تأكله، فإذا غاب عنك فكل، فقد أحل اللّه لك [ما في] القرآن، فذبح اليهود والنصارى ونحرهم مكروه.

قال علي (رضي الله عنه): «لا يذبح ضحاياكم اليهود ولا النصارى ولا يذبح نسكك إلاّ مسلم»[1] [٢٣].

قوله عز وجل ﴿**والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها، فقال قوم: عنى بالإحصان في هذه الآية الحرية وأجازوا نكاح كل حرّة، مؤمنة كانت أو كتابية فاجرة كانت أو عفيفة وحرّموا إماء أهل الكتاب أن يتزوجهن المسلم بحال، وهذا قول مجاهد وأكثر الفقهاء، والدليل عليه قوله: ﴿**فمن لم يستطع منكم طولاً**﴾ الآية، فشرط في نكاح الإماء الإيمان.

وقال آخرون: إنما عنى اللّه تعالى بالمحصنات في هذه الآية العفائف من الفريقين إماءً كنّ أو حرائر، فأجازوا نكاح إماء أهل الكتاب بهذه الآية، وحرّموا البغايا من المؤمنات والكتابيات، وهذا قول أبي ميسرة والسّدي.

وقال الشعبي: إحصان اليهودية والنصرانية أن تغتسل من الجنابة، وتحصن فرجها.

وقال الحسن: إذا رأى الرجل من امرأته فاحشة فاستيقن فإنه لا يمسكها، ثم اختلفوا في الآية أهي عامة أم خاصة. فقال بعضهم: هي عامة في جميع الكتابيات حربيّة كانت أو ذميّة، وهو قول سعيد بن المسيّب والحسن.

وقال بعضهم: هي الذميّات، فإما الحربيات فإنّ نساءهم حرام على المسلمين، وهو قول ابن عباس.

السدّي عن الحكم عن مقسم عنه قال: من نساء أهل الكتاب من تحلّ لنا ومنهم من لا

(١) السنن الكبرى: ٥ / ٢٣٩ قريب منه.

تحل لنا، ثم قرأ: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون..**﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿**صاغرون**﴾. فمن أعطى الجزية حلّ لنا نساؤه ومن لم يعط الجزية لم يحل لنا نساؤه.

قال الحكم: فذكرت ذلك لإبراهيم فأعجبه، وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات، ويفسر هذه الآية بقوله: ﴿**ولا تنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ**﴾ يقول: لا أعلم شركاً أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى.

وروى المبارك عن سليمان بن المغيرة قال: سأل رجل الحسن: أيتزوّج الرجل المرأة من أهل الكتاب؟ قال: ماله ولأهل الكتاب وقد أكثر الله المسلمات: فإن كان لا بدّ فاعلا فليعمد إليها حصاناً غير مسافحة. قال الرجل: وما المسافحة، قال: هي التي إذا ألمح الرجل إليها بعينه أتبعته ﴿**ومن يكفربالإيمان فقد حبط عمله**﴾.

قال قتادة: ذكر لنا ان رجالاً قالوا لما نزل قوله ﴿**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾: كيف نتزوّج نساء لسن على ديننا؟ فأنزل اللّه هذه الآية.

وقال مقاتل ابن حيّان: نزلت فيما أحصن المسلمون من نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إيّاهنّ بالذي يخرجهنّ من الكفر يعني عنهن في دينهن [...][1] وجعلهن ممن كفر بالإيمان، فقد حبط عمله وهو بعد للناس عامّة، ﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ يعني من أهل النّار.

وقال ابن عباس: ومن يكفر باللّه قال الحسن بن الفضل: إن صحت هذه الرواية كان فمعناه برب الإيمان وقيل: بالمؤمنين به.

قال الكلبي: ومن يكفر بالإيمان أي بما أنزل على محمد ﷺ.

قال الثعلبي رحمه اللّه: وسمعت أبا القاسم الجهني قال: سمعت أبا الهيثم السنجري يقول: الباء صلة كقوله تعالى: ﴿**يشرب بها عباد اللّه**﴾[2] ﴿**تنبت بالدهن**﴾[3] والمعنى ومن يكفر بالإيمان أي يجحده فقد حبط عمله.

وقرأ الحسن بفتح الباء، قرأ ابن السميع: فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) سورة الإنسان: ٦.

(٣) سورة المؤمنون: ٢٠.

مِنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة**﴾ الآية، أمر اللّه تعالى بالوضوء عند القيام إلى الصلاة. واختلف العلماء في حكم الآية، فقال قوم: هذا من العام الذي أريد به الخاص. والمجمل الذي وكل بيانه إلى رسول اللّه ﷺ ومعنى الآية: إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر، يدلّ عليه ما روي عن عكرمة إنه سأل عن هذه الآية قال: أو كلّ ساعة أتوضأ؟ فقال: إن ابن عباس قال: لا وضوء إلاّ من حدث.

وقال الفضل بن المبشر: رأيت جابر بن عبد اللّه يصلي الصلوات الخمس بوضوء واحد. فإن بال أو أحدث توضأ ومسح بفضل مائه الخفين. فقيل: أي شيء تصنعه برأيك؟ فقال: بل رأيت رسول اللّه ﷺ يصنعه وأنا أصنع كما رأيت رسول اللّه ﷺ يصنع.

وروى محارب بن دثار عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بوضوء واحد.

وقال المسوّر بن مخرمة لابن عباس: هل لك في عبيد بن عمير إذا سمع النداء خرج من المسجد. فقال ابن عباس: هكذا يصنع الشيطان، فدعاه فقال: ما يحملك على ما تصنع إذا سمعت النداء خرجت وتوضأت، قال إن اللّه عز وجل يقول: ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم**﴾... الآية. قال: ليس هذا إذا توضأت فإنك على طهر حتّى تحدث، ثم قال: هكذا يصنع الشيطان إذا سمع النداء ولّى وله ضراط.

وروى الأعمش عن عمارة قال: كان للأسود قعب قد ري رجل وكان يتوضأ به ثم يصلي بوضوئه ذلك الصلوات كلها.

وقال زيد بن أسلم والسّدي: معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم، وقال بعضهم: أراد بذلك كل قيام العبد إلى صلاته أن يجدّد لها طهراً على طريق الندب والاستحباب، قال عكرمة: كان علي يتوضأ عند كل صلاة ويقرأ هذه الآية ﴿**يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة**﴾.

عن أبي عفيف[١] الهذلي إنه رأى ابن عمر يتوضأ للظهر ثم العصر ثم المغرب، فقلت: يا أبا عبد الرحمن أسنّة هذا الوضوء؟ قال: إنه كان كافياً وضوئي للصلاة كلها مالم أُحدث ولكني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «من توضأ على طهر كتب اللّه له عشر حسنات»[٢] ففي ذلك رغبت يا ابن أخي.

وقال بعضهم: بل كان هذا أمراً من اللّه عز وجل لنبيه وللمؤمنين حتماً وامتحاناً أن يتوضأ لكل صلاة، ثم نسخ للتخفيف.

وقال محمد بن يحيى بن جبل الأنصاري قلت: لعبيد اللّه بن عمر: أخبرني عن وضوء عبد اللّه لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر عمّن هو؟ قال: حدّثتنيه أسماء بنت زيد الخطاب أن عبد اللّه بن حنظلة بن أبي عامر الغسيلي حدثها أن النبي ﷺ أُمر بالوضوء عند كل صلاة، فشق ذلك عليه فأُمر بالسواك ورفع عنه الوضوء إلاّ من حدث، وكان عبد اللّه يرى أن به قوّة عليه فكان يتوضأ.

وروى سليمان بن بريد عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ كان يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم فتح مكّة صلّى الصلوات الخمس كلها بوضوء واحد، فقال عمر (رضي الله عنه): إنك تفعل شيئاً لم تكن تفعله! قال: «عمداً فعلته يا عمر»[٣] [٢٤].

وقال بعضهم: هذا إعلام من اللّه تعالى لرسوله ﷺ أن لا وضوء عليه إلاّ إذا قام إلى صلاته دون غيرها من الأعمال.

وذلك إنه إذا كان أحدث امتنع من الأعمال كلها حتّى يتوضأ فأذن اللّه عز وجل بهذه الآية أن يفعل كل ما بدا له من الأفعال بعد الحدث غير الصلاة.

وروى عبد اللّه بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عبد اللّه بن علقمة بن وقاص عن أبيه قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا أراق البول نكلمه فلا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى يأتي منزله فيتوضأ لوضوء الصلاة حتّى نزلت آية الرخصة ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم**﴾.

وحّد الوجه من منابت شعر الرأس إلى طرف الذقن طولاً، وما بين الأُذنين عرضاً، فأما ما استرسل من اللحية عن الذقن؛ فللشافعي هنا قولان:

أحدهما: أنه لا يجب على المتوضىء غسله، وهو مذهب أبي حنيفة واختيار المزني،

---

(١) في المصدر: غطيف.

(٢) سنن أبي داود: ١ / ٢٣.

(٣) السنن الكبرى: ١ / ١١٨، وسنن النسائي: ١ / ٨٥.

واحتجّوا بأن الشعر النازل من الرأس لا يُحكم بِحُكم الرأس. وكذلك من الوجه.

والثاني: أنه يجب غسله، ودليل هذا القول من ظاهر هذه الآية، لأن الوجه ما يواجه به، فكلّ ما تقع به المواجهة من هذا العضو يلزمه غسله بحكم الظاهر.

ومن الحديث قول النبي ﷺ حيث نهى عن تغطية اللحية في الصلاة إنها من الوجه، ومن اللغة قول العرب بدل وجه فلان وخرج وجهه إذا نبتت لحيته.

﴿وإيديكم إلى المرافق﴾ غسل اليدين من المرفقين واجب بالإجماع واختلفوا في المرفقين.

فقال الشعبي ومالك والفراء ومحمد بن الحسن ومحمد بن جرير: لا يجب غسل المرفقين في الوضوء، وإلى ـ ها هنا ـ بمعنى الحدّ والغاية، ثم استدلوا بقوله تعالى **﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾**[1] والليل غير داخل في الصوم، وقال سائر الفقهاء: يجب غسلهما و(إلى) بمعنى مع واحتجوا بقوله تعالى **﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾**[2] وقوله **﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾**[3] وقوله **﴿من أنصاري إلى اللّه﴾**[4].

﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ اختلف الفقهاء في القدر الواجب من مسح الرأس.

فقال مالك والمزني: مسح جميع الرأس في الوضوء واجب.

وجعلوا الباء بمعنى التعميم، كقوله عز وجل **﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾**[5] وقوله **﴿وليطّوّفوا بالبيت العتيق﴾**[6].

وقال أبو حنيفة: مسح ربع الرأس واجب. أبو يوسف: نصف الرأس، الشافعي: يجوز الاقتصار على أقل من ربع الرأس، فإذا مسح مقدار ما يسمى مسحاً أجزأه، واحتج بقوله **﴿وامسحوا برؤوسكم﴾**، وله في هذه الآية دليلان، أحدهما: مسح بعض رأسه وإن قلّ فقد حصل من طرفي [اللسان] ماسحاً رأسه. فصار مؤدياً فرض الأمر.

والثاني: إنه قال في العضوين اللذين أمر بتعميمها بالطهارة **﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾** فأطلق الأمر في غسلهما وقال في الرأس **﴿فامسحوا برؤوسكم﴾** فأدخل الباء للتبعيض لأنّ الفعل

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) سورة النساء: ٢.

(٣) سورة التوبة: ١٢٥.

(٤) سورة آل عمران: ٥٢.

(٥) سورة المائدة: ٦.

(٦) سورة الحج: ٢٩.

إذا تعدى إلى المفعول من غير حرف الباء كان دخول الباء للتبعيض، كقول القائل: مسحت يدي بالمنديل وإن كان مسح ببعضه.

قال عنترة:

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم(١)

ويدل عليه من السنة ما روى عمرو بن وهب النقعي عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته وعلى عمامته وخفّيه، فاقتصر في المسح على الناصية دون سائر الرأس.

﴿**وأرجلكم**﴾ اختلف القرّاء فيه، فقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام ومجاهد، وإبراهيم التميمي وأبو وائل، والأعمش، والضحّاك وعبدالله بن عامر، وعامر ونافع، والكسائي وحفص وسلام ويعقوب: (وأرجلكم) بالنصب وهي قراءة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

وروى عاصم بن كليب عن أبي عبد الرحمن السّلمي، قال: قرأ عليّ الحسن والحسين فقرأا: وأرجلَكم بالخفض، فسمع عليّ ذلك وكان يقضي بين الناس، فقال: وأرجلِكم بالنصب، وقال: هذا من المقدم والمؤخر من الكلام.

وقراءة عبد اللّه وأصحابه. قال الأعمش: كان أصحاب عبد اللّه يقرؤن: وأرجلكم نصباً فيغسلون.

وقراءة ابن عباس، روى عكرمة عنه أنه قرأها: وأرجلكم بالنصب وقال: عاد الأمر إلى الغسل وهو اختيار أبي عبيد، وقرأ الباقون بالكسر، وهي قراءة أنس والحسن وعلقمة والشعبي، واختيار أبي حاتم، فمن نصب فمعناه واغسلوا أرجلَكم، ومن خفض فله وجوه ثلاث: أحدها أن المسح يعني الغسل والباء بمعنى التعميم، يقول تمسّحت للصلاة أي توضأت، وذلك أن المتوضىء لا يرضى أن يصيب وجهه وذراعيه وقدميه حتّى يمسحها فيغسلها فلذلك سمي الغسل بها، وهذا قول أبي زيد الأنصاري وأبي حاتم السجستاني.

وقال أبو عبيدة والأخفش وغيرهما: إن الأرجل معطوفة على الرؤس على الإتباع بالجواز لفظاً لا معنى. كقول العرب (جحر ضب خرب) قال تعالى ﴿**ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها**﴾(٢).

قال الشاعر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحاً(٣)

---

(١) لسان العرب: ٢ / ٩٥.

(٢) سورة النساء: ٧٥.

(٣) تفسير الطبري: ١ / ٩٢.

والرمح لا يتقلد إنّما يحمل.

وقال لبيد:

وأطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها[١]

والنعام لا تطفل وإنما تفرخ.

وقال بعضهم: أراد به المسح على الأرجل لقرب الجوار. كقوله: غمر الردا أي واسع الصدر. ويقال: قبّلَ رأس الأمير ويده ورجله، وإن كان في العمامة رأسها وفي الكم يده وفي الخف رجله. وفي الحديث أن النبي ﷺ كان إذا ركع وضع يده على ركبتيه. وليس المراد إنه لم يكن بينهما حائل. قال اللّه تعالى: ﴿**وثيابك فطّهر**﴾[٢] قال كثير من المفسرين: أراد به قلبك فطهر.

قال همام بن الحرث: بال جرير بن عبد اللّه فتوضأ ومسح على خفيه فقيل له في ذلك، فقال: رأيت رسول اللّه ﷺ يفعله.

قال الأعمش: كان إبراهيم يعجبه هذا الحديث، وهو أن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة.

وأجرى قوم من العلماء الآية على ظاهرها، وأجازوا المسح على القدمين، وهو قول ابن عباس قال: الوضوء مسحتان وغسلتان.

وقول أنس: روى ابن عليّة عن حميد عن موسى بن أنس إنه قال لأنس ونحن عنده: إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال: إغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤسكم، فإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وكعبهما وعراقيبهما.

فقال: صدق اللّه وكذب الحجاج، قال اللّه تعالى ﴿**وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم**﴾ وكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما.

وروى حماد عن عاصم الأحول عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح، والسّنة بالغسل.

وقول الحسن والشعبي، قال الشعبي: نزل جبرئيل بالمسح، ثم قال: ألا ترى المتيمم يمسح ما كان غسلاً ويلغي ما كان مسحاً.

وقول عكرمة قال يونس: حدّثني من صحب عكرمة إلى واسط قال: فما رأيته غسل رجليه إنما كان يمسح عليهما حتى خرج منها.

---

(١) تاج العروس: ٩ / ٣٨٤.

(٢) سورة المدّثر: ٤.

وقول قتادة قال: إفترض اللّه غسلين ومسحين، ومذهب داود بن علي الأصفهاني ومحمد ابن جرير الطبري وأبي يعلى وذهب بعضهم إلى إن المتوضىء يتخير بين غسلهما ومسحهما، والدليل على وجوب غسل الرجلين في الوضوء قول اللّه عز وجل: ﴿**إلى الكعبين**﴾ فتحديده بالكعبين دليل على الغسل كاليدين لما حدّهما إلى المرفقين كان فرضهما الغسل دون المسح.

ويدل عليه من السّنة ما روي عن عثمان وعلي وأبي هريرة وعبد اللّه بن زيد إنهم حكوا وضوء رسول اللّه ﷺ فغسلوا أرجلهم.

وروى خلاد بن السائب عن أبيه عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «لا يقبل اللّه صلاة إمرىء حتّى يضع الوضوء مواضعه فيغسل وجهه ويديه ويمسح برأسه ويغسل أرجله»(١) [٢٥].

وروى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء عن جابر أنه قال: أمرنا رسول اللّه ﷺ أن نغسل أرجلنا إذا توضأنا.

وقال ابن أبي ليلى: أجمع أصحاب رسول اللّه ﷺ على وجوب غسل الرجلين.

أبو يحيى عن عبد اللّه بن عمرو قال: مرّ النبي ﷺ على قوم عراقيبهم تلوح فقال: «أسبغوا الوضوء ويل للعراقيب من النار»(٢) [٢٦].

وقال حميد الطويل: رأى رسول اللّه ﷺ أعمى يتوضأ فقال: «إغسل باطن قدميك»(٣) فجعل يغسل حتّى سمّي أبا غسيل» [٢٧].

روى أبو قلابة أن عمر (رضي الله عنه) رأى رجلاً يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة.

وقالت عائشة رضي اللّه عنها: لإن تقطعا أحبّ إلّي من أن أمسح على القدمين بغير خفين إلى الكعبين.

وهما النابتان من جانبي الرجل ومجمع مفصل الساق والقدم. وسمّتهما العرب المنجمين، وعليهما الغسل كالمرفقين، هذا مذهب الفقهاء وخالفهم محمد بن الحسن في الكعب فقال: هو الناتىء من ظهر القدم الذي يجري عليه الشراك. قال: وسمي ذلك لارتفاعه ومنه الكعبة.

ودليلنا قوله تعالى ﴿**وأرجلكم إلى الكعبين**﴾ فجمع الأرجل وثنّى الكعبين فلو كان لكل رجل كعب واحد لجمعهما في الذِكر كالمرافق لما كان في كل يد مرفق واحد، بجمع المرافق

---

(١) أحكام القرآن: ٢ / ٤٢٣.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي: ٣٠٢ وجامع البيان: ٦ / ١٨٢.

(٣) المصنّف: ١ / ٣٢.

فلما جمع الأرجلِ وثنّى الكعبين ثبت أن لكل رِجل كعبين ويدل عليه قوله ﷺ للمحرم: «فليلبس النعلين فإن لم يجد النعلين فليلبس [خفّين] وليقطعهما أسفل من الكعبين»(١) [٢٨].

فدلّ على أن الكعبين ما قلنا، إذ لو كان الكعب هو الناتيء من ظهر القدم لكان إذا قُطع الخف من أسفله لم يكن استعماله ولا المشي فيه، والنبي ﷺ لا يأمر بإضاعة المال وإتلافه.

ويدل عليه ما روي أيضاً عنه ﷺ إنه مرّ في سوق مكّة يقول: «قولوا لا إله إلاّ اللّه تفلحوا»(٢) [٢٩].

وأبو لهب يرميه من ورائه بالحجارة حتّى أدمى كعبيه(٣).

فلو كان ما ذهب إليه محمد بن الحسن، ما قيل: حتى أُدمي، إذ رميت من ورائه.

ويدل عليه ما روي أن رسول اللّه ﷺ قال: «أقيموا صفوفكم أو ليخالفنّ اللّه بين قلوبكم»(٤)، حتّى كان الرجل منّا يلزق كعبه بكعب صاحبه ومنكبه بمنكبه، فيدل عليه قوله ﷺ: «ويل للأعقاب والعراقيب من النار»(٥) [٣٠] أصل الأعقاب والعراقيب إنما يحصل لمن غسل المنجمين.

وروى أبو إدريس عن أبي ذر عن عليّ كرم اللّه وجهه قال: بينا رسول اللّه ﷺ في ملإ من المهاجرين إذ أقبل إليه عشرة من أحبار اليهود فقالوا: يا محمد إنا أتيناك لنسألك عن أشياء لا يعلمها إلاّ من كان نبيّاً مرسلا وملكاً مقرّباً. فقال ﷺ: «سلوني تفقهاً ولا تسألوني تعنّتاً» فقالوا: يا محمد أخبرنا لِمَ أمر اللّه بغسل هذه الأربعة المواضع وهي أنظف المساجد؟ فقال النبي ﷺ: «إنّ آدم لمّا نظر إلى الشجرة قصد إليها بوجهه ثم مشى إليها وهي أوّل قدم مشت إلى المعصية ثمّ تناول بيده وشمّها فأكل منها فسقطت عنه الحلي والحلل فوضع يده الخاطئة على رأسه فأمر اللّه عز وجل بغسل الوجه لما أنه نظر إلى الشجرة وقصدها وأمر بغسل الساعدين وغسل يده وأمر بمسح رأسه، إبتلته الشجرة ووضع يده على رأسه وأمر بغسل القدمين لما مشى إلى الخطيئة فلمّا فعل آدم ذلك كفّر اللّه عنه الخطيئة فافترضهنّ اللّه على أمتي ليكفّر ذنوبهم من الوضوء إلى الوضوء» [٣١].

قالوا: صدقت، فأسلموا.

---

(١) مسند أحمد: ٢ / ٣.
(٢) مسند أحمد: ٥ / ٣٧١.
(٣) المصنّف لابن أبي شيبة: ٨/ ٤٤٢ بتفاوت.
(٤) كنز العمال: ٧ / ٦٣٠ وفيه: وجوهكم يوم القيامة، بدل: قلوبكم.
(٥) مسند أبي داود الطيالسي: ٣٠٢ بتفاوت.

فاختلف الفقهاء في حكم الروايات المذكورة في الآية. فجعلوها بمعنى الترتيب والتعقيب وأوجبوا الترتيب في الوضوء وهو أن يأتي بأفعال الوضوء تباعاً واحداً بعد واحد. فيغسل وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه، وهو اختيار الشافعي، فاحتج بقوله **﴿إنّ الصفا والمروة من شعائر اللّه﴾**(١).

قال جابر بن عبد اللّه: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في الحج ـ وذكر الحديث إلى أن قال ـ: فخرج رسول اللّه ﷺ إلى الصفا وقال: «إبدأوا بما بدأ اللّه به» فدّل هذا على شيئين: أحدهما: أن الواو يوجب الترتيب، والثاني أن البداية باللفظ توجب البداية بالفعل إلاّ أن يقوم الدليل(٢).

واحتج أيضاً بقوله **﴿اركعوا واسجدوا﴾**(٣) فالركوع قبل السجود، واحتج أيضاً بقوله ﷺ: «لا يقبل اللّه صلاة امرىء حتّى يضع الوضوء مواضعه فيغسل وجهه ثم يغسل يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه»(٤) [٣٢]. و(ثم) في كلام العرب للتعقيب.

عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه إنه قال لعبد اللّه بن زيد الأنصاري قال: أتستطيع أن تري كيف كان رسول اللّه ﷺ يتوضأ؟ فقال عبد اللّه: نعم، فدعا بوضوء وأفرغ على يديه فغسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاثاً ومسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثمّ ذهب بهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه.

وقال مالك: إن ترك الترتيب في الوضوء عامداً، أعاد وضوءه فإن تركه ناسياً لم يعد، وهو اختيار المزني.

وقال سفيان الثوري وأبو حنيفة وصاحباه: الترتيب في الوضوء سنّة فإن تركه ساهياً أو عامداً فلا إعادة عليه، وجعلوا الواو بمعنى الجمع، واحتجوا بقوله تعالى **﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين﴾**(٥) ولا خلاف أن تقديم بعض أهل السهمين على بعض في الإعطاء بتمايز. وبقوله **﴿يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما﴾**(٦). ويحرم تقديم أحدهما على الآخر.

وأما فضل الوضوء

فروى يحيى بن أبي كثير عن زيد عن ابن سلام عن أبي مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»(٧) [٣٣].

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨.
(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٩٤.
(٣) سورة الحج: ٧٧.
(٤) أحكام القرآن: ٢ / ٤٢٣.
(٥) سورة التوبة: ٦٠.
(٦) سورة الأحزاب: ٥٦.
(٧) مسند أحمد: ٥ / ٣٤٤.

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عثمان النهدي قال: كنت مع سلمان فأخذ غصناً من شجرة يابسة فحتّه ثم قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «من توضأ فأحسن الوضوء [ثمّ صلى الصلوات الخمس] تحاتّت عنه خطاياه كما تحات هذه الورق»(١) [٣٤].

وروى زر بن حبيش عن عبد اللّه بن مسعود قال: قيل: يا رسول اللّه ﷺ كيف تعرف من لم تر من أمتك يوم القيامة؟ قال: «هم غر محجلون من آثار الوضوء»(٢) [٣٥].

وروى أبو أمامة عن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا رسول اللّه ما الوضوء حدّثني عنه؟ قال: «ما منكم من رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق وينثر إلاّ جرت خطايا فيه وخياشيمه مع الماء ثم إذا غسل وجهه كما أمر اللّه إلاّ جرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم إذا غسل يديه من المرفقين إلاّ جرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلاّ جرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلاّ جرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإذا هو قام فصلّى وحَمِدَ اللّه وأثنى عليه ومجّده وفرّغ قلبه للّه إلاّ انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أُمه»(٣) [٣٦].

وعن أنس بن مالك قال: خدمت رسول اللّه ﷺ وأنا ابن ثمان سنين وكان أول ما علّمني أن قال: «يا أنس يا بني أحسن وضوءك لصلاتك يحبك اللّه ويزاد في عمرك»(٤) [٣٧].

وروى سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن حمزة الأنصاري قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ ونحن في مسجد المدينة فقال: «لقد رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أُمتي قد بُسِطَ عليه عذاب القبر فجاء وضوؤه فاستنقذه من ذلك» [٣٨].

﴿**فإن كنتم جُنُباً فاطّهروا**﴾ فاغتسلوا.

روى أبو ذر عن علي (عليه السلام) فقال: أقبل عشرة من أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد لماذا أمر اللّه بالغسل من الجنابة ولم يأمر من البول والغائط وهما أقذر من النطفة؟ فقال النبي ﷺ: «إنّ آدم لما أكل من الشجرة تحوّل في عروقه وشعره، وإذا جامع الإنسان نزل من أصل كل شعرة فافترضه اللّه عز وجل عليّ وعلى أمتي تكفيراً وتطهيراً وشكراً لِما أنعم عليهم من اللذة التي يصيبونها منه».

قالوا: صدقت يا محمد، فأخبرنا بثواب ذلك من اغتسل من الحلال، فقال ﷺ: «إنّ

---

(١) مجمع الزوائد: ١ / ٢٩٧.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ١٩٩.

(٣) صحيح مسلم: ٢ / ٢١٠.

(٤) مجمع الزوائد: ١ / ٢٧١، ومسند أبي يعلى: ٦ / ٣٠٧ بتفاوت.

المؤمن إذا أراد أن يغتسل من الحلال بنى اللّه له قصراً في الجنّة وهو سرّ بين المؤمن وبين ربه، والمنافق لا يغتسل من الجنابة فما من عبد ولا أمة من أمتي قاما للغسل من الجنابة تيقناً أني ربهما، أُشهدكم أني غفرت لهما كتبت لهما بكل شعرة على رأسه وجسده ألف [سنة] ومحى عنه مثل ذلك ورفع له مثل ذلك». قالوا: صدقت، نشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنّك رسول اللّه.

وعن أبي محمد الثقفي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال لي النبي ﷺ: «يا بني الغسل من الجنابة فبالغ فيه فإنّ تحت كلّ شعرة جنابة». قلت: يا رسول اللّه كيف أبالغ؟ قال: «نقّوا أصول الشعر وأنق بشرتك تخرج من مغتسلك وقد غفر لك كل ذنب»(١) [٣٩].

وقال عبد الرحمن بن حمزة: خرج علينا رسول اللّه ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة. فقال: «إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أُمتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً كلما دنا إلى حلقه طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة [فأخذ بيده] فأقعده إلى جنبي»(٢) [٤٠].

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر﴾ إلى قوله **﴿بوجوهكم وأيديكم منه﴾** أي من الصعيد **﴿وما يريد اللّه ليجعل عليكم﴾** بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم **﴿من حرج﴾** من ضيق **﴿ولكن يريد أن يطهركم﴾** من الأحداث والجنابات والذنوب والخطيئات **﴿وليتم نعمته عليكم﴾** فيما أباح اللّه لكم من التيمم عند عدم الماء وسائر نعمه التي لا تحصى **﴿لعلكم تشكرون﴾** اللّه عليها.

وروى محمد بن كعب القرضي عن عبد اللّه بن داره مولى عثمان بن عفّان (رضي الله عنه) عن عمران مولى عثمان قال: مرّت على عثمان فخارة من ماء فدعا به فتوضأ فأسبغ وضوءه ثم قال: لو لم أسمعه من رسول اللّه ﷺ إلاّ مرّة أو مرّتين أو ثلاثاً ما حدّثتكم به(٣).

سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «ما توضّأ عبد فأسبغ وضوءه ثم قام إلى الصلاة إلاّ غفر [الله] له ما بينه وبين الصلاة الأخرى»(٤) [٤١].

قال محمد بن كعب: فكنت إذا سمعت الحديث من رجل من أصحاب رسول اللّه ﷺ التمسته في القرآن فالتمست هذا في القرآن فوجدته **﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾**(٥) فعلمت أن اللّه لم يتم عليه النعمة حتّى غفر له ذنوبه.

---

(١) كنز العمال: ٩ / ٥٤٩. ح ٢٧٣٦١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٥٥.
(٣) مسند ابن المبارك: ٢١.
(٤) مسند ابن المبارك: ٢١.
(٥) سورة الفتح: ٢.

ثم قرأت الآية التي في المائدة ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾ حتّى بلغ قوله ﴿**يريد اللّه ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم**﴾ فعرفت أنّ اللّه لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم.

قتادة عن شهر بن حوشب عن الصّدي بن عجلان وهو أبو إمامة عن النبي ﷺ إنه قال: «الطهور يكفر ما قبله [ثمّ] تصير الصلاة نافلة»[1] [٤٢].

﴿**واذكروا نعمة اللّه عليكم**﴾ يعني النعم كلها ﴿**وميثاقه**﴾ عهده ﴿**الذي واثقكم به**﴾ عاهدتم به أيها المؤمنون ﴿**إذ قلتم سمعنا وأطعنا**﴾ وذلك حين بايعوا رسول اللّه ﷺ على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد: من الميثاق الذي أخذ اللّه على عباده حين أخرجهم من صلب آدم (عليه السلام) ﴿**واتقوا اللّه إن اللّه عليم بذات الصدور**﴾ عليم ما في القلوب من خير وشر ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين للّه شهداء بالقسط**﴾ أمرهم بالصدق والعدل في أقوالهم وأفعالهم ﴿**ولا يجرمنّكم شنآن قوم**﴾ ولا يحملنكم بغض قوم ﴿**على أن لا تعدلوا**﴾ أي على ترك العدل فيهم لعداوتهم، ثم قال: ﴿**إعدلوا**﴾ بين أوليائكم وأعدائكم ﴿**هو أقرب للتقوى**﴾ يعني إلى التقوى ﴿**واتقوا اللّه إنّ اللّه خبير**﴾ عالم ﴿**بما تعملون**﴾ مجازيكم به ﴿**وعد اللّه الذين آمنوا وعلموا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾ تقديرها: وقال لهم مغفرة، لأنّ الوعد قول، فلذلك جمع الكلام ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم**﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿**يا أيّها الذين آمنوا اذكروا نعمة اللّه عليكم**﴾ بالدفع عنكم ﴿**إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم**﴾ بالقتل ﴿**فكفّ إيديهم عنكم واتقوا اللّه وعلى اللّه فليتوكل المؤمنين**﴾.

نزلت هذه الآية على رسول اللّه ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة فإذا بنو ثعلبة، وبنو

(١) المعجم الكبير: ٨ / ١٢٥ وفيه: الوضوء، بدل: الطهور.

محارب أرادوا أن يمسكوا به وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة، قالوا: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم فإذا سجدوا فيها أوقعنا بهم، فأطلع اللّه نبيّه على ذلك، وهي صلاة الخوف.

وقال الحسن: كان النبي ﷺ محاصراً بطن نخلة. فقال رجل من المشركين: هل لكم في أن أقتل محمداً، قالوا: فكيف تقتله؟ قال أمسك به، قالوا: وددنا إنّك فعلت ذلك. فأتى النبي ﷺ وهو متقلد سيفه، فقال: يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرّة إلى السيف ومرّة إلى النبي ﷺ وقال: من يمنعك مني يا محمد؟قال: اللّه، فتهدّده أصحاب النبي ﷺ وأغلظوا له فشام السيف ومضى. فأنزل اللّه هذه الآية.

الزهري عن ابن سلام عن جابر بن عبد اللّه: أنّ النبي ﷺ نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاة يستظلون تحتها فعلّق النبي ﷺ سلاحه بشجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول اللّه ﷺ فسلّه ثمّ أقبل على النبي ﷺ فقال: من يمنعك منّي؟ قال: اللّه، قال الأعرابي مرّتين أو ثلاثاً: من يمنعك منّي؟ والنبي ﷺ يقول: الله، فشام الأعرابي السيف، فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم بخبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه.

وقال مجاهد وعبد اللّه بن كثير وعكرمة والكلبي، وابن يسار عن رجاله: بعث النبي ﷺ المنذر ابن عمرو الأنصاري الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على بئر معونة وهي من مياه بني عامر، فاغتسلوا فقتل المنذر بن عمرو الأنصاري الساعدي وأصحابه إلاّ ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم: عمرو بن أميّة الصيمري، فلم يرعهم إلاّ والطير تحوم في السماء تسقط من بين خراطيمها علق الدّم، فقال أحد النفر: قتل أصحابنا، ثم تولى يشتد حتّى لقي رجلاً فاختلفا ضربتين فلما خالطت الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه وقال: اللّه أكبر الحمد للّه ربّ العالمين. ورجع صاحباه، فلقيا رجلين من بني سليم وبين النبي ﷺ وبين قومهما موادعة، فانتسبا لهما إلى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي ﷺ يطلبون الدية فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتّى دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النظير فاستعانهم في عقلهما، فقال: نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة. إجلس حتّى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس النبي ﷺ وأصحابه فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: إنّكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيرتحل عنّا. فقال عمرو بن جحش بن كعب: أنا، فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه فأمسك اللّه أيديهم وجاء جبرئيل (عليه السلام) وأخبره بذلك فخرج النبي ﷺ ثمّ دعا علياً فقال: لا تبرح من مكّة، فمن خرج عليك من أصحابي فسألك عنّي فقل توجه إلى المدينة، ففعل ذلك علي (عليه السلام) حتّى قاموا إليه ثم لقوه فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية.

قال الثعلبي: وهذا القول أولى بالصواب لأنّ اللّه تعالى عقّب هذه الآية بذم اليهود، وذكر قبح أفعالهم وأعمالهم فقال عز من قائل **﴿ولقد أخذ اللّه ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم﴾** الآية، وذلك أنّ اللّه تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون، ووعده أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني إسرائيل، فلما تركت بني إسرائيل الدّار بمصر أمرهم اللّه تعالى المسير إلى أريحا أرض الشام وهي الأرض المقدسة.

وقال: يا موسى إني قد كتبتها لكم داراً قراراً فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصركم عليهم، وخذ من قومك إثني عشر نقيباً من كلّ سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أُمروا، به فاختار موسى (عليه السلام) النقباء وهذه أسماؤهم: من سبط روبيل: شامل بن ران، ومن سبط شمعون: شاقاط بن [حوري]، ومن سبط يهودا: كالب بن يوقنا، ومن سبط آبين: مقايل بن يوسف، ومن سبط يوسف، وهو سبط إفراهيم ويوشع بن نون، ومن سبط بيامين: قنطم بن أرقون ومن سبط ريالون: مدي بن عدي، ومن سبط يوسف وهو ميشا بن يوسف: جدي بن قامن، ومن سبط آهر: بيانون بن ملكيا ومن سبط تفتال: نفتا لي محر بن وقسي، ومن سبط دان: حملائل بن حمل، ومن سبط أشار: سابور بن ملكيا(١).

فسار موسى ببني إسرائيل حتّى إذا قربوا من أرض كنعان وهي أريحا. بعث هؤلاء النقباء إليها يتجسّسون له الأخبار ويعلمونه فلقيهم رجل من الجباريّن يقال له عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع.

قال ابن عمر: كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من أقرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله.

ويروى له أنه رأى نوحاً يوم الطوفان فقال: إحملني معك في سفينتك، فقال له: أُخرج يا عدو اللّه فإنّي لم أُؤمر بك وطبق الماء ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج، وعاش عوج ثلاثة ألاف سنة ثم أهلكه اللّه على يد موسى، وكان لموسى (عليه السلام) عسكر فرسخاً في فرسخ، فجاء عوج حتى نظر إليهم ثم جاء فنحت الجبل فأخذ منه بصخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث اللّه تعالى إليه الهدهد ومعه المص يعني منقاره حتّى نقر الصخرة فانثقبت فوقعت في عنق عوج فطوقته وأقبل موسى (عليه السلام) وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وتراقي السماء عشرة أذرع فما أصاب إلاّ كعبه وهو مصروع بالأرض فقتله.

قالوا: فأقبلت جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتّى جزّوا رأسه فلما قتل وقع في نيل

---

(١) في الأسماء تفاوت كبير عمّا هو موجود في تفسير الطبري: ٦ / ٢٠٥، وكذا فيهما تفاوت عمّا هو موجود في تفسير القرطبي: ٦ / ١١٣، وكذلك عمّا في تاريخ دمشق: ٨ / ٤١.

مصر فجسرهم سنة وكانت أمّه عنق ويقال عناق إحدى بنات آدم، ويقال: إنّها كانت أوّل من بغت على وجه الأرض وكان كل إصبع من أصابعها ثلاثة أذرع وذراعين، وفي كل إصبع ظفران حديدان مثل المنجلين. وكان موضع مجلسها جريباً من الأرض. فلمّا بغت بعث الله عز وجل عليها أسداً كالفيلة وذئباً كالإبل ونسوراً كالحمر وسلّطهم عليها فقتلوها وأكلوها.

قالوا: فلما لقيهم عوج وعلى رأسه حزمة حطب أخذ الإثني عشر فجعلهم في حجزته. وحجزة الإزار معقد السراويل التي فيها التكّة. فانطلق بهم إلى امرأته وقال: أُنظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا، فطرحهم بين يديها.

وقال: ألا أطحنهم برجلي، فقالت إمرأته: لا بل خلِّ عنهم حتّى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك فجعلوا يتعرّفون أحوالهم، وكان لا يحمل عنقود عنبهم إلاّ خمسة أنفس منهم في خشبة ويدخل في شطر الرّمانة إذا نزع حبّها خمسة أنفس أو أربعة، فلمّا خرجوا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنّكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم إرتدّوا عن نبي الله ولكن اكتموا وأخبروا موسى (عليه السلام) وهارون فيكونان هما يريان رأيهما، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك. ثم انصرفوا إلى موسى وحاول بحبّة من عنبهم وفرّ رجل منهم، ثم إنّهم نكثوا العهد، وكل واحد منهم نهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى، إلاّ رجلان منهم يوشع وكالب[١]، فذلك قوله تعالى ﴿**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم إثني عشر نقيباً**﴾.

وقال الله لبني إسرائيل ﴿**إنّي معكم**﴾ ناصركم على عدّوكم.

ثم ابتدأ الكلام فقال عزّ من قائل: ﴿**لئن أقمتم**﴾ يا معشر بني إسرائيل ﴿**الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم**﴾ أي ونصرتموهم ووقرتموهم.

وأشعر أبو عبيدة:

وكم من ماجد منهم[٢] كريم ومن ليث يعزّر في الندي[٣]

ويروى: وكم من سيّد يُحصى نداه ومن ليثِ.

﴿**وأقرضتم الله قرضاً حسناً**﴾ولم يقل أقراضاً، وهذا مما جاء من المصدر بخلاف المصدر كقوله ﴿**فتقبلها ربها بقبول حسن**﴾[٤] ﴿**لأُكفرنّ**﴾ لأستبرءنّ ولأمحوّنّ ﴿**عنكم سيّئاتكم ولأُدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل**﴾ أي أخطأ قصد

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ٢٠٤ بتفاوت، وتاريخ الطبري: ١ / ٣٠٢.

(٢) في المصدر: لهم.

(٣) تفسير القرطبي: ٦ / ١١٤، والندي: مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه.

(٤) سورة آل عمران: ٣٧.

السبيل وهو لكل شيء وسطه، ومنه قيل للظهر: سواء ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي فبنقضهم وما فيه ما المصدر، وكلّ ما ورد عليك من هذا الباب فهو سبيله.

قال قتادة: نقضوه من وجوه: كذّبوا الرسل الذين جاؤا بعد موسى فقتلوا أنبياء اللّه ونبذوا كتابه وضيّعوا فرائضه.

قال سلمان: إنما هلكت هذه الأمّة بنكثها عهودها.

﴿لعنّاهم﴾ قال ابن عباس: عذّبناهم بالجزية. الحسن ومقاتل: بالمسخ عطاء أبعدناهم من رحمتنا ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾.

قرأ يحيى بن رئاب وحمزة والكسائي قسّية بتشديد الياء من غير ألف. وهي قراءة النخعي، وقرأ الأخفش: قسية بتخفيف الياء على وزن فعلية نحو عمية وشجية من قسى يقسي لا من قسى يقسو، وقرأ الباقون: قاسية على وزن فاعلة، وهو اختيار أبو عبيدة، وهما لغتان مثل العلية والعالية والزكية والزاكية.

قال ابن عباس: قاسية يائسة، وقيل: غليظة لا تلين، وقيل: متكبرة لا تقبل الوعظ، وقيل: ردية فاسدة، من الدراهم القسية وهي الودية المغشوشة ﴿يحرّفون الكلم عن مواضعه﴾ قرأه العامّة بغير ألف، وقرأ السلمي والنخعي: الكلام بالألف ﴿ونسوا حضاً ممّا ذكّروا به﴾ وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعمته ﴿ولا تزال﴾ يا محمد ﴿تطّلع على خائنة منهم﴾.

وإختلفوا في الخائنة:

قال المبرّد: هي مصدر، كالكاذبة، واللاّغية، وقيل: هي إسم كالعاقبة والمعاقبة، وقيل: هي بمعنى المبالغة، والهاء هنا للمبالغة مثل: راوية وعلامة ونسابة.

قال الشاعر:

حدّثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مغلّ الإصبع[1]

ويجوز أن يكون جمع الخائن كقولك فرقة كافرة وطائفة خارجة.

قال ابن عباس: خائنة أي معصية، وقيل: كذب وفجور، وكانت خيانتهم نقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول اللّه ﷺ وهمهم بقتله وسمّه ونحوها من عمالتهم وخيانتهم التي أخبرت ﴿إلاّ قيلاً منهم﴾ لم يخونوا أو لم ينقضوا العهد، [من] أهل الكتاب ﴿فاعف عنهم واصفح إنّ اللّه يحب المحسنين﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

---

(١) لسان العرب: ٨ / ١٩٣.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿**ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم**﴾ في التوحيد والنبوة ﴿**فنسوا حظّاً مما ذكّروا به فأغرينا**﴾ بالعهد ﴿**بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة**﴾ ألا وهو الخصومات والجدال في الدين.

قال معاوية بن قرة: الخصومات في الدين تحبط الأعمال[1] واختلفوا في المعنى بالهاء والميم في قوله ﴿**بينهم**﴾.

فقال مجاهد وقتادة والسدّي وابن زيد: يعني بين اليهود والنصارى.

وقال ابن زيد: كما تغري بين البهائم. وقال الربيع: هم النصارى وحدها، وذلك راجع إلى فرق النصارى النسطورية واليعقوبية والملكية، ﴿**بعضهم لبعض عدو**﴾ ﴿**وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون**﴾ في الآخرة ويجازيهم به وهذا وعيد من الله تعالى ﴿**يا أهل الكتاب لقد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب**﴾ التوراة والإنجيل مثل صفة محمد ﷺ وآية الرجم ﴿**ويعفوا عن كثير**﴾ ويترك أخذكم بكثير ممّا تخفون ﴿**قد جاءكم من الله نور**﴾ يعني محمد ﷺ ﴿**وكتاب مبين**﴾ بيّن، وقيل: مبيّن وهو القرآن ﴿**يهدي به الله**﴾ مجاهد وعبيد بن عمير ومسلم بن جندب: يهدي به اللّه بضم الهاء على الأصل لأن أصل الهاء الضمة، وقرأ الآخرون بكسر الهاء إتباعاً. ﴿**من اتبع رضوانه**﴾ رضاه ومعنى رضاه بالشيء قبوله ومدحه له فأثابه عليه وهو خلاف السخط والغضب ﴿**وسبل السلام**﴾ لطرف السلم وهو الله تعالى وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله ﴿**ويخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ أي من ظلام الكفر إلى نور الإيمان ﴿**بإذنه**﴾ بتوفيقه وهدايته وإرادته ومشيئته ﴿**ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾، ﴿**لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً**﴾ أي من يطيق أن يدفع من أمر الله شيئاً فيرده إذا قضاء، وهو من قول القائل: ملكت على فلان أمره إذا ضلّ لا يقدر أن ينفّذ أمراً.

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ٢١٧.

الآية ﴿**إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما**﴾ ولم يقل: وما بينهنّ لأنّ المعنى: وما بين هذين النوعين من الأشياء ﴿**يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير**﴾.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤه**﴾.

قال السدّي: قالت اليهود: إنّ الله أوحى إلى إسرائيل أن ولداً من ولدك أدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهركم وتأكل خطاياهم ثم ينادي أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فأخرجهم فذلك قولهم ﴿**لن تمسنا النار إلاّ أيّاماً معدودة**﴾، وأمّا النصارى، فإن فرقة منهم قالت: المسيح ابن الله.

فأخرجهم الخبر عن الجماعة[1] ﴿**قل فلم يعذبكم بذنوبكم**﴾ كان لأمر ما زعمتم أنكم أحباؤه وأولياؤه فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرّون إنّه معذبكم ﴿**بل أنتم بشر ممن خلق**﴾ كسائر بني آدم، ثم قال بالإحسان والإيتاء ﴿**يغفر لمن يشاء**﴾ فضلاً ﴿**ويعذب من يشاء**﴾ عدلاً.

وقال السدّي: يهدي منكم من يشاء في الدنيا فيغفر له، ويميت من يشاء منكم على كفره فعذّبه ﴿**ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير * يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا**﴾ محمد ﴿**يبين لكم**﴾ أعلام الهدى وشرائع الدين ﴿**على فترة**﴾ إنقطاع ﴿**من الرسل**﴾ واختلفوا في قدر مدّة تلك الفترة.

وروى عبيد بن سلمان عن الضحاك قال: الفترة فيما بين عيسى ومحمد (عليهما السلام)ستمائة سنة.

معمّر عن قتادة قال: كان بين عيسى ومحمد (عليهما السلام) خمسمائة وستون سنة.

قال معمّر وقال الكلبي: خمسمائة وأربعون سنة، الضحّاك: أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ﴿**إن تقولوا ما جاءنا من بشير ونذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير**﴾.

حمّاد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) في تفسير الطبري (٦ / ٢٢٥): والعرب قد تخرج الخبر إذا افتخرت فخرج الخبر عن الجماعة.

«أربعة [كلّهم] يدلي على اللّه يوم القيامة بحجة وعذر، رجل مات فى الفترة ورجل أدرك [الفترة الأخيرة][١]، ورجل أصم أبكم ورجل معتوه، فيبعث اللّه عزّ وجل إليهم ملكاً رسولاً فيقول أطيعوه فيأتهم الرسول فيؤجج لهم ناراً فيقول: إقتحموها فمن اقتحمها كانت عليهم برداً وسلاماً ومن قال لا حقت عليه كلمة العذاب» [٤٣][٢].

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة اللّه عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً﴾ إختلفوا في معنى الملوك.

فروى أبو الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكاً»[٣] [٤٤].

وقال ابن عباس ومجاهد والحسن والحكم: من كان له بيت وخادم وامرأة فهو ملك.

وقال أبو عبد الرحمن: قال: سمعت عبد اللّه بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقداء المهاجرين؟ فقال له عبد اللّه: ألك إمرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: إنّ لي خادماً ومالاً. قال: فأنت من الملوك.

وروى أبو عبلة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، ياابن جعشم يكفيك منها ما يسدّ جوعك ويواري عورتك فإن كان بيت يواريك فذاك، وإن كان دابة تركبها فبخ، فلق الخبز وماء البحر وما فوق ذلك حساب عليك»[٤] [٤٥].

---

(١) هكذا في الأصل، وفي المصدر: الإسلام هرماً.

(٢) كتاب السنّة لعمرو بن أبي عاصم: ١٧٦.

(٣) فتح القدير: ٢ / ٢٩.

(٤) تاريخ دمشق: ٧٠ / ١٤٧.

وقال الضحّاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه واسعاً وفيه ماء جار فهو ملك.

وقال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم وأول من سخّر لهم الخدم من بني آدم.

قال السدّي: يعني وجعلكم أحراراً تملكون أنفسكم بعد أن كنتم في أيدي القبط بمنزلة أهل الجزية فينا فأخرجكم اللّه من الذّل **﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾** يعني عالمي من غيركم.

وقال مجاهد: يعني المن والسلوى والحجر والغمام **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾** إختلفوا في الأرض المقدسة ما هي.

فقال مجاهد: هي الطور وما حوله. وقال الضحّاك: هي إيليا وبيت المقدس الحرام محرم مقداره، السماوات والأرض بيت المقدس مقدّس مقداره من السماوات والأرض.

عكرمة والسدّي وابن زيد: هي أريحا.

الكلبي: دمشق وفلسطين وبعض الأردن.

قتادة: هي الشام كلها.

قال زيد بن ثابت: بينما نحن حول رسول اللّه ﷺ يؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: «طوبى للشام» قيل: يا رسول اللّه ولم ذاك؟قال: «إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم» [٤٦][١].

نصير بن علقمة الحمصي عن جبير بن نقير عن عبد اللّه بن حواله قال: كنّا عند النبي ﷺ فقال: «واللّه لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح اللّه أرض فارس والرّوم وأرض حمْير وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق وجنداً باليمن».

فقال ابن حوالة: يا رسول اللّه أن أدركني ذلك، قال: «إختار لك الشام فإنها صفوة اللّه من بلادكم وإليها [يجتبي] صفوته من عباده، يا أهل الإسلام فعليكم بالشام فإن صفوة اللّه من الأرض الشام فمن أبى فليلحق بيمينه وليستق من غدره إن اللّه قد تكفّل لي بالشام وأهله»[٢] [٤٧].

روى الأعمش عن عبد اللّه بن صبّار عن أبيه عن عبد اللّه بن مسعود قال: قسّم الخير عشرة أعشار فجعل منه تسعة بالشام وواحد بالعراق. وقسم الشّر عشرة أعشار فجعل منه تسعة بالعراق وواحد بالشام. ودخل الشام عشرة ألف عين رأت النبي ﷺ ونزل خمس وسبعمائة من

---

(١) المعجم الكبير: ٥ / ١٥٨.

(٢) تاريخ دمشق: ١ / ٧٤، معجم البلدان: ٣ / ٣١٤.

أصحاب النبي ﷺ[1] فيهم سبعون [صحابياً] ﴿**التي كتب اللّه لكم**﴾ يعني كتبه في اللوح المحفوظ إنها لكم مساكن.

وقال ابن إسحاق: ذهب اللّه لكم. السّدي: أمركم به يدعو لها، وقتادة: أمروا بها كما أمروا بالصلاة ﴿**ولا ترتدوا على أدباركم**﴾ أعقابكم بخلاف اللّه ﴿**فتنقلبوا**﴾.

قال الكلبي: صعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام جبل لبنان فقيل له: أنظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريّتك من بعدك، قالوا: يعني بني إسرائيل، يا موسى إكتموا أمرهم لا تخبروا به أحداً من أهل العسكر فيفشيانه فذهب كل رجل منهم فأخبر قريبه وابن عمّه إلاّ رجلين وفيا. فقال لهم موسى: وهما يوشع بن نون بن أفرائيتم بن يوسف فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم ابنت عمران وهما من إيليا فعلمت جماعة بني إسرائيل ذلك، ورفعوا أصواتهم بالبكاء، وقالوا: يا ويلتنا متنا في أرض مصر، وليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا اللّه لدينهم فيكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم، وجعل الرجل يقول لأصحابه: تعالوا نجعل علينا رأساً وننصرف إلى مصر وذلك قوله عز وجل إخباراً عنهم: ﴿**قالوا: يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين وإنّا لن ندخلها**﴾.

وقال قتادة: كانت لهم أجسام وخلق عجيب ليست لغيرهم ﴿**وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون**﴾ فلما قالوا ذلك وهمّوا بالإنصراف إلى مصر خرّ موسى وهارون (عليهم السلام) ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر اللّه عز وجل عنهما في قوله ﴿**قال رجلان من الذين يخافون**﴾ أي يخافون اللّه.

قرأ سعيد بن جبير يخافون بضم الياء وقال: كانا من الجبّارين فأسلما واتّبعا موسى

﴿**أنعم اللّه عليهما**﴾ بالتوفيق والعصمة ﴿**أدخلوا عليهم الباب**﴾ يعني قرية الجبّارين ﴿**فإذا دخلتموه فإنكم غالبون**﴾ لأنّ اللّه منجز وعده ولا ينساهم فكانت أجسامهم عظيمة قوية، وقلوبهم ضعيفة فلا يخشونهم ﴿**وعلى اللّه فتوكلوا إن كنتم مؤمنين**﴾ فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما ﴿**قالوا: يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون**﴾.

روي أن رسول اللّه ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صدّ عن البيت: إني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت. فقال المقداد بن الأسود: أما واللّه لا نقول لك ما قال قوم موسى إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، ولكنّا نقاتل عن يمينك وشمالك ومن بين يديك ومن خلفك فلو خضت البحر لخضناه معك، ولو تسنّمت جبلاً لعلوناه معك فسر بنا على بركة الله، فلما سمع أصحاب رسول اللّه ﷺ بايعوه على ذلك وأشرق وجه رسول اللّه ﷺ بذلك وسرّه.

---

(١) إلى هنا في تاريخ دمشق: ١ / ٣٢٧.

قال ابن مسعود: لأن أكون صاحب هذا المسجد أحبّ إليّ مما عدل بي.

فلمّا فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من معصيتهم بينهم ومخالفتهم أمر ربهم وهممتم بيوشع وكالب، غضب موسى ودعا عليهم **﴿قال رب إني لا أملك إلاّ نفسي وأخي فافرق﴾** أي فأفصل واقضِ.

وقرأ عبيد بن عمير: فافرق بخفض الرّاء **﴿بيننا وبين القوم الفاسقين﴾** العاصين. وكانت عجلة عجلها موسى وظهر الغمام على باب قبة الزمر موضع مناجاته وأوحى اللّه تعالى إلى موسى: إلى متى يعصيني هذا الشعب وإلى متى لا يصدّقون بالآيات لأهلكنّهم جميعاً ولاجعلنّ لك شعباً أشد وأكثر منهم، فقال موسى (عليه السلام): إلهي لو إنّك قتلت هذا الشعب كلّهم كرجل واحد لقالت الأمم الذين سمعوا: إنمّا قتل هذا الشعب لإنه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقتلهم في البرية، وإنّك طويل صبرك كثير نعمك وإنّك تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الأبناء وأبناء الأبناء، فاغفر لهم توبتهم، فقال اللّه لموسى: قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميّتهم فاسقين ودعوت عليهم لأحرّمن عليهم دخول الأرض المقدسّة غير عبديّ يوشع وكالب ولأتيِّهنَّهم في هذه البرية أربعين سنة فكان كل يوم من الأيام الذي يحتسبوا فيها سنة وليلقين حتفهم في هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعلموا الخير والشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة فذلك قوله تعالى **﴿قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾** يتحيرون في الأرض فلبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيروا في كل يوم جادّين حتّى إذا أمسوا وباتوا فإذا هم في الموضع الذي ارتحلوا عليه، وكانوا ستمائة الف مقاتل ومئات من النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر بغتة فكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب، ولم يدخل أريحا أحد ممن قالوا **﴿إنّا لن ندخلها أبداً﴾** فلمّا هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشي من ذرياتهم ساروا إلى حرب الجبارين[١].

واختلف العلماء في من تولي ذلك الحرب وعلى يد من كان الفتح، فقال القوم: إنمّا فتح أريحا موسى (عليه السلام) وكان يوشع على مقدمته فسار موسى إليهم بمن بقي من بني إسرائيل فدخل بهم يوشع وقاتل الجبابرة التي كانوا بها ثم دخلها موسى (عليه السلام) بني إسرائيل فأقام فيها ما شاء اللّه أن يقيم فيه ثم قبضه اللّه إليه لا يعلم بقبره أحد من الخلائق، وهذا أصح الأقاويل، لإجماع العلماء أن عوج ابن عناق قتله موسى، واللّه أعلم.

وقال الآخرون: إنّما قاتل الجبّارين يوشع ولم يسر إليهم إلاّ بعد موت موسى، وهلاك جميع من أبى المسير إليها فقالوا: مات موسى وهارون في التيه.

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ٢٤٩.

قصة وفاة هارون (عليه السلام)

قال السدّي: أوحى اللّه عز وجل إلى موسى: أني متوفي هارون، فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو الجبل، فإذا هما بشجر لم ير شجر مثلها وإذا بيت مبني فيه سرير عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلمّا نظر هارون إلى ذلك بجنبه أعجبه وقال: يا موسى إنّي أحب أن أنام على هذا السرير، قال: فنم عليه، فقال: إنّي أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ، قال له موسى: لا، أنا أكفيك رب هذا البيت فنم، قال: يا موسى بل نم معي فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً، فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حتفه قال: يا موسى خذ عيني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إنّ موسى قتل هارون وحسده حبّ بني إسرائيل له، فقال موسى: ويحكم فإنّ أخي أُمر ولن أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا اللّه فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه.

وقال عمرو بن ميمون: كان وفاة موسى وهارون في التيه، ومات هارون قبل موسى. فكانا خرجا في التيه إلى بعض الكهوف، فمات هارون ودفنه موسى، وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: ما فعل هارون؟ قال: مات، قالوا: كذبت ولكنك قتلته لمحبّتنا إياه، وكان محبباً في بني إسرائيل.

فتضرع موسى إلى ربّه وشكى ما لقي من بني إسرائيل فأوحى اللّه عز وجل إليه أن انطلق بهم إلى قبر هارون حتى تخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله، وانطلق بهم إلى قبر هارون فنادى: يا هارون فخرج من قبره ينفض من رأسه فقال: أنا قتلتك؟ قال: لا واللّه ولكنّي متّ قال: فعد إلى مضجعك، وانصرفوا.

وأما وفاة موسى (عليه السلام)

فقال ابن إسحاق: كان صفي اللّه موسى قد كره الموت وأعظمة فلما كرهه أراد اللّه أن يحبِّب إليه الموت ويكرِّه إليه الحياة فالتقى يوشع بن نون وكان يغدو ويروح عليه فيقول له موسى: يا نبي الله ما أحدث اللّه ؟فيقول له يوشع: يا نبي اللّه ألم أصحبك كذا وكذا سنة وهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث اللّه إليك حتّى تكون أنت الذي تهتدي به وتذكره ولا تذكر له شيئاً؟ فلما رأى ذلك موسى كره الحياة وأحبّ الموت، ثم اختلفوا في صفة موته.

فروى همام بن منبه عن أبي هريرة عن محمد رسول اللّه ﷺ قال: «جاء ملك الموت إلى موسى (عليه السلام) فقال له: أجب ربك، قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فرجع ملك الموت إلى اللّه تعالى فقال: إنّك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرّد

اللّه عينه وقال: إرجع إلى عبدي، فقل له: الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فإنك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال: ثم ماذا، قال: ثم تموت، قال: فألان من قريب قال: ياربّ أدنني من الأرض المقدسة قدر رمية حجر»، فقال رسول اللّه ﷺ: «واللّه لو إني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطور الطريق عند الكثيب الأحمر»[1] [٤٨].

قال الثعلبي: سمعت أبا سعيد بن حمدون قال: سمعت أبا حامد المقري قال: سمعت محمد ابن يحيى يقول: قد صحّ هذا من رسول اللّه ﷺ معنى قصة ملك الموت وموسى لا يردّها إلاّ ضال. وفي حديث آخر: أن رسول اللّه ﷺ قال: «إنّ ملك الموت كان يأتي النّاس عياناً حتّى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فرجع ملك الموت، فجاء بعد ذلك خفية»[2] [٤٩].

وقال السّدي: في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن رسول اللّه ﷺ: «كان موسى (عليه السلام) يمشي وفتاه يوشع إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى. فقال: تقوم الساعة وأنا ملتزم لموسى نبي اللله فأستلّ موسى من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل. وقالوا: أقتلت نبي اللّه؟ قال: لا واللّه ما قتلته ولكن استلّ منّي، فلم يصدّقوه وأرادوا قتله، قال: فإذا لم تصدقوني فأخّروني ثلاثة أيام فدعا اللّه عز وجل فأتى كل رجل ممّن كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل وإنا قد رفعناه إلينا فتركوه»[3] [٥٠].

وقال وهب: خرج موسى (عليه السلام) لبعض حاجته فمرّ برهط من الملائكة يحفرون قبراً فعرفهم فأقبل إليهم حتى وقف عليهم فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شبيهاً قط أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة، فقال لهم: يا ملائكة اللّه لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا: نحفره واللّه لعبد كريم على ربّه، قال: إنّ لهذا العبد من اللّه لمنزلة فإني ما رأيت كاليوم مضجعاً، فقالت الملائكة: يا صفي اللّه أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل فاضطجع فيه وتوجّه إلى ربك ثم تنفس أسهل تنفس تنفّسته قط، فنزل فاضطجع فيه وتوجّه إلى ربه ثم تنفس فقبض اللّه روحه ثم سوّت عليه الملائكة[4].

وقيل: إن ملك الموت أتاه فقال له: يا موسى أشربت الخمر؟ قال: لا، فاستكرهه فقبض روحه. وقيل: بل أتاه بتفاحة من الجنّة فشمها فقبض روحه.

---

(١) تاريخ دمشق: ٦١ / ١٧٨.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٥٣٣ وتاريخ الطبري: ١ / ٣٠٥.

(٣) تاريخ الطبري: ١ / ٣٠٤.

(٤) المصدر السابق: ٣٠٥.

ويروى أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال: كيف وجدت الموت. قال كشاة تُسلخ وهي حيّة، وكان عمر موسى (عليه السلام) مائة وعشرون سنة، عشرين سنة منها في ملك إفريدون ومائة في ملك منوچهر[١] فلما انقضت الأربعون سنة مات.

ولما مات موسى بعث اللّه تعالى إليهم يوشع نبياً فأخبرهم إنه نبي اللّه وأن اللّه أمرهم بقتال الجبّارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان في السابع نفخ في القرون وضجّ الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوا وقاتلوا الجبّارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت الغلبة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب ودخل ليلة السبت فخشي أن يعجزوا فقال: اللهم أردد الشمس عليّ فقال للشمس: إنّك في طاعة اللّه فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقم حتى ينتقم من أدعائه دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد له في النهار ساعة حتى قطعهم أجمعين ثمّ أرسل ملوك الأرمانيين بعضهم إلى بعض فكانوا خمسة فجمعوا كلمتهم على يوشع وقومه وهزمت بنو إسرائيل الملوك حتى أهبطوهم إلى هبطة خوران ورماهم اللّه تعالى بأحجار مبرّد وكان من قبله البرد أكثر مما قبله بنو إسرائيل بالسيف، وهرب الخمسة الملوك فاختفوا في غار فأمرهم يوشع فأخرجوا فقتلهم وصلبهم ثم أنزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتتّبع سائر ملوك الشام فاستباح منهم واحداً وثلاثين ملكاً حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبني إسرائيل، وفرق عمّاله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم ينزل النار.

فأوحى اللّه تعالى إلى يوشع أنّ فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت. فدخل بينهم بيده، فقال ﷺ: هلمّ لما عندك فأتاه برأس الثور مكلل بالياقوت والجوهر كان قد غلّه فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأحنث الرجل والقربان[٢].

معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال: لقومه لا يتبعني رجل قد ناكح إمرأة وهو يريد أن يبني بها ولما بنى ولا آخر قد بنى بناءاً له ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها. قال: فغزا فدنا للدير حين صلّى العصر أو قريباً من ذلك. فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللّهم احبسها عليّ ساعة فحبست له ساعة حتى فتح اللّه عليه. . قال من علمي أنها لم تُحبس لأحد قبله ولا بعده. ثم وضعت الغنيمة فجمعوا فجاءت النار ولم تأكلها فقال: إنّ فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده. فقال: فيكم الغلول أنتم غللتم، قال: فأخرجوا مثل

---

(١) في تاريخ الطبري: ١ / ٣٠٦ افريذون، منوشهر.

(٢) بتفاوت في تاريخ الطبري: ١ / ٣١١ وتاريخ ابن خلدون: ٢ / ٨٧.

رأس بقرة من ذهب فألقوه في الغنيمة وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلتها» قال النبي ﷺ: «فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا وذلك لأن اللّه تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا»[١] [٥١].

قالوا: ثم مات يوشع (عليه السلام) ودفن في جبل أفرايم وكان عمره مائة وستاً وعشرين سنة. وتدبّر أمر بني إسرائيل بعد وفاة موسى سبعاً وعشرين سنة.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿واتل عليهم نبأ﴾ خبر **﴿ابني آدم﴾** وهما هابيل وقابيل، فهابيل في إسمه ثلاث لغات: هابيل وهابل وهابن. وقابيل في إسمه خمس لغات: قابيل وقابين وقابل وقبن وقابن **﴿إذ قرّبا قرباناً﴾** وكان سبب تقرّبهما القربان على ما ذكره أهل العلم بالقرآن. أن حوّاء كانت تلد لآدم (عليه السلام) توأماً في كل بطن غلاماً وجارية إلاّ شيثاً فإنها ولدته مفرداً وكان جميع ما ولدته حوّاء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمته أقليما وآخرهم عبدالمغيث مغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك اللّه في نسل آدم (عليه السلام)[٢].

قال ابن عباس: لم يمت آدم (عليه السلام) حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً بنوذ[٣]. ورأى آدم (عليه السلام) فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد.

واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل، وموضع اختلافهما. فقال بعضهم: غشى آدم حوّاء بعد هبوطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته أقليما في بطن، ثم هابيل وتوأمته في بطن.

وقال محمد بن إسحاق: عن بعض أهل الكتاب، العلم الأول إنّ آدم كان يغشى حوّاء في

---

(١) صحيح ابن حبان: ١١ / ١٣٨، وشرح صحيح مسلم للنووي: ١٢ / ٥١.

(٢) فيه تفاوت عمّا في أخبار الزمان للمسعودي: ٧٤.

(٣) كذا أيضاً في تاريخ الطبري: ١ / ١١٤، والطبقات الكبرى: ١ / ٣٩.

الجنّة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل وتوأمته فلم يجد عليها وحماً ولا وصباً ولا يجد عليها طلقاً حين ولدتهما ولم تر معهما دماً، لطهر الجنّة فلما هبط إلى الأرض واطمأنا بها تغشّاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوصب والوحم والطلق والدم.

وكان آدم إذا شبّ أولاده تزوّج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وتزوج بجارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوّج أي أخواته يشاء إلاّ توأمته التي ولدت معه فإنها لا تحل له، وذلك أنه لم يكن يومئذ نساء إلاّ أخواتهم وأمهم حوّاء، فلما ولد قابيل وأقليما، ثم هابيل وتوأمته ليوذا في بطن، وكان بينهما سنتين. في قول الكلبي. وأدركوا أمر الله عز وجل آدم (عليه السلام) أن ينكح قابيل ليوذا أخت هابيل. ونكح هابيل أقليما أخت قابيل، وكانت أخت قابيل من أحسن الناس. فذكر ذلك آدم لولده فرضي هابيل وسخط قابيل، وقال: هي أختي ولدت معي في بطن. وهي أحسن من أخت هابيل وأنا أحق بها منه، لأنّها من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض. وأنا أحق بأختي فقال له أبوه: إنها لا تحلّ لك، فأبى أن يقبل ذلك منه وقال إنّ الله لم يأمر بهذا وإنما هو من رأيه. فقال لهما آدم: فقرّبا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها.

وقال معاوية بن عمار: سألت الصادق عليه سلام الله عن آدم (عليه السلام) أكان زوّج ابنته من ابنه، فقال: معاذ الله والله لو فعل ذلك آدم ما رغب عنه رسول الله ﷺ. وما كان دين آدم إلاّ دين رسول الله ﷺ إنّ الله تبارك تعالى لما نزل آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حوّاء بنتاً وسمّاها ليوذا فبغت وهي أوّل من بغت على وجه الأرض فسلّط الله عليها من قتلها فولدت لآدم على أثرها قابيل، ثم ولد له هابيل، فلما أدرك قابيل أظهر الله جنية من ولد الجان يقال لها جهانة في صورة إنسية وأوحى الله تعالى إلى آدم (عليه السلام) أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله تعالى حوراء إلى آدم (عليه السلام) في صورة إنسية وخلق لها رحماً وكان اسمها نزلة، فلما نظر إليها قابيل ومقها، وأوحى الله تعالى إلى آدم (عليه السلام) أن زوّج نزلة من هابيل، ففعل ذلك، فقال قابيل له: ألست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه. فقال له آدم: يا بني إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. فقال: لا ولكنّك آثرته عليّ بهواك. فقال له آدم: إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقرّبا قرباناً فأيكما تقبل قربانه فهو أولى بالفضل من صاحبه[1].

قالوا: وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء فأكلتها. وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار وأكلتها الطير والسباع، فخرجا ليقرّبا وكان قابيل صاحب زرع وقرّب حبرة من طعام من أردى زرع وأضمر في نفسه: ما أبالي أيقبل مني أم لا لأتزوج أختي أبداً، وكان هابيل راعياً

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ١٣٤.

صاحب ماشية فقرّب حملاً سميناً من بين غنمه ولبناً وزبداً وأضمر في نفسه الرضا للّه عز وجل.

وقال إسماعيل بن رافع: بلغني أنّ هابيل أمنح له غنمه وكان في حملتها حمل فأحبه حتى لم يكن له مال أعظم له منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قرّبه، قال: فوضعا قربانيهما على الجبل، ثم دعا آدم (عليه السلام) فنزلت نار من السماء وأكلت الحمل والزبد واللبن، ولم تأكل من قربان قابيل حبّاً، لأنه لم يكن زاكي القلب. وقُبل قربان هابيل لأنه كان زاكي القلب.

فما زال يرتع في الجنة حتى فدى به ابن إبراهيم فذلك قوله عز وجل **﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾** فنزلوا عن الجبل وعرفوا وغضب قابيل لمّا ردّ اللّه قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمر ذلك من نفسه، إلى أن أتى آدم مكّة ليزور البيت فلمّا أراد أن يأتي مكّة قال للسماء: إحفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال ذلك للأرض فأبت، وللجبال فأبت، فقال: ذلك لقابيل فقبل منه وقال: نعم ترجع وترى ولدك كما يسرّك، فرجع آدم وقد قتل قابيل أخاه وفي ذلك قوله **﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾**[1] يعني قابيل **﴿إنّه كان ظلوما جهولاً﴾** حين حمل أمانة أبيه ثم خانه. قالوا: فلمّا غاب آدم أتى قابيل وهابيل وهو في غزة قال: لأقتلك. قال: ولم ؟قال: لأن اللّه قبل قربانك، وردّ عليّ قرباني وتنكح أختي الحسناء، وأنكح أختك الدميمة وتحدث الناس إنّك خير منّي وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي، فقال له هابيل: وما ذنبي **﴿قال إنّما يتقبل اللّه من المتقين لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف اللّه رب العالمين﴾**.

قال عبد اللّه بن عمر: أيم اللّه إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ولكن منعه التحرّج أن يبسط إلى أخيه يده.

وقال مجاهد: كتب عليهم في ذلك الوقت، إذا أراد رجل قتل رجل أن يتركه ولا يمتنع منه **﴿إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك﴾** يعني بإثم قتلي إلى إثمك الذي عملته قبل قتلي، هذا قول عامة المفسرين.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: معناه إني أريد أن يكون عليك خطيئتي التي عملتها أنا إذا قتلتني وإثمك فتبوء بخطيئتي ودمي جميعاً **﴿فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾** وفي هذا دليل على إنهم كانوا في ذلك الوقت مكلفين قد لحقهم الوعد والوعيد **﴿فطوّعت له نفسه﴾** أي طاوعته وبايعته في **﴿قتل أخيه﴾**.

وقال مجاهد: شجعت. قتادة: زيّنت. **﴿فقتله﴾**.

---

(١) سورة الأحزاب: ٧٢.

قال السدّي: فلما أراد قتل هابيل راغ الغلام في رؤوس الجبال. ثم أتاه يوماً من الأيام [وهو يرعى غنماً له وهو نائم] فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات.

وقال ابن جريح: لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل، فتمثل له إبليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلّمه القتل، فوضع قابيل رأس أخيه بين حجرين. وكان لهابيل يوم قُتِل عشرون سنة فاختلفوا في مصرعه وموضع قتله.

قال ابن عباس: على جبل نود، وقال بعضهم: عند عقبة حرّا.

حكى محمد بن جرير، وقال جعفر الصادق: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم.

فلما قتله بالعراء لم يدر ما يصنع به، لأنه كان أوّل ميّت على وجه الأرض من بني آدم فقصده السباع، فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعلقت به الطير والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله. ﴿**فبعث اللّه**﴾ غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله عليه حتى مكّن له ثم ألقاه في الحفيرة وواراه. وقابيل ينظر إليه فلما رأى ذلك ﴿**قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي**﴾ أي جيفته وفيه دليل على أن الميت كلّه عورة ﴿**فأصبح من النادمين**﴾ على حمله لا على قتله، وقيل: على موت أخيه لا على ركوب الذنب.

يدل عليه ما أخبر الأوزاعي عن المطلب بن عبد اللّه المخزومي قال: لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه كما يشرب الماء، فناداه اللّه: أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري، ما كنت عليه رقيباً، فقال اللّه عز وجل: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك؟ فأين دمه إن كنت قتلته؟ ومنع اللّه عز وجل على الأرض يومئذ أن تشرب دماً بعدها أبداً.

مقاتل بن الضحّاك عن ابن عباس قال: لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكّة أشتال الشجر وتغيّرت الأطعمة وحمضت الفواكه: وأمرّ الماء واغبرّت الأرض.

فقال آدم (عليه السلام): قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فإذا بقابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول، وهو أوّل من قال الشعر:

تغيرت البلاد ومن عليها ... ووجه[1] الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم ... وقلّ بشاشة الوجه الصبيح[2]

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: من قال إن آدم قال شعراً فقد كذب على اللّه

---

(١) في الطبري: فلون.

(٢) جامع البيان: ٦ / ٢٥٨، وفي تاريخ الطبري: ١ / ٩٨ المليح.

ورسوله ورمى آدم بالمآثم، إنّ محمداً ﷺ والأنبياء كلهم صلوات اللّه عليهم في النهي عن الشعر سواء، قال اللّه تعالى ﴿وما علّمناه الشعر وما ينبغي له﴾ ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني، وإنما يقول الشعر من تكلّم بالعربية فلمّا قال آدم مرثية في إبنه هابيل، وهو أوّل شهيد كان على وجه الأرض. قال آدم لابنه شيث: ـ وهو أكبر ولده ووصيّه ـ: يا بني إنّك وصيي، إحفظ هذا الكلام ليتوارث فلم يزل يقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط بالعربية، وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فإذا هو سجع، فقال إن هذا ليقوّم شعراً فرّد المقدم إلى آخره والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعراً وما زاد فيه ولا نقص حرفاً من ذلك قال:

تغيّرت البلاد ومن عليها	ووجه الأرض مغبرّ قبيح
تغير كل ذي طعم ولون	وقلّ بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيـ	ـل فواحزني لقد فقد المليح
ومالي لا أجود بسكب دمع	وهابيل تضمنّه الضريح
بقتل ابن النبي بغير جرم	قلبي عند قلبه جريح
أرى طول الحياة عليّ غمّاً	وهل أنا من حياتي مستريح
فجاورنا عدوّاً ليس يفنى	عدوماً يموت فنستريح
دع الشكوى فقد هلكا جميعاً	بهالك ليس بالثمن الربيح
وما يغني البكاء عن البواكي	إذا ما المرء غيّب في الضريح
فبكّ النفس منك ودع هواها	فلست مخلداً بعد الذبيح

فأجابه إبليس في جوف الليل شامتاً:

تنحّ عن البلاد وساكنيها	فتىً في الخلد ضاق بك الفسيح
فكنت بها وزوجك في رخاء	وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما انفكت مكايدي ومكري	إلى أن فاتك الخلد الرّبيح
فلولا رحمة الجبّار أضحى	بكفك من جنان الخلدريح[1]

وقال سالم بن أبي الجعد: لما قتل هابيل مكث آدم (عليه السلام) مائة سنة لا أكثر. ثم أتى فقيل: حيّاك اللّه وبياك أي ضحّكك، ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حوّاء شيثاً وتفسيره: هبة اللّه، يعني إنه خلف من هابيل،

(١) تاريخ بغداد بتفاوت: ٥ / ٣٣٦ ترجمة رقم: ٢٨٦٨.

وعلّمه اللّه تعالى ساعات الليل والنهار وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منها وأنزل عليه هبة اللّه وصار وصي آدم عليهما السلام وولي عهده، وأما قابيل فقيل له: إذهب طريداً شريداً فزعاً مرهوباً لا يأمن من يراه فأخذ بيد أخته هبة اللّه ذهب بها إلى عدن من أرض اليمن، فأتاه إبليس، فقال له: إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النّار ويخدمها فانصب أنت ناراً يكون لك ولعقبك فنصب ناراً وهو أوّل من نصب ناراً وعبدها.

قالوا: كان لا يمرّ به أحداً من ولده إلاّ رماه، فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابن له فقال الأعمى: إنّ هذا أبوك قابيل فرمى الأعمى ابن قابيل فقتله. فقال ابن الأعمى: قتلت أباك. فرفع يده فلطم إبنه فمات قال الأعمى: ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي.

قال مجاهد: فعلقت إحدى رجل قابيل إلى فخذه وساقه وعلقت يومئذ إلى يوم القيامة، ووجهه إلى الشمس حيث أدارت عليه بالصيف حظيرة من نار وفي الشتاء حظيرة من ثلج، قالوا: واتّخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والطنبور، والمزامير، والعيدان، والطنابر، وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى طوّفهم اللّه عز وجل بالطوفان أيام نوح (عليه السلام) وبقي نسل شيث.

قال عبد اللّه بن عمر: إنا لنجد إبن آدم القاتل يقاسم أهل النار العذاب قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم.

الأعمش عن عبد اللّه بن مرّة عن مسروق بن عبد اللّه عن النبي ﷺ قال: «لا تقتل نفس مسلمة ظلماً إلاّ كان على ابن آدم [الأوّل] كفل من دمه، لأنه أوّل من سنّ القتل» [٥٢].

مسلم بن عبد اللّه عن سعيد بن صور عن أنس بن مالك قال: سئل رسول اللّه ﷺ عن يوم الثلاثاء فقال: «يوم دم» قالوا: وكيف ذلك يا رسول اللّه؟ قال: «فيه حاضت حوّاء وقتل ابن آدم أخوه»(١) [٥٣].

وعن يحيى بن زهدم قال: حدّثني أبي عن أبيه عن أنس قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «امتن اللّه عز وجل على ابن آدم بثلاث بعد ثلاث، بالريح بعد الروح فلولا إن الريح يقع بعد الروح ما دفن حميم حميماً، وبالدودة في الحبة فلولا أن الدودة تقع في الحبة لأكنزها الملوك وكانت حباً(٢) من الدنانير والدراهم. وبالموت بعد الكبر، فإن الرجل ليكبر حتى يمّل نفسه ويملّه أهله وولده وأقرباؤه فكان الموت أيسر له»(٣) [٥٤].

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ١٤٠.

(٢) في المصدر: خيراً لهم.

(٣) تفسير القرطبي: ٦ / ١٤٢.

﴿من أجل ذلك﴾ يعني من جرّاء ذلك القاتل ووحشيّته، يقال: أجل فلان يأجل أجلاً، مثل أخذ يأخذ أخذاً.

قال الشاعر[١]:

وأهـل خـبـاء صـالـح ذات بـيـنـهـم قـد احـتـربـوا فـي عـاجـل أنـا آجـلـه[٢]

﴿كتبنا على بني إسرائيل إنه من قتل نفساً بغير نفس﴾ قتله فساداً منه **﴿أو فساد في الأرض﴾** يعني قوله إنما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله الآية **﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾**.

مجاهد: اختلف الناس بينهما فقال ابن عباس: في رواية عكرمة وعطية: من قتل نبياً وإماماً عادلاً فكأنما قتل الناس جميعاً ومن عمل على عضد نبي أو إمام عادل **﴿فكأنّما أحيا الناس جميعاً﴾**.

مجاهد: من قتل نفساً محرّمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعاً، ومن أحياها من سلم من قتلها فقد سلم من الناس جميعاً[٣].

السدّي: من قتل فكأنما قتل الناس جميعاً عند المقتول في الإثم ومن أحياها واستنقذها من هلكة من غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ.

الحسن وابن زيد: فكأنما قتل الناس جميعاً يعني إنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي نوى بقلبه لو كان قتل الناس جميعاً ومن أحياها من عفا عمّن وجب له القصاص منه فلم يقتله فكأنما أحيا الناس جميعاً.

قتادة والضحّاك، عظم اللّه قتلها أو عظم وزرها فمعناها من أستحل قتل مسلم بغير حقه فكأنما قتل الناس جميعاً لأنهم لا يسلمون منه. ومن أحياها فحرمها وتورع من قتلها فكأنما أحيا الناس جميعاً لسلامتهم منه.

وقال سليمان بن علي الربعي: قلت للحسن: يا أبا سعيد هي لنا كما كانت لبني إسرائيل، قال: إي و الذي لا إله غيره لإن دماء بني إسرائيل أكرم على اللّه من دمائنا.

﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبيّنات ثم إنّ كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾.

روى محمد بن الفضل عن الزيات بن عمرو عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من

---

(١) الشاعر هو: خوات بن جبير.
(٢) الصحاح: ٤ / ١٦٢١.
(٣) تفسير الطبري: ٦ / ٢٧٣.

سقى مؤمناً ماءً على [ظمأ][١] فكأنما أعتق سبعين رقبة، ومن سقى في غير موطنها فكأنما أحيا نفساً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً»[٢] [٥٥].

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إنما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله﴾ الآية.

قال الضحاك: نزلت في قوم من أهل الكتاب، كان بينهم وبين رسول اللّه ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض.

الكلبي: نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك أن رسول اللّه ﷺ وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين لم يهجّ.

قال: فمرّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام. بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهداً فانهدّوا إليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فبلغ ذلك رسول اللّه ﷺ فنزل جبرئيل (عليه السلام) بالقضية فيهم.

وقال سعيد بن جبير: نزلت في ناس من عرينة وغطفان أتوا رسول اللّه ﷺ وبايعوه على الإسلام وهم كَذَبة وليس الإسلام يريدون. ثم قالوا: إنا نجتوي المدينة لأن أجوافنا انتفخت، والواننا قد اصفرّت فقال النبي ﷺ: «أُخرجوا إلى لقاحنا واشربوا أبوالها وألبانها»[٣] [٥٦] فذهبوا وقتلوا الرعاة واستاقوا الإبل. وارتدّوا عن الإسلام فنودي في الناس: يا خيل اللّه اركبي فركبوا لا ينتظر فارس فارساً فخرجوا في طلبهم فجيء بهم. فأمر رسول اللّه ﷺ بقطع أيديهم

---

(١) في المصدر: مؤمناً شربة من الماء والماء موجود.

(٢) ذكر أخبار إصبهان: ١ / ١٩٧.

(٣) انظر المصنّف: ٥ / ٤٥٦، ومسند أبي يعلى: ٦ / ٢٢٥. وجامع البيان: ٦ / ٢٨١ ـ ٢٨٣.

وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم بالحرّ حتى ماتوا، ثم اختلفوا في حكم الآيتين. فقال بعضهم: هي منسوخة لأن المثلة لا تجوز وشرب بول الإبل لا يجوز.

وقال آخرون: حكمه ثابت إلاّ السمل والمثلة. قال الليث بن سعد: نزلت هذه الآية معاتبة لرسول اللّه ﷺ وتعليماً منه إيّاه عقوبتهم فقال: «إنما جزاؤهم هذا» أي المثلة [٥٧].

ولذلك ما قام رسول اللّه ﷺ خطيباً إلاّ نهى عن المثلة، واختلفوا في المحارب الذي يستحق هذا الحد.

فقال بعضهم: واللص الذي يقطع الطريق والمكابر في الأمصار والذي يحمل السلاح على المسلمين ويقصدهم في أي موضع كان حتى كان بالغيلة. وهو الرجل يخدع الرجل والمرأة والصبي فيدخله بيتاً ويخونوا به فيقتله ويأخذ أمواله وهذا قول الأوزاعي ومالك والليث بن سعد وعبد اللّه بن لهيعة والشافعي. وقال بعضهم: فهو قاطع الطريق، وأما المكابر فليس بالمحارب وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه ﴿**ويسعون في الأ رض فساداً**﴾ بالفساد أي بالزنا والقتل إهلاك الحرث والنسل ﴿**أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا**﴾ إختلفوا في حكم الآية.

فقال قوم: الإمام فيهم بالخيار فأي شيء من هذه الأشياء شاء فعل. وهو قول الحسن وسعد بن المسيب والنخعي ومجاهد ورواية الوالبي عن ابن عباس.

واحتجّوا بقوله تعالى ﴿**ففدية من صيام أو صدقة أو نسك**﴾(١) وبقوله تعالى في كفّارة اليمين ﴿**فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم**﴾(٢) الآية.

وقال آخرون: هذا حكم مختلف باختلاف الجناية، فإن قتل قُتل، وإن قتل وأخذ المال قتل وصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قطع، وإن أخاف السبيل ولم يقتل وأخذ المال نفي. وهذا قول سعيد بن جبير، وقتادة، والسدّي، والنخعي والربيع. ورواية العوفي عن ابن عباس.

فاختلف العلماء في معنى النفي، فقال ابن عباس: هو حكم من أعجز فإذا أعجزك أن تدركه وخرج من لقيه، قتله.

وقال آخرون: والمقبوض عليه ثم اختلفوا في معناه، فقال طائفة: هو أن ينفى من بلدته إلى بلدة أخرى غيرها وهو قول سعيد بن جبير، وعمر بن عبد العزيز. وإليه ذهب الشافعي.

وقال الآخرون والحسن، وهو مذهب أبي حنيفة، وقال محمد بن الحسن: هو نفيه من

---

(١) سورة البقرة: ١٩٦.

(٢) سورة المائدة: ٨٩.

بلده إلى غيره وحبسه في السجن في البلد الذي نُفي إليه حتى يظهر توبته وهو المختار يدل عليه ما روى ابن وهب عن أبي صيعة عن يزيد بن أبي حبيب، أن حبان بن شريح كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إن ناساً من القبط قامت عليهم البيّنة بأنهم حاربوا اللّه ورسوله وسعوا في الأرض فساداً وأن اللّه يقول **﴿إنما جزاء الذين يحاربون اللّه﴾** إلى قوله **﴿من خلاف﴾**. وسكت عن النفي فإن رأى أمير المؤمنين أن يمضي قضاء اللّه فيهم فليكتب بذلك فلمّا قرأ عمر كتابه، قال: لقد إجترأ حبّان، ثم كتب: إنه بلغني كتابك وفهمت ولقد اجترأت حين كتبت بأوّل الآية وسكتّ عن آخرها تريد أن تجترىء للقتل والصلب فإنك عبد بني عقيل يعني الحجاج فإن اللّه يقول **﴿أو ينفوا﴾** آخر الآية، فإن كانت قامت عليهم البيّنة فاعقد في أعناقهم حديداً فأنفهم إلى شعب وبدا وأصل النفي الطرد.

وقال أوس بن حجر:

ينفون عن طرق الكرام كما ... ينفى المطارق ما يلي القردا[1]

أي ما يليه القرد وهو الصوف الرديء. ومنه قيل: الدراهم الرديئة نفاية ولما تطاير من الماء عن الدلو نفي.

قال الراجز:

كأن متنيه من النفي ... مواقع الطير على الصفي[2]

﴿ذلك﴾ الذي ذكرتم من الحد لهم **﴿خزيٌ﴾** عذاب وهوان **﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** ثم قال **﴿إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾**.

قال أكثر العلماء: إلاّ الذين تابوا من شركهم وحربهم وفسادهم وآمنوا وأصلحوا من قبل القدرة عليهم فإنه لا سبيل عليهم بشيء من الحدود التي ذكرها اللّه في هذه والآية لأحد قبله فيما أصاب في حال كفره لا في مال ولا في دم ولا حرمة، هذا حكم المشركين والمحاربين.

فأما المسلمون المحاربون فاختلفوا فيهم.

فقال بعضهم: سقط عنه بتوبته من قبل أن يقدر عليه حدّ اللّه ولا يسقط عنه بها حقوق بني آدم وهو قول الشافعي.

وقال بعضهم: يسقط عنهم جميع ذلك ولا يؤخذ شيء من أمواله الاّ أن يوجد عنده مال بعينه فيرده إلى صاحبه ويطلبه وليّ دم بدم يقوم عليه البينة فيه فيقاد به، وأما الدماء والأموال التي

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ٢٩٨.

(٢) لسان العرب: ٨ / ٤٠٤ وتفسير الطبري: ٢ / ٥٩.

أصابها ولم يطلبها أولياؤه فلا يتبعه الإمام، على هذا قول مالك، والأوازعي والليث بن سعد.

وقال بعضهم: إذا استأمن من وصايانا من قبل أن يقدم عليه قبل اللّه توبته ولا يؤخذ بشيء من جناياته التي سلفت فلا يكون لأحد قبله معه في دم ولا مال.

وهذا قول السدّي يدل عليه. وروى الشعبي أنّ حارثة بن يزيد خرج محارباً في عهد علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) فأخاف السبل وسفك الدّماء وأخذ الأموال ثم جاء تائباً من قبل أن يقدر عليه فأتى الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فطلب إليه أن يستأمن له فأتى ابن جعفر فأتى عليه فأتى سعيد بن قيس الهمدالي فقبّله وضمّه إليه فلمّا صلّى علي (رضي الله عنه) الغداة أتاه سعيد بن قيس. فقال: يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون اللّه ورسوله؟ قال: أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض قال: ما تقول فيمن تاب قبل أن تقدر عليه فقال أقول: كما قال اللّه عز وجل ﴿**إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم**﴾ الآية.

فقال سعيد: وإن كان حارثة بن بدر، قال: نعم فجاء إليه فبايعه وآمنه وكتب له أماناً منشوراً.

فقال حارثة:

ألا أبلغا همدان إما لقيتها على النأي لا يسلم عدوٌ يعيبها
لعمر أبيها إن همدان تتقي الا له ويقضي بالكتاب خطيبها[1]

قال الشعبي: جاء رجل من مراد إلى أبي موسى وهو على الكوفة في أمارة عثمان بن عفّان (رضي الله عنه) بعد ما صلّى المكتوبة فقال: يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المهدي وأني كنت حاربت اللّه ورسوله وسعيت في الأرض وإني تبت من قبل أن يقدر عليّ، فقام أبو موسى فقال: إن هذا فلان بن فلان وإنه كان يحارب اللّه ورسوله وسعى في الأرض بفساد فإنه تاب من قبل أن يقدر عليه فمن لقيه فلا يعرضن إلاّ بخير فإن يك صادقاً فسبيله سبيل من صدق. وإن يك كاذباً تدركه ذنوبه، فأقام الرجل فاستأذن وإنه خرج فأدركه اللّه بذنوبه فقتله.

وروى الليث بن سعيد عن محمد بن إسحاق أن علياً الأسدي حارب وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال فطلبته الأئمّة والعامّة فامتنع ولم يقدر عليه حتى جاء تائباً وذلك أنّه سمع رجلاً يقرأ هذه الآية ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا**﴾[2] الآية فوقف عليه، فقال: يا عبد اللّه أعد فأعادها عليه فغمد سيفه ثم جاء تائباً حتى قدم المدينة من السَحر ثم اغتسل وأتى مسجد رسول

---

(١) جامع البيان: ٦ / ٣٠٢.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

اللّه ﷺ فصلّى الصبح ثم مضى إلى أبي هريرة وهو في غمار أصحابه فلما استغفر عرفه الناس فقاموا إليه، فقال: لا سبيل لكم عليّ جئت تائباً من قبل أن تقدروا عليّ.

فقال أبو هريرة: صدق، وأخذ بيده حتى أتى مروان بن الحكم في إمرته على المدينة في زمن معاوية، فقال: هذا عليّ جاء تائباً ولا سبيل لكم عليه فترك، وخرج عليّ تائباً مجاهداً في سبيل اللّه في البحر فلقوا الروم فقربوا سفينة إلى سفينته من سفنهم فاقتحم على الروم في سفينتهم فهربوا إلى شقها الآخر فمالت ثم أوقعهم فغرقوا جميعاً[١].

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وابتغوا إليه الوسيلة﴾ واطلبوا إليه القربة وهي [في الأصل ما يتوصّل به إلى الشيء ويتقرّب به، يقال: وسل إليه وسيلة وتوسّل][٢]، وجمعها وسائل.

قال الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا   وعاد التصافي بيننا والوسائل[٣]

قال عطاء: الوسيلة أفضل درجات الجنة. وقال رسول اللّه ﷺ: «الوسيلة أفضل درجات الجنة»[٤] [٥٨]. وقال رسول اللّه ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة فإنها أفضل درجة في الجنة لا ينالها إلاّ عبد واحد وأرجوا أن أكون أنا هو»[٥] [٥٩].

وروى سعيد بن طريف عن الأصمعي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «في الجنة لؤلؤتان إلى بطنان العرش إحداهما بيضاء والأخرى صفراء في كل واحد منهما سبعون ألف غرفة أبوابها وأكوابها من عرق واحد فالبيضاء. واسمها الوسيلة. لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته والصفراء لإبراهيم (عليه السلام) وأهل بيته» [٦٠][٦].

﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾ روى أنس عن النبي ﷺ قال: «يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبٌ تفتدى به فيقول: نعم، فيقال: قد سألت أيسر من ذلك»[٧] [٦١].

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ٣٠٤.
(٢) مستدرك عن تحفة الأحوذي: ١٠ / ٥٧.
(٣) جامع البيان: ٦ / ٣٠٨.
(٤) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٣٢٧.
(٥) مسند أحمد: ٢ / ١٦٢ بتفاوت و تفسير مجمع البيان: ٣ / ٣٢٧.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٦.
(٧) مسند أحمد: ٣ / ٢٩١.

﴿يريدون أن يخرجوا من النار﴾ قرأه العامة بفتح الياء كقوله **﴿وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾** قائم.

وقرأ أبو واقدة، والجرّاح يخرجوا بضمّ الياء كقوله **﴿ربنا أخرجنا منها وما هم بمخرجين﴾** **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾** الآية. نزلت في طعمة بن الأبرق سارق الدرع وقد مرّت قصته في سورة النساء.

والسبب في وجه رفعهما. فقال بعضهم: هو رفع بالإبتداء، وخبره فيما بعد. وقال بعضهم: هو على معنى الجزاء، تقديره من سرق فاقطعوا أيديهما الآية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة. ولو أراد سارقاً وزانياً بعينهما لكان وجه الكلام النصب.

وقال الأخفش: هو الرفع على الخبر وابتداء مضمر كأنه قال: مما يقص عليك ويوحى إليك والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما.

وقال أبو عبيدة: هو رفع على لغة [....] من رفع [....][1] فيقول: الصيد [غارمه]، والهلال فانظر إليه، يعني أمكنك الصيد غارمه، وطلع الهلال فانظر إليه.

وقرأ عيسى بن عمرو: والسارق والسارقة منصوبين على إضمار إقطعوا السارق والسارقة. ودليل الرفع قراءة عبد اللّه، والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم ومستثناً في هذا السارق الذي عناه اللّه عز وجل بقطع يده وفي القدر الذي يقطع به يد السارق.

فقال قوم: يقطع إذا سرق عشر دراهم فصاعداً، ولا يقطع فيما دون ذلك.

وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه واحتجوا بما روى عطاء ومجاهد عن أيمن بن أم أيمن قال: يقطع السارق في ثمن المجن وكان ثمن المجن على عهد رسول اللّه ﷺ ديناراً أو عشرة دراهم.

وروى أيّوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال: كان ثمن المجن على عهد رسول اللّه ﷺ عشرة دراهم.

وروى عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال: أدنى قيمة عن المجن هو ثمن المجن عشرة دراهم.

قال سليمان بن يسار: لا يقطع الخمس إلاّ بالخمس.

واستدل بما روى سفيان عن عبد اللّه أن النبي ﷺ: قطع في قيمة خمسة دراهم [٦٢].

وروى سفيان عن عيسى عن الشعبي عن عبدالله أنّ النبي ﷺ قطع في خمسة دراهم.

---

(١) كلام غير مقروء.

وروى شعبة عن داود بن [فراهج] قال: سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري قالا: تقطع الكف في أربعة دراهم فصاعداً، ولا تقطع في ثلاثة دراهم فصاعداً.

واحتج بما روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ قطع سارقاً في مجن ثمنه ثلاثة دراهم فقال: بعضهم يقطع في ربع دينار فصاعداً، وهو قول الأوزاعي، والشافعي وإسحاق الحنظلي وأبو ثور. واحتجوابما روى سفيان عن الزهري عن حمزة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقطع في ربع دينار فصاعداً»[١] [٦٣].

وروى أبو بكر بن محمد عن عمر عن عائشة قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ قال: «لا تقطع يد السارق إلاّ في ربع دينار فصاعداً»[٢] [٦٤].

وقال بعضهم: يقطع سارق القليل والكثير، ولو سرق دانق، وهو قول ابن عباس، قال: لأن الآية عامّة ليس خاصّة.

وقول الزبير: يروى أنه يقطع في درهم وحجّة هذا المذهب ما روى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»[٣] [٦٥].

وروى ثوبان أنّ النبي ﷺ أُتي بسارق سرق شملة قال: أسرقت؟ ما أخالك سرقت؟ قال: نعم. قال: إذهبوا به فاقطعوه. ثم اتوني به، ففعل فقال: «ويحك تُب إلى اللّه»[٤] [٦٦].

فقال: اللّهم تُب عليه، ثم اختلفوا في كيفيّة القطع: فقال عمرو بن دينار: كان النبي ﷺ يقطع اليد من الكوع وكان يقطع من المفصل وكان علي يقطع الكف من الأصابع والرجل من شطر القدم.

فإذا قطع ثم عاد إلى السرقة فهل يقطع أم لا؟ قال أهل الكوفة: لا تقطع واحتجّوا بحديث عبد خير، قال: أتى علي سارق فقطع يده ثم أتى وقطع رجله ثم أتى فضربه وحبسه وقال: إني لأستحي أن لا أدع له يداً يستنجي بها ولا رجلاً يمشي بها. وقال أهل الحجاز: يقطع، وكان قد إحتجوا في ذلك بقوله تعالى ﴿**فاقطعوا أيديهما**﴾ على الإجماع.

ويروي حماد بن سلمة عن يوسف بن سعد عن الحرث بن حاطب أن رسول اللّه ﷺ أُتي بلصّ فقال: «أُقتلوه» فقال: يا رسول اللّه إنما سرق، قال: «أُقتلوه» قالوا: يا رسول اللّه إنما

---

(١) سنن أبي داود: ٢ / ٣٣٥.

(٢) صحيح مسلم: ٥ / ١١٢.

(٣) صحيح مسلم: ٥ / ١١٣، ومسند أحمد: ٢ / ٢٥٣.

(٤) مجمع الزوائد: ٦ / ٢٤٨.

سرق، قال: «إقطعوا يده»[١] [٦٧]. قال: ثم سرق فقطعت رجله ثم سرق على عهد أبي بكر حتى قطعت قوائمه كلها ثم سرق أيضاً الخامسة فقال أبو بكر: كان رسول اللّه ﷺ أعلم بهذا حين قال اقتلوه، ثم دفعوه إلى قبيلة من قريش ليقتلوه في عهد عبد اللّه بن الزبير وكان يحب الإمارة فقال: أمّروني عليكم فأمّروا عليه فكان إذا ضرب ضربوا حتى قتلوه، ثم إذا قطع السارق فهل يغرم السرقة أم لا؟ فقال سفيان وأهل الكوفة: إذا قطع السارق فلا يغرم عليه إلاّ أن يعيد المسروق فيعيدها إلى صاحبها.

وروى المسوّر بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول اللّه ﷺ قال: «لا يغرم صاحب السرقة إذا أُقيم عليه الحد»[٢] [٦٨] قيل: هذا حديث مرسل أنس بن ثابت، وقال الزهري ومالك: إذا كان السارق موسراً غُرّم.

وقال الشافعي: ثم يغرّم قيمة السرقة معسراً كان أو موسراً.

﴿**جزاءً بما كسبا**﴾. نصب جزاء على الحال والقطع قاله الكسائي. وقال قطرب: على المصدر ومثله ﴿**نكالاً**﴾أي عقوبة ﴿**من اللّه واللّه عزيز حكيم**﴾.

عن جعفر بن محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرق سارق سرقة إلاّ نقص من رزقه المكتوب له ﴿**فمن تاب من بعد ظلمه**﴾ أي سرقته، نظيره في سورة يوسف ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾[٣] أي السارقين ﴿**وأصلح فإن اللّه يتوب عليه**﴾ هذا ما بينه وبين اللّه تعالى فأما القطع فواجب. يدل عليه ما روى يحيى بن عبدالله عن أبي عبدالرحمن الحنبلي عن عبد اللّه بن عمرو: إنّ امرأة سرقت على عهد رسول اللّه ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم. فقالوا: يا رسول اللّه إن هذه المرأة سرقتنا، قال قومها: فنحن نفديها بخمس مائة دينار، فقال رسول اللّه: «إقطعوا يدها» فقطعت يدها اليمنى، فقالت المرأة هل لي من توبة؟.

قال: «نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك»[٤] [٦٩]. فأنزل اللّه في سورة المائدة ﴿**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح**﴾ الآية.

معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كانت إمرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة فكلمته وكلم أسامة النبي ﷺ فيها فقال له النبي: «يا أسامة لا أزال تكلمني[٥] في حدّ من حدود اللّه» ثم قام النبي ﷺ خطيباً فقال: «إنما هلك من

---

(١) سنن النسائي: ٨ / ٨٩.

(٢) سنن النسائي: ٨ / ٩٣.

(٣) سورة يوسف: ٧٥.

(٤) مسند أحمد: ٢ / ١٧٧.

(٥) في المصدر: أتشفّع في حد.

كان قبلكم بأنه إذا سرق فيه الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطّعوه والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١] [٧٠].

قال: فقطع يد المخزومية، وكان الشعبي وعطاء يقولان: إذا ردّ السرقة قبل أن يقدر عليه لم يقطع لقوله **﴿إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾** الآية **﴿ألم تعلم أن اللّه له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء﴾**.

قال السدّي والكلبي: يعذب من يشاء منهم من مات على كفره ويغفر لمن يشاء من تاب من كفره.

وقال الضحّاك: يعذب من يشاء على الصغير إذا قام عليه ويغفر لمن يشاء على الكبير إذا نزع عنه **﴿واللّه على كل شيء قدير﴾**.

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـًٔاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾

﴿يا أيّها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ وقرأ السلمي يسارعون في الكفر أي في هؤلاء الكفار ومظاهرتهم فلم يعجزوا اللّه **﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾** وهم المنافقون نظيره، قوله **﴿لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم﴾**[٢] **﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب﴾** يعني قوّالين به يعني بني قريضة **﴿سمّاعون لقوم آخرين﴾** يعني يهود خيبر وذلك عين ما قاله أهل التفسير وذلك أن رجلاً وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا، وإسم المرأة بسرة وكانت خيبر حرباً لرسول اللّه ﷺ وكان الزانيان محصنين، وكان حدّهما الرّجم في التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا: إن هذا الرجل النبي بيثرب ليس في كتابه الرّجم ولكنه الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريضة فإنهم صلح له وجيرانه، فليسألوه، فبعثوا رهطاً منهم مستخفين. فقالوا لهم: سلوا محمداً عن الزانيين إذا أحصنا أحدهما فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه

---

(١) سنن الدارمي: ٢ / ١٧٣.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا الزانين معهم فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير. فقال لهم: إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده، وقد حدث فينا حدث زنيا وقد أحصنا فيجب أن تسألوا لنا محمداً عن قضائه، فقال لهم بنو قريظة والنضير: إذاً والله يأمركم بما تكرهون من ذلك ثم إنطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وسعد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وعباس بن قيس وأبو نافع وأبو يوسف وعازار وسلول إلى رسول الله ﷺ ،فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدّهما وكيف تجد في كتابك؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «وهل ترضون قضائي في ذلك؟».

قالوا: نعم، فنزل جبرئيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به، فقال له جبرئيل: إجعل بينك وبينهم إبن صوريا ووصفه له، فقال النبي ﷺ: «هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له إبن صوريا» قال: فأي رجل فيكم؟

قالوا: هو أعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله تعالى على موسى في التوراة، قال: أرسلوا إليه، ففعلوا فأتاهم عبد الله بن صوريا، فقال له رسول الله ﷺ: «أنت إبن صوريا؟» قال: نعم، قال: «فأنت أعلم اليهود؟»، قال: كذلك يزعمون، قال: «أتجعلونه بيني وبينكم؟» قالوا: نعم قد رضينا به إذ رضيت به، فقال له رسول الله ﷺ: «فإني أنشدك بالله الذي لا إله إلاّ هو القوي إله بني إسرائيل الذي أنزل التوراة على موسى الذي أخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي ضلل الغمام فأنزل عليكم المنّ والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه فهل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن».

قال إبن صوريا: نعم والذي ذكّرني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيّرت ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد؟ قال: «إذا شهد أربعة رهط عدول إنه قد أدخله فيهاكما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم». قال إبن صوريا: والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له رسول الله ﷺ: «فماذا كان أوّل ما ترخصتم به أمر الله»؟

قال: كنّا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا للضعيف أقمنا عليه الحد وكثر الزنا في أشرافنا حتى زنا إبن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل آخر في أسوة من الناس فأراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه، فقال: والله لا ترجمون حتى يرجم فلاناً إبن عم الملك. فقال: تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون مكان الرجم فيكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسوّد وجوههما ثم يحملان على حمارين فحوّل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم. قال اليهود لابن صوريا: ما أسرع ما أخبرته به وما كنت لما اتهمتنا عليك بأهل، ولكنّك

كنت غائباً فكرهنا أن نغتابك فقال لهم: نشد في التوراة لولا ضنيت التوراة أن تهلكني لما أخبرته به، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب مسجده، وقال: «أنا أول من أحيا أمره إذ أماتوه»[١] [٧١].

قال عبد اللّه بن عمر: شهدت رسول اللّه ﷺ لما أمر برجم [اليهوديين فرأيته حنا عليهما ليقيهما بالحجارة][٢] ونزلت ﴿**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير**﴾[٣] فلا يخبركم به فوضع ابن صوريا يده على ركبة رسول اللّه ﷺ وقال: أنشدك باللّه وأُعيذك باللّه أن تخبرنا بالكثير الذي أمرت أن تعفو عنه فأعرض رسول اللّه ﷺ عنه فقال له ابن صوريا: أخبرني عن ثلاث خصال أسألك عنهنّ، قال: ما هي؟ قال: أخبرني عن نومك، فقال النبي ﷺ: «تنام عيناي وقلبي يقظان»[٤] قال له: صدقت، فأخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبهه أمه شيء أو شبهه أمه فيه ليس فيه من شبهه أبيه شيء، قال: «أيّهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له» قال له: صدقت، فأخبرني ماللرجل من الولد وما للمرأة منه؟ قال: فأغمي على رسول اللّه ﷺ طويلاً ثم خلي عنه محمراً وجهه يفيض عرقاً فقال ﷺ: «اللحم والدّم والظفر والشعر للمرأة والعظم والعصاب والعروق للرجل» قال له: صدقت أمرك أمر نبي فأسلم ابن صوريا عند ذلك وقال: يا محمد من يأتيك من الملائكة؟ قال: جبرئيل.

قال: صفه لي، فوصفه له النبي ﷺ فقال: أشهد إنه في التوراة كما قلت وإنّك رسول اللّه حقّاً فلما أسلم ابن صوريا وقعت فيه اليهود وشتموه فلما أرادوا أن ينهضوا تعلقت بنو قريظة ببني النضير، فقالوا: يا محمد إخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد ونبيّنا واحد إذا قتلوا منا قتيلاً لم يفدونا وأعطونا ديته سبعين وسقاً من تمر وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر وإن كان القتيل إمرأة. يفدوا بها الرجل، وبالرجل منهم الرجلين منّا، وبالعبد منهم الحرّ منّا، وجراحتنا بالنصف من جراحتهم فأمعن بيننا وبينهم[٥]، فأنزل اللّه تعالى في الرجم والقصاص ﴿**يا أيّها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالواآمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون**﴾ رفع الخبر بحرف الصفة يعني ومن الذين هادوا فهم سمّاعون، وإن شئت جعلته خبر إبتداء مضمر أي فهم سمّاعون للكذب، وقيل: اللام بمعنى إلى.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٣٣٤.

(٢) كذا في المخطوط، وفي الدرّ المنثور: قال النبي: اللهم إنّي أوّل من أحيا أمرك إذ أماتوه.

(٣) سورة المائدة: ١٥.

(٤) تفسير مجمع البيان: ١ / ٣١٥.

(٥) بتفاوت في الدرّ المنثور ٢ / ٢٨٥.

كان أبو حاتم يقول: اللام في الكذب لام كي يسمعون لكي يكذبوا عليك. واللام في قوله لام أجل من أجل قوم آخرين **﴿لم يأتوك﴾** وهم أهل خيبر **﴿يحرفون الكلم﴾** جمع الكلمة **﴿من بعد مواضعه﴾** أي من بعد وضعه مواضعه كقوله **﴿ولكن البرّ من اتقى الله﴾**. وإنما ذكر الكتابة ردّاً إلى اللفظ وهو الكلم. وقرأ علي: يحرّفون الكلام من بعد مواضعه **﴿يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه﴾** أي إن أفتاكم محمد بالجلد والرجم فاقبلوه **﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد اللّه فتنته﴾** كفره وضلالته.

قال مجاهد: دليله قوله **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾** الآية.

وقال الضحّاك: هلاكه، قتادة: عذابه نظيره ولم يأمرهم على من يؤمنون **﴿فلن تملك له من اللّه شيئاً أولئك الذين لم يرد اللّه أن يطهّر قلوبهم﴾** أي بالهداية على القدرة **﴿لهم في الدنيا خزي﴾** للمنافقين الفضيحة وهتك الستر وخوف القتل، ولليهود الجزية والقتل والسبي، [. . . . .][1] عن محمد (عليه السلام) وأصحابه وفيهم ما يكرهون **﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** الخلود في النار.

﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسحت﴾ فيه أربع لغات: السُحت بضم السين والحاء وهي قراءة أهل الحجاز والبصرة، واختار الكسائي: سَحت مخففة وهي قراءة أهل الشام وعاصم وحمزة وخلف. والسَحت بفتح السين وجزم الحاء وهي رواية العباس عن نافع، والسحت بضم السين وجزم الحاء وهي قراءة عبيد بن عمير وهو الحرام. قال رسول اللّه ﷺ: «كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به» [٧٢] وأصله ما أشدّ أشدّه، وقال اللّه تعالى **﴿فيسحتكم بعذاب﴾**[2].

قال الفرزدق:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع — من المال إلاّ مسحتاً أو مجلف[3]

قال: من تخلّف إذا استأصل الشجر سحت.

وقال الفرّاء: أصله كلب الجوع، فيقال: رجل سحوت المعدة إذا كان أكولاً لا يُلقى أبداً إلاّ جائعاً، فكأن بالمسترشي وآكل الحرام من الشره إلى ما يعطى مثل الذي بالمسحوت المعدة من النهم. ونزلت هذه الآية في حكام اليهود، كعب بن الأشرف وأمثاله كانوا يرتشون ويفضلون لمن رشاهم[4].

---

(١) كلام غير مقروء.
(٢) سورة طه: ٦١.
(٣) لسان العرب: ٢ / ٤١.
(٤) راجع تفسير القرطبي: ٦ / ١٨٣.

وروى أبو عقيل عن الحسن: في قوله: ﴿سمّاعون للكذب أكّالون للسحت﴾ قال: تلك الحكام تسمع كذبه وتأكل رشوة(١).

وعنه في غير هذه الرواية. قال: كان الحاكم منهما إذا أتى أحد برشوته جعلها [بين يديه فينظر إلى صاحبها ويتكلم معه] ويسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب، وعنه أيضاً قال: إنما ذلك في الحكم إذا رشوته ليحق لك باطلاً أو يبطل عنك حقّاً فأما أن يعطي الرجل الوالي يخاف ظلمه شيئاً ليدرأ به عن نفسه فلا بأس.

والسحت هو الرشوة في الحكم على قول الحسن. ومقاتل وقتادة والضحّاك والسدّي.

وقال ابن مسعود: هو الرشوة في كل شيء.

قال مسلم بن صبيح: صنع مسروق لرجل في حاجة فأهدى له جارية فغضب غضباً شديداً، وقال: لو علمت إنّك تفعل هذا ما كلّمت في حاجتك، ولا أكلم لما بقي من حاجتك، سمعت ابن مسعود يقول: من يشفع شفاعة ليرد بها حقّاً أو ليدفع بها ظلماً فأهدي له فقيل فهو سحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنّا نرى ذلك إلاّ الأخذ على الحكم، قال: الأخذ على الحكم كفر. قال اللّه عز وجل ﴿ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون﴾(٢).

وقال أبو حنيفة: إذا ارتشى الحاكم إنعزل في الوقت وإن لم يُعزل.

وقال عمر وعلي وابن عباس رضي اللّه عنهم: السحت خمسة عشر: الرشوة في الحكم ومهر البغي وحلوان الكاهن، وثمن الكلب والقرد والخمر والخنزير والميتة والدم وعسيب الفحل وأجر النائحة والمغنية والقايدة والساحر وأجر صور التماثيل وهدية الشفاعة.

وعن جعفر بن كيسان قال: سمعت الحسن يقول: إذا كان لك على رجل دين فما أكلت في بيته فهو سحت. وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لعنة اللّه على الراشي والمرتشي»(٣) [٧٣].

قال الأخفش: السحت كل كسب لا يحل.

ثم قال ﴿فإن جاؤك﴾ يا محمد ﴿فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾. خير اللّه سحته بقوله في الحكم بينهم إن شاء حكم وإن شاء ترك.

واختلفوا في حكم هذه الآية هل هو ثابت وهل للحكّام اليوم من الخيار في الحكم من أهل الذّمة إذا اختلفوا إليهم، مثل ما جعل اللّه لنبيه ﷺ أم هو منسوخ ؟

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ٣٢٥.

(٢) سورة المائدة: ٤٤.

(٣) الجامع الصغير: ٢ / ٤٠٥، ح / ٧٢٥١.

فقال أكثر العلماء: هو حكم ثابت لم ينسخه شيء وحكام الإسلام بالخيار وذلك إن شاؤا بين أهل الكتاب وجميع أهل الذّمة، فإن شاؤا أعرضوا ولم يحكموا بينهم وإن حكموا يحكموا بحكم أهل الإسلام. هو قوله: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾[1] هو جريان حكمنا عليهم. وهذا قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة. وقال آخرون هو منسوخ نسخه قوله تعالى ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل اللّه**﴾ وإليه ذهب الحسن ومجاهد وعكرمة والسدّي. وروى ذلك ابن عباس قال: لم ينسخ من المائدة إلاّ هاتان الآيتان وقوله تعالى ﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر اللّه**﴾[2] نسختها ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾[3] وقوله ﴿**فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم**﴾ نسختها ﴿**أن احكم بينهم بما أنزل اللّه**﴾[4].

فأما إقامة الحدود عليهم فأهل العراق يرون إقامة الحدود عليهم إلاّ إنهم لا يرون الرجم وقالوا: لأنهم غير محصنين وتأولوا رجم النبي ﷺ اليهوديين أنه رجمهما بكتابهم التوراة لما اتفقوا على رضاهم بحكم التوراة ثم أنكروا الرجم، فكان في التوراة فأخفوا وأظهر رسول اللّه ﷺ من ذلك ما كتموه. وأهل الحجاز لا يرون إقامة الحدود عليهم ويظهرون إلى أنهم صولحوا على شركهم. وهو أعظم من الحدود التي يأتون وتأولوا رجم النبي ﷺ اليهوديين أن ذلك قبل أن يؤخذ عنهم الجزية إلاّ أن على الإمام أن يمنعهم من المظالم والفساد فأما إذا كان أحد الطرفين مسلماً مثل أن يزني رجل من أهل الذّمة بمسلمة أو سرق من مسلم أقيم عليه الحد وحكم عليه بحكم الإسلام ﴿**وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط**﴾أي بالعدل ﴿**إنّ اللّه يحب المقسطين**﴾ العاملين.

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِۚ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾

---

(١) سورة التوبة: ٣٣.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) سورة التوبة: ٥.

(٤) سورة المائدة: ٤٩.

﴿وكيف يحكّمونك﴾ تعجّب وفيه اختصار إلى وكيف يجعلونك حاكماً ويرضون بمحمد **﴿وعندهم التوراة فيها حكم اللّه﴾** وهو الرجم فلا يرضون بذلك.

﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ إلى قوله **﴿للذين هادوا﴾** فإن قيل: وهل فينا غير مسلم؟ فالجواب أن هؤلاء نبيوا الإسلام لا على أن غيرهم من النبيين لم يتولوا المسلمين وهذا كقوله **﴿محمد رسول اللّه﴾**(١) **﴿فآمنوا باللّه ورسوله النبي الأُمي الذي يؤمن باللّه وكلماته﴾**(٢) لا يريد أن غيره من الأنبياء لم يؤمنوا باللّه وكلماته. وقيل: لم يرد به الإسلام الذي هو ضد الكفر. وإنما المراد به الذين انقادوا لحكم اللّه فلم يكتموه كما كتم هؤلاء، يعرّض بأهل الكتاب.

وهذا كقوله **﴿وله أسلم من في السماوات والأرض﴾**(٣).

وقال يزيد بن عمرو بن نفيل: أسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخراً ثقالاً، وأسلمت وجهي لمن أسلمت له العيون تحمل عذباً زلالاً. وقيل: معناه الذين أسلموا أنفسهم إلى اللّه. كما روي إن النبي ﷺ كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «أسلمت نفسي إليك»(٤) [٧٤].

وقيل: معناه: يحكم بها النبيون الذين أسلموا بما في التوراة من الشرائع ولم يعمل به كمثل عيسى (عليه السلام) وهو قوله تعالى **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾**(٥) وهو معنى قول ابن حيّان يحكم بما في التوراة من لدن موسى إلى عيسى عليهما السلام.

وقال الحسن والسدّي أراد محمداً ﷺ حكم على اليهود بالرجم وذكره بلفظ الجمع كما قال تعالى **﴿إن إبراهيم كان أمّة﴾**(٦) وقال: أم تحسدون الناس في الحياة **﴿والربّانيون والأحبار﴾** يعني العلماء وهم ولد هارون (عليه السلام) وأحدهم محبر وحبر وهو العالم المحكم للشيء ومنه الكعب بن قانع كعب الأحبار وكعب الحبر.

قال الفرّاء: أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد الأحبار بكسر الحاء واختلفوا في اشتقاق هذا الإسم.

فقال الكسائي وأبو عبيدة: هو من الحبر الذي يكتب به. وقال النضر بن شميل: سألت الخليل عنه، فقال: هو من الحبار وهو الأثر الحسن. فأنشد:

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.
(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.
(٣) سورة آل عمران: ٨٣.
(٤) نصب الراية: ٢ / ٢٩٦.
(٥) سورة المائدة: ٤٨.
(٦) سورة النحل: ١٢٠.

لا تـمـلأ الـدلـو وعـرق فـيـهـا ألا تـرى حـبّـار مـن يـسـقـيـهـا[١]

قال قطرب: هو من الحبر وهو الجمال والهيئة يدل عليهم قول النبي ﷺ: «يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره» [أي جماله وبهاؤه][٢] [٧٥].

وقال العباس لرسول اللّه ﷺ: يا ابن أخ فيم الجمال؟ قال: «في اللسان» [٧٦].

وقال مصعب بن الزبير لابنه: يا بني تعلم العلم فإن كان لك مال كان جمالاً وإن لم يكن عندك علم كان لك مالاً، ﴿**بما استحفضوا**﴾ استودعوا من كتاب اللّه ﴿**وكانوا عليه شهداء**﴾ إنه كذلك ﴿**فلا تخشوا الناس واخشون**﴾ إلى قوله ﴿**الكافرون**﴾ واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها.

فقال الضحّاك وأبو إسحاق وأبو صالح وقتادة: نزلت هذه الآيات الثلاث في اليهود وليس في أهل الإسلام منها شيء فأما هذه الأمّة فمن أساء منهم وهو يعلم إنه قد أساء وليس بدين.

يدلّ على صحة هذا التأويل. ما روى الأعمش عن عبد اللّه بن مرّة عن البرّاء بن عازب عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون**﴾ والظالمون والفاسقون. قال: كلها في الكافرين.

وقال النخعي والحسن: نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضىً لهذه الآية بها فهي على الناس كلّهم واجبة.

عن ابن عباس وطاووس ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعل ذلك وهو به كفر، وليس كمن يكفر باللّه واليوم [الآخر].

عطاء: هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق.

عكرمة: معناه ومن لم يحكم بما أنزل اللّه جاحداً به فقد كفر. ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق. وهذه رواية الوالبي عن ابن عباس قال: وسمعت أبا القاسم الحبيبي، قال: سمعت أبا زكريا العنبري، يحكي عن عبد العزيز بن يحيى الكناني إنه سأل عن هذه الآيات، قال: إنها تقع على جميع ما أنزل اللّه لا على بعضه فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل اللّه فهو كافر ظالم فاسق.

فأما من يحكم ببعض ما أنزل اللّه من التوحيد [وترك] الشرك ثم لم يحكم بهما [فبين][٣] ما أنزل اللّه من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات.

---

(١) الصحاح: ٢ / ٦٢٠.
(٢) زاد المسير: ٢ / ٢٨١.
(٣) هذا الظاهر من الإصل.

قالت الحكماء: هذا إذا ردّ بنص حكم اللّه عياناً عمداً، فأما من جهله أو أخفي عليه أو أخطأ في تأويل ابتدعه أو دليل اتّجه له فلا، وأجراها بعضهم على الظاهر.

وقال ابن مسعود، والسدّي: من ارتشى في الحكم وحكم فيه بغير حكم الله فهو كافر[١] ﴿**وكتبنا عليهم فيها**﴾ أي وأوحينا في بني إسرائيل في التوراة ﴿**أن النفس بالنفس**﴾ يعني النفس القاتلة بالنفس المقتولة [ظلماً][٢] ﴿**والعين بالعين**﴾ بقلعهما ﴿**والأنف بالأنف**﴾ يجدع به ﴿**والأُذن بالأذن**﴾ يقطع به أذنيه.

نافع: في جميع الفقهاء [وقرأ] الباقون ﴿**والسّنّ بالسنّ**﴾ يقلع به وسائر الجوارح قياس على العين والأنف والأذن ﴿**والجروح قصاص**﴾ وهذا مخصوص فيما يمكن القصاص فيه، فأما ما كان من هيضة لحم أو هيضة عظم ويعده ركن لا يحيط العلم به وقياس أو حكومة.

واختلف الفقهاء في هذه الآية، فقرأ الكسائي: ﴿**والعين**﴾ رفعاً إلى آخره. واختار أبو عبيد لما روى ابن شهاب عن أنس أن رسول اللّه ﷺ قرأه ﴿**وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس**﴾ نصباً، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص،كله رفع.

وأما أبو جعفر وإبن كثير وإبن عامر وأبو عمرو فكانوا يرفعون الجروح وينصبون سائرها. وقتادة، أبو حاتم قالوا: لأن لهما نظائر في القرآن قوله ﴿**إن اللّه بريء من المشركين ورسوله**﴾ ﴿**وإن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾[٣] ﴿**وإذا قيل إن وعد اللّه حق والساعة**﴾[٤].

وقرأ نافع وعاصم والأعمش وحمزة ويعقوب [بالعطف] كلها نصباً ودليلهم قوله تعالى: ﴿**إن النفس بالنفس**﴾ وأن العين بالعين وأن الأنف بالأنف وأن الأذن بالأذن فإن الجروح قصاص.

﴿**فمن تصدّق به**﴾ إختلفوا في الهاء في قوله «به»، فقال قوم: هي كناية عن المجروح وولي القتيل، ومعناه فمن تصدّق به فهو كفّارة له، للمتصدق يعدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدّق.

وهو قول عبد اللّه بن عباس والحسن والشعبي وقتادة وجابر بن زيد، دليل هذا القول لحجة ما روى الشعبي عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من تصدّق عن جسده بشيء كفّر اللّه عنه بقدر ذلك من ذنوبه»[٥] [٧٧].

---

(١) راجع تفسير القرطبي: ٦ / ١٩١.
(٢) تفسير الطبري: ٦ / ٣٦٤.
(٣) سورة الأعراف: ١٢٨.
(٤) سورة الجاثية: ٣٢.
(٥) مسند أحمد: ٥ / ٣٣٠، وسنن النسائي: ٦ / ٣٣٥.

وروى وكيع عن يوسف بن أبي إسحاق عن أبي السهر قال: كسر رجل من قريش سنّ رجل من الأنصار فاستعدى عليه معاوية، فقال القريشي: إن هذا داق سني.

قال معاوية: كلا أما تسترضيه، فلمّا ألحَّ عليه الأنصاري، قال معاوية: شأنك بصاحبك، وأبو الدرداء جالس.

فقال أبو الدرداء: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «ما من مسلم يصاب بشيء عن جسده فيتصدّق به إلاّ رفعه اللّه به درجة وحطّ به عن خطيئة»(١) [٧٨].

فقال الأنصاري: أأنت سمعت بهذا من رسول اللّه ﷺ؟ قال: نعم سمعته أُذناي ووعاه قلبي فعفى عنه.

وروى عوف عن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: جيء بالقاتل الذي قتل إلى رسول اللّه ﷺ جاء به ولي المقتول، فقال رسول اللّه ﷺ: أتعفو؟ قال: لا، قال: أتأخذ الدية؟ قال: لا، قال: القتل، قال: نعم [قال إذهب فذهب] فدعاه فقال: أتعفو؟ قال: لا، قال: أتأخذ الدية؟ قال: لا، قال: القتل، قال: نعم، قال: إذهب، فلما ذهب قال: أما لك أن عفوت فإنه يبوء بإثمك، وإثم صاحبك. قال: فعفى عنه فأرسله ورأيته وهو يجر شسعيه.

وروى عمران عن عدي بن ثابت الأنصاري قال: طعن رجل رجلاً على عهد معاوية، فأعطوه ديتين على أن يرضى. فلم يرضَ وأعطوه ثلاث ديات فلم يرض.

وحدث رجل عن المسلمين عن النبي ﷺ إنه قال: «من تصدّق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولد إلى يوم تصدق»(٢) [٧٩].

وعن عمر بن نبهان عن جابر بن عبد اللّه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أي أبواب الجنة شاء وتزوج من الحور العين حيث(٣) شاء من أدى ديناً [خفياً] وعفا عن قاتل وقرأ دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرّات قل هو اللّه أحد»(٤) [٨٠].

قال أبو بكر: وإحداهن يا رسول اللّه؟ قال: وإحداهن.

وقال آخرون: عني بذلك الجارح والقاتل، يعني إذا عفا المُجنى عليه عن الجاني فعفوه عن الجاني كفّارة لذنب الجاني لا يوآخذ به في الآخرة كما أن القصاص كفّارة له كما إن العافي المتصدق فعلى اللّه تعالى، قال اللّه تعالى ﴿**من عفا وأصلح فأجره على اللّه**﴾ وهذا قول إبراهيم

---

(١) كنز العمال: ١٥ / ١٢، ح ٣٩٨٥٠.
(٢) مجمع الزوائد: ٦ / ٣٠٢ وجامع البيان: ٦ / ٣٥٦.
(٣) في المصدر: كم.
(٤) مجمع الزوائد: ٦ / ٣٠١.

ومجاهد وزيد بن أسلم، وروي ذلك عن ابن عباس. والقول الأوّل أجود لأنّه ربما تصدّق من عليه ولم يتب الخارج من فعله فإنه كفّارة له والدليل عليه قراءة أُبي: فمن تصدّق به فهو كفّارة له. ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الظالمون**﴾.

﴿**وقفّينا على آثرهم**﴾ على آثار النبيين المسلمين للتوراة العالمين به ﴿**بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتينه الإنجيل فيه هدى ونور مصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة للمتقين**﴾.

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل اللّه فيه**﴾ قرأه العامة مجزوم اللام والميم على الأمر، وحمزة: بكسر اللام وفتح الميم أي ولكي يحكم أهل الانجيل.

مقاتل بن حيّان: أمر اللّه تعالى الأحبار والربانيين أن يحكموا بما في التوراة وأمر القسّيسين والرهبانيين أن يحكموا بما في الإنجيل فكفروا وكذبوا بمحمد ﷺ وقالوا عزير ابن اللّه والمسيح ابن اللّه ﴿**ومن لم يحكم بم أنزل اللّه فأولئك هم الفاسقون**﴾ الخارجون من أمر اللّه، وقال ابن زيد: الكاذبون. نظيره قوله ﴿**إن جاءكم فاسق بنبأ**﴾ ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب**﴾ أي الكتب ﴿**ومهيمناً عليه**﴾ أي شاهداً. قاله السدّي والكسائي: وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، قال حسان:

إن الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذووالألباب[1]

أي مصدق.

وقال سعيد بن جبير وأبو عبيدة: مؤمناً وهي رواية أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس، الحسن: أميناً وهي رواية العوفي عن ابن عباس ومعنى أمانة القرآن ما قال ابن جريج: القرآن أمين على ما قبله من الكتب فيما أخبر أهل الكتاب في كتابهم بأمر فإن كان في القرآن فصدّقوا

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٢١٠.

وإلاّ فكذبّوا، المبرد: أصله مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل: أرقت الماء وهرقت، ولمّا ينثر عن الرأس عند الدلك أبرية وهبرية ونهاة وهيهات. وأتاك وهياك فهو مبني آمن أمين كما بيطر ومبيطر من بيطار.

قال النابغة:

شكّ المبيطر إذ شفا من العضد[1]

وقال الضحّاك: ماضياً، عكرمة: دالاً عليه، إبن زيد مصدّقاً، الخليل: رقيباً وحافظاً، يقال: هيمن فلان على كذا إذا شاهده وحفظه.

قلت: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت المنصور بن محمد بن أحمد بن منصور البستي يقول: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي يقول: تقول العرب: الطائر إذا جعل يطير حول وَكرهِ وخاف على فرخه صيانة له، هيمن الطائر مهيمن. وكذلك يقول للطائر إذا أرخى جناحيه فألبسهما بيضه وفرخه مهيمن. وكذلك جعل اختباؤه ومنه قيل: اللّه تعالى المهيمن كان معناه الرقيب الرحيم. قال: ورأيت في بعض الكتب إنها بلغة العجمانية فعرّبت، وقرأ عكرمة: هيمن ومهيمن. بقولهم الملوك ﴿**فاحكم**﴾ يا محمد ﴿**بينهم**﴾ بين أهل الكتاب، إذا ترافعوا إليك ﴿**بما أنزل اللّه**﴾ بالقرآن ﴿**ولا تتّبع أهوائهم عمّا جاءك من الحق لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**﴾، أي سبيلاً وسنّة وجمع الشرعة الشرع وكل ما شرّعه فيه فهو شرعة وشريعة، ومنه شريعة الماء ومشرعته، ومنه شرائع الإسلام شروع أهلها فيها، ويقال: من شرع شرعاً إذا دخلوا في أمر وساروا به. والمنهاج والمنهج والنهج الطريق البين الواضح.

قال الراجز:

من يك في شك فهّلا ولج   في طريق المهج[2]

قال المفسّرون: عنى بذلك جميع أهل الملل المختلفة جعل اللّه لكل أهل ملّة شريعة ومنهاجاً، فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، يحل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، والدين واحد والشرائع مختلفة ﴿**ولو شاء اللّه لجعلكم أمّة واحدة**﴾ كلّكم ملّة واحدة ﴿**ولكن ليبلوكم**﴾ ليخبركم وهو أعلم وقد مضى معنى الإبتلاء ﴿**فيما آتاكم**﴾ من الكتب وبين لكم من [السنن] فبيّن المطيع من العاصي والمواظب من المخالف ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ فبادروا بالطيّبات والأعمال الصالحات ﴿**إلى اللّه مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بما أنزل اللّه ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل اللّه إليك**﴾.

---

(١) لسان العرب: ٣ / ٢٩٥.

(٢) جامع البيان: ٦ / ٣٦٥. وفيه: من يك في شك فهذا أفلج ماء رواء وطريق نهج.

قال ابن عباس: قال كعب بن لبيد وعبد اللّه بن صوريا وشاس بن قبيص بعضهم لبعض: إذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا: يا محمد قد عرفت أنّا أعيان اليهود وأشرافهم وإنّا إن إتبعناك إتبعنا اليهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فنقضي إما عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول اللّه ﷺ وأنزل اللّه فيهم هذه الآية ﴿**فإن تولوا**﴾ أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن ﴿**فاعلم إنما يريد اللّه أن يصيبهم ببعض ذنوبهم**﴾ أي فاعلم إن إعراضهم من أجل أن اللّه يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم أي شؤم عصيانهم.

﴿**وإن كثيراً من الناس**﴾ يعني اليهود ﴿**لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون**﴾ قرأ ابن عامر بالتاء، وفي الباقون بالياء.

﴿**ومن أحسن من اللّه حكماً**﴾ الآية.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

﴿**يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**﴾ إختلفوا في نزول هذه الآية، فإن كان حكمها عاماً لجميع المؤمنين.

فقال العوفي والزهري: لما انهزم أهل بدر، قال المسلمون لأوليائهم من اليهود أهربوا قبل أن يصيبكم اللّه بيوم مثل يوم بدر. فقال مالك بن الصيف: أغرّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال، أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يد أن تقتلونا.

فجاء عبادة بن الصامت الخزرجي إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم، قويّة أنفسهم، شديدة شوكتهم كثيراً سلاحهم وإني أبرأ إلى اللّه وإلى رسوله من ولايتهم وولاية اليهود، ولا مولا لي إلاّ الله ورسوله، قال عبد اللّه بن أُبي: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأني أخاف الدوائر ولا بد لي منهم، فقال رسول اللّه ﷺ: «يا أبا الحباب ما نفست

من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه»[١] [٨١] قال: قد قبلت فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية. قال السدّي: لما كانت وقعة أحد إشتد على طائفة من الناس وتخوفوا أن يدل عليهم الكفار.

فقال رجل من المسلمين: أما أنا فألحق بدهلك اليهودي وأخذ منه أماناً فإني أخاف أن يدل علينا اليهود.

وقال رجل آخر: أما أنا فالحق بفلان النصراني ببعض أهل الشام فأخذ منه أماناً وأنزل اللّه هذه الآية ينهاهما.

وقال عكرمة: نزلت في أبي لبانة بن عبد المنذر حين قال للنبي ﷺ إذا رضوا بحكم سعد إنه الذبح ﴿**بعضهم أولياء بعض**﴾ في العون والنصرة، ويدهم واحدة على المسلمين.

﴿**ومن يتولّهم منكم**﴾ فيوافقهم على دينهم ويعينهم ﴿**فإنه منهم**﴾ يقول ابن سيرين: عن رجل بيع داره من النصارى، يتخذونها بيعة فتلا هذه الآية ﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض**﴾ الآية، يعني عبد اللّه بن أُبي وصحبه من المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم ﴿**يسارعون فيهم**﴾ أي في موالاتهم ﴿**يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة**﴾ دولة يعني أن يدور الدهر فنحتاج إلى نصرهم أيّانا فنحن نواليهم بذلك.

قال الراجز:

يرد عنك القدر المقدورا ودائرات الدهر أن تدورا[٢]

﴿**فعسى اللّه أن يأتي بالفتح**﴾ أي القضاء وقيل: النصر. وقال السدّي: فتح مكّة.

﴿**أو أمر من عنده فيصبحوا**﴾ يعني هؤلاء المنافقين ﴿**على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين**﴾ وحينئذ ﴿**ويقول الذين آمنوا**﴾ إختلف القرّاء فيه:

فقرأ أهل الكوفة: (ويقول) بالواو والرفع على الإستئناف وقرأ أهل البصرة: (ويقول) نصباً والواو عطفاً على (أن يأتي) وقرأ الباقون: رفع اللام وحذف الواو، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام[٣] ﴿**أهؤلاء الذين أقسموا باللّه جهد أيمانهم إنهم لمعكم**﴾ الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ**﴾ وقرأ أهل المدينة والشام يرتدد بدالين على إظهار التخفيف ﴿**منكم عن دينه**﴾ فيرجع إلى الكفر وهذا المجاز للقرآن وللمصطفى ﷺ إذ أخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده

---

(١) تفسير الطبري: ٦ / ٣٧٢.

(٢) تفسير القرطبي: ٦ / ٢١٧.

(٣) راجع تفسير القرطبي: ٦ / ٢١٨.

وكان عهده وكان على ما أخبره بعد مدّة، وأهل الردّة كانوا أحد عشر قوماً ثلاثة على عهد رسول اللّه ﷺ في آخر عمره وسبعة على عهد أبي بكر وواحد في عهد عمر.

فأما الثلاثة الذين كانوا على عهد رسول اللّه ﷺ فمنهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عيهلة بن كعب القيسي فلقّب بالأسود وكان كاهناً مشعبذاً فتنبّأ باليمن وكان (عليه السلام) ولّى بأذان اليمن بجميع نواحيها وكان أوّل من أسلم من ملوك العجم وأول أمير لبلاد اليمن في الإسلام فمات، وولي رسول اللّه مكانه شهراً فقتل الأسود الكذّاب شهر بن بأذان وتزوج إمرأته لباد واستولى على بلاد اليمن وأخرج عمّال رسول اللّه ﷺ منها، وكتب عليه إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين، وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسّك بدينهم والنهوض إلى حرب الأسود إما غيلة وإما مصادمة، وكتب (عليه السلام) بمثل ذلك إلى حمير من سادات اليمن عامر ابن سهو، وذي رود وذي مران وذي الكلاع وذي ظلم[1] ففعلوا ما أمرهم رسول اللّه ﷺ وقاموا بحرب الأسود حتى أهلك اللّه الأسود على يدي فيروز الديلمي، وذلك أنه رماه وقتله على رأسه.

قال ابن عمر: أتى الخبر النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي.

فقال (عليه السلام): قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك، قيل: ومن هو؟ قال: فيروز: فاز فيروز فبشر أصحابه اليوم بهلاك الأسود وقبض رسول اللّه ﷺ من أخذ وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد مخرج أسامة وكان ذلك أول فتح أتى أبا بكر[2]، والفرقة الثانية: بنو حنيفة واليمامة، ونبيهم مسيلمة الكذّاب، وكان تنبأ في حياة رسول اللّه ﷺ في آخر ستة عشر وزعم أنه أشرك مع محمد في النبوة.

فكتب إلى رسول اللّه ﷺ: من مسيلمة رسول اللّه إلى محمد رسول اللّه، أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك، وبعث بذلك رجلين من أصحابه الرجال بن شهب والحكم بن الطفيل وكان من سادات أهل اليمامة، فقال لهما رسول اللّه: «أتشهدان أن مسيلمة رسول اللّه؟ قالا: نعم، فقال: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما». ثم أجاب: «من محمد رسول اللّه إلى مسيلمة الكذّاب، أما بعد (إن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)»[3] [٨٢][4].

ومرض رسول اللّه ﷺ وتوفي، وجعل مسيلمة يعلو أمره باليمامة يوماً بعد يوم، فبعث أبو

---

(١) راجع الإصابة: ٢ / ١٥٨.

(٢) راجع تاريخ الطبري: ٢ / ٤٧٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٤) مجمع الزوائد: ٥ / ٣١٥.

بكر (رضي الله عنه) خالد بن الوليد إليه في جيش كثير حتى أهلكه اللّه على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب صعب شديد وكان وحشي: يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وقتلت شر الناس في الإسلام.

والفرقة الثالثة: بنو أسد ورئيسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتدّ فادعى النبوة في حياة رسول اللّه ﷺ، وأول من قُتل بعد وفاته (عليه السلام) من أهل الردة، فعسكر واستكشف أمره فبعث إليه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) خالد بن الوليد فهزموهم بخالد بعد قتال شديد وأفلت طليحة ومرّ على امرأته هارباً نحو الشام فلجأ إلى بني جفنة فأجاروه ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، فهذه الثلاث الذين ارتدّت على عهد رسول اللّه ﷺ وأما السبعة الذين ارتدّوا بعد وفاة رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه)، لما مات رسول اللّه (عليه السلام) شمتت اليهود والنصارى وأظهر النفاق من كان يخفيه وماج الناس وكثر القيل والقال. وارتدت العرب على أعقابها، فارتدت فزار ورأسوا عليهم عيينة بن عين بن بدر، وارتدت غطفان، وأمّروا عليهم قرّة بن سلمة القسري، وارتدت بنو سليم ورأسوا عليهم النجاخ ابن عبد ياليل، وارتدت بنو يربوع ورأسوا عليهم مالك بن نويرة. وارتدت طائفة أخرى من بني تميم ورأسوا إمرأة منهم يقال لها: سجاح بنت المنذر وادّعت النبوّة ثم إنها زوّجت نفسها من مسيلمة الكذّاب.

وارتدت كندة ورأسوا على أنفسهم الأشعث بن قيس. وارتدت بنو بكر بن وائل بأرض البحرين ورأسوا عليهم الحطم بن زيد فلقى اللّه أمر هؤلاء المرتدّين ونصر دينه على يدي أبي بكر (رضي الله عنه) وأما الذي كان على عهد عمر (رضي الله عنه) رأسهم الغاني وأصحابه، وأخبار أهل الردة مشهورة في التواريخ مسطورة يطول بذكرها الكتاب[١].

﴿فسوف يأتي اللّه بقوم يحبّهم ويحبونه﴾ قال علي بن أبي طالب والحسن وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه، مجاهد: هم أهل اليمن، وقال غياض بن غنم الأشعري: لما نزلت هذه الآية أومى رسول اللّه ﷺ إلى أبي موسى الأشعري فقال: هم قوم هذا.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أتاكم أهل اليمن، هم ألين قلوباً وأرق أفئدة الإيمان يماني والحكمة يمانية»[٢].

الكلبي: هم أحياء من اليمن ألفان من النخع وخمسة ألآف من كندة وبجيلة وثلاث آلاف من سائر الناس فجاهدوا في سبيل اللّه بالقادسية[٣].

---

(١) راجع تاريخ الطبري: ٢ / ٤٨٢ ـ ٤٨٩.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٢٥٢.

(٣) كنز العمال: ١٢ / ٩١، يراجع تاريخ الطبري: ٣ / ٧.

السدّي: هم الأنصار، ويروى أنّ رسول اللّه ﷺ سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سلمان الفارسي فقال: هذا وذووه، ثم قال: «لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله[١] من أبناء فارس»[٢] [٨٣].

﴿**أذلّة على المؤمنين**﴾ يعني أرقاء رحماء، كقوله ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾[٣] وقيل: هو من الذل، من قولهم دابّة ذلول بينة الذل يعني إنهم متواضعون كقوله ﴿**وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً**﴾[٤] ﴿**أعزّة على الكافرين**﴾ أي أشداء غلظاء من قول العرب عز جانبه عزاً.

وقرأ ابن مسعود: أذلة على المؤمنين غلظاً على الكفّار بالنصب على الحال.

وقال عطاء: أذلة على المؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده. أعزة على الكافرين كالسبع على فريسته، ونظير الآية ﴿**أشدّاء على الكفار رحماء بينهم**﴾ ﴿**يجاهدون في سبيل اللّه ولا يخافون لومة لآئم**﴾.

عبد اللّه بن حمدون نا أحمد بن محمد بن الحسين نا محمد بن يحيى نا أحمد بن شبيب، عن يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يحدّث أن رسول اللّه ﷺ قال: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيُجلون عن الحوض فأقول ربّ أصحابي أصحابي فيقال لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم إرتدّوا على أدبارهم القهقرى»[٥] [٨٤].

﴿**إنما وليّكم اللّه ورسوله**﴾ الآية.

أبو عبد اللّه الحسين عن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان عن شبر بن موسى الأسدي عن إسماعيل بن خليل الكوفي عن سلمة بن رجاء عن سلمة بن سابور قال: سمعت عطية العوفي يقول: قال ابن عباس: أسلم عبد اللّه بن أُبي بن سلول، ثم قال: بيني وبين قريظة والنضير حلف وأنا أخاف الدوائر، فارتد كافراً. وقال عبادة بن الصامت: أبرأ إلى اللّه عز وجل من حلف قريظة والنضير، وأتولى اللّه والرسول والذين آمنوا فأنزل اللّه تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ

---

(١) في المصدر: لتناوله أناس.
(٢) مجمع الزوائد: ١٠ / ٦٤، تاريخ دمشق: ٥١ / ٤٧.
(٣) سورة الإسراء: ٢٤.
(٤) سورة الفرقان: ٦٣. ح ٣٤١٣٠.
(٥) صحيح البخاري: ٧ / ٢٠٨.

عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**﴾ إلى قوله: ﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض**﴾، يعني عبد اللّه بن أُبي بن سلول إلى قوله: ﴿**إنما وليكم اللّه وسوله والذين آمنوا**﴾ يعني عبادة بن الصامت، وأصحاب رسول اللّه ثم قال: ولو كانوا يؤمنون باللّه ورسوله وما أُنزل إليه، ما اتخذوه أولياء، وقال بعض المفسّرين: لما أراد رسول اللّه أن يقتل يهود بني قينقاع حين نقضوا العهد، وكانوا حلفاً لعبد اللّه بن أبي سلول وسعد بن عبادة بن الصامت، فأما عبد اللّه بن أُبي فعظم ذلك عليه، وقال: ثلاثمائة دارع وأربعمائة منعوني من الأسود والأحمر أفأدعك تجدهم في غداة واحدة، وأما سعد وعبادة فقالا: إنا برآء إلى اللّه وإلى رسوله من حلفهم وعهدهم فأنزل اللّه هذه الآية.

وقال جابر بن عبد اللّه: جاء عبد اللّه بن سلام إلى النبي (عليه السلام) فقال: يا رسول اللّه إن قومنا من قريظة والنضير، قد هجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل وشكى ما يلقى من اليهود من الأذى. فنزلت الآية فقرأها رسول اللّه ﷺ فقال: رضينا باللّه ورسوله وبالمؤمنين أخوة على هذا التأويل أراد بقوله (راكعون) صلاة التطوع بالليل والنهار.

قال ابن عباس، وقال السدي، وعتبة بن حكيم، وثابت بن عبد اللّه: إنما يعني بقوله ﴿**والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة**﴾ الآية. علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مرّ به سائل وهو راكع في المسجد وأعطاه خاتمه.

أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، أبو محمد عبد اللّه بن أحمد الشعراني، أبو علي أحمد بن علي بن زرين، المظفر بن الحسن الأنصاري، السدي بن علي العزاق، يحيى بن عبدالحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عبادة بن الربعي، قال: بينا عبد اللّه بن عباس جالس على شفير زمزم إذ أقبل رجل متعمم بالعمامة فجعل ابن عباس لا يقول، قال رسول اللّه: إلاّ قال الرجل: قال رسول الله؟ فقال ابن عباس: سألتك باللّه من أنت؟ قال: فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جُندب بن جنادة البدري، أبو ذر الغفاري: سمعت رسول اللّه ﷺ بهاتين وإلاّ صمّتا ورأيته بهاتين وإلاّ فعميتا يقول: عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله أما إني صليت مع رسول اللّه يوماً من الأيام صلاة الظهر فدخل سائل في المسجد فلم يعطه أحد فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إني سألت في مسجد رسول اللّه فلم يعطني أحد

شيئاً وكان علي راكعاً فأومى إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي ﷺ فلما فرغ النبيّ ﷺ من الصلاة فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إن أخي موسى سألك، فقال: ﴿**ربِّ إشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري**﴾[1] الآية، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿**سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً**﴾[2] اللهم وأنا محمد نبيّك وصفيّك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أُشدد به ظهري»[3] [٨٥][4].

قال أبو ذر: فواللّه ما استتم رسول اللّه الكلمة حتى أنزل عليه جبرئيل من عند اللّه، فقال: يا محمد إقرأ، فقال: وما أقرأ؟ قال: إقرأ ﴿**إنما وليكّم اللّه ورسوله**﴾، إلى ﴿**راكعون**﴾.

سمعت أبا منصور الجمشادي، سمعت محمد بن عبد اللّه الحافظ، سمعت أبا الحسن علي بن الحسن، سمعت أبا حامد محمد بن هارون الحضرمي، سمعت محمد بن منصور الطوسي، سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول اللّه ﷺ من الفضائل مثل ما جاء لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)[5].

أبو عبد اللّه بن فنجويه، عمر بن الخطاب، إبراهيم بن سهلويه، محمد بن رجاء العباداني. حدّثني عمر بن أبي إبراهيم، حدّثني المبارك بن سعيد وعمار بن محمد عن سفيان عن أبيه عن ابن عباس قال: نزلت في أبي بكر ﴿**إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا**﴾ الآيتان الخبر[6].

عن محمد بن عبد اللّه، أحمد بن محمد بن إسحاق البستي، حامد بن شعيب، شريح بن يونس، هشيم بن عبد الملك قال: سألت أبا جعفر عن قوله ﴿**إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا**﴾ قال: هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض ﴿**ومن يتولى اللّه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللّه**﴾ يعني أنصاري من اللّه.

قال الراجز:

وكـيـف أضـوي[7] وبـلال حـزبـي

---

(١) سورة طه: ٢٥ ـ ٣١. (٢) سورة القصص: ٣٥. (٣) في المصدر: أزري.

(٤) شواهد التنزيل: ١ / ٢٣١، والغدير: ٢/ ٥٢ عن الثعلبي وخرّج مصادره.

(٥) عمدة الطالب لابن عنبة: ٦٠، وتاريخ دمشق: ٤١٨/٤٢ ط. دار الفكر، ومستدرك الصحيحين: ١٠٧/٣ .

(٦) ذكر في ضوء الشمس في نبي الإسلام على خمس إجماع المسلمين على نزول الآية في علي (عليه السلام): ٢/ ٤، وممن ذكر أن الآية نزلت فيه: الطبراني والحاكم والواحدي والزمخشري والطبري وابن عساكر والبلاذري والترمزي والقزويني وابن كثير، راجع: تفسير الكشاف: ١/ ٦٢٤، والتدوين في أخبار قزوين ٣/ ٢١٢ ترجمة عبد الكريم بن هوزان، والمعجم الكبير ٧/ ١٣٠ ح ٦٢٢٨، وأسباب النزول: ١٣٣، وربيع الأبرار ٢/ ١٤٧، وتفسير الطبري: ١/ ٦٢٤، وتاريخ دمشق: ٢/ ٤٠٩ .

(٧) أضوي: أي استضعف وأضام من الشيء.

أي ناصري[١].

﴿**هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً**﴾ الآية.

قال الكلبي: كان منادي رسول اللّه إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا، ركعوا لا ركعوا، سجدوا لا سجدوا، على طريق الإستهزاء والضحك، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

قال السدي: نزلت في رجل من النصارى كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول اللّه، قال: أحرق اللّه الكاذب، فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام فتطاير منها شرارة في البيت فأحرق البيت وأحرق هو وأهله[٢].

وقال الآخرون: إن الكفار لما سمعوا الأذان كذبوا رسول اللّه والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول اللّه ﷺ فقال: يا محمد لقد ابتدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية فإن كنت تدّعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الأذان الأنبياءَ قبلك ولو كان في هذا الأمر خير لكان بادئ ما تركه الناس بعد الأنبياء والرسل قبلك فمن أين لك صياح كصياح البعير فما أقبح من صوت ولا أسمج من كفر، فأنزل اللّه هذه الآية[٣]. ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللّه وعمل صالحاً**﴾.

فأما بعد الأذان. قال أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر، أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، زياد بن أيوب وأبو بكر بن أبي النضير الأسدي، حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج عن نافع عن ابن عمر أبو الحسين قال: أبو العباس السراج، محمد بن سهيل بن عسكر، أبو سعيد الحداد، خالد بن عبد اللّه الواسطي، عن عبد الرحمن بن [يحيى] عن الزهري عن سالم عن أبيه، وحديث عن الحسن بن شقيق، إسماعيل بن عبيد الخزاعي، محمد بن سلمة عن محمد ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن محمد بن عبد اللّه بن زيد الأنصاري عن أبيه قال: كان المسلمون حيث قدموا المدينة يجتمعون فيجيبون الصلاة وليس ينادي بهن فتكلموا في ذلك فاستشار رسول اللّه ﷺ المسلمين فيما يجيبهم الصلاة. فقال بعضهم: يقلب راية فوق رأس المسجد عند الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضاً فلم يعجبه ذلك، وقيل: بل نؤجج ناراً، وقال بعضهم: بل قرن مثل قرن اليهود فكرهه من أجل اليهود وقيل: الناقوس فكرهه من أجل النصارى ولكن عليه قاموا وأمر بالناقوس حتى يجيب.

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٢٢٢.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ١٣٤.

(٣) المصدر السابق.

قال عبد اللّه بن زيد: فرأيت تلك اللية رجلاً في المنام عليه ثوبان أخضران ويحمل ناقوساً فقلت يا عبد اللّه إتبع الناقوس قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به الناس إلى الصلاة، قال: أفلا أدلّك على ما هو خير منه؟ قلت: بلى، قال: قل: اللّه أكبر، اللّه أكبر إلى آخر الأذان ثم إستأخر غير بعيد، وقال: إذا قامت الصلاة فقل: اللّه أكبر، اللّه أكبر فوصف له الإقامة فرادى، فلما استيقظت أتيت النبي ﷺ وأخبرته بذلك فقال: إنها رؤيا حق إنشاء اللّه فاتلها على بلال فإنه أندى منك صوتاً، قال: فخرجنا إلى المسجد فجعلت ألقيها على بلال وهو يؤذن فسمع عمر في بيته فخرج يجر رداءه فقال: رأيت مثل الذي رأى ففرح النبي ﷺ وقال: ذلك أثبت.

وروى أبو الزاهرية عن أبي شجرة عن رسول اللّه ﷺ قال: أوّل من أذّن في السماء فسمعه عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه).

فأما فصل الأذان، فحدثنا أبو الحسن بن محمد بن القاسم الفارسي، عبد اللّه محمد بن إسحاق بن يحيى، أبو جعفر بن عبد اللّه بن الصياح، أبو عمر الدوري، أبو إبراهيم البرجماني عن سعيد بن سعيد عن نهشل أبي عبد اللّه القرشي عن الضّحاك عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ثلاثة لا يكترثون للحساب ولا يفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر: حامل القرآن يؤديه إلى اللّه بما فيه يقدم على ربّه سيّداً شريفاً، ومؤذن أذن سبع سنين يأخذ على أذانه طمعاً وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ومؤدي حقّ مولاه»(١) [٨٦].

أحمد بن محمد بن جعفر، أبو الحسن علي بن محمد القاضي، علي بن عبد العزيز أبي عمرو ابن عثمان حدثهم أبو ثميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من أذّن سبع سنين محتسباً كتب له براءة من النار»(٢) [٨٧].

أبو الحسن الفارسي، أبو العلاء أحمد بن محمد بن كثير، [. . . . .](٣) بن محمد، محمد ابن سلمة الواسطي، حميد بن سلمة الواسطي، حميد الطوسي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من أذن سنة من نية صادقة لا يطلب عليه أجر دعي يوم القيامة ووقف على باب الجنة وقيل له: إشفع لمن شئت»(٤) [٨٨].

أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد التمار، أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن دينار محمد ابن الحجاج بن عيسى، إبراهيم بن رستم، حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابن سلمة عن

---

(١) كنز العمال: ١٥ / ٨٣١، ح ٤٣٣٠٨، بتفاوت يسير.
(٢) كنز العمال: ٧ / ٦٨٣، ح ٢٠٩٠٤، الجامع الصغير: ٢ / ٥٦١، ح ٨٣٧٦.
(٣) كلمة غير مقروءة.
(٤) كنز العمال: ٧ / ٦٨٩، ح ٢٠٩٣٦.

أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من أذّن خمس صلوات إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن أمّ أصحابه خمس صلوات إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدّم من ذنبه»[١] [٨٩].

أبو العباس سهل بن محمد بن سعيد المروزي، الحسن بن محمد بن جشم أبو الموجة، عبدان، عبدالوارث، ومرّة الحنفي، يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن رسول اللّه ﷺ إنه قال: «إذا كان عند الأذان فتحت أبواب السماء فاستجيب الدعاء وإذا كان عند الإقامة لم يردّ دعواه»[٢] [٩٠].

أبو القاسم طاهر بن المعري، أبو محمد عبد اللّه بن أحمد المقري بالبصرة، عبد اللّه ابن أحمد الجصاص، يزيد بن عمر وأبو البر الغنوي، نائل بن نجيح، محمد بن الفضل عن سالم عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «المؤذن المحتسب كالشهيد يتشحّط في دمه حتى يفرغ من أذانه ويشهد له كل رطب ويابس فإذا مات لم يدوّد في قبره»[٣] [٩١].

أبو محمد بن عبد اللّه بن حامد الصفياني، محمد بن جعفر الطبري قال: حماد بن الحسن، صالح ابن سليمان صاحب القراطيس، عتاب بن عبد الحميد السدوسي عن مطر عن الحسن عن أبي الوقّاص أنه قال: سهام المؤذنين عند اللّه يوم القيامة كسهام المهاجرين.

وقال عبد اللّه بن مسعود: لو كنت مؤذناً لما باليت ألاّ أحج ولا أعتمر ولا أجاهد، قال:

وقال عمر بن الخطاب: لو كنت مؤذناً لكمل أمري وما باليت أن لا أنتسب لقيام ليل ولا لصيام نهار. سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «اللهم إغفر للمؤذنين، اللهم إغفر للمؤذنين، اللهم إغفر للمؤذنين».

فقلت: يا رسول اللّه لقد تركنا ونحن خيار على الأذان بالسيوف. قال: «كلاّ يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها اللّه على النار لحوم المؤذنين» [٩٢].

﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون﴾[٤] الآية.

قال ابن عباس: أتى رسول اللّه ﷺ نفر من اليهود، أبو ياسر بن الخطاب ورافع بن أبي رافع وعازار وزيد بن خالد وأزاريل أبي واشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؟ فقال: «أؤمن باللّه وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم ـ إلى قوله ـ مسلمون»[٥] [٩٣]، فلما ذكر عيسى جحدوا

---

(١) الجامع الصغير: ٢ / ٥٦٢، ح ٨٣٧٨. (٢) كنز العمال: ٢ / ١٠٨، ح ٣٣٧٢.
(٣) مجمع الزوائد: ٢ / ٣.
(٤) كنز العمال: ٨ / ٣٣٨، ح ٢٣١٥٨.
(٥) تفسير القرطبي: ٦ / ٢٣٣، وفيه: يؤمن، بدل: أؤمن.

نبوته قالوا: واللّه ما نعلم أهل دين أولى حظاً في الدنيا والآخرة ديناً ولا دنيا شرار دينكم. فأنزل اللّه هذه الآية ثم قال: قل يا محمد ﴿**هل أنبئكم**﴾ أخبركم ﴿**بشرٌ من ذلك**﴾ الذين ذكرت يعني قولهم لم نر أهل دين أولى حظاً في الدنيا والآخرة منكم فذكر الجواب بلفظ الإبتداء وإن لم يكن الإبتداء شراً كقوله تعالى للكفّار ﴿**قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها اللّه الذين كفروا**﴾(١) ﴿**مثوبة عند الله**﴾ ثواباً وجزاءاً وهو نصب على التفسير كقوله أكثر منك مالاً وأعز نفراً وأصلها مثووبة على وزن مفعوله وقد جاءت مصادر على وزن المفعول نحو المفعول والميسور فأسقط عين الفعل استثقالا على الواو ونقلت حركتها إلى فاء الفعل وهي الثاء فصار مثوبة مثل معونة ومغوثة ومقولة ﴿**من لعنه اللّه**﴾ ويجوز أن يكون محل من خفضاً على البدل ومن قوله بشر أو على معنى لمن يلعنه اللّه ويجوز أن يكون رفعاً على إضمار هو.

ويجوز أن يكون نصباً على إيقاع أُنبئكم عليه ﴿**وغضب اللّه عليه وجعل منهم القردة والخنازير**﴾ فالقردة: أصحاب السبت. والخنازير: كفّار أهل مائدة عيسى.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إن المسخين كلاهما من أصحاب نقبائهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير، ﴿**وعبد الطاغوت**﴾ فيه عشر قراءات، وعبد الطاغوت بفتح الباء والعين والتاء على الفعل وهي قراءة العامة، وجعل منهم من عبد الطاغوت، وتصديقها قراءة إبن مسعود ومن عبد والطاغوت. وقرأ ابن وثاب وحمزة. عَبُدِ الطاغوت بفتح العين وضم الباء وكسر الدال آباد العبد وهما لغتان عَبْدْ وعَبُد مثل سبْع وسبُع وقرْد وقرُد.

وأنشد حمزة في ذلك: كيف الصقيل القرد، بضم الراء ووجه آخر وهو إنه أراد الجمع أي خدم الطاغوت. فجمع العبد عباد ثم جمع العباد عبداً جمع الجمع مثل ثمار وثمر منهم استقبل الضمّتين المتواليتين فعرض من الأولى فتحه ولذلك في قراءة الأعمش وعبد الطاغوت بضم العين والتاء وكسر الدال.

قال الشاعر:

إنسب العبد إلى آبائه أسود الجلدة من قوم عبد(٢)

وذكر عن أبي جعفر القاري: إنه قرأ وعبد الطاغوت على الفعل المجهول، وقرأ الحسن: وعبد الطاغوت على الواحد.

قرأ أبو بردة الأسلمي: وعابد الطاغوت [باختلاف](٣) على الواحد.

---

(١) سورة الحج: ٧٢.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٣٦٩.

(٣) هكذا في الأصل.

وقرأ ابن عباس: وعبيد الطاغوت بالجمع، وقرأ أبو واقد الليثي: وعباد الطاغوت مثل كافر وكفار، وقرأ عون العقيلي وأبان بن ثعلب: وعبد الطاغوت مثل ركع وسجد. وقرأا بن عمير: واعبد الطاغوت مثل كلب وأكلب ﴿**أولئك شرٌ مكاناً وأضل عن سواء السبيل**﴾ فلما نزلت هذه الآية تنذّر اليهود وقالوا إخوان القردة والخنازير فسكتوا وأُفحموا، وفيهم يقول الشاعر:

فلعنة اللّه على اليهود إن اليهود إخوة القرود[1]

﴿**وإذا جاؤكم قالوا آمنّا**﴾ الآية، فهؤلاء المنافقون قاله المفسرّون.

وقال ابن زيد: هؤلاء الذين قالوا: ﴿**آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار**﴾ الآية.

وهذا التأويل أليق بظاهر التنزيل لأن هذه الآيات نزلت في اليهود ﴿**وترى كثيراً منهم**﴾ يعني من اليهود ﴿**يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت**﴾ إلى قوله ﴿**لولا ينهاهم الربانيون والأحبار**﴾ يعني العلماء وقيل: الربانيون علماء النصارى، والأحبار علماء اليهود.

وقرأ أبو واقد الليثي، وابن الجراح العقيلي: الربيون كقوله ﴿**معه ربيون كثير**﴾[2].

﴿**عن قولهم الإثم**﴾ وهذه أشد آية على ما أتى النهي عن المنكر حيث أنزلهم منزلة من يرتكبه وجمع بينهم في التوبيخ.

الحسن بن أحمد بن محمد، وشعيب بن محمد بن شعيب عن إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد بن عدي، [الأحمسي][3]، البخاري عن عبد الحميد بن جعفر عن أبي إسحاق عن عبد اللّه بن جرير عن أبيه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «ما من رجل يجاور قوماً فيعمل بالمعاصي بين ظهرانيهم فلا يأخذون على يديه إلاّ وأوشك اللّه أن يعمهم منه بعقاب»[4] [٩٤].

أبو عبد اللّه محمد، أحمد بن محمد بن يعقوب، عبد اللّه بن أسامة، أسيل بن زيد الجمال، يحيى بن سلمى بن مهنا عن أبيه عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مثل الفاسق في القوم مثل قوم ركبوا سفينة فاقتسموها فصار لكل إنسان فيها نصيب، فأخذ رجل منهم فأساً فجعل يضرب في موضعه فقال أصحابه: أي شيء تصنع تريد أن تغرق وتغرقنا؟ فقال: هو مكاني فإن أخذوا على يديه نجوا ونجا وإن تركوه غرقوا وغرق»[5] [٩٥].

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٢٣٦.
(٢) سورة آل عمران: ١٤٦.
(٣) هكذا في الأصل.
(٤) المعجم الكبير: ٢ / ٣٣٢.
(٥) المعجم الأوسط: ٨ / ٢٤٠ بتفاوت.

وقال مالك بن دينار: أوصى اللّه إلى الملائكة أن عذّبوا قرية كذا فصاحت الملائكة إلى ربها: يا رب إن فيهم عبدك العابد. فقال: أسمعوني ضجيجه فإن وجهه لم يتغير غضباً لمحارمي وأوحى اللّه إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم. فقال: يا ربّ فهؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وقالت اليهود يد اللّه مغلولة﴾.

قال ابن عباس وعكرمة والضحّاك وقتادة: إن اللّه كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية فلما عصوا اللّه في محمد (عليه السلام) وكذبوا به كفى اللّه عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا: يد اللّه مغلولة لم يريدوا إلى عنقه ولكنهم أرادوا إنها مقبوضة بمعنى منه ممسكة عن الرزق فنسبوه إلى البخل.

وقال أهل المعاني: إنما قال هذه المقالة فنحاص فلم ينهوا الآخرون ورضوا بقوله فأشركهم اللّه فيها وأرادوا باليد العطاء لأن عطاء الناس بذل معروفهم في الغالب بأيديهم واستعمل الناس اليد في وصف الإنسان بالرد والبخل.

قال الشاعر:

يداك يدا مجد فكف مفيد وكف إذا ما ضن بالمال ينفق[1]

ويقال للبخيل: جعد الأنامل، مقبوض الكف، كز الأصابع، مغلول اليدين، قال اللّه **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾** الآية.

قال الشاعر:

كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح[2]

---

(١) جامع البيان: ٦ / ٤٠٤، وفيه: بالزاد، بدلّ: بالمال، وفي لسان العرب: ٩ / ٣٠١. وفيه: صدق، بدل: مجد، وأخرى، بدل: وكف.

(٢) تفسير القرطبي: ٦ / ٢٣٨.

فاستبدلت بعده جعداً أنامله كأنما وجهه يأكل منضوج

وقال الحسن: معناه يد اللّه مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلاّ بما [يقرّبه] قيمة قدر ما عبد آباؤنا العجل. وهو سبعة أيّام.

وقال مجاهد والسدّي: هو أن اليهود قالوا إن اللّه لما نزع ملكنا منا وضع يده على صدره يحمد إلينا ويقول: يا بني إسرائيل، يا بني أحباري لا أبسطها حتى أرد عليكم الملك. والقول الأول أولى بالصواب لقوله **﴿ينفق كيف يشاء﴾** وقيل: هو استفهام تقديره: أيد اللّه مغلولة عنا؟ حيث قتّر المعيشة علينا قال اللّه **﴿غلّت أيديهم﴾** أي مسكت أيديهم عن الخيرات وقبضت عن الانبساط بالعطيات.

وقال يمان بن رئاب: شدد وثقل عليهم الشرائع، بيانه قوله **﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾** وقيل: هو من الغل في النار يوم القيامة كقوله **﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾**(١) **﴿ولعنوا﴾** عذبوا **﴿بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾** إختلفوا في معنى يد اللّه سبحانه، فقال قوم: إن له يداً لا كالأيدي وأشاروا باليد إلى الجارحة ثم قصدوا نفي التشبيه بقوله لا كالأيدي وهذا غير مرضي من القول وفساده لا يخفى.

وقال الآخرون: يده قدرته لقوله **﴿أولي الأيدي والأبصار﴾**(٢).

وقيل: هو ملكه كما يقال لمملوك الرجل، هو ملك يمينه. قال اللّه تعالى **﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾**(٣) أي إنه يملك ذلك، وعلى هذين القولين يكون لفظه مشبه ومعناه واحد لقوله **﴿ولمن خاف مقام ربّه جنتان﴾**(٤) أراد به جنة واحدة. قاله الفرّاء: وأنشدني في بعضهم:

ومنهم يدين قدمين مرتين قطعة بالألم لا بالسمينين

أراد منهما واحداً وسمنة واحدة.

قال وأنشد في آخر:

يمشي مكبداً ولهزمين قد جعل الأرطا جنتين

أراد لهزماً وجنة.

وقيل: أراد بذلك نعمتاه. كما يقال: لفلان عندي يداً نعمة، وعلى هذا القول يكون بعضه

---

(١) سورة غافر: ٧١.

(٢) سورة ص: ٤٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٧.

(٤) سورة الرحمن: ٤٦.

تشبيه ومعناه جمع كقوله ﴿**وإن تعدوا نعمة اللّه لا تحصوها**﴾[١]. والعرب تضع الواحد موضع الجمع كقوله ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيراً**﴾[٢]. ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾[٣] و﴿**إن الإنسان لفي خسر**﴾[٤]ونحوها، ويقول العرب: ما أكثر الدرهم والدينار في أيدي الناس، ويضع التشبيه أيضاً موضع الجمع كقوله ﴿**ألقيا في جهنم**﴾[٥] فأراد الجمع. قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل[٦]

يدل عليه:

وقوفاً بها صحبي على مطيّهم[٧]

يقول بأنه أخذ الجمع. قال محمد بن مقاتل الرازي: أراد نعمتان مبسوطتان نعمته في الدنيا ونعمته في الآخرة، وهذه تأويلات مدخولة لأن اللّه عز وجل ذكر له خلق آدم بيده على طريق التخصيص والتفضيل لآدم على إبليس، ولو كان تأويل اليد ما ذكروا لما كان لهذا التخصيص والتفضيل لآدم معنى لأن إبليس أيضاً مخلوق بقدرة اللّه وفي ملك اللّه ونعمته.

وقال أهل الحق: إنه صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه، قال الحسن: إن اللّه سبحانه يداه لا توصف، دليل هذا التأويل إن اللّه ذكر اليد مرّة بلفظ اليد فقال عز من قائل ﴿**قل إن الفضل بيد اللّه**﴾[٨] ﴿**بيدك الخير**﴾[٩] ﴿**يد اللّه فوق أيديهم**﴾[١٠] ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾[١١].

وقال (عليه السلام): «يمين اللّه ملأن [لا يعيضن][١٢] نفقة فترد به» وقال عز وجل مرّة وقال ﴿**لما خلقت بيدي**﴾[١٣] ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٤.
(٢) سورة الفرقان: ٥٥.
(٣) سورة البلد: ٤.
(٤) سورة العصر: ٢.
(٥) سورة ق: ٢٤.
(٦) لسان العرب: ١٥ / ٢٠٩.
(٧) تفسير القرطبي: ٦ / ١٣٣.
(٨) سورة آل عمران: ٧٣.
(٩) سورة آل عمران: ٢٦.
(١٠) سورة الفتح: ١٠.
(١١) سورة الملك: ١.
(١٢) هكذا في الأصل.
(١٣) سورة ص: ٧٥.

وقال (عز وجل): ﴿**وكلتا يديه يمين**﴾ وجمعه مرّة فقال ﴿**مما عملت إيدينا أنعاماً**﴾[١] قوله ﴿**وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً**﴾ بإنكارهم ومخالفتهم وتركهم الإيمان ﴿**وألقينا بينهم العداوة والبغضاء**﴾ يعني من اليهود والنصارى ﴿**كلما أوقدوا ناراً للحرب**﴾ يعني اليهود والنصارى أفسدوا وخالفوا حكم التوراة فغضب اللّه عز وجل فبعث عليهم بخّت نصّر ثم أفسدوا فبعث اللّه عليهم وطرس الرومي ثم أفسدوا فسلّط اللّه عليهم المجوس ثمّ أفسدوا فسلّط اللّه عليهم المسلمين وكانوا كلما استقام أمرهم شتتهم اللّه تعالى وكلما جمعوا أمرهم على حرب رسول اللّه وأوقدوا ناراً للحرب ﴿**أطفأها اللّه**﴾ وقهرهم ونصر نبيه ودينه ﴿**ويسعون في الأرض فساداً**﴾ الآية ﴿**ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا وأتقوا لكفّرنا عنهم**﴾ الآية ﴿**ولو أنّهم أقاموا التوراة والإنجيل**﴾ يعني أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما ﴿**وما أنزل إليهم من ربهم**﴾ أي القرآن. وقيل: كُتب بني إسرائيل ﴿**لأكلوا من فوقهم**﴾ يعني المطر ﴿**ومن تحت أرجلهم**﴾ يعني النبات.

وقال الفرّاء: إنما أراد به التوسعة كما يقال: فلان في خير من قرنه إلى قدمه، نظيره ﴿**ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء**﴾[٢] ﴿**منهم أمة مقتصدة**﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب. ابن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون رجلاً من النصارى وهم النجاشي وبحيرا وسلمان الفارسي وخير مولى قريش وأصحابهم.

قال ابن عباس: هم العاملة غير العالية ولا الحافية ﴿**وكثير منهم**﴾ كعب بن الأشرف وأصحابه، وأهل الروم. ﴿**ساء ما يعملون**﴾.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك**﴾.

إختلفوا في تنزيل هذه الآية وتأويلها فروى محمد بن كعب القرضي عن أبي هريرة قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فينزل تحتها ويقيل، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه عليها فأتاه إعرابي وأخذ السيف من الشجرة وأخترطه ثم أتى النبي ﷺ وهو نائم، فقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال: اللّه. فرعدت يد الأعرابي وسقط السيف منه وضرب برأسه الشجرة حتى إنفرد ساعة فأنزل اللّه الآية [٩٦].

---

(١) سورة يس: ٧١.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

وقال أنس: كان النبي ﷺ يحرس، قال: وقالت عائشة: فكنت ذات ليلة إلى جنبه فسهر تلك الليلة، فقلت: يا رسول اللّه ما شأنك؟ فقال: «ليت رجل صالح يحرسني الليلة» قالت: فبينما نحن في ذلك حتى سمعت صوت السلاح. فقال: من هذا؟ قال: سعد وحذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول اللّه ﷺ حتى سمعت غطيطه فنزلت الآية فأخرج رسول اللّه ﷺ رأسه من قبة أديم وقال: «إنصرفوا أيها الناس فقد عصمني اللّه عز وجل»[١] [٩٧].

وروى الحسن مرسلاً إلى النبي ﷺ قال: «لمّا بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعاً وعرفت إن من الناس من يكذبني»[٢] [٩٨] وكان عتابه قريشاً واليهود والنصارى فأنزل اللّه الآية، قلت: ولما نزل قوله ﴿**ولا تسبّوا الذين يدعون من دون اللّه**﴾ سكت النبي (عليه السلام) عن عيب الهتهم فأنزل اللّه تعالى ﴿**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك**﴾[٣] يعني معايب آلهتهم.

وقيل: نزلت فى عيب اليهود وذلك إنه (عليه السلام) دعا اليهود إلى الإسلام وقالوا: أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به ويقولون: تريد أن نتّخذك عياناً كما اتخذت النصارى عياناً عيسى، فلما رأى النبي (عليه السلام) ذلك سكت فحرضه اللّه على دعائهم إلى الإسلام وأمره أن يقول لهم.

﴿**يا أهل الكتاب لستم على شيء**﴾ الآية.

قال الحسين بن الفضل: وهذا أولى الأقاويل لأنه ليس بين قوله بلّغ ما أنزل إليك وبين قوله لستم على شيء فصل.

فلما نزلت الآية قال (عليه السلام): «لا يأتي من عندي ومن نصرني» [٩٩].

وقيل: نزلت في قصة عيينة بن حصين وفقراء أهل الصفة وقيل: بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص ومرّ في قصة. وقيل: بلغ ما أنزل إليك من أمر نسائك. وذلك أن رسول اللّه لما نزلت آية التخيير لم يكن يعرضها عليهن خوفاً من اختيارهن الدنيا فأنزل اللّه، وقيل: بلغ ما أنزل إليك في أمر زينب بنت جحش، وقيل: نزلت في الجهاد، وذلك إن المنافقين كرهوه، قال اللّه ﴿**فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال**﴾[٤] الآية وكرهه أيضاً بعض المؤمنين قال اللّه ﴿**ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم**﴾[٥] الآية، وكان (عليه السلام) يمسك في بعض المسلمين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة القوم فأنزل اللّه الآية.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢ / ٨١ وتفسير القرطبي: ٦ / ٢٤٤ وزاد المسير: ٢ / ٣٠١.

(٢) زاد المسير: ٢ / ٣٠١، تفسير القرطبي: ٦ / ٢٤٣.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) سورة محمّد: ٢٠.

(٥) سورة النساء: ٧٧.

وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناه: بلّغ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب، فلما نزلت الآية أخذ (عليه السلام) بيد علي، فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[١] [١٠٠].

أبو القاسم يعقوب بن أحمد السري، أبو بكر بن محمد بن عبد اللّه بن محمد، أبو مسلم إبراهيم ابن عبد اللّه الكعبي، الحجاج بن منهال، حماد عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء قال: لما نزلنا مع رسول اللّه ﷺ في حجة الوداع كنّا بغدير خم فنادى إن الصلاة جامعة وكسح رسول اللّه عليه الصلاة والسلام تحت شجرتين وأخذ بيد علي، فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: «ألست أولى بكل مؤمن من نفسه»؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال: «هذا مولى من أنا مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه»[٢].

قال: فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

روى أبو محمد عبداللّه بن محمد القايني نا أبو الحسن محمد بن عثمان النصيبي نا: أبو بكر محمد ابن الحسن السبيعي نا علي بن محمد الدّهان، والحسين بن إبراهيم الجصاص قالانا الحسن بن الحكم نا الحسن بن الحسين بن حيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله ﴿**يا أيها الرسول بلغ**﴾ قال: نزلت في علي (رضي الله عنه) أمر النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ (عليه السلام) بيد علي، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[٣] [١٠١].

وبلغ ما أنزل إليك في حقوق المسلمين فلما نزلت الآية خطب رسول اللّه ﷺ أي يوم هذا الحديث في خطبة الوداع، ثم قال: هل بلّغت؟

﴿**وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته**﴾ قرأ ابن محيصن وابن قفال وأبو عمرو والأعمش وشبل: رسالته، على واحدة، وهي قراءة أصحاب عبد اللّه. الباقون جمع.

فإن قيل: فأي فائدة في قوله: ﴿**وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته**﴾ ولا يقال: كل من هذا الطعام وإن لم تأكل فما أكلته.

الجواب فيه ما سمعت فيه أبا القاسم بن جندب سمعت علي بن مهدي الطبري يقول: أمر رسول اللّه ﷺ تبليغ ما أنزل إليك في الوقت والإتيان فيه. حتى تكثر الشركة والعدة وإن لم يفعل على كل ما أوصى اللّه إليه واحكم اللّه أن حرّم بعضها لأنه كمن لم يبلغ لأن تركه إبلاغ البعض محيط لإبلاغ ما بلغ. كقوله: ﴿**إن الذين يكفرون باللّه ورسله ويريدون**﴾[٤] الآية.

---

(١) مسند أحمد: ١ / ٨٤.

(٢) البداية والنهاية: ٥ / ٢٢٩.

(٣) مسند أحمد: ٥ / ٣٧٠.

(٤) سورة النساء: ١٥٠.

فاعلم أن إيمانهم بالبعض إلى بعضهم وأن كفرهم بالبعض يحيط الإيمان بالبعض. وحاشى لرسول اللّه أن يكتم شيئاً مما أوحى اللّه.

قالت العلماء: الدعوة بقراءة الصلاة إذ البعض ركن من أركانها.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن [الأخدش][1] يحكي عن الحسن ابن الفضل أنّه قال: معنى الآية بلغ ما أنزل إليك في الوقت حتى تكثر الشوكة والعدّة، ومن لم يفعل هذا كتب كمن لم يبلغ، وقيل: بلغ مجاهداً محتسباً صابراً غير خائف، وقيل: بلغ ما أنزل إليك من ربك إلى جميع الناس [ولا تخاف].

وهذه من الحدود التي يدل مقام القطع عليه[2].

﴿**والله يعصمك**﴾ يحفظك ويمنعك ﴿**من الناس**﴾ ووجه هذه الآية، وقد شجّ جبينه وكسُرت رباعيته وأوذي في عدة مواطن بضروب من الأذى، فالجواب أن معناها والله يعصمك منهم فلا يصلون إلى مثلك، وقيل: نزلت هذه الآية بعد ما شجّ جبينه وكسرت رباعيته لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

وقيل: معناه والله يعصمك يخصك بالعصمة من بين الناس لأنه كان نبي الوقت والنبي معصوم.

﴿**إن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ عن عبد الله الحسين بن محمد [الديلمي]، محمد ابن إسحاق السبتي، أبو عروة، عمرو بن هشام، محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن أبي عبد الملك عن القاسم عن أبي أُمامة قال: كان رجل من بني هاشم يقال له ركانة وكان من أفتك الناس وأشدهم بأساً وكان مشركاً وكان يرعى غنماً له ويقال له أقسم فخرج نبي الله ﷺ من بيت عائشة ذات يوم متوجهاً قِبَل ذلك الوادي فلقيه ركانة وليس مع نبي الله أحد فقام إليه ركانه وقال: يا محمد أنت الذي تشتم الهتنا اللات والعزى وتدعو إلى إلهك العزيز الحكيم؟ ولو لا رحم بيني وبينك ما كلمتك حتى أقتلك ولكن أدع الهك العزيز الحكيم يخلصك مني اليوم وسأعرض عليك أمراً هل لك أن أصارعك وتدعو إلهك العزيز الحكيم يعينك عليّ وأنا أدعو اللات والعزى فإن أنت صرعتني فلك عشرة من غنمي وتختارها فقال (عليه السلام): قم إن شئت واتخذ العهد ودعا النبي ﷺ إلهه العزيز الحكيم أن يعينه على ركانة، ودعا ركانة إلهه ـ [اللات والعزى] ـ أن أعنّي اليوم على محمد فأخذه النبي (عليه السلام) فصرعه وجلس على صدره.

فقال ركانة: يا محمد قم فلست الذي فعلت هذا بي إنما إلهك العزيز الحكيم وخذله

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) يراجع أحكام القرآن للجصّاص: ٥٦١.

اللات والعزى وما وضع أحد جنبي قبلك، فقال ركانة: عد فإن أنت صرعتني فلك عشرة أخرى ومن خيارها. فقام النبي (عليه السلام) ودعا كل واحد منهما إلهه كما فعلا أول مرّة فصرعه النبي ﷺ وجلس على كبده، فقال له ركانة: فلست أنت الذي فعلت فيّ هذا إنما فعله إلهك العزيز الحكيم وخذله اللات والعزى وما وضع جنبي أحد قبلك، فقال له ركانة: عد فإن أنت صرعتني فلك عشرة أخرى تختارها فأخذ مني اللّه ودعا كل واحد منهما إلهه فصرعه نبي اللّه الثالثة، فقال له ركانة: لست أنت الذي فعلت بي هذا إنما فعله إلهك العزيز الحكيم وخذله اللات والعزى فدونك ثلاثين شاة من غنمي فأخسرها.

فقال له النبي ﷺ: لا أريد ذلك ولكن أدعوك إلى الإسلام وأركانه وأنفس بك أن تصير إلى النار، إنك إن تُسلم تسلم فقال له ركانة: ألا تريني آية، فقال له نبي اللّه (عليه السلام) اللّه شهيد عليك لئن أنا دعوت ربي عز وجل لهذا لتجيبني إلى ما دعوتك إليه؟ قال: نعم، وقريب منهما شجرة ذات فروع وقضبان فأشار نبي اللّه (عليه السلام)، فقال لها: أقبلي بإذن اللّه فانشقت إثنتين وأتت على نصف شقها وقضبانها وفروعها حتى كانت بين يدي النبي ﷺ وبين ركانة فقال له ركانة: أريتني عظيماً، فمرها فلترجع، فقال (عليه السلام) اللّه شهيد عليك لئن أنا دعوت ربي عز وجل فأمرها فرجعت لتجيبني إلى ما دعوتك إليه؟

قال: نعم، فأمرها النبي (عليه السلام) فرجعت بقضبانها وفروعها حتى إلتأمت فلما قال النبي ﷺ: أسلم تسلم، فقال له ركانة: فما لي ألاّ أكون أما أنا فقد رأيت عظيماً، ولكني أكره أن يتحدث فينا أهل المدينة وفتيانهم فيّ إنما أجيبك لرعب دخل قلبي منك، ولكن قد علمت في أهل المدينة وصبيانهم إنه لم يوضع جنبي قط ولم يدخل قلبي رعب ساعة قط ليلاً ولا نهاراً فلك دونك فاختر غنمك، فقال (عليه السلام): ليس في حاجة إلى غنمك إذ أبيت أن تسلم، فانطلق رسول اللّه ﷺ راجعاً فأقبل أبو بكر وعمر يسألانه في بيت عائشة فأخبرتهما إنه قد توجه قِبَل وادي أضم وقد عرفا إنه وادي ركانة لا يخطيه، فخرجا في طلبه وأشفقا أن يلقاه ركانة فيقتله، فجعلا يصعدان على كل شرفة ونظرا فإذا هما كذلك إذ نظر نبي اللّه (عليه السلام) مقبلاً، فقالا: يا نبي اللّه كيف تخرج إلى هذا الوادي وحدك وقد عرفت إنه جهة ركانة وإنه من أفتك الناس وأشدهم تكذيباً لك، فضحك إليهما النبي ﷺ وقال: «اليس اللّه يقول: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ إنه لم يكن يصل إليّ واللّه معي» وأنشأ يحدثهما حديث ركانة والذي فعله به والذي أراه فعجبا من ذلك وقالا: يا رسول اللّه عرفت ركانة فلا والذي بعثك بالحق ما نعلم إنه وضع جنبيه إنسان قط، فقال (عليه السلام): «إني دعوت ربي عز وجل فأعانني عليه، وإن ربي قال خذ عشرة لك وبقوة عشرة» [١٠٢].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)

﴿**قل يا أهل الكتاب لستم على شيء**﴾ من الدين ﴿**حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك**﴾ يا محمد ﴿**من ربك طغياناً وكفراً**﴾ حيث أمرهم بالقرآن مع قيام الدلالة والحجة عليهم ﴿**فلا تأس**﴾ فلا تحزن ﴿**على القوم الكافرين * إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى**﴾ كان حقه والصابئين وإنما رفعه عطفاً على الذين قبل دخول أنّ فلا يحدث معنى كما تقول: زيد قائم، وأن زيداً قائم معناها واحد، وقرأ الحسن إن اللّه وملائكته برفع التاء ﴿**والنصارى من آمن باللّه واليوم الآخر وعمل صالحاً**﴾ الآية.

﴿**لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل**﴾ في التوحيد والنبوّة ﴿**وأرسلنا إليهم رسلا**﴾ إلى قوله ﴿**وحسبوا أن لا تكون فتنة**﴾ وظنوا أن لا يكون ابتلاء واختبار. ورفع نونه بعض قرّاء العراق فمن نصب فعلى ترك المبالاة بلا ومن رفع فعلى معنى لا يكون ﴿**فعموا**﴾، عن الحسن: فلم يبصروه ﴿**وصموا**﴾ عنه فلم يسمعونه وكان ذلك عقوبتهم ﴿**ثم تاب اللّه عليهم ثم عموا وصموا**﴾ بعد ذلك بخذلانهم أياً منهم في قتال ﴿**كثير منهم**﴾ وهم كفار أهل الكتاب ﴿**واللّه بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا إن اللّه هو المسيح ابن مريم**﴾ يعني الملكانية ﴿**وقال المسيح يا بني إسرائيل**﴾ الآية.

﴿**لقد كفر الذين قالوا إن اللّه ثالث ثلاثة**﴾ هي النسطورية وذلك إنهم قالوا أباً وإبناً وروحاً قدسياً ﴿**وما من إله إلاّ إله واحد**﴾ إلى قوله ﴿**ليمسّنّ**﴾ لتصيبن ﴿**الذين كفروا منهم**﴾ خص الكفر

لعلمه أن بعضهم [لهم][1] ﴿عذاب أليم أفلا يتوبون﴾ الآية.

﴿ما المسيح ابن مريم﴾ إلى قوله ﴿وأمّه صديقة﴾ الآية، تصدق، وقال مقاتل: إنما سميت صديقة لأنها لما أتاها جبرئيل، وهي في منجم وقال لها: إنما أنا رسول ربك صدّقته ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ في هذا المعنى هذا عبارة عن الحدث ومن أكل وأحدث لا يستحق أن يكون إلهاً ﴿أنظر﴾ يا محمد ﴿كيف نبين﴾ إلى قوله ﴿أنى يؤفكون﴾ [يرتدون] عن الحق ﴿قل أتعبدون﴾ الآية ﴿قل يا أهل الكتاب﴾ يعني النصارى ﴿لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾ لا تجاوزوا الحق إلى غيره ﴿ولا تتبعوا﴾ الآية.

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾

﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ أي عذبوا بالمسيح فقال ﴿على لسان داود﴾.

يعني أهل أيلة لما اعتدوا في السبت، قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ﴿وعيسى ابن مريم﴾ يعني كفّار أصحاب المائدة لمّا لم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير ﴿ذلك بما عصوا﴾ الآية ﴿كانوا لا يتناهون﴾ أي لا ينهي بعضهم بعضاً ﴿عن منكر فعلوه﴾ الآية.

الحسن بن محمد بن الحسين، موسى بن محمد بن علي بن عبد اللّه، عبد اللّه بن سنان، عبد العزيز بن الخطاب، خالد بن عبد اللّه، العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرّة عن أبي عبيدة عن ابن مسعود، الحسن بن محمد، أحمد بن محمد بن إسحاق، أبو علي الموصلي، وهب بن منبه، خالد عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرّة عن أبي عبيدة عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن من كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي تعذيراً فإذا كان الغد جالسه وواكله وشاربه وكأنه لم يره على خطيئة بالأمس، فلما رأى اللّه ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة والخنازير ولعنه على لسان داود وعيسى ابن مريم، وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».

«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، ولتأخذن على يد المسيء

---

(١) هكذا في الأصل.

ولتأطرنه على الحق إطراً أو ليضربن اللّه بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم»[١] [١٠٣].

﴿ترى كثيراً منهم﴾ أي من اليهود، كعب بن الأشرف وأصحابه **﴿يتولون الذين كفروا﴾** منكر في منكر حين خرجوا إليها يعينون على محمد (عليه السلام) **﴿لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط اللّه﴾** عذاب اللّه **﴿عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون باللّه والنبي﴾** محمد **﴿وما أنزل إليه﴾** من القرآن **﴿وما اتّخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾** يعني من لم يسلم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٤) فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (٨٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾

﴿لتجدّن﴾ يا محمد **﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود﴾** يهود أهل المدينة.

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين، أبو جعفر علي بن محمد بن أحمد الصفار الهمداني، أبو علي عبد اللّه بن علي بن الزبير النخعي، إسماعيل بن بهرام الأشجعي، عباد ابن العوّام عن يحيى بن عبد اللّه عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما خلا يهوديان بمسلم إلاّ همّا بقتله»[٢] [١٠٤].

﴿والذين أشركوا﴾ مشركي العرب **﴿ولتجدّن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾** لم يرد به جميع النصارى مع ما فيهم من عداوة المسلمين وتخريب بلادهم وهدم

---

(١) كنز العمال: ٣/ ٧٧، ح ٥٥٧٣.

(٢) كشف الخفاء: ٢/ ١٨٧، ح ٢٢١٠.

مساجدهم وقتلهم وأسرهم وإحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم وإنما نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه.

قال المفسرون: أئتمرت قريش بأن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على محمد فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فأفتن ما أفتن وعصم اللّه منهم من شاء ومنع اللّه رسوله بعمّه أبي طالب فلما رأى رسول اللّه ﷺ ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال: «إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد»(١) [١٠٥].

فاخرجوا إليه حتى يجعل اللّه للمسلمين فرجاً وأراد به النجاشي وإسمه أصحمة وهو الحبشة عطية فإنما النجاشي إسم الملك كقوله قيصر وكسرى فخرج إليها سراً عشرون رجلاً وأربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول اللّه ﷺ والزبير بن العوام وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مضعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن البيضاء فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول اللّه ﷺ وهذه الهجرة الأولى، ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين إثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجّهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا إلى النجاشي وإلى بطارقته ليردهم إليه فيعصمهم اللّه وقد ذكرت هذه القصة في سورة آل عمران، فلما انصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول اللّه ﷺ هجرته إلى المدينة وذلك في سنة ستة من الهجرة كتب رسول اللّه (عليه السلام) إلى النجاشي على يدي عمرو بن أمية الضمري يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت هاجرت مع زوجها فمات زوجها وبعث إليه من عنده من المسلمين.

فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة جارية لها يقال لها أبرهة فزوجها حطيئة رسول اللّه ﷺ إياها وأعطتها أوضاحاً لها سروراً بذلك وأمر بها أن يوكل من زوجها فوكلت خالد بن الوليد بن العاص حتى أنكحها على صداق أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول اللّه النجاشي فدعا النجاشي بأربعمائة دينار وأخذها إلى أم حبيبة على يدي أبرهة فلما جاءتها بها أعطتها منها خمسين ديناراً فقالت أبرهة: قد أمرني الملك أن لا آخذ منك شيئاً فإن أرد الذي أخذت منك وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمداً رسول اللّه ﷺ وآمنت به وحاجتي إليك أن تقرأه منّي السلام قالت: نعم، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر

(١) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٤٠٠.

وكان رسول اللّه ﷺ يراه عليها وعندها فلا ينكره، فقالت: أم حبيب: فخرجنا في سفينتين وبعث النجاشي معنا الملاحين[١] حتى قدمنا الجار ثم ركبنا الظهر إلى المدينة فوجدنا رسول اللّه ﷺ بخيبر فخرج من خرج إليه وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول اللّه ﷺ فدخلت عليه وكان يسألني عن النجاشي وقرأت عليه من أبرهة السلام فرد رسول اللّه ﷺ وقال: «لا أدري أنا بفتح خيبر أشد أم بقدوم جعفر»[٢] [١٠٦] وأنزل اللّه تعالى ﴿**عسى اللّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة**﴾ يعني أبا سفيان مودة بتزويج أم حبيبة [فقيل لأبي سفيان وهو يومئذ مشرك يحارب النبي ﷺ: إنّ محمّداً قد نكح ابنتك قال: ذاك الفحل لا يقرع أنفه][٣].

وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر إلى رسول اللّه ﷺ إبنه أرها بن أصحمة مع ستين رجلاً من الحبشة، وكتب إليه: يا رسول اللّه أشهد أنّك رسول اللّه صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت للّه رب العالمين، وقد بعثت إليك أرها وإن شئت أن آتيك بنفسي فعلت والسلام عليكم يا رسول اللّه.

فركبوا سفينة مع جعفر وأصحابه، حتى إذا كانوا في وسط البحر غرقوا ورأى جعفر وأصحابه رسول اللّه في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف منهم إثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وهم خيرة الحبشة الراهب وأبرهة وإدريس وأشرف وتمام ومريد وأيمن فقرأ عليهم رسول اللّه ﷺ سورة يس إلى آخرها فبكوا. حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: جئتنا بما كان ينزل على عيسى (عليه السلام) فأنزل اللّه تعالى فيهم ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة**﴾ إلى قوله ﴿**النصارى**﴾ يعني وفد النجاشي الذين غرقوا مع جعفر بن أبي طالب وهم السبعون وكانوا أصحاب الصوامع.

وقال مقاتل والكلبي: كانوا أربعين رجلاً إثنان وثلاثون في الحبشة وثمانية من أهل الشام.

عطاء: كانوا ثمانين رجلاً أربعون رجلا من أهل نجران من بني الحرث بن كعب وإثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميّون من أهل الشام.

وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من أهل الحق وكانوا لعيسى يؤمنون به وينتهون إليه فلما بعث اللّه محمداً صدّقوه وآمنوا به فأثنى اللّه عليهم ذلك ﴿**بأن منهم قسيسين**﴾، أي علماء.

قال قطرب: القس والقسيس العالم بلغة الروم.

وقال ورقة:

---

(١) في المصدر: النواتي.

(٢) تاريخ الطبري: ٢ / ٢٩٦.

(٣) تاريخ دمشق: ٢٣ / ٤٤٦.

بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان أكره أن يعوجا[(١)]

وقال عروة بن الزبير حرّفت النصارى الإنجيل فأدخلوا فيه ما ليس منه وكان الذي غيّر ذلك أربعة نفر لوقاس ومرقوس ويحنس ومتيوس، وبقي قيس على الحق وعلى الإستقامة والإقتصاد فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس[(٢)].

عبد الله بن يوسف بن أحمد، محمد بن حامد بن محمد التميمي الحسن بن الهيثم السمري، عبد الله بن محمد، يحيى بن الحمامي، نصير عن زياد الطائي عن الصلت الدهان عن [حامية][(٣)] بن رئاب عن سلمان قال: قرأت على رسول الله ﷺ ذلك بإن منهم قسيسين ورهباناً فاقرأ في ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً والرهبان العبّاد وهم أصحاب الصوامع وأخذهم راهب مثل فارس وفرسان، وراكب وركبان، وقد يكون واحداً وجمعه رهابين، مثل قربان وقرابين، وجردان وجرادين، وأنشد في الواحد:

لو كلمت رهبان دير في القلل ... لانحدر الرهبان يسعى فنزل[(٤)]

وأنشد في الجمع:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا ... العصم من شعف العقول الغادر[(٥)]

وهو من قول القائل: رهب الله أي خافه، يرهبه رهبة ورهباً ورهباناً ﴿**وأنهم لا يستكبرون**﴾ لا يتكبرون عن الإيمان والإذعان للحق ﴿**وإذا سمعوا ما أُنزِل إلى الرّسُول**﴾ محمد ﷺ ﴿**ترى أعيُنَهم تفيضُ من الدّمع مما عرفوا من الحقِ**﴾.

أبو عثمان بن أبي بكر الزعفراني، شيخي، أبو جعفر بن أبي خالد عبدالرحمن بن عمر ابن يزيد، ابن أبي عدي، سعيد عن عمرو بن مرّة قال: قدم على أبي بكر الصديق وفد من اليمن. فقالوا: إقرأ علينا القرآن، فقرأ عليهم القرآن فجعلوا يبكون فقال أبو بكر: كذا كنا حتى قست القلوب، وكان أبو بكر لا يملك دمعة حين يقرأ القرآن ﴿**يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ يعني أمة محمد (عليه السلام) دليله قوله ﴿**لتكونوا شهداءِ على الناس**﴾ ﴿**وما لنا لا نؤمن بالله**﴾ إلى قوله ﴿**الصالحين**﴾ أي في أمة محمد (عليه السلام) دليله قوله ﴿**يرثها عبادي الصالحون**﴾ ﴿**فأثابهم الله**﴾ جازاهم الله ﴿**بما قالوا**﴾ إلى قوله ﴿**خالدين فيها أبداً**﴾ على قولهم بالإخلاص بدليل قوله ﴿**وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا...**﴾ الآية.

---

(١) البداية والنهاية: ٢ / ٣٦٢ وذكر بقية الأبيات.
(٢) تفسير القرطبي: ٦ / ٢٥٧.
(٣) كذا في تفسير القرطبي، وفي تفسير ابن كثير: جاثمة بن رئاب.
(٤) لسان العرب: ١ / ٤٣٧.
(٥) لسان العرب: ١ / ٤٣٧.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرمّوا﴾ الآية.

قال المفسرون: جلس رسول اللّه ﷺ يوماً فذكّر الناس يوم القيامة ولم يزدهم على التخويف فرقّ الناس وبكوا فاجتمع عشرة من أصحابه في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم: أبو بكر وعلي، وإبن مسعود، وعبد اللّه بن عمر وأبو ذر الغفاري، وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، ومعقل بن مقرن، واتفقوا على أن يصوموا النهار ويصوموا الليل ولا يناموا على فرشهم، ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا يقربوا النساء والطيب، ويلبسوا المسموح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض فيذهبوا ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول اللّه ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون، فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكم بنت أبي أمية: أين الحولاء وكانت عطارة: أحقّ ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب رسول اللّه وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يا رسول اللّه إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول اللّه ﷺ فلما دخل عثمان أخبرته بذلك، فأتى رسول اللّه هو وأصحابه.

فقال لهم: «ألم أنبأ إنكم إتفقتم على كذا وكذا»، قالوا: بلى يا رسول اللّه وما أردنا إلاّ الخير، فقال (عليه السلام): إني لم أؤمر بذلك ثم قال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً صوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني».

ثم جمع الناس وخاطبهم ثم قال: «ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما أني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء واتخاد الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد إعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقيم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شدّدوا على أنفسهم فشدّد اللّه عليهم باطلاً بإقدامهم في الديرات والصوامع فأنزل اللّه تعالى هذه الآية»[1] [١٠٧].

وروى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: ضاف عبد اللّه بن رواحة ضيفاً فانقلب ابن رواحة ولم يتعشّ فقال لزوجته: ما عشيتيه ؟ فقالت: كان الطعام قليلاً فانتظرتك، فقال: جستِ ضيفي من أجلي؟ طعامك عليّ حرام فقالت: وهو عليّ حرام إن لم تأكله. وقال الضيف: وهو حرام إن ذقته إن لم تأكلوه، فلما رأى ذلك ابن رواحة، قال: قرّبي طعامك كلوا بسم اللّه وجاء إلى رسول اللّه ﷺ وأخبره بذلك، فقال (عليه السلام): أحسنت ونزلت هذه الآية.

روى عكرمة عن ابن عباس: إن رجلاً أتى رسول اللّه ﷺ ، فقال: يا رسول اللّه إني

---

(١) أسباب نزول الآيات: ١٣٧ بتفاوت يسير وتفسير مجمع البيان: ٣ / ٤٠٤ بتفاوت يسير.

صمت من اللحم فأشريت، وأخذتني شهوة فحرمت اللحم، فأنزل اللّه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ اللّه لكم**﴾ يعني اللذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب، وما أحل اللّه لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة ﴿**ولا تعتدوا**﴾ ولا تجاوزوا الحلال إلى الحرام.

وقيل: هو جبّ المذاكير وقطع آلة التناسل ﴿**وكلوا مما رزقكم اللّه حلالاً طيباً**﴾ قال عبد اللّه بن المبارك: الحلال ماأخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فأما الجوامد والطين والتراب، وما لا يغذي فمتروك إلاّ على جهة للتداوي ﴿**واتقوا اللّه الذي أنتم به مؤمنون**﴾.

روي عن عائشة وأبي موسى الأشعري أن النبي (عليه السلام) كان يأكل الفالوذج والدجاج وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال: «إن المؤمن حلو يحب الحلاوة»[١]. وقال: «في بطن المؤمن زاوية لا يملأها إلاّ الحلواء»[٢] [١٠٨].

وروي أن الحسن كان يأكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي فقال: يا فرقد ما تقول في هذا؟ فقال فرقد: لا آكله فلا أحب أكله فأقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال: يا هذا أتحب لباب البر مع سمن البقر؟ هل يعيبه مسلم.

وجاء رجل إلى الحسن فقال: إن لي جار لا يأكل الفالوذ، قال: ولم؟ قال: يقول: لا يروي شكره. قال الحسن: ويشرب الماء البارد؟ قال: نعم، قال: جارك جاهل إن نعمة اللّه عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ.

قال ابن عباس: لما نزلت ﴿**لا تحرموا طيبات ما أحل اللّه لكم**﴾ الآيتين، قالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ وكانوا حلفوا على ما عليه اتّفقوا[٣] فأنزل اللّه تعالى ﴿**لا يؤاخذكم اللّه باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة ﴿**عقّدتم**﴾ مشدداً بمعنى وكّدتم، واختار أبو حاتم فقرأها أهل الكوفة بالتخفيف واختاره أبو عبيدة. [والتشديد التكرير مرّة بعد مرّة، . . . . . .] أمن أن يلزم من قرائتك. [الفراء]: أن لا يوجب الكفارة عليه في اليمين الواحدة متى يرددها مراراً وهذا خلاف الإجماع. وقرأ أهل الشام: عاقدتم بالألف، يكون من واحد مثل: جاياك اللّه ونحوها.

وقرأ الأعمش بما ﴿**عقدت الأيمان**﴾ جعل الفعل الإتيان.

ومعنى الآية ما قصدتم وتعمدتم وأردتم ونويتم كقوله ﴿**بما كسبت قلوبكم**﴾.

---

(١) كنز العمال ١ / ١٤٦، والجامع الصغير: ٢ / ٢٥٩ وفيه: قلب المؤمن.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٤٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ٧ / ١٩، وأسباب النزول للواحدي: ١٣٨.

﴿فكفّارته﴾ أي كفّارة ما عقدتم من الأيمان إذا حلفتم ﴿إطعام عشرة مساكين﴾ واختلفوا في قدرها.

فقال الشافعي: مدّ وضوء النبي (عليه السلام) والمدّ رطل وثلث، وكذلك في جميع الكفارات، وهو قول ثابت وابن عباس وابن عمر وابن المسيب والقاسم وسالم وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واحتجوا بها.

أبو بكر الجورقي، أبو العباس بن منصور الفيروز آبادي، أحمد بن حفص حدّثني أبي حدّثني إبراهيم بن طهمان عن منصور بن المعتمر عن الزهري عن حمد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: رجل أتى رسول اللّه ﷺ فقال: إني وقعت على أهلي وذلك في رمضان، فأمره أن يعتق رقبة، قال: ماأجدها، قال: «فصم شهرين متتابعين» قال: ما أطيقه، قال: «فأطعم ستين مسكيناً»، قال: ما أجد، قال: فأتى رسول اللّه ﷺ بكيل فيه خمسة عشر صاعاً من تمر، قال: «خذ هذا فأطعمه»، قال: والذي بعثك بالحق ما بين]لا بتيها أدلّ شيء هو منها[فقال رسول اللّه ﷺ: «خذه في أطعمة أهلك»(١) [.........](٢) وخمسة عشر صاعاً إذا قسم على ستين مسكيناً خص كل مسكين له مد [١٠٩].

وقال أبو حنيفة: إن أطعم من الحنطة نصف صاع وإن أطعم من الشعير والتمر والزيت ونحوها فإنه يعطى صاعاً كاملاً لا يجزي أقل من ذلك، وقول عمر بن الخطاب وإبنه والنخعي والشعبي وإبن جبير ومجاهد والحكم والضحّاك واحتجوا بحديث النبي ﷺ أنه أُتي بوسق صاعاً فأعطى رجلاً وجبت عليه كفّارة، وقال: «أعطه لستين مسكيناً».

وقال علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه ومحمد بن كعب: غداء وعشاء، وعند الشافعي لا يجوز أحد القيم في الزكوات والكفارات، وأجاز أبو حنيفة فاعتبر الشافعي النص. وأبو حنيفة المنفعة والمصلحة، وعند الشافعي لا يجوز أن يعطى أقل من عشرة مساكين وأبو حنيفة إن أعطى مسكيناً في عشرة أيام جاز، وقال الشافعي: لا يجوز أن يعطي الكفارة إلاّ حرّاً مسلماً محتاجاً ولا يجوز أن يعطى العبيد والكفار ولا الأغنياء.

فقال أبو حنيفة: إن أعطى الكفارة أهل الذمة جاز فأما الزكاة فلا يجوز أن يعطى أهل الذمة بلا خلاف، ودليل الشافعي قوله ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾(٣) والكافر من أسفه السفهاء قال اللّه ﴿ألا إنهم هم السفهاء﴾(٤) وحجة أبي حنيفة قوله ﴿ويطعمون الطعام على

---

(١) فتح الباري: ١٠ / ٤٥٧.

(٢) كلام غير مقروء.

(٣) سورة النساء: ٥.

(٤) سورة البقرة: ١٣.

حبه﴾[١] الآية. [والأسير] لا يكون إلاّ من الكافرين ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ أي من خير قوت عيالكم فلو إنه يقتات الحنطة لم يخوله أن يعطى الشعير.

وقرأ الصادق: أهاليكم ﴿وكسوتهم﴾ قرأه العامة: بكسر الكاف، وقرأ السلمي نصبه. وهما لغتان مثل إسوة وأسوة، ورِشوة ورَشوة.

وقرأ ابن جبير أو كاسوتهم يعني كاسوة أهلك في الطعام والأسوة الميل والتمايل أي يطعمون المساكين كما يطعمون أهليكم، واختلف العلماء في الكسوة التي تجري في الكفارات وقال قوم: هي ثوب واحد مما يقع عليه إسم الكسوة أزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو كساء أو عمامة ونحوها. وهو قول ابن عباس والحكم والحسن ومجاهد وعطاء والباقر وإليه ذهب الشافعي. وقال آخرون: ثوب جامع لا تجزي فيها العمامة، وهو مذهب النخعي وأبي حنيفة وقال [مالك كل] ما يجوز فيه الصلاة.

وقال ابن المسيب والضحّاك: لكل مسكين ثوبان، واحتجا بأن أبا موسى الأشعري كان بذمته كفارة فكسا عشرة مساكين لكل واحد ثوبين ظهرانياً ومعقداً من معقد البحرين.

وقال شهر بن حوشب: ثوب ثمنه خمسة دراهم ﴿أو تحرير رقبة﴾.

قال الشافعي: لا يجوز في كفارة واجبة إلاّ رقبة مؤمنة، مثل كفارة القتل واليمين والظهار والجماع في نهار رمضان.

والسدي [والوصيفة] ووافقه أبو حنيفة في كفارة القتل وأجاز في غيرها الرقبة الكافرة، ودليل الشافعي أن اللّه عز وجل قاله في كفارة القتل ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾[٢] فقيّد وأطلق في سائرها والمطلق محمول على المقيّد واحتج أيضاً بما روى: إن رجلاً جاء إلى النبي (عليه السلام) فقال: أوجبت يا رسول اللّه، فقال: إعتق رقبة فجاء برقبة أعجمية إلى النبي (عليه السلام)، فقال لها رسول اللّه: من ربك؟ ففهمها اللّه فأشارت إنه واحد، فقال: من أنا؟ فأشارت إلى السماء أي إنك رسول اللّه، فقال (عليه السلام): «اعتقها فإنها مؤمنة»[٣] وأوجبت لفظة مطلقة [يحتمله].

وروى أبو سلمة عن الشديد أن أمه أوصت أن يعتق عنها رقبة فجاء رسول اللّه ﷺ، وقال: إن أمي أوصت أن يعتق عنها رقبة وعندي جارية نوبية سوداء أفأعتقها؟ قال: أدع بها فجيء بها، فقال: من ربك؟ قالت: اللّه، قال: من أنا، قالت: رسول اللّه، قال: أعتقها فإنها مؤمنة، واتبع أبو حنيفة ظاهر الآية.

---

(١) سورة الإنسان: ٨.
(٢) سورة النساء: ٩٢.
(٣) مسند أحمد: ٢ / ٢٩١، السنن الكبرى للبيهقي: ٧ / ٣٨٨.

ويجوز في الكفارة من الرقاب الصغير والكبير والذكر والأنثى، وأما إذا كان معيوباً فاعلم أن العيب عيبان عيب يمنعه من العمل. فلا يجوز مثل الأعمى، والأشل والمقعد والمجنون المطبق والأخرس. فإن كان عيباً خفيفاً لا يمنعه من العمل فيجوز مثل الأجدع والمقطوع الخنصر ونحوها وهذا كما يقول في الكسوة. فإن كان الثوب لبيساً قد بلي وانقطع منه جل المنفعة لم يجز وإن لبس خفيفاً لم ينقطع منه جل المنفعة. والمكفّر بالخيار، مخير بين هذه الأشياء لأن الله ذكره بلفظ التخيير وهو أو ﴿**فمن لم يجد**﴾ واختلف الفقهاء في صفة من لم يجد متى يجوز له الصيام.

فقال أبو حنيفة: إذا كان عندهم [مائتا] درهم وعشرون مثقالاً أو أقل ما يجب فيه الزكاة لم يجز له الصيام، فإن كان أقل من ذلك فهو غير واجد وجاز له الصوم.

وقال متأخرو الفقهاء: إذا كان له كفاية من المال يتصرف فيها لمعاشه. فإن فضل عن رأس ماله مقدار ما يكفر منه بالإطعام فليس له أن يصوم وإن لم يفضل عن رأس ماله مقدار ما يطعم فله أن يصوم.

وقال الشافعي: إذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالطعام وإن لم يكن عنده هذا القدر فله الصيام(١).

وقال بعضهم: إذا ملك ما يمكنه الإطعام فليس له الصيام وإن لم يفضل له من الكفاية شيء. وهو قول ابن جبير والحسن قالا: إذا كان عنده درهمان وثلاثة فهو واحد وإن لم يجد شيئاً من هذا ﴿**فصيام**﴾ أي فعليه أي فكفارته صيام ﴿**ثلاثة أيام**﴾ واختلفوا في كيفية الصيام.

فللشافعي فيه قولان، أحدهما: إنها متتابعة وإن فرده لم يجز، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري واختيار المزني قياساً على الصوم في كفارة الظهار واعتباراً بقراءة عبد الله وأُبي، فصيام ثلاثة أيام متتابعان وهذا قول ابن عباس وقتادة. والقول الثاني: إنه بالخيار إن شاء تابع وإن يشأ فرق والمتابعة أحسن وأفضل وهو مذهب مالك.

﴿**ذلك**﴾ الذي ذكرت ﴿**كفارة أيمانكم إذا حلفتم**﴾قسمتم كقوله ﴿**فعدة من أيام أخر**﴾(٢) وقوله ﴿**ففدية من صيام**﴾(٣) يعني]فأقصر وأحلق[﴿**واحفظوأيمانكم**﴾ فلا تحلفوا فإذا حلفتم فلا تحزنون ﴿**كذلك يبين الله لكم آيته لعلكم تشكرون**﴾.

---

(١) راجع كتاب الأم: ٢ / ٦٩.

(٢) سورة البقرة: ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) سورة البقرة: ١٩٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر﴾ وقد مرّ تفسيره، فإن جمعه تحريمها وسنذكر أخباراً في الوعيد الوارد في شربها واتخاذها وبيعها وبالله التوفيق.

عن الشيخ أبو عمرو أحمد بن أبي الفراني، الحاكم أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الله المروزي حدثني عبد الله بن يحيى حدثني الحسين بن المبارك حدثني عتبة بن الوليد عن عبد الله ابن حبيب عن الزهري عن ابن المسيب عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يجمع الخمر والإيمان في إمرىء أبداً»[١] [١١٠].

أحمد بن أبي، عمران بن موسى، ومارود بن بطن، عثمان بن أبي شيبة، محمد بن أبي سلمى الأصفهاني عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مدمن الخمر كعابد الوثن» [١١١][٢].

أحمد بن أُبي، محمد بن يعقوب، الربيع بن سليمان، الشافعي مالك عن نافع عن إبن عمر إن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة»[٣] [١١٢].

أحمد بن أُبي، أبو عبد الله بن محمد بن موسى الرازي، الحرث بن أبي أسامة البغدادي، داود ابن المحسن الواسطي، ميسر بن عبد ربه عن أبي عائشة السعدي عن يزيد بن عمر بن عبد

---

(١) بتفاوت في الدر المنثور: ٢ / ٣٢٢.
(٢) سنن ابن ماجة: ٢ / ١١٢٠.
(٣) كنز العمال: ٥ / ٣٤٩، ح ١٣١٧٨.

العزيز عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة وابن عباس جميعاً قالا: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأساود وسم العقارب، من شربها تساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها [تفسخ لحمه](١) ينادي به أهل الجمع ثم يؤمر به إلى النار إلا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمول إليه وكل فيها سواء في إثمها وحاد بها، ولا يقبل الله منه صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا عمرة حتى يتوب فإن مات قبل أن يتوب منها كان حقاً على الله يعاقبه فيه بكل جرعة شربها في الدنيا شربة من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام»(٢) [١١٣].

أحمد بن أُبي، أبو العباس الأصم، أحمد بن إسحاق الصنعاني، أبو نعيم، عبد العزيز بن محمد ابن عبد العزيز عن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من أهل مصر عن ابن عمر أنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إليه وأكل ثمنها»(٣) [١١٤].

أحمد بن أُبي، أبو العباس الأصم، محمد بن إسحاق بن جعفر الصنعاني، نعيم بن ماد، عبد العزيز بن محمد عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر(٤) ولا يموتن أحدكم وعليه دين فإنه ليس هناك دينار ولا درهم وإنما يقتسمون هناك الحسنات والسيئات واحد بيمينه وواحد بشماله»(٥) [١١٥].

أبو بكر أحمد بن محمد القطان، محمد بن الحسين بن محمد الدهقان، عثمان بن سعيد الدارمي، الربيع بن الروح أبو توبة الحلبي، محمد بن الحرمي عن حكم بن عيينة عن محمد بن [المنكدر] عن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر بعد أن حرمها الله على لساني فليس له أن يزوج إذا خطب ولا يصدق إذا حدث ولا يشفع إذا شفع ولا يؤتمن على أمانة فمن أئتمنه على أمانة فاستهلكها فحق على الله عز وجل أن لا يخلف عليه»(٦) [١١٦].

أنشدنا أبو القاسم الحبيبي، أنشدنا أبو العباس عبد الله بن محمد الجبّائي، أنشدنا رضوان ابن أحمد الصيدلاني شعراً:

---

(١) هكذا في المصدر.

(٢) بغية الباحث: ٧٤ بتفاوت يسير.

(٣) كنز العمال: ٥ / ٣٤٨ ح ١٣١٧٧.

(٤) كنز العمال: ٥ / ٣٤٥ ح ١٣١٥٩.

(٥) جامع البيان: ١ / ٣٨١. بتفاوت يسير.

(٦) كنز العمال: ٥ / ٣٦١ ح ١٣٢٣١ بتفاوت يسير.

تركت النبيذ لأهل النبيذ وصرت حليفاً لمـا عابه
شراباً يدنس عرض الفتى ويفتح للشر أبوابه[١]

﴿والميسر والأنصاب﴾ أي الأوثان، سميت بذلك لأنهم كانوا ينصبونها، واحدها: نصب بفتح النون وجزم الصاد، ونصب منهم النون مثقلاً ومخففاً ﴿والأزلام﴾ يعني القداح التي كانوا يقتسمون بها ﴿رجس من عمل الشيطان﴾ تزينه ﴿فاجتنبوه﴾ رد الكناية إلى الرجس ﴿لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع﴾ يلقي ﴿بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ كما فعل الأنصاري الذي [شج] سعد بن أبي وقاص [بلحي] الجمل ﴿ويصدكم عن ذكر اللّه وعن الصلاة﴾ كما فعل بأضياف عبد الرحمن بن عوف ﴿فهل أنتم منتهون﴾ أي إنتهوا لفظه إستفهام ومعناه أمر كقوله ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ ﴿وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ المحارم والملاهي ﴿فإن توليتم﴾. عن ذلك ﴿فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ فإما التوفيق والخذلان، والثواب والعقاب فإلى اللّه سبحانه، فلما نزل تحريم الخمر والميسر، قالت الصحابة: يا رسول اللّه ما تقول في إخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فأنزل اللّه ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ شربوا الخمر نظيره قوله ﴿ومن لم يطعمه فإنه مني﴾ وفيما أكلوا من الميسر ذلك ذكر المنعم لأنه لفظ جامع ﴿إذا ما اتقوا﴾ الشهوات ﴿وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا﴾ الخمر والميسر بعد تحريمهما ﴿ثم اتقوا﴾ حرم اللّه عليهم كله ﴿وأحسنوا واللّه يحب المحسنين﴾.

الحسين بن محمد بن فنجويه، عمر بن الخطاب، محمد بن إسحاق الممسوحي، أبو بكر ابن أبي شيبة، محمد بن بكر عن سعد بن عوف عن محمد بن حاطب قال: ذكر عثمان قال الحسن بن علي: هذا أمير المؤمنين يأتيكم خبركم فجاء علي فقال: إن عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا واللّه يحب المحسنين ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم اللّه بشيء من الصيد﴾ الآية، نزلت عام الحديبية إبتلاهم اللّه بالصيد فكان الوحش يغشى رجالهم كثير وهم محرمون فبينما هم يسيرون بين مكة والمدينة إذ عرض اليهم حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه فقتله فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت حرم فأتى رسول اللّه ﷺ فسأله عن ذلك فأنزل اللّه ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم اللّه﴾ ليختبرنكم اللّه ﴿بشيء من الصيد﴾ وإنما بعض فقال بشيء لأنه إبتلاهم بصيد البرّ خاصة ﴿تناله أيديكم﴾ وهي الفراخ والبيض وما لا يستطيع أن يفر من الصيد الوحش ﴿ورماحكم﴾ وهي الوحش وكبار الصيد ﴿ليعلم اللّه﴾ ليرى اللّه من يخافه بالغيب ولم يره ﴿من يخافه بالغيب﴾ فلا يصطاد في حال الإحرام ﴿فمن أعتدى بعد ذلك﴾ أي صاده بعد تحريمه فاستحلّه ﴿فله عذاب أليم * يا أيها

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٢٩٤.

الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ أي محرمون بالحج والعمرة وهو جمع إحرام يقال رجل حرام وامرأة حرام **﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾** إختلفوا في صيغة العمد الموجب للجزاء والكفارة في قتل الصيد، قال: حرموا العمد في قتل الصيد مع نسيانه لإحرامه في حال قتله فأما إذا قتله عمداً وهو ذاكراً لإحرامه فلا حكم عليه وأمره إلى اللّه لأنه أعظم من أن يكون له كفارة.

قرأ مجاهد والحسن وقال آخرون: هو العمد من يحرم بقتل الصيد ذاكر الحرمة فيحكم عليه في العمد والخطأ وهو إختيار الشافعي وأكثر الفقهاء.

وقال الزهري: نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ.

وقال ابن عباس: إن قتله متعمداً مختاراً سئل: هل قتلت قبله شيئاً من الصيد؟ فإن قال: نعم لم يحكم عليه وقيل له: إذهب فينتقم اللّه منك. وإن قال: لم أقتل قبله شيئاً حكم عليه فإن عاد وقتل الصيد محرماً بعد ما حكم عليه لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضرباً وجيعاً، وكذلك حكم رسول اللّه (عليه السلام) في وج[1] وهو وادي بالطائف، وعندنا إذا عاد يحكم عليه وعليه الجمهور بذلك.

قوله: **﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾** نوّنها يعقوب وأهل الكوفة ورفعوا المثل على البدل من الجزاء، كأنه فسّر الجزاء فقال: مثل ما قيل من النعم وأضافها الآخرون لاختلاف الإسمين **﴿يحكم به﴾** أي بالجزاء **﴿ذوا عدل منكم﴾** أي فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به حتى يفديه ويهديه إلى الكعبة فإن قتل نعامة فعليه بدنة فإن قتل بقرة أو إبلاً أو حماراً فعليه بقرة وإن قتل بقرة وحشية فعليه عجل إنسي وفي الضبع كبش لأنه صيد وأكله حلال.

وأما السباع فلا شيء فيها وإن قتل ضبياً فعليه شاة، وفي الغزال والأرنب جمل، وفي الضب واليربوع سخلة، وفي الحمام والفواخت والقمري والدبسي[2] وذوات الأطواق وكل ما عبث وهدر شاة، واختلفوا في الجراد وروي عن عمر أنّه قال لكعب وقد قتل جرادتين: ما جعلت على نفسك، قال: درهماً قال: بخ، قال: درهم خير من مائة جرادة.

وروي عن عمر أيضاً في الجرادة تمرة.

قال ابن عباس: قبضة من طعام فإن أصاب فرخاً أو بيضاً أو شيئاً لا يبلغ بهيمة فعليه قيمته طعاماً، وهو قول عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر وإليه ذهب الشافعي، وعليه جمهور أهل العلم، قال النخعي: يقوم الصيد المقتول قيمته من الدراهم فيشتري بثمنه فداء من النعم ويهديه إلى الكعبة.

---

(١) وقيل: وج موضع بالبادية، وقيل: بلد بالطائف وقيل: هي الطائف، وقيل: موضع باليمامة راجع كتاب العين: ٦ / ١٩٨، وتاج العروس: ٢ / ١١٠.

(٢) وهو نوع من الفواخت.

وروى عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال: خرجنا حجاجاً وكنا إذا صلينا الغداة أفسدنا رواحلنا نتماشى ونتحدث، فبينا نحن ذات غداة إذ سنح لنا ضبي]فابتدرناه[فابتدرته ورميته بحجر فأصاب حشاه فركب ردعه فمات فلما قدمنا مكة سألنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان حاجاً وكان جالساً وإلى جنبه عبد الرحمن بن عوف فسألته عن ذلك، فقال عمر لعبد الرحمن: ما ترى؟ فقال: عليه شاة قال: وأنا أرى ذلك. قال: إذهب فأهد شاة فخرجت إلى صاحبي فقلت: إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره، قال: فلم [يفجأنا] إلاّ وعمر معه درّة فعلاني بالدرّة فقال: أتقتل في الحرم وتسفه الحكم، قال اللّه ﴿**يحكم به ذوا عدل منكم**﴾ فأنا عمر وهذا عبد الرحمن(١).

محمد بن عبدوس عن محمد بن الحسن عن علي بن عبد العزيز عن القاسم بن علام عن أبي أمية عن أبي [صوليه] عن عبد الملك بن عمير: أو كفارة طعام مساكين إذا لم يكن واجداً للفدية أو لم يكن للمقتول مثل من النعم فكفارته حينئذ الإطعام. يقوّم الصيد المقتول دراهم ثم يقوّم الدراهم طعاماً فتصدق على مساكين الحرم فإن لم يجد فصيام لكل نصف صاع يوماً عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لكل مدّ وعنده إنه يخير من هذه الأشياء الثلاثة فإنه ذكرها تلفظاً وهو قول مجاهد وعطاء، واختلفوا في تقويم الطعام.

فقال الشافعي وأبو حنيفة وأكثر الفقهاء: يقوّم الصيد قيمة الأرض التي أصابه بها.

وقال الشعبي: يقوّم بسعر الأرض التي يكفر بها. قال جابر: سأل الشعبي عن محرم أصاب صيداً بخراسان. قال: يكفر بمكة بثمن مكة.

واختلفوا في الإطعام أين يُطعم؟.

فقال قوم: يُطعم بمكة فلا يجزي إلاّ بها، وهذا قول عطاء وإليه ذهب الشافعي.

فأما الهدي فلا يجوز إلاّ بمكة بلا خلاف. فأما الصوم فيجوز بأي موضع صام بلا خلاف فلو أكل من لحم صيد فلا جزاء عليه إلاّ في قتله أو جرحه ولو دلّ على صيد كان مسيئاً جزاء عليه كما لو أمر بقتل مسلم لا قصاص عليه وكان مسيئاً.

واعلم أن الصيد الذي لا يجوز قتله في الحرم وفي حال الإحرام هو ما حلّ أكله.

أبو عبد اللّه الحسين بن محمد الدينوري، أبو بكر البستي، أبو عبد الرحمن البستي، قتيبة ابن سعد عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول اللّه ﷺ قال: «خمس ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة والكلب العقور»(٢) [١١٧].

---

(١) بتفاوت وتفصيل في تاريخ دمشق: ٤٩ / ٢٤٢.

(٢) سنن النسائي: ٥ / ١٨٨.

وبه عن عبد الرحمن عمرو بن علي عن يحيى عن شعبة عن قتادة عن ابن المسيّب عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «خمس يقتلهن المحرم: الحية والفأرة والحدأة والغراب الأبقع والكلب العقور»[١] [١١٨].

﴿ليذوق وبال أمره﴾ جزاء معصيته **﴿عفا اللّه عما سلف﴾** في الجاهلية **﴿ومن عاد﴾** في الإسلام **﴿فينتقم اللّه منه﴾** في الآخرة.

وقال ابن عباس: يملأ ظهره سوطاً حتى يموت.

السدي: عاد رجل بعد ما حكم عليه بالتحريم وأحرقه اللّه بالنار.

﴿واللّه عزيز ذو انتقام﴾ ﴿أُحلّ لكم صيد البحر﴾ على المحرم والحلال. وهو على ثلاثة أوجه: الحيتان وأجناسها وكلها حلال، والثاني: الضفادع وأجناسها وكلها حرام. والثاني فيه قولان، أحدهما: حلال، والثاني: حرام، وهو مذهب أبي حنيفة.

وقال بعضهم: كل ماكان مثاله في البر فهو حلال في البحر وما كان مثاله]جزاء ما[في البر فهو حرام في البحر.

فأراد بالبحر جميع المياه لقوله **﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ ﴿وطعامه﴾** قال بعضهم: هو ما مات في الماء فقذفه الماء إلى الساحل ميتاً وهو قول أبي بكر وعمر وإبنه وأبي هريرة وابن عباس، وقال بعضهم: هو المليح منه، وهو قول ابن جبير وعكرمة والنخعي وابن المسيب وقتادة **﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾** يعني المارة.

﴿وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً﴾ لا يجوز للمحرم أكل الصيد إذا صاد هو وصيد له بأمره فأما إذا صاده حلال بغير أمره ولا له فيجوز له بلا خلاف.

فأما إذا قتله المحرم فهل يجوز أكله أم لا؟.

قال الشافعي: يجوز لأنه ذكاة مسلم، وعند أبي حنيفة لا يجوز فأحلّه محل ذكاة المجوس، ودليل الشافعي، أبو عبد اللّه [الفنجوي]، أبو بكر السني، النامي، محمود بن عبد اللّه، أبو داود، سعيد عن عثمان بن عبد اللّه موهب سمعت عبدالله بن أبي قتادة حدث عن أبيه إنهم كانوا في مسير لهم في بعضهم ليس بمحرم، قال: فرأيت حماراً وحشياً، فركبت فرسي وأخذت الرمح واستعنتهم فأبوا أن يعينوني فاختلست سوطاً من بعضهم فشددت على الحمار وأخذته فأكلوا منه فأشفقوا فسئل عن ذلك النبي (عليه السلام) فقال: هل محرم عنيتم؟ قالوا: لا، قال: فكلوا.

---

(١) سنن النسائي: ٥ / ١٨٨.

وبإسناده عن النسائي قال: [حدّثنا]، قتيبة بن سعيد عن يعقوب وهو ابن عبد الرحمن بن عمرو عن المطلب عن جابر سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إن صيد البر حلال لكم ما لم تصيدوه أو صيد لكم»(١) [١١٩].

﴿واتقوا اللّه الذي إليه تحشرون﴾.

۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿جعل اللّه الكعبة البيت الحرام﴾. الآية.

قال ابن عباس: كانوا يتغادرون ويتقاتلون فأنزل اللّه ﴿جعل اللّه الكعبة﴾.

قال مجاهد: سميت كعبة مربع والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة.

وقال مقاتل: سميت كعبة لانفرادها من البنيان.

قال أهل اللغة: أصلها من الخروج والإرتفاع وسمّي الكعب كعباً لخروجه من جانبي القدم، ومنه قيل للجارية إذا قاربت البلوغ وخرجت ثدياها: قد تكعبت، فسميت الكعبة كعبة لارتفاعها من الأرض، وثباتها على الموضع الرفيع، وسميت البيت الحرام لأن اللّه حرّمه وعظم حرمته.

وفي الحديث: «مكتوب في أسفل المقام: إني أنا اللّه ذو بكة حرمتها يوم خلقت السماوات والأرض. ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتهما بسبعة أملاك حفاً من جاءني زائراً لهذا البيت عارفاً بحقه مذعناً لي بالربوبية حرّمت جسده على النار».

﴿قياماً للناس﴾ أي قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم وصلاحاً لمعاشهم ومعادهم لما

---

(١) كنز العمال: ٥ / ٣٧ ح ١١٩٤٨.

يحصل لهم من الحج والعمرة والزيارة والتجارة وما يجبى إليه من الثمرات ويظهر فيه من أنواع البركات.

فقال إبن جبير: من أتى هذا البيت يريد شيئاً للدنيا والآخرة أصابه ﴿**والشهر الحرام**﴾ أراد به الأشهر الحرم يأمن فيها الناس ﴿**والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن اللّه يعلم**﴾ الآية.

إعتُرض على هذه الآية وقيل: كيف يليق أول الآية بآخرها؟ فالجواب أن مجاز الآية إن اللّه يعلم صلاح الناس كما يعلم ﴿**ما في السماوات وما في الأرض**﴾ الآية ﴿**إعلموا أن اللّه شديد العقاب**﴾ الآيتين ﴿**قل لا يستوي الخبيث والطيب**﴾ يعني الحلال والحرام.

﴿**ولو أعجبك كثرة الخبيث**﴾ نزلت في شرح بن صبيعة وحجاج بكر بن وائل ﴿**فاتقوا اللّه**﴾ ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين.

وقد مضت القصة في أول السورة ﴿**يا أولي الألباب**﴾ الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء**﴾ الآية،إختلفوا في نزولها، فروى الزهري وقتادة عن أنس وأبو صالح عن أبي هريرة قالا: سأل الناس رسول اللّه ﷺ حتى ألحّوا بالمسألة فقام مغضباً خطيباً وقال: سلوني فواللّه لا تسألوني عن شيء في مقامي هذا لآتيته لكم، فأشفق أصحاب رسول اللّه ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد مضى، قال أنس: فجعلت لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلاّ وجدت رجلاً لافاً رأسه في ثوبه يبكي، فقام إليه رجل من قريش من بني تميم يقال له عبد اللّه بن حذافة: وكان يطعن في نسبه وكان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي اللّه من أبي؟ قال: أبو حذافة بن قيس».

قال الزهري: فقالت أم عبد اللّه بن حذافة: ما رأيت ولداً بأعق منك قط أكنت تأمن أن تكون أمك قد فارقت ما قارف أهل الجاهلية فتفضحها على رؤس الناس.

فقال: واللّه لو ألحقني بعبد أسود للحقته، فقام إليه رجل آخر فقال: يا رسول اللّه أين أنا؟ قال: في النار.

فقام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقبل رجل رسول اللّه وقال: رضينا باللّه ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، إنا يا رسول اللّه حديثو عهد بالجاهلية والشرك فاعف عنا عفى اللّه عنك فسكن غضبه وقال: «أما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار أنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر»[(١)].

وقال ابن عباس: كانوا قوم يسألون رسول اللّه (عليه السلام) إمتحاناً بأمره، واستهزاءً به، فيقول له بعضهم من أبي؟ ويقول الآخر: أين أنا؟ ويقول الآخر إذا خلت ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

---

(١) تفسير عبد الرزاق: ١ / ١٩٦، تفسير الطبري: ٧ / ١٠٩.

وقال علي وأبو أمامة الباهلي: خطب بنا رسول اللّه ﷺ وقال: «إن اللّه كتب عليكم الحج». فقام رجل من بني أسد يقال له عكاشة بن محسن فقال: أفي كل عام يا رسول اللّه؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال (عليه السلام): «ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم، واللّه لو قلت نعم لوجبت، ولو أوجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني كما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»(١) [١٢٠].

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية حين قالوا لرسول اللّه عن البحيرة والسائبة ألا ترى يقول بعد ذلك ما جعل اللّه من بحيرة ولا سائبة الآية **﴿وإن تسألوا عنها حين ينزّل القرآن تبد لكم﴾** تسؤكم لأن القرآن إنما ينزل بإلزام فرض فيشق عليكم أو شيء كان حلالاً لكم **﴿عفا اللّه عنها واللّه غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم﴾** كما سألت ثمود صالحاً الناقة، وقوم عيسى المائدة **﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾** فأهلكوا.

روى مكحول الشامي عن أبي ثعلبة الخشني قال: إن اللّه فرض فرائض فلا تسبقوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها.

﴿ما جعل اللّه﴾ ما أنزل اللّه ولا من اللّه ولا أمر به نظيره قوله **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾**(٢) أي أنزلناه، **﴿من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾**.

وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي صالح السمّان عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ لأكتم بن الجون: يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبة في النار، فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا بك منه، وذلك إنه أول من غيّر دين إسماعيل ونصب الأوثان، ونحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، ولقد رأيت في النار يؤذي أهل النار ريح قصبه» [١٢١] فقال أكثم: تخشَ أن يضرني شبهه يا رسول اللّه، قال: «لا أنت مؤمن وهو كافر»(٣).

قال: وذلك أن الناقة إذا تابعت ثنتي عشرة إناثاً سيبت فلم يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلاّ ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم يخلى سبيلها مع إنها في الإبل يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلاّ ضيف كما فعل بأُمها وهي البحيرة بنت السائبة.

وقال ابن عباس: على إنهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس،

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٤٢٨.

(٢) سورة الزخرف: ٣.

(٣) تفسير الطبري: ٧ / ١١٧، وتفسير ابن كثير ٢ / ١١١.

فإن كان ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء جميعاً وإن كانت أنثى شقوا أُذنها فتلك البحيرة ولا يجز لها وبر، ولا يذكر عليها إسم اللّه إن ذُكيّت ولا يحمل عليها وحرّمت على النساء لا يذقن من ألبانها ولا ينتفعن بها وكانت لبنها ومنافعها خاصة للرجال دون النساء حتى تموت، وإذا ماتت اشترك الرجال والنساء في أكلها.

وقيل: هو إنهم كانوا إذا ولد السقب بحروا أذنها وقالوا: اللهم إن عاش ففتي وإن مات فذكي، فإذا مات أكلوه.

وأما السائبة فكان الرجل يسيب من ماله فيجيء به إلى السدنة فيدفعه إليهم فيطعمون منه أبناء السبيل من ألبانها ولحمانها إلاّ النساء فإنهم كانوا لا يعطونهن منها شيئاً حتى يموت فإذا مات أكلها الرجال والنساة جميعاً(١).

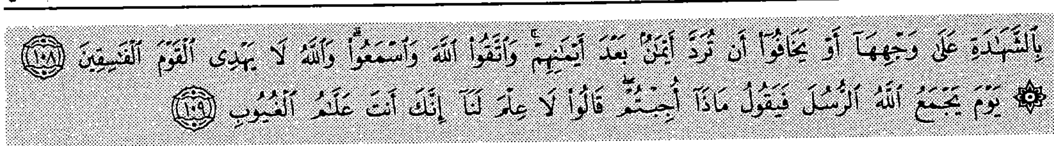
وقال علقمة: هي العبد [يسيب] على أن لا يكون له ولاء ولا عقل، وله ميراث. فقال (عليه السلام): «إنما الولاء لمن أعتق»(٢) [١٢٢]. وإنما أخرجها بلفظ الفاعلة وهي بمعنى المفعولة وهي المسيبة والمخلاة على مذهب قوله [ماء دافق وعيشة] راضية، وأما الوصيلة فهي الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان البطن السابع ذكراً ذبحوه وأهدوه للآلهة، وإن كانت أنثى إستحيوها، فإن كانت ذكراً أو أنثى إستحيوا الذكر من أجل الأنثى.

وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوه، وأما الحامي فهو الفحل إذا ركب ولد فيلده قبل حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا رعي إلا أن يموت فيأكله الرجال والنساء قال اللّه ﴿**ولكن الذين يفترون**﴾ يختلقون ﴿**على اللّه الكذب**﴾ في قولهم: واللّه أمرنا بها ﴿**وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللّه وإلى الرسول**﴾ في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام ﴿**قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من الذين**﴾ قال اللّه تعالى ﴿**أولو كان آباؤهُم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون**﴾ نظيرها في سورة البقرة ولقمن.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ

(١) راجع كنز العمال: ١٢ / ٨١.

(٢) مجمع الزوائد: ٤ / ٢٤٧.



﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾ الآية، إختلف العلماء في تأويل هذه الآية فأجراها بعضهم على الظاهر.

وقال ضمرة بن ربيعة: تلا الحسن هذه الآية، وقال: الحمد للّه لها والحمد للّه عليها ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلاّ وإلى جانبه منافق يكره عمله.

وقال بعضهم: معناها عليكم أنفسكم فاعملوا بطاعة اللّه ﴿**لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم**﴾ فأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر.

أبو البحتري عن حذيفة في هذه الآية: إذا أمرتم ونهيتم.

وروى إسماعيل بن أبي خالد عن أبي ظبيان عن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على المنبر: إنكم تقرؤن هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾ الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ماهي وإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه عمّهم اللّه بعقاب، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول اللّه ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾ فيقول أحدكم: عليّ نفسي، واللّه لتأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو [ليستعملن] عليكم شراركم فليس منكم هو في العذاب، ثم ليدعنّ اللّه خياركم فلا يستجيب لهم»[1]. يدل عليه حديث أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول اللّه إن لم نأمر بالمعروف ولم ننه عن المنكر حتى لا يبقى من المعروف شيء إلاّ عملنا به ولا من المنكر شيء إلاّ إنتهينا عنه ولا نأمره ولا ننهي أبداً.

فقال (عليه السلام): «فمروا بالمعروف فإن لم [يقبلوا به] كله ما نهوا عن المنكر وإن لم ينتهوا عنه كله». وقيل: معنى الآية: عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم.

قال شقيق بن عقد: قيل لابن عمر: لو جلست في هذه الأيّام فلم تأمر ولم تنه فإن اللّه قال ﴿**عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا إهتديتم**﴾.

فقال ابن عمر: إنها ليست لي ولا لأصحابي، لأن رسول اللّه ﷺ قال: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب»[2] فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم تقبل منهم.

---

(١) كنز العمال: ٣ / ٦٨١ ح ٨٤٤٧ (قريب منه).

(٢) مسند أحمد: ١ / ٢٣٠.

وروى سهل بن الأشهب عن الحسين والربيع عن أبي العالية إن هذه الآية قرأت على ابن مسعود ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾، فقال ابن مسعود: ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فإذا رُدت عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل حين نزل فمنه آي قد مضى تأويلهن ومنه آي وقع تأويلهن على عهد رسول اللّه ومنه آي يقع تأويلهن بعد النبيّ ﷺ يسير ومنه من يقع آي لا ينهض بعد اليوم ومنه آي يقع في آخر الزمن ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وأُلبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامْرُؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية.

قال أبو أميّة السمعاني: سمعت أبا ثعلبة [الخشني] عن هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾.

فقال أبو ثعلبة: سألت عنها رسول اللّه ﷺ فقال: «ائمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت ديناً موثراً وشحاً مطاعاً وهوىً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك وذر عوامهم فإن وراءكم أياماً أيام الصبر فإذا عمل العبد بطاعة اللّه لم يضره من ضل بعده وهلك وأجر العامل يومئذ بمثل الذي أنتم عليه كأجر خمسين عامل» [١٢٣].

قالوا: يا رسول اللّه كأجر خمسين عاملاً منهم؟ قال: «لا بل كأجر خمسين عاملاً منكم»[(١)].

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في أهل الأهواء.

وقال أبو جعفر الرازي: دخل على صفوان بن حرث شاب من أصحاب الأهواء فذكر شيئاً من أمره، فقال صفوان: ألا أدلك على خاصة اللّه التي تخص بها أولياءه، ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾ الآية[(٢)].

وقال الضحّاك: عليكم أنفسكم إذا إختلفت الأهواء ما لم يكن سيف أو سوط.

وقال ابن جبير: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب.

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إن رسول اللّه ﷺ كتب إلى أهل هجر وعليهم المنذر ابن ساوي التميمي يدعوهم إلى الإسلام فإن أبو فليؤدوا الجزية فلما أتاه الكتاب عرضه

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ١٠ / ٩٢.

(٢) تفسير الطبري: ٧ / ١٣٢.

على من عنده من اليهود والعرب والنصارى والمجوس فأقرّوا بالجزية وكرهوا الإسلام، فكتب إليه رسول اللّه ﷺ: «أما العرب فلا تقبل منهم إلاّ الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية»(١) [١٢٤]. فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله عليه السلام أسلمت العرب وأما أهل الكتاب والمجوس أعطوا الجزية، فقال في ذلك: منافقو أهل مكة وقالوا: عجباً من محمد يزعم أن اللّه تعالى بعثه ليقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلاّ اللّه، وقد قبل من مجوس هجر وأهل الكتاب الجزية، هلاّ أكرههم على الإسلام وقد ردّها على إخواننا من العرب؟ فشقّ ذلك على المسلمين مشقة شديدة فأنزل اللّه تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم**﴾ يعني بعد أن بلغ محمد فأحذر، وأنزل بعد ما أسلم العرب ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**﴾.

وقال ابن عباس: نزلت في جميع الكفار وذلك أن الرجل كان إذا أسلم قالوا: سفهت أباك، وضللت، وفعلت فأنزل اللّه ﴿**عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من آبائكم إذا إهتديتم**﴾ وهذه لفظة إغراء، والعرب تغري من الصفات بعليك عليك ولبيك وإليك وعندك ودونك(٢).

ثم قال ﴿**إلى اللّه مرجعكم جميعاً**﴾ الضال والمهتدي ﴿**فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾.

﴿**يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم**﴾ الآية نزلت في ثلاثة نفر خرجوا تجاراً من المدينة إلى الشام، عدي بن فدي، وتميم بن أوس الداري وهما نصرانيان وبديل مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلماً مهاجراً واختلفوا في كنية أبيه.

فقال الكلبي: بديل بن أبي مازنة. وقال قتادة وابن سيرين وعكرمة: هو ابن أبي مارية، ومحمد بن إسحاق بن يسار وابن أبي مريم، فلما قدموا إلى الشام مرض بديل وكتب كتاباً فيه جميع ما معه وطرحها في متاعه ولم يخبر صاحبه بذلك، فلما إشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل ففتشا متاعه فأخذا منه إناء من فضة منقوشاً بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة مموّهة بالذهب فغيباه ثم قضيا حاجتهما وانصرفا وقدما المدينة فدفعا المتاع إلى أهل الميت ففتشوا [فوجدوا] الصحيفة فيها تسمية ما كان معه وما فيها الإناء فجاءوا تميماً وعدياً. فقالوا: هل باع صاحبنا شيئاً من متاعه؟ قالا: لا، قالوا: فهل خسر تجارة؟ قالا: لا، قالوا: فهل طال مرضه فأنفق على نفسه؟ قالا: لا. قالوا: فإنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما معه وإنا فقدنا فيها إناء من فضة مموّهة بالذهب فها ثلاثمائة مثقال فضة. قالا: لا ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم ودفعناه وما لنا إلاّ من حكم،

---

(١) أسباب نزول الآيات: ١٤٢ وزاد المسير: ٢ / ٣٣٠.
(٢) راجع تفسير الطبري: ٧ / ١٣٨.

فرفعوها إلى النبي ﷺ فأنزل اللّه تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان**﴾[١].

قال أهل الكوفة: معناه ليشهد إثنان لفظ الآية خبر ومعناها أمر. قال أهل البصرة: معناه شهادة بينكم شهادة إثنين فألقيت الشهادة وأقيمت الإثنان مقامهما كقوله ﴿**وسئل القرية**﴾ أي أهل القرية ما [بقي] أهل وأقام القرية مقامه فنصبها.

وقال بعضهم: معناه شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت أن يشهد إثنان[٢] ﴿**ذوا عدل**﴾ أمانة وعقل ﴿**منكم**﴾ يا معشر المؤمنين من أهل دينكم وملتكم.

قاله جميع المفسرين إلاّ عكرمة وعبيد فإنهما قالا: معناه من حيّ الموصي.

واختلفوا في صفة الإثنين، فقال قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي.

وقال آخرون: هما الوصيان أراد الله تأكيد الأمر فجعل الوصي إثنين دليل هذا التأويل أنه عقَّبه بقوله: ﴿**تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان**﴾ ولا يلزم الشاهد يمين، ولأن الآية نزلت في الوصيين، وعلى هذا القول تكون الشهادة بمعنى الحضور، كقولك: شهدت فلان أي حضرت، قال اللّه تعالى ﴿**أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت**﴾[٣] الآية، فقال: ﴿**وليشهد عذابهما طائفة من المسلمين**﴾[٤].

﴿**أو آخران من غيركم**﴾ ملّتكم وهو قول إبن المسيب والنخعي وابن جبير ومجاهد وعبيدة ويحيى بن يعمر وأبي محجن قالوا: إذا لم يجد مسلمين فليشهد كافرين.

قال شريح إذا كان الرجل بأرض غربة فلم يجد مسلماً يشهده على وصيته فليشهد يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو عابد وثن وأيّ كافر كان فشهادته جائزة ولا يجوز شهادة الكافرين على المسلمين إلاّ في سفرة ولا يجوز في سفر إلاّ في وصية فإن جاء رجلان مسلمان وشهدا بخلاف شهادتهما أجيزت شهادة المسلمين فأبطلت شهادة الكافرين.

وعن الشعبي: إن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة فأوصى ولم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد، الذي كان في عهد رسول اللّه فأحلفهما وأمضى شهادتهما.

قال آخرون: معناه من غير حيكم وعشيرتكم. وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة قالوا: لا يجوز شهادة كافر في سفر ولا حضر.

---

(١) تاريخ دمشق: ١١ / ٧١.

(٢) سورة البقرة: ١٣٣.

(٣) سورة النور: ٢.

﴿**إن أنتم ضربتم في الأرض**﴾ سرتم وسافرتم في الأرض ﴿**فأصابتكم مصيبة الموت**﴾ فأوصيتم إليهما ودفعتم مالكم إليهما فلم [يأمنان الإرتياب بحق] الورثة فاتهموهما في ذلك فادّعوا عليهما خيانة، فإن الحكم حينئذ أن تحبسونهما، أي تستوقفونهما ﴿**من بعد الصلاة**﴾ وقال ابن عباس: هذا من صلة قوله ﴿**أو آخران من غيركم**﴾ من الكفار فأما إذا كانا مسلمين، فلا يمين عليهما، واختلفوا في هذه الصلاة ما هي.

فقال النخعي والشعبي وابن جبير وقتادة: من بعد صلاة العصر. وقال السدي: من بعد صلاة أهل دينهما وملتهما لأنهما لا يباليان صلاة العصر ﴿**فيقسمان بالله**﴾ فيحلفان ﴿**إن إرتبتم**﴾ شككتم ﴿**لا نشتري به ثمناً**﴾ يقول لا نحلف بالله كاذبين على عرض نأخذ عليه [لو أن يكن يذهب إليه في ويجحده] ﴿**ولو كان ذا قربى**﴾ ولو كان الذي يقسم له به ذا قربى ذا قرابة معنا ﴿**ولا نكتم شهادة الله**﴾ قرأ الشعبي لا نكتم شهادة الله بالتنوين، الله بخفض الهاء على الإتصال أراد الله على القسم[١].

وروي عن أبي جعفر (شهادة الله) بقطع الألف وكسر أولها على معنى ولا نكتم شهادة ثم إبتدأ يميناً فقال: الله أي والله [. . . . .][٢] [يعقب] بتنوين الشهادة، (الله) بالألف واللام وكسر الهاء وجعل الإستفهام حرفاً من حروف القسم، فروي عن بعضهم شهادة منونة، الله بنصب الهاء يعني ولا نكتم شهادة الله أما إن فعلنا ذلك ﴿**إنا إذاً لمن الآثمين**﴾ فلما نزلت الآية على رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعدي وتميم، فاستحلفا عند المنبر بالله الذي لا إله إلاّ هو أنهما لم يخونا شيئاً مما دفع إليهما فحلف على ذلك وخلى رسول الله ﷺ سبيلهما حين حلفا فكتما الإناء ما شاء الله أن يكتما ثمّ ظهر واختلفوا في كيفية ظهور الإناء.

فروى ابن جبير عن ابن عباس إن الإناء وجد بمكة فقالوا: اشتريناه من عدي وتميم.

قال الآخرون: لما طالت المدة اظهر الإناء وبلغ ذلك بني تميم فأتوهما في ذلك. فقالا: إنا كنّا قد اشترينا منهم هذا وقالوا: ألم تزعما بأن صاحبنا لم يبع شيئاً من متاعه؟ قالا: لم يكن عندنا ثمنه فكرهنا أن نقر لكم به [فكتمناكموه] لذلك فرفعوهما لرسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿**فإن عثر**﴾ أي أطلع وظهر وأصل العثر الوقوع والسقوط على الشيء ومنه قوله: عثرت بكذا إذا أصبته وصدمته ووقعت عليه.

قال الأعمش:

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا[٣]

---

(١) راجع تفسير الطبري: ٧ / ١٥١.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) لسان العرب: ٦ / ٣٢.

يعنى بقوله: عثرت أصاب ميم خفها مجر أو غيره، ثمّ يستعمل في كل واقع على شيء كان عنه خفياً كقولهم في أمثالهم: عثرت على الغزل بأخرة فلم تدع بنجد قردة.

﴿على إنهما﴾ يعني الوصيين ﴿إستحقا إثماً﴾ أي استوجبا إثماً بأيمانهما الكاذبة وخيانتهما ﴿فآخران﴾ من أولياء الميت ﴿يقومان مقامهما﴾ يعني مقام الوصيين ﴿من الذين إستحق﴾.

قرأ الحسن وحفص بفتح التاء وهي قراءة علي وأُبي بن كعب أي وجب عليهم الإثم يقال حق واستحق بمعنى وقال: ﴿الأوليان﴾ رجع إلى قوله: فآخران الأوليان ولم يرتفع بالإستحقاق.

وقرأ الباقون: بضم التاء على المجهول يعني الذين استحق فيهم ولأجلهم الإثم وهم ورثة الميت، إستحق الحالفان بسببهم وفيهم الإثم على المعنى في كقوله: ﴿على ملك سليمان﴾.

وقال صخر الغي:

متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث[1]

﴿الأوليان﴾ بالجمع قرأه أكثر أهل الكوفة واختيار يعقوب أي من الذين الأولين.

وقرأ الحسن: الأولون، وقرأ الآخرون الأوليان على لغت الآخرين وإنما جاز ذلك، الأولان معرفة والآخران بكثرة لأنه حين قال من الذين وحدهما ووصفهما صار كالمعرفة في المعنى.

﴿فيقسمان باللّه لشهادتنا﴾ أي واللّه لشهادتنا ﴿أحق من شهادتهما﴾ يعني يميننا أحق من يمينهما. نظيره قوله ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات﴾[2] في قصة اللعان أراد الأيمان، وهذا كقول القائل: أشهد باللّه وله أقسم ﴿وما اعتدينا﴾ في يميننا ﴿إنا إذاً لمن الظالمين﴾ فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن وداعة السهميان حلفا باللّه بعد العصر مرّة فدفع الجام إليهما وإلى أولياء الميت، وكان تميم الداري بعد ما أسلم وبايع النبي ﷺ يقول: صدق اللّه عز قوله أنا أخذت الجام فأتوب إلى اللّه وأستغفره.

وإنما إنتقل اليمين إلى الأوليان، لأن الوصيين صح عليهما الإناء ثم ادعيا أنهما ابتاعاه، وكذلك إذا ادعى الوصي أن الموصي أوصى له بشيء ولم يكن ثم بينة، وكذلك إذا ادعى رجل قبل رجل مالا فأقرّ المدعي عليه بذلك ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي أو وهبها له المدعي، فإن في هذه المسائل واشتباهها يحكم برد اليمين على المدعي.

روى محمد بن إسحاق عن أبي النضير عن باذان مولى أم هاني عن ابن عباس عن تميم

---

(١) تفسير الطبري: ٧ / ١٦٣، ولسان العرب: ٢ / ١٩٥.

(٢) سورة النور: ٦.

الداري، قال: بعنا الجام بألف درهم فقسمناه أنا وعدي فلما أسلمت تأثمت من ذلك بعد ما حلفت كاذباً وأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوثبوا إليه فأتوا به إلى رسول اللّه ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا. فأمر الموالي أن يحلفوا فحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي ورددت أنا الخمسمائة[١] فذلك قوله ﴿**ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها**﴾ أي ذلك أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم إذا خافوا ردّ اليمين وإلزامهم الحق.

﴿**واتقوا اللّه واسمعوا**﴾ الآية. واختلفوا في حكم الآية. فقال بعضهم: هي منسوخة وروى ذلك ابن عباس. وقال الآخرون: هي محكمة وهي الصواب ﴿**يوم**﴾ أي إذكروا واحذروا يوم ﴿**يجمع اللّه الرسل**﴾ وهو يوم القيامة ﴿**فيقول**﴾ لهم ﴿**ماذا أجبتم**﴾ أي ما الذي أجابتكم أمتكم وما الذي ردّ عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى توحيدي وطاعتي ﴿**قالوا**﴾ أي فيقولون ﴿**لا علم لنا**﴾ قال ابن عباس: لا علم لنا إلاّ علم أنت أعلم به منا.

وقال ابن جريح: معنى قوله ﴿**ماذا أجبتم**﴾ أي ما حملوا ويصدقوا بعدكم فيقولوا: لا علم لنا.

الحسن ومجاهد، السدي ممن يقول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يحتسبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أمتهم.

إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ

---

(١) راجع تفسير الطبري: ٧ / ١٥٦.

مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

قوله ﴿**إذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم**﴾ يعني حين قال اللّه يا عيسى بن مريم، محل عيسى نصب لأنه نداء المنصوب إذا جعلته نداء واحداً، فإن شئت جعلته ندائين فيكون عيسى في محل الرفع لأنه نداء مفرد وابن في موضع النصب لأنه نداء مضاف، وتقدير الكلام يا عيسى يابن مريم. نظيره قوله:

يا حكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد ابن الجواد ابن الجود[١]

ذلك في حكم الرفع والنصب، وليس بن المنذر عن النصب ﴿**أذكر نعمتي**﴾ قال الحسن: ذكر النعمة شكرها وأراد بقوله نعمتي نعمي لفظه واحد ومعناه الجمع كقوله تعالى ﴿**وإن تعدوا نعمة اللّه لا تحصوها**﴾[٢] أراد نعم اللّه لأن العدد لا ينفع على الواحد ﴿**عليك**﴾ يا عيسى ﴿**وعلى والدتك**﴾ مريم،ثم ذكر النعم ﴿**إذ أيّدتك**﴾ قويّتك وأعنتك ﴿**بروح القدس**﴾ يعني جبرئيل ﴿**تكّلم الناس في المهد**﴾ صبياً ﴿**وكهلاً**﴾ نبياً ﴿**وإذ علمتك الكتاب**﴾ قال ابن عباس: أرسله اللّه وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه اللّه إليه[٣].

﴿**وإذا علمتك الكتاب**﴾ يعني الخط ﴿**والحكمة**﴾ يعني العلم والقيم ﴿**والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين**﴾ وتجعل وتصوّر وتقدر إلى قوله ﴿**فتبارك اللّه أحسن الخالقين**﴾[٤] أي المصورين من الطين ﴿**كهيئة الطير**﴾ كصورة الطير.

﴿**بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني**﴾ حياً يطير بإذني ﴿**وتبرىء**﴾ تصح وتشفي ﴿**الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى**﴾ من قبورهم أحياء ﴿**بإذني**﴾ فأحيا سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية ﴿**وإذ كففت**﴾ منعت وصرفت ﴿**بني إسرائيل**﴾ يعني اليهود ﴿**عنك**﴾ حين همّوا بقتلك ﴿**إذ جئتهم بالبينات**﴾ يعني الدلالات والمعجزات التي ذكرتها ﴿**فقال الذين كفروا منهم إن هذا**﴾ ما هذا ﴿**إلاّ سحر مبين**﴾ يعني ما جاءتهم من البينات ومن قال ساحر بالألف فإنه راجع إلى عيسى (عليه السلام).

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٣ / ٤٤٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي: ١ / ٣٣٢.

(٤) سورة المؤمنون: ١٤.

محمد بن عبد اللّه بن حمدون، مكي بن عبدان، أبو الأزهر عن أسباط عن مجاهد بن عبد اللّه ابن عمير قال: لما قال اللّه لعيسى ﴿**إذكر نعمتي عليك**﴾ كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئاً لغد ولم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أدركه الليل بات.

﴿**وإذ أوحيت إلى الحواريين**﴾ أي ألهمتهم وقذفت في قلوبهم الوحي. والوحي على أقسام، وحي بمعنى إرسال جبرئيل إلى الرسول، ووحي بمعنى الإلهام كالإيحاء إلى أم موسى والنحل ووحي بمعنى الأحلام في حال اليقظة في المنام.

قال أبو عبيدة: أوحى لها: أي إليها، وقال الشاعر:

ومـن لـهـا الـقـرار فـاسـتـقـرت وشـدهـا بـالـراسـيـات الـثـبـت[١]

يعني أمرت (وإلى) صلة يقال: أوحى ووحى. قال اللّه ﴿**بأن ربك أوحى لها**﴾[٢].

قال العجاج: أوحى لها القرار فاستقرّت.

أي أمرها بالقرار فقرت. والحواريون خواص أصحاب عيسى.

قال الحسن: كانوا قصارين. وقال مجاهد: كانوا صيادين.

وقال السدي: كانوا ملاحين[٣].

وقال قتادة: الحواريون الوزراء.

وقال عكرمة: هم الأصفياء. وكانوا إثني عشر رجلاً، بطرس ويعقوب ويحنس واندرواسى وخيلبس وأبرثلما ومتى، وتوماس، ويعقوب بن حلقيا، وتداوسيس، وفتاتيا، وتودوس[٤]، ﴿**أن آمنوا بي وبرسولي**﴾ عيسى ﴿**قالوا**﴾ حين لقيتهم ورفقتهم ﴿**آمنا واشهد بأننا مسلمون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل**﴾.

قرأ علي وعائشة وابن عباس وابن جبير ومجاهد: هل تستطيع بالتاء، ربك بنصب الباء، وهو اختيار الكسائي وأبي عبيد على معنى هل تستطيع أن تدعو ربّك كقوله ﴿**واسأل القرية**﴾[٥] وقالوا: لأن الحواريين لم يكونوا شاكّين في قدرة اللّه تعالى. وقرأ الباقون بالياء قيل: يستطيع ربك برفع الباء فقالوا: إنهم لم يشكوا في قدرة اللّه تعالى وإنما معناه هل ينزل أم لا كما يقول الرجل لصاحبه: هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنّه يستطيع وإنّما يريد هل يفعل أم لا،

---

(١) لسان العرب: ١٥ / ٣٨٠ وتفسير القرطبي: ٢٠ / ١٤٩.

(٢) سورة الزلزلة: ٥.

(٣) راجع تفسير القرطبي: ٤ / ٩٧.

(٤) تفسير الطبري: ٦ / ٢٠.

(٥) سورة يوسف: ٨٢.

وأجراه بعضهم على الظاهر، فقالوا: غلط قوم وكانوا مشوا، فقال لهم عيسى عند الغلط استعظاماً لقولهم: هل يستطيع ربك ﴿**إتقوا اللّه إن كنتم مؤمنين**﴾ أي أن تشكوا في قدرة اللّه تعالى أو تنسبوه إلى عجز أو نقصان ولستم بمؤمنين والمائدة هي الخوان الذي عليه الطعام وهي فاعلة إذا أعطاه وأطعمه، كقولهم: ماد يميد، وغار يغير، وامتاد إفتعل ومنه قول روبة:

تهدى رؤس المترفين الأنداد إلى أمير المؤمنين الممتاد

أي المستعطي.

قال رؤبة: والمائدة هي المطعمة المعطية الآكلين الطعام وسمي الطعام أيضاً مائدة على الخوان لأنه يؤكل على المائدة كقولهم للمطر سماء، وللشحم ثرى.

وقال أهل الكوفة: سميت مائدة لأنها تميد الآكلون أي تميل ومنه قوله ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**﴾[١].

قال الشاعر:

وأقلقني قتل الكناني بعده وكادت بي الأرض الفضاء تميد[٢]

فقال أهل البصرة: هي فاعلة بمعنى المفعول أي تميد بالآكلين إليها، كقوله عيشة راضية أي مرضية، قال عيسى مجيباً لهم ﴿**اتقوا الله إن كنتم مؤمنين**﴾ فلا تشكوا في قدرته. وقيل: إتقوا اللّه أن تسألوه شيئاً لم يسأله الأمم قبلكم ﴿**قالوا**﴾ إنما سألنا لأنا ﴿**نريد أن نأكل منها**﴾ نستيقن قدرته ﴿**وتطمئن**﴾ تسكن ﴿**قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا**﴾ بإنك رسول اللّه.

﴿**ونكون عليها من الشاهدين**﴾ للّه بالوحدانية والقدرة ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون عليها من الشاهدين لك عند بني اسرائيل، إذا رجعنا إليهم، قال عيسى عند ذلك ﴿**اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون**﴾ حال ردّ إلى الإستقبال أي كائنة وذلك كقوله ﴿**فهب لي من لدنك ولياً يرثني**﴾[٣] يعني يصدقني في قراءة من رفع.

وقرأ عبد اللّه والأعمش: تكن لنا بالجزم على جواب الدعاء.

﴿**عيداً لأولنا وآخرنا**﴾ أي عائداً من علينا وحجة وبرهاناً والعيد إسم لما أعتد به وعاد إليك من كل شيء ومنه قيل: أيام الفطر والأضحى عيد لأنهما يعودان كل سنة.

ويقال: لطيف الخيال عيد.

---

(١) سورة النحل: ١٥.

(٢) تفسير القرطبي: ٦ / ٣٦٧.

(٣) سورة مريم: ٦.

قال الشاعر:

يا عيد مالك من شوق وإيراق ومرّ طيف على الأهوال طراق[1]

فقال آخر:

إعتاد قلبك من جبينك عود شق عناك فأنت عنه تذود

وأنشد الفراء:

فوا كبدي من لاعج الحب والهوى إذا اعتاد قلبي من أميمة عيدها[2]

وأصله عود بالواو ولأنه من عاد يعود إذا رجع فقلبت الواو بالكسرة ما قبلها مثل النيران والميقات والميعاد.

قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا.

وقال سفيان: نصلي فيه.

وقال الخليل بن أحمد: العيد كل يوم مجمع كأنهم عادوا إليه.

وقال ابن الأنصاري: سمي العيد عيداً للعود من الترح إلى الفرح فهو يوم سرور للخلق كلهم ألا ترى أن المسجونين لا يطالبون ولا يعاقبون ولا تصطاد فيه الوحوش والطيور ولا ينفذ الصبيان إلى المكتب[3]، وقيل: سمي عيداً لأن كل إنسان يعود إلى قدر منزلته ألا ترى إختلاف ملابسهم وأحوالهم وأفعالهم فمنهم من يضيف ومنهم من يضاف ومنهم من يظلم ومنهم من يرحم، وقيل: سمي بذلك لأنه يوم شريف فاضل تشبيهاً بالعيد وهو فحل نجيب كريم ومشهور في العرب وينسبون إليه فيقال: إبل عيدية[4]. قال الراعي:

عيد به طويت على زفراتها طي القناطر قد نزلن نزولا[5]

وقوله **﴿لأولنا وآخرنا﴾** يعني قبل زماننا ولمن يجيء بعدنا.

وقرأ زيد بن ثابت: لأولنا وآخرنا على الجميع.

وقال ابن عباس: يعني نأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

---

(١) لسان العرب: ٣ / ٣١٨.

(٢) كتاب العين: ١ / وفيه: نفسي، بدل: قلبي.

(٣) راجع روضة الواعظين للفتال النيشابوري: ٣٥٢.

(٤) راجع تفسير القرطبي: ٦ / ٣٦٨.

(٥) لسان العرب: ٤ / ٣٢٥، وفيه: حوزيّة طويت.

﴿وآية منك﴾ دلالة وحجة **﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين قال اللّه﴾** مجيباً لعيسى **﴿إني منزلها عليكم﴾** يعني المائدة.

وقرأ أهل الشام والمدينة، وقتادة وعاصم: منزلها في التشديد لأنها نزلت وقرأت والتفعل يدل في الكثير مرة بعد مرة لقوله ونزلناه تنزيلاً.

وقرأ الباقون بالتخفيف لقوله: أنزل علينا **﴿فمن يكفر بعد منكم﴾** أي بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير.

وقال عبد اللّه بن عمران: أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون.

وإختلف العلماء في المائدة هل نزلت عليهم أم لا ؟

فقال مجاهد: ما نزلت المائدة وهذا مثل ضربه اللّه.

وقال الحسن: واللّه ما نزلت مائدة إن القوم لما سمعوا الشرط وقيل لهم **﴿فمن يكفر بعد منكم﴾** الآية إستغفروا وقالوا: لا نريدها ولا حاجة فيها فلم ينزل، والصواب إنها نزلت لقوله: **﴿إني منزلها عليكم﴾** ولا يقع في خبره الخلف، وتواترت. الأخبار عن رسول اللّه ﷺ وأصحابه والتابعين وغيرهم من علماء الدين في نزولها، قال كعب: نزلت يوم الأحد، لذلك اتخذه النصارى عيداً.

وإختلفوا في صفتها وكيف نزولها وما عليها.

فروى قتادة عن جلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر عن رسول اللّه ﷺ قال: «نزلت المائدة خبزاً ولحماً وذلك أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه لا ينفد، قال، فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخونوا أو تخبوا أو ترفعوا فإن فعلتم ذلك عذبتكم، قال: فما مضى يومهم حتى خبوا ورفعوا وخانوا».

وقال إسحاق بن عبد اللّه: إن بعضهم سرق منها، وقال لعلها لا تنزل أبداً فرفعت ومسخوا قردة وخنازير.

وقال ابن عباس: إن عيسى بن مريم قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا اللّه ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا: يا عيسى إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً ولأصبحنا من وجعنا، فادع لنا اللّه أن ينزل علينا مائدة من السماء فنزل الملائكة بمائدة يحملونها، عليه سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم وأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

وروى عطاء بن سائب عن باذان وميسرة قالا: كانت إذا وضعت المائدة لبني إسرائيل إختلفت عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلاّ اللحم.

وقال ابن جبير عن ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء إلاّ الخبز واللحم.

قال عطاء: نزل عليها كل شيء إلاّ السمك واللحم.

قال العوفي: نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء.

وقال عمار وقتادة: كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة.

وقال وهب بن منبه: أنزل اللّه أقرصة من شعير وحيتاناً، فقيل لوهب: ما كان ذلك يغني عنهم، قال: لا شيء ولكن اللّه أضعف لهم البركة، فكان لهم يأكلون ثم يخرجون فيجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوها جميعهم وفضل.

وقال الكلبي ومقاتل: إستجاب اللّه لعيسى (عليه السلام) فقال إني منزلها عليكم كما سألتم فمن أكل من ذلك الطعام ثم لا يؤمن جعلته مثلاً، ولعنة لمن بعدهم، قالوا: قد رضينا فدعا شمعون وكان أفضل الحواريين، فقال: هل لكم طعام؟ قال: نعم معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة، فقال: عليّ بها فقطعهن عيسى قطعاً صغاراً، ثم قال: اقعدوا في روضة فترفقوا رفاقاً كل رفقة عشرة، ثم قام عيسى ودعا اللّه فاستجاب اللّه له ونزل فيها البركة فصار خبزاً صحاحاً وسمكاً صحاحاً، ثم قام عيسى فجعل يلقي في كل رفقة ما عملت أصابعه ثم قال: كلوا بسم اللّه فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء اللّه وفضل خمس الذيل، والناس خمسة آلاف ونيف.

وقال الناس جميعاً: نشهد إنك عبده ورسوله ثم سألوا مرة أخرى فدعا عيسى (عليه السلام) فأنزل اللّه خبزاً وسمكاً وخمسة أرغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الأولى فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهدوا وقالوا لهم: ويحكم إنما سحر أعينكم. فمن أراد به الخير بثّته على بصيرته ومن أراد فتنته رجع إلى كفره، فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا إمرأة فمكثوا بذلك أيام ثم هلكوا ولم تبق ولم يأكلوا ولم يشربوا فكذلك كل ممسوخ.

وقال كعب الأحبار: نزلت مائدة منكوسة من السماء تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلاّ اللحم.

وقال قتادة: كانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل.

فقال يمان بن رئاب: كانوا يأكلون منها ما شاؤا.

وروى عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي إنه قال: واللّه ما اتبع عيسى (عليه السلام) شيئاً من المآذي قط ولا انتهر شيئاً ولا قهقه ضحكاً ولا ذبّ ذباباً عن وجهه ولا أخلف على أنفه من أي شيء قط ولا عتب إليه. ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة لبس صوفاً وبكى،

وقال: اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاماً نأكله وأنت خير الرازقين فنزل الله سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها [وهي تجيء مرتفعة] حتى سقطت من أيديهم فبكى عيسى فقال: اللهم إجعلني من الشاكرين، اللهم إجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة.

واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقال عيسى: أيكم أحسنكم عملاً فيكشف عنها ويذكر إسم الله ويأكل منها؟

فقال شمعون ـ رئيس الحواريين ـ: أنت بذلك أولى منا، فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا هو بسمكة مشوية ليس عليها ضلوعها ولا شوك فيها سيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح ويمتد ذنبها خل وجهها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد.

فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسى: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء فعله الله بالقدرة العالية فكلوا مما سألتم مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منكم في الآخرة.

وقال محمد بن كعب: تعلم ما أريد فلا أعلم ما تريد.

وقال عبد العزيز بن يحيى: تعلم سرّي ولا أعلم سرّك لأن السرّ هو موضعه الأنفس.

قال الزجاج: يعلم جميع ما أعلم ولا أعلم ما يعلم من النفس عبارة عن حملة الشيء وحقيقته وذاته ولا أنه ﴿**إنك أنت عّلام الغيوب**﴾ ما كان وما يكون ﴿**ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به أن اعبدوا الله**﴾ وحّدوه وأطيعوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿**وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم**﴾ أقمت فيهم ﴿**فلما توفيتني**﴾ قبضتني إليك.

قال الحسن: الوفاة في كتاب الله على ثلاثة أوجه، وفاة الموت وذلك قوله ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾[1] يعني وجعل نقصان أجلها وفاة النوم، وذلك قوله ﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل**﴾[2] يعني ينيمكم، ووفاة بالرفع كقوله ﴿**إني متوفيك ورافعك**﴾[3].

﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك**﴾ وقرأ الحسن: فإنهم عبيدك وإن يتوبوا فيغفر لهم ﴿**فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾.

---

(١) سورة الزمر: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام: ٦٠.

(٣) سورة آل عمران: ٥٥.

وقال السدي: إن تعذبهم وتميتهم بنصرانيتهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فتخرجهم من النصرانية وتهديهم إلى الإسلام فإنك الرب العزيز الحكيم في الملك والنقمة، الحكيم في قضائك.

قال اللّه **﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾**[1] في الآخرة.

قال قتادة: متكلمان خطها يوم القيامة وهو ما قص اللّه عليكم وعدو اللّه إبليس وهو قوله **﴿وقال الشيطان لما قضي﴾** الأمر فصدهم عن ذلك يومئذ وكان قبل ذلك كاذباً فلم ينفعه صدقه يومئذ، وأما عيسى فكان صادقاً في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه.

وقال عطاء: هذا يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة ليس فيها عمل إنما فيها الثواب والجزاء، ويوم رفع على خبر هذا، ونصبه نافع على الحرف يعني إنما تكون هذه الأشياء في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وقرأ الحسن: هذا يوم بالتنوين، ثم بيّن لهم ثوابها فقال **﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي اللّه عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾** فازوا بالجنة ونجوا مما خافوا، ثم عظّم نفسه عمّا قالت النصارى من بهتان بأن معه إلها فقال **﴿للّه ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾**.

---

(١) سورة المائدة: ١١٩.

سورة الأنعام

مكية كلها غير ست آيات منها نزلت في المدينة ﴿**وما قدروا اللّه حق قدره**﴾[١] إلى آخر ثلاث آيات وقوله ﴿**قل تعالوا أتل عليكم نبأكم**﴾ إلى قوله ﴿**لعلكم تتقون**﴾[٢] فهذه الست مدنيات وباقي السورة كلها نزلت بمكة مجملة واحدة ليلاً ومعها سبعون ألف ملك وقد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد، فقال النبي ﷺ: «سبحان اللّه العظيم» وخر ساجداً ثم دعا الكتّاب فكتبوها من ليلتهم[٣] [١٢٥]. وهي مائة وخمس وستون آية وكلها حجاج على المشركين، كلماتها ثلاثة آلاف وإثنان وخمسون كلمة وحروفها إثنا عشر ألفاً وأربعمائة وعشرون حرفاً.

روى إبن عباس عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الأنعام صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من الأنعام يوماً وليلة»[٤][١٢٦].

مسلم عن أبي صالح عن جابر بن عبد اللّه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله ﴿**ويعلم ما تكسبون**﴾ وكل اللّه به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد، فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له ويوحي في قلبه شيئاً ضربه بها ضربة كان بينه وبينه سبعون حجاباً فإذا وكل يوم القيامة يقول للرب تبارك وتعالى أبشر في ظلي وكُل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السبيل وأنت عبدي فأنا ربك»[٥][١٢٧].

قال سعيد بن جبير: لم ينزل من الوحي شيء إلاّ ومع جبرئيل أربعة من الملائكة يحفظونه

---

(١) سورة الأنعام: ٩١.
(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.
(٣) تفسير مجمع البيان: ٤ / ٥.
(٤) تفسير مجمع البيان: ٤ / ٥.
(٥) تفسير مجمع البيان: ٤ / ٥ وفتح القدير: ٢ / ٩٧. بتفاوت في الأخير.

من بين يديه ومن خلفه وهو قوله تعالى ﴿**ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم**﴾[(١)] إلاّ الأنعام فإنها تنزل ومعها سبعون ألف ملك.

وروى سفيان عن أبي إسحاق عن عبد اللّه بن خليفة قال: قال عمر (رضي الله عنه): الأنعام من نواجب القرآن.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

﴿**الحمد للّه الذي خلق السماوات والأرض**﴾ الآية.

قال مقاتل: قال المشركون للنبي ﷺ من ربك؟ قال: الذي خلق السماوات والأرض فكذبوه فأنزل اللّه عز وجل حامداً نفسه دالاّ بصفته على وجوده وتوحيده. ﴿**الحمد للّه الذي خلق السماوات في يومين**﴾ يوم الأحد ويوم الأثنين ﴿**الأرض في يومين**﴾[(٢)] يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ﴿**وجعل الظلمات والنور**﴾ قال السدي: يعني ظلمة الليل ونور النهار.

وقال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان.

وقال قتادة: يعني الجنة والنار وإنما جمع الظلمات ووحد النور لأن النور يتعدى والظلمة لا تتعدى.

---

(١) سورة الجن: ٢٨.

(٢) سورة فصلت: ٩.

وقال أهل المعاني: جعل هاهنا صلة والعرب تريد جعل في الكلام.

وقال أبو عبيدة: وقد جعلت أرى الإثنين أربعة والواحد إثنين لمّا هدَّني الكبر[١] مجاز الآية: الحمد للّه الذي خلق السماوات والأرض والظلمات والنور، وقيل: معناه خلق السماوات والأرض وقد جعل الظلمات والنور لأنه خلق الظلمة والنور قبل خلق السماوات والأرض.

وقال قتادة: خلق اللّه السماوات قبل الأرض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار.

وقال وهب: أول ما خلق اللّه مكاناً مظلماً ثم خلق جوهرة فصارت ذلك المكان، ثم نظر إلى الجوهرة نظر الهيئة فصارت دماً فارتفع بخارها وزبدها، فخلق من البخار السماوات ومن الزبد الأرضين.

وروى عبد اللّه بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «إن اللّه عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه يومئذ من ذلك النور إهتدى ومن أخطأه ضلّ»[٢] [١٢٨] ﴿**ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾.

قال قطرب: هو مختصر يعني الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون الأوثان أي يشركون وأصله من مساواة الشيء بالشيء يقال: عدلت هذا بهذا إذا ساويته به.

وقال النضر بن شميل: الباء في قوله: ﴿**بربهم**﴾ بمعنى عن، وقوله: ﴿**يعدلون**﴾ من العدول. أي يكون ويعرفون.

وأنشد:

وسائلة بثعلبة بن سير ... وقد علقت بثعلبة العلوق[٣]

وأنشد:

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... متى لجج خضر لهن نئيج[٤]

أي من البحر قال اللّه تعالى: ﴿**عيناً يشرب بها عباد اللّه**﴾ أي منها.

محمد بن المعافى عن أبي صالح عن ابن عباس قال: فتح أول الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿**الحمد للّه الذي خلق السماوات والأرض**﴾ وختم بالحمد، فقال: ﴿**وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد للّه رب العالمين**﴾.

---

(١) راجع تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٨.

(٢) فتح الباري: ١١ / ٤٣٠.

(٣) مراده بقوله: بن سير: بن سيار، والبيت للمفضل البكري انظر الصحاح: ٢ / ٦٩٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩ / ٢٥٨.

حماد عن عبد اللّه بن الحرث عن وهب قال: فتح اللّه التوراة بالحمد فقال: الحمد للّه الذي خلق السماوات والأرض وختمها بالحمد فقال: **﴿وقل الحمد للّه الذي لم يتخذ ولداً﴾** الآية. قوله تعالى: **﴿هو الذي خلقكم من طين﴾**(١) يعني آدم (عليه السلام) فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم إذ كانوا ولده(٢).

وقال السدي: بعث اللّه جبرئيل إلى الأرض ليأتيه بطينة منها فقالت الأرض: إني أعوذ باللّه منك أن تنقص مني فرجع ولم يأخذ، وقال: يا ربّ إنها عاذت بك، فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه باللّه فقال: أنا أعوذ باللّه أن أخالف أمره فأخذ من وجه الأرض وخلط التربة الحمر والسودا والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والمالح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم فقال اللّه عز وجل لملك الموت رَحِمَ جبرئيل وميكائيل الأرض ولم ترحمها لا جرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن اللّه خلق آدم من تراب جعله طيناً ثم تركه حتى كان حمأً مسنوناً خلقه وصوّره ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار [فكان ابليس يمرّ به فيقول](٣) خلقت لأمر عظيم ثم نفخ اللّه فيه روحه»(٤) [١٢٩] **﴿ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمىً عنده﴾**.

قال الحسن وقتادة والضحاك: الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت. والأجل الثاني ما بين أن يموت إلى أن يبعث وهو البرزخ.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: ثم قضى أجلاً يعني أجل الدنيا وأجل مسمىً عنده وهو الآخرة.

عطية عن ابن عباس: ثم قضى أجلاً هو النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة. **﴿أجل مسمى عنده﴾** هو أجل موت الإنسان. ثم قضى أجلاً يعني جعل لأعماركم مدة تنتهون إليها لا تجاوزونها، وأجل مسمى يعني وهو أجل مسمى عنده لا يعلمه غيره، الأجل المسمى هو الأجل الآجل.

﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكون في البعث **﴿وهو اللّه في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾** يعني وهو إله السماوات وإله الأرض.

---

(١) سورة الأنعام: ٢.
(٢) تفسير الطبري: ٧ / ١٩٤.
(٣) أثبتناه من المصادر، وما في المخطوط: (ومرّ به المؤمن فقال).
(٤) مجمع الزوائد: ٨ / ١٩٧ وفتح الباري: ٦ / ٢٥٧.

مقاتل: يعلم سر أعمالكم وجهرها، قال: وسمعنا أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد، محمد بن أحمد البلخي يقول: هو من مقاديم الكلام وتقديره وهو اللّه يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض فلا يخفى عليه شيء ﴿**ويعلم ما تكسبون**﴾ تعملون من الخير والشر ﴿**وما تأتيهم**﴾ يعنى كفار أهل مكّة ﴿**من آية من آيات ربهم**﴾ مثل انشقاق القمر وغيره ﴿**إلاّ كانوا عنها معرضين**﴾ لها تاركين وبها مكذبين ﴿**فقد كذبوا بالحق**﴾ يعني القرآن وقيل: محمد عليه الصلاة والسلام ﴿**لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**﴾ أي أخبار استهزائهم وجزاؤه فهذا وعيد لهم فحاق بهم هذا الوعيد يوم يرونه ﴿**ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن**﴾ يعني الأمم الماضية والقرن الجماعة من الناس وجمعه قرون، وقيل: القرن مدة من الزمان، يقال ثمانون سنة، ويقال: مائة سنة، ويكون معناه على هذا القول من أهل قرن ﴿**مكّناهم في الأرض ما لم نمكن لكم**﴾ يعني أعطيناهم ما لم نعطكم.

قال إبن عباس: أمهلناهم في العمر والأجسام والأولاد مثل قوم نوح وعاد وثمود، ويقال: مكنته ومكنت له فجاء [. . . . . .][1] جميعاً ﴿**وأرسلنا السماء**﴾ يعني المطر ﴿**عليهم مدراراً**﴾.

تقول العرب: مازلنا نطأ السماء حتى آتيناكم مدراراً أي غزيرة كثيرة دائمة، وهي مفعال من الدر، مفعال من أسماء المبالغة، ويستوي فيه المذكر والمؤنث.

قال الشاعر:

وسقاك من نوء الثريا مزنة ... سعراً تحلب وابلاً مدراراً[2]

وقوله: ﴿**ما لم نمكن لكم**﴾ من خطاب التنوين كقوله تعالى: ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم**﴾[3].

وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله: ﴿**ألم يروا**﴾ وفيهم محمد وأصحابه ثم خاطبهم، والعرب تقول: قلت لعبد اللّه ما أكرمه وقلت لعبد اللّه أكرمك ﴿**وجعلنا الأنهار التي تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا**﴾ وخلقنا وابتدأنا ﴿**من بعدهم قرناً آخرين ولو نزلنا عليك كتاباً**﴾ الآية.

وقال الكلبي ومقاتل: أنزلت في النضر بن الحرث وعبدالله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند اللّه ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند اللّه وأنك رسول فأنزل اللّه عز وجل فلو نزلنا عليك كتاباً ﴿**في قرطاس**﴾ في

---

(١) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(٢) كتاب العين: ٨ / ٣٩.

(٣) سورة يونس: ٢٢.

صحيفة مكتوباً من عند الله ﴿**فلمسوه بأيديهم**﴾ عاينوه معاينة ومسوه بأيديهم ﴿**لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**﴾ لما سبق فيهم من علمي ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه**﴾ على محمد ﴿**ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر**﴾ أي لوجب العذاب وفرغ من هلاكهم لأن الملائكة لا ينزلون إلاّ بالوحي [والحلال] ﴿**ثم لا ينظرون**﴾ الكافرون ولا يمهلون.

قال مجاهد: لقضي الأمر أي لقامت الساعة.

وقال الضحاك: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا.

وقال قتادة: لو أنزلنا المكارم ولم يؤمنوا لعجل لهم العذاب ولم يؤخروا طرفة عين ﴿**ولو جعلناه ملكاً**﴾ يعني ولو أرسلنا إليهم ملكاً ﴿**لجعلناه رجلاً**﴾ يعني في صورة رجل آدمي لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة ﴿**وللبسنا**﴾ ولشبهنا وخلطنا ﴿**عليهم ما يلبسون**﴾ يخلطون ويشبهون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرى أملك هو أم آدمي.

وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس: هم أهل الكتاب فرقوا دينهم وكذبوا رسلهم وهو تحريف الكلام عن مواضعه فلبس اللّه عليهم ما لبسوا على أنفسهم.

وقال قتادة: ما لبس قوم على أنفسهم إلاّ لبس الله عليهم.

وقرأ الأزهري: وللبسنا بالتشديد على التكرير يقال: ألبست العرب ألبسه لبساً وإلتبس عليهم الأمر ألبسه لبساً ﴿**ولقد استهزىء برسل من قبلك**﴾ كما استهزىء بك يا محمد يعزي نبيّه ﷺ ﴿**فحاق**﴾.

قال الربيع بن أنس: ترك. عطاء: أحل.

مقاتل: دار. الضحّاك: إحاطة.

قال الزجاج: الحيق في اللغة ما اشتمل على الإنسان من مكروه فعله ومنه: يحيق المكر السيّىء.

وقيل: وجب. والحيق والحيوق الوجوب.

﴿**بالذين سخروا**﴾ هزئوا ﴿**منهم ما كانوا به يستهزئون**﴾. فحاق بالذين سخروا من المرسلين العذاب وتعجيل النقمة ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين المستهزئين ﴿**سيروا**﴾ سافروا في الأرض معتبرين ﴿**ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ أي آخر أمرهم وكيف أورثهم الكفر والكذب الهلاك والعذاب، يخوّف كفار أهل مكة عذاب الأمم الماضية ﴿**قل لمن ما في السماوات والأرض**﴾ فإن أجابوك وإلاّ ﴿**قل للّه**﴾ يقول يفتنكم بعدد الأيام لا [.....] والأصنام ثم قال ﴿**كتب ربكم**﴾ أي قضى وأوجب فضلاً وكرماً ﴿**على نفسه الرحمة**﴾.

وذكر النفس ها هنا عبارة عن وجوده وتأكيد وحد وارتفاع الوسائط دونه وهذا استعطاف

منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال إليه وإخبار بإنه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الإنابة والتوبة.

هشام بن منبه قال: حدثنا أبو عروة عن محمد رسول ﷺ قال: لما قضى اللّه الخلق كتب في كتاب وهو عنده فوق العرش «إن رحمتي سبقت غضبي»[1].

وقال عمر لكعب الأحبار: ما أول شيء ابتدأه اللّه من خلقه؟ فقال كعب: كتب اللّه كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد ولكنّه كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: إني أنا اللّه لا إله إلاّ أنا سبقت رحمتي غضبي.

وقال سلمان وعبدالله بن عمر: إن للّه تعالى مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض فاهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا فيها يتراحم الإنس والجان وطير السماء وحيتان الماء وما بين الهواء والحيوان وذوات الأرض وعنده مائة وسبعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة أضاف تلك الرحمة إلى ما عنده[2].

ثم قال ﴿**ليجمعنكم**﴾ اللام فهي لام القسم والنون نون التأكيد، مجازه: واللّه ليجمعنكم ﴿**إلى يوم القيامة**﴾ يعني في يوم القيامة إلي يعني في، وقيل: معناه ليجمعنكم في [غيركم] إلى يوم القيامة ﴿**لا ريب فيه الذين خسروا**﴾ غلبوا على أنفسهم والتنوين في موضع نصب مردود على الكاف والنون من قوله ﴿**ليجمعنكم**﴾ ويجوز أن يكون رفعاً بالإبتداء وخبره فهم لا يؤمنون، فأخبر اللّه تعالى أن الجاحد للآخرة هالك خاسر.

۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾

﴿**وله ما سكن في الليل والنهار**﴾ الآية.

قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: يا محمد إنا قد علمنا أنه ما يحملك على ما تدعونا إليه إلاّ الحاجة، فنحن نجمع ذلك من أموالنا ما نغنيك حتى تكون من أغنانا فأنزل اللّه تعالى قوله ﴿**وله ما سكن**﴾ أي استقر ﴿**في الليل والنهار**﴾ من خلق.

---

(١) صحيح البخاري: ٨ / ١٨٧.

(٢) تفسير الطبري: ٧ / ٢٠٦ و ٢٠٨ بتفاوت.

قال أبو روحى: إن من الخلق ما يستقر نهاراً وينتشر ليلاً ومنها ما يستقر ليلاً وينتشر نهاراً.

وقال عبد العزيز بن يحيى ومحمد بن جرير: كلّ ما طلعت عليه الشمس وغيبت فهو من ساكن الليل والنهار والمراد جميع ما في الأرض لأنه لا شيء من خلق اللّه عز وجل إلاّ هو ساكن في الليل والنهار، وقيل: معناه وله ما يمر عليه الليل والنهار.

وقال أهل المعاني: في الآية لغتان واختصار مجازها: وله ما سكن وشرك في الليل والنهار كقوله ﴿**سرابيل تقيكم الحر والبرد**﴾ وأراد في كل شيء ﴿**وهو السميع**﴾ لأصواتهم ﴿**العليم**﴾ بأسرارهم.

وقال الكلبي: يعني هو السميع لمقالة قريش العليم بمن يكسب رزقهم ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**أغير اللّه أتخذ ولياً**﴾ رباً معبوداً وناصراً ومعيناً ﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾ أي خالقها ومبدعها ومبدئها وأصل الفطر الشق ومنه فطر ناب الجمل إذا شقق وابتدأ بالخروج.

قال مجاهد: سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بعير. فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، أنا أحدثتها ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ أي وهو يرزق ولا يرزق وإليه قوله عز وجل ﴿**ما أريد منهم من رزق وما أريد منهم أن يطعمون**﴾.

وقرأ عكرمة والأعمش: ولا يَطعم بفتح الياء أي وهو يرزق ولا يأكل.

وقرأ أشهب العقيلي: وهو يُطعِم ولا يُطعَم كلاهما بضم الياء، وكسر العين.

قال الحسن بن الفضل: معناه هو القادر على الإطعام وترك الإطعام كقوله ﴿**يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا منصور الأزهري بهراة يقول: معناه وهو يطعم ولا يستطعم، يقول العرب: أطعمت غيري بمعنى استطعمت.

وأنشد:

إنّا لنطعم من في الصيف مطعماً وفي الشتاء إذا لم يؤنس القرع

أي استطعمنا وقيل: معناه وهو يطعم يعني اللّه ولا يطعم يعني الولي ﴿**قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم**﴾ أخلص ﴿**ولا تكونن**﴾ يعني وقيل لي: ولا تكونن ﴿**من المشركين**﴾ ﴿**قل إني أخاف إن عصيت ربي**﴾ تعبدت غيره ﴿**عذاب يوم عظيم**﴾ وهو يوم القيامة.

﴿**من يصرف عنه يومئذ**﴾ يعني من يُصَرف الغضبُ عنه.

وقرأ أهل الكوفة: يصرف بفتح الياء وكسر الراء على معنى من صرف اللّه عنه العذاب، واختاره أبو عبيدة وأبو حاتم لقوله ﴿**من اللّه**﴾ بأن قبل فيما قبله: ﴿**قل لمن ما في السماوات**

والأرض قل للّه﴾(١)، ولقوله فيما بعده **﴿رحمة﴾** ولم يقل: فقد رحم، على الفعل المجهول. [ولقراءة أُبيّ: من يصرفه الله عنه]. يعني يوم القيامة، وهو ظرف مبني على الخبر لإضافة الوقت إلى إذ كقولك: حينئذ [وساعتئذ] **﴿فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾** يعني نجاة البينة **﴿وإن يمسسك اللّه بضر﴾** بشدة وبلية وفقر ومرض **﴿فلا كاشف﴾** دافع وصارف **﴿له إلاّ هو وإن يمسسك بخير﴾** عافية ورخاء ونعمة **﴿فهو على كل شيء﴾** من الخير والشر **﴿قدير﴾**.

روى شهاب بن حرش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال: أهدي للنبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى فركبها جهل بن شعر ثم أردفني خلفه وسار بي ملياً ثم احتنا لي وقال لي: يا غلام، قلت: لبيك يا رسول اللّه، قال: «إحفظ اللّه يحفظك احفظ اللّه تجده أمامك، تعرَّف إلى اللّه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فأسأل اللّه وإذا استعنت فاستعن باللّه قد مضى القلم بما هو كائن فلو عمل الخلائق أن ينفعوك بما لم يقض الله لك لما قدروا عليه ولو جهدوا أن ينصروك بما لم يكتب اللّه عليك ما قدروا عليه فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطيع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر فإن مع الكرب الفرج وإن مع العسر يسراً».

﴿وهو القاهر﴾ القادر الغالب **﴿فوق عباده﴾** وفي القهر معنى زائد على القدرة وهو منع غيره عن بلوغ المراد(٢).

﴿وهو الحكيم﴾ في أمره **﴿الخبير﴾** بما جاء من عباده.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾

(١) سورة الأنعام: ١٢.
(٢) تفسير القرطبي: ٦ / ٣٩٩.

﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ الآية.

قال الكلبي: أتى أهل مكة رسول اللّه ﷺ فقالوا: ما وجد اللّه رسولاً غيرك وما نرى أحداً يصدقك فيما تقول ولو سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد أنك رسول اللّه كما تزعم، فأنزل اللّه **﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾** فإن أجابوك وإلاّ فقل **﴿قل اللّه شهيد بيني وبينكم﴾** على ما أقول **﴿وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم﴾** وخوفكم يا أهل مكة **﴿به ومن بلغ﴾** يعني ومن بلغه القرآن من العجم وغيرهم.

قال الفراء: والعرب تضمر الهاء في مصطلحات التشديد (من) و(ما) فيها وإن الذي أخذت مالك، ومالي أخذته، ومن أكرمت [أبرّ به] بمعنى أكرمته.

قال النبي ﷺ: «يا أيها الناس بلغوا عني ولو آية من كتاب اللّه فإن من بلغته آية من كتاب اللّه فقد بلغه أمر اللّه أخذه أو تركه»[١] [١٣٠].

وقال الحسن بن صالح: سألت ليثاً: هل بقي أحد لم يبلغه الدعوة.

قال: كان مجاهد يقول حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير، ثم قرأ هذه الآية.

فقال مقاتل: من بلغه القرآن من الجن والإنس فهو نذير له.

وقال محمد بن كعب القرضي: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً (عليه السلام) وسمع منه **﴿أئنكم لتشهدون أن مع اللّه آلهة أُخرى﴾** ولم يقل آخر والآلهة جمع لأن الجمع يلحق التأنيث كقوله تعالى **﴿فما بال القرون الأُولى﴾**[٢]. **﴿قل﴾** يا محمد إن أشهدوكم أنتم **﴿ولا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون * الذين آتيناهم الكتاب﴾** يعني التوراة والإنجيل **﴿يعرفونه﴾** يعني محمد ﷺ ونعته وصفته **﴿كما يعرفون أبناءهم﴾** أي من الصبيان.

قال الكلبي: لما قدم رسول اللّه ﷺ المدينة، قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعبيد اللّه بن سلام: إن اللّه قد أنزل على نبيّه **﴿إن الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾** فكيف هذه المعرفة؟ فقال عبد اللّه: يا عمر قد عرفته فيكم حين رأيته بنعته وصفته كما أعرف إبني إذا رأيته مع الصبيان يلعب ولأنا أشدّ معرفة بمحمّد ﷺ مني بإبني، قال: وكيف؟ قال: نعته اللّه عز وجل في كتابنا، فلا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر: وفقك اللّه يا ابن سلام[٣] **﴿الذين خسروا﴾** غبنوا **﴿أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾** وذلك إن لكل عبد منزل في الجنة ومنزل في النار فإذا كان يوم القيامة جعل اللّه لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة في النار **﴿ومن أظلم﴾** أكفر.

---

(١) جامع البيان: ٧ / ٢١٥. (٢) سورة طه: ٥١.
(٣) زاد المسير بتفاوت: ٣ / ١٣، والدر المنثور: ١ / ١٤٧.

قال الحسن: فلا أحد أظلم ﴿**ممن افترى**﴾ اختلق ﴿**على اللّه كذباً**﴾ فأشرك به غيره ﴿**أو كذب بآياته**﴾ يعني القرآن.

قال الحسن: كل ما في القرآن بآياتنا وآياته يعني به الدين بما فيه ﴿**لا يفلح الظالمون**﴾ الكافرون ﴿**ويوم نحشرهم**﴾ العابدين والمعبودين ﴿**جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون**﴾ إنما يشفع لكم عند ربكم ﴿**ثم لم تكن فتنتهم**﴾ يعني قولهم وجوابهم، وقيل: معذرتهم، والفتنة: الاختبار، ولمّا كان سؤالهم يخبر به لإظهار ما في قلوبهم قيل: فتنة.

﴿**إلاّ أن قالوا واللّه ربنا ما كنا مشركين**﴾ وذلك إنهم يوم القيامة إذا رأوا مغفرة اللّه عز وجل وتجاوزه عن أهل التوحيد. قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجوا مع أهل التوحيد ﴿**ويقولون واللّه ربنا ما كنا مشركين**﴾ فيقول اللّه تعالى لهم: ﴿**أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون**﴾ وتدعون أنهم شركائي ثم نختم على أفواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالكفر وذلك قوله ﴿**أنظركيف كذبوا على أنفسهم وضل**﴾ زال وبطل ﴿**عنهم ما كانوا يفترون**﴾ من الأصنام ﴿**ومنهم من يستمع إليك**﴾ الآية، قال: إجتمع أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأُبي إبنا خلف والحرث بن عامر استمعوا حديث رسول اللّه ﷺ فقالوا: للنضر يا أبا فتيلة ما يقول محمد، قال: والذي جعلها بيته. يعني الكعبة. قال: ما أدري ما يقول إلاّ إنه يحرك لسانه ويقول: ﴿**أساطير الأولين**﴾، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كتب الحديث عن القرون وأخبارها.

فقال أبو سفيان: إني لأرى بعض ما يقول خفياً، فقال أبو جهل: كلا فأنزل اللّه تعالى: ﴿**ومنهم من يستمع إليك**﴾ وإلى كلامك ﴿**وجعلنا على قلوبهم أكنة**﴾ غشاوة وغطاء ﴿**أن يفقهوه**﴾ يعلموه ﴿**وفي آذانهم وقراً**﴾ ثقلاً وصماً ﴿**وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلاّ أساطير الأولين**﴾ يعني حكاياتهم إسطورة وإسطارة.

وقال بعض أهل اللغة: هي التُّرَّهات والأباطيل والبسابس وأصلها من سطرت أي كتبت ﴿**وهم ينهون عنه وينأون عنه**﴾.

قال مقاتل: نزلت في أبي طالب وإسمه عبد مناف وذلك إن النبي ﷺ كان عند أبي طالب يدعو إلى الإسلام فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون سوءاً بالنبي ﷺ، فقال أبو طالب:

واللّه لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسّد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذلك وقر منك عيونا

ودعوتني وزعمت إنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم سببا

وفرضت ديناً لا محالة إنه ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا[1]

فأنزل اللّه تعالى **﴿وهم ينهون عنه وَينؤنَ عنه﴾** أي يمنعون الناس عن أذى النبي ﷺ ويناؤن عنه أي يبتعدون عما جاء له من الهدي فلا يصدقونه وهذا قول القاسم بن محمد وعطاء ابن دينار وإحدى الروايتين عن ابن عباس وعن محمد بن الحنفية والسدي والضحّاك قالوا: نزلت في جملة كفار مكة يعني وهم ينهون الناس عن إتباع محمد والإيمان به ويتباعدون بأنفسهم عنه.

قال مجاهد: وهم ينهون عنه قريشاً ينهون عن الذكر ويتباعدون عنه.

وقال قتادة: وينهون عن القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه **﴿وإن يهلكون إلاّ أنفسهم﴾** لأن أوزار الذين يصدونهم عليهم **﴿وما يشعرون﴾** إنما كذلك **﴿ولو ترى﴾** يا محمد **﴿إذ وقفوا﴾** حبسوا **﴿على النار﴾** يعني في النار كقوله: **﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾**[2] يعني في ملك سليمان.

وقرأ السميقع **﴿إذ وقفوا﴾** بفتح الواو والقاف من الوقوف والقراءة الأولى على الوقف. فقال: وقفت بنفسي وقوفاً ووقفتم وقفاً، وجواب لو محذوف معناه لو تراهم في تلك الحالة لرأيت عجباً[3] **﴿فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾** قرأه العامة ويكون بالرفع على معنى يا ليتنا نرد ونحوَ لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين أردنا أم لم نرد.

وقرأ ابن أبي إسحاق وحمزة: ولا نكذب وتكون نصباً على جواب التمني، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصبه بالفاء.

وقرأ ابن عامر: نرد ولا نكذب: بالرفع، ونكون: بالنصب قال: لأنهم تمنوا الرد وأن يكونوا من المؤمنين واخبروا أنهم لا يكذبون بآيات ربهم إن ردّوا إلى الدنيا **﴿بل بدا﴾** ظهر **﴿لهم ما كانوا يخفون﴾** يسترون في الدنيا من كفرهم ومعاصيهم.

وقال السدي إنهم قالوا: **﴿واللّه ربنا ما كنّا مشركين﴾** فذلك إخفاؤهم **﴿من قبل﴾** فأنطق اللّه عز وجل جوارحهم فشهدت عليهم بما كتموا فذلك قوله عز وجل **﴿بل بدا لهم﴾** وهذا أعجب إلي من القول الأول لأنهم كانوا لا يخفون كفرهم في الدنيا إلاّ أن تجعل الآية في المنافقين.

قال المبرد: بدا لهم (جزاء ما كانوا يخفون من قبل)[4].

---

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٤٠٦.

(٢) سورة البقرة: ١٠٢.

(٣) راجع تفسير القرطبي: ٦ / ٤٠٨.

(٤) راجع زاد المسير: ٣ / ١٩.

وقال النضر بن شميل: معناه بل بدا [لعنهم]، ثم قال ﴿**ولو ردوا**﴾ إلى الدنيا ﴿**لعادوا لما نهوا عنه**﴾ من الكفر ﴿**وإنهم لكاذبون**﴾ في قولهم: لو ردونا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين.

وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٣٥)

﴿**وقالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنيا**﴾ فيه تقديم وتأخير، وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا من قولهم: لو ردوا لقالوا ﴿**وما نحن بمبعوثين**﴾ بعد الموت ﴿**ولو ترى إذ وقفوا على ربهم**﴾ قيل: على حكم اللّه [. . . . . . .][1] فهم [وتكلمنا اليدين] بأمر اللّه ﴿**قال أليس هذا**﴾ العذاب ﴿**بالحق قالوا بلى وربنا**﴾ إنّه حق ﴿**قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**﴾.

أي بكفركم ﴿**قد خسر**﴾ وكس وهلك ﴿**الذين كذبوا بلقاء اللّه**﴾ بالبعث بعد الموت ﴿**حتى إذا جاءتهم الساعة**﴾ القيامة، ﴿**بغتة**﴾ فجأة ﴿**قالوا يا حسرتنا**﴾ ندامتنا ﴿**على ما فرّطنا**﴾ قصرّنا ﴿**فيها**﴾ في الطامة، وقيل: تركنا في الدنيامن عمل الآخرة.

وقال محمد بن جرير: الهاء راجعة إلى الصفقة، وذلك إنه لما تبين لهم خسران صفقتهم بيعهم الإيمان بالكفر والدنيا بالآخرة، قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، أي في الصفقة فترك ذكر الصفقة كما يقول ﴿**قد خسر الذين كذبوا بلقاء اللّه**﴾ لأن الخسران لا يكون إلاّ في صفقة بيع[2].

قال السدي: يعني على ما ضيعنا من عمل الجنة، يدل عليه ما روى الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون: يا حسرتنا» [١٣١] ﴿**وهم يحملون أوزارهم**﴾ آثامهم وأفعالهم.

---

(١) كلام غير مقروء.

(٢) جامع البيان: ٧ / ٢٣٦.

قال أبو عبيد: يقال للرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع: إحمل وزرك ووزرتك واشتقاقه من الوزر الذي يعتصم به ولهذا قيل: وزر لأنّه كأنّه الذي يعتصم به الملك أو النبي ومنه قوله تعالى ﴿**واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي**﴾[1] ﴿**على ظهورهم**﴾.

قال السدي وعمرو بن قيس الملائي: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيب ريحاً، يقول: هل تعرفني؟ يقول: لا، إلاّ أن اللّه عز وجل قد طيب ريحك وحسّن صورتك، فيقول: كذلك كتب في الدنيا أنا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فاركبني اليوم أنت.

وقرأ ﴿**يوم يحشر المتقين إلى الرحمٰن وفداً**﴾ أي ركباناً، فإن الكافر تستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلاّ أن اللّه عز وجل قد قبح صورتك وأنتن ريحك، فيقول: لما كان عملك في الدنيا، أنا عملك السيء طالما ركبتني في المساء فأنا أركبك اليوم وذلك قوله ﴿**وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**﴾.

قال الزجاج: لا يزر إليهم أوزارهم، كما يقول الضحّاك: نصب عيني وذكرك محيي قلبي ﴿**ألا ساء ما يزرون**﴾ أي يحملون ويعملون ﴿**وما الحياة الدنيا إلاّ لعب ولهو**﴾ باطل وغرور لا يبقى، وهذا تكذيب من اللّه للكفار في قولهم ﴿**ما هي إلاّ حياتنا الدنيا**﴾ الآية ﴿**وللدار الآخرة**﴾ قرأتها العامة رفعاً على نعت الواو، وإضافة أهل الشام لاختلاف اللفظين كقوله: ربيع الأول، ومسجد الجامع ﴿**وحب الحصيد**﴾[2] سميت الدنيا لدنوّها، وقيل: لدناءتها وسميت الآخرة لأنها بعد الدنيا ﴿**خير للذين يتقون**﴾ من الشرك ﴿**أفلا تعقلون**﴾ أي الآخرة أفضل من الدنيا ﴿**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون**﴾ الآية.

قال السدي: إلتقى الأخفش بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخفش لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس ها هنا أحد يسمع. كلامك غيري؟ فقال له أبو جهل: واللّه إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش، فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية.

وقال أبو يزيد المدني: لقي رسول اللّه ﷺ أبا جهل فصافحه فلقيه بعض شياطينه فقال له: يأتيك تصافحه؟ قال: واللّه إني أعلم إنه لصادق ولكنا متى كنا تبعاً لعبد مناف، فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية.

---

(١) سورة طه: ٢٩ / ٣٠.

(٢) سورة ق: ٩.

وقال ناجية بن كعب: قال أبو جهل للنبي ﷺ: ما نتهمك ولا نكذبك ولكن نتهم الذي جئت به ونكذبه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي كان يكذب النبي ﷺ في العلانية فإذا خلا مع أهل بيته قال: ما محمد من أهل الكذب فلا أحسبه إلاّ صادقاً، وقال للنبي ﷺ: إنا لنعلم إن الذي له حق وإنه لا يمنعنا أن نتبع الهدى معك إلاّ مخافة أن يتخلفنا البأس من أرضنا. يعني العرب فإنا [ثمن][1] أكلة رأس ولا طاقة لنا بهم [١٣٢] فأنزل الله عز وجل هذه الآية **﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾** بأنك كاذب وساحر ومجنون **﴿فإنهم لا يكذبونك﴾** أي لا ينسبونك إلى الكذب ولا يقولون لك: كذبت.

وقرأ نافع والكسائي: يكذبونك بالتخفيف وهي قراءة علي رضي الله عنه يعني: ولا يجدونك كاذباً، يقول العرب: أجدبت الأرض وأخصبتها وأحييتها وأهجتها إذا وجدتها جدبة وخصبة ويعيدوا ناتجة للنبات.

قال رؤبة:

وأهيج الخلصاء من ذات البرق[2]

أي وجدتها ناتجة للنبات.

قال الكسائي: يقول العرب: أكذبت الرسل إذا أخبرت إنه قول الكذب فرواه وكذبته إذا أجزت إنه كاذب **﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك﴾** [تسلية نبيه] يقولون: كذبهم قومهم كما كذبتك قريش **﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله﴾** قال الكلبي: يعني القرآن.

وقال عكرمة: يعني قوله **﴿ولقد سبقت كلمتنا ولا مبدل لكلمات الله﴾** إلى قوله: **﴿الغالبون﴾** وقوله: **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾**[3] وقوله تعالى **﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾**[4] العدل يعني لأخلفهما لعذابه **﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾** من قبل كما يقول: أصابنا من مطر أي مطر.

﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ قال الكلبي: قال الحرث بن عامر: يا محمد إئتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي بها فإن أتيت بها آمنا بك وصدقناك، فأبى الله أن يأتيهم بها فأعرضوا عنه

---

(١) كذا يظهر في المخطوط.

(٢) الصحاح: ١ / ٣٥٢.

(٣) سورة غافر: ٥١.

(٤) سورة المجادلة: ٢١.

وكبر عليه ﷺ فأنزل اللّه عز وجل ﴿وإن كان كبر﴾ عظم وضاق ﴿عليك إعراضهم﴾ عنك ﴿فإن إستطعت أن تبتغي﴾ تطلب وتتخذ ﴿نفقاً﴾ سرباً ﴿في الأرض﴾ مثل نافقا اليربوع وهو أحد حجرته فيذهب فيه ﴿أو سلّماً﴾ درجاً ومصعداً إليّ ﴿في السماء﴾ يصعد فيه.

قال الزجاج: السلم من السلامة وهو الذي يسلمك إلى مصعدك ﴿فتأتيهم بآية﴾ فافعل ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ فآمنوا كلّهم ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ أن يؤمن بك بعضهم دون بعض وإن اللّه لو شاء لجمعهم على الهدى، وإن من يكفر إنما يكفر بسائر علمه فيه.

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني المؤمنين الذين يسمعون الذكر فيتبعونه وينتفعون به دون من ختم اللّه على سمعه فلا يصغي إلى الحق ﴿والموتى﴾ يعني الكفار ﴿يبعثهم اللّه﴾ مع الموتى ﴿ثم إليه يرجعون وقالوا﴾ يعني الحرث بن عامر وأصحابه. ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن اللّه قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ حالهم في نزولها ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾ على التأكيد، كما يقال: أخذت بيدي، مشيت برجلي ونظرت بعيني.

﴿إلا أمم أمثالكم﴾ يعني بعضهم من بعض والناس أمة والطير أمة والسباع أمة والدواب أمة، وقيل: إلاّ أمم أمثالكم جماعات أمثالكم.

وقال عطاء: أمثالكم في التوحيد [ومعرفة اللّه] وقيل: إلاّ أمم أمثالكم في التصور والتشخيص ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾.

قال ابن عباس، والضحّاك: حشرها: موتها.

وقال أبو هريرة: في هذه الآية يحشر اللّه الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عذاب اللّه يومئذ أن يأخذ الجماء من القرناء ثم يقول: كوني تراباً فعند ذلك ﴿**يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً**﴾[١].

وقال عطاء: فإذا رأوا بني آدم وما فيه من الجزية، قلت الحمد للّه الذي لم يجعلنا مثلكم فلا جنة نرجو ولا ناراً نخاف، فيقول اللّه عز وجل لهم كونوا تراباً فحينئذ يتمنى الكافر أن يكون تراباً.

وعن أبي ذر قال: بينا أنا عند رسول اللّه ﷺ إذا انتطحت عنزان فقال النبي ﷺ: «أتدرون فيما إنتطحا»[٢] [١٣٣] قالوا: لا ندري، قال: لكن اللّه يدري ويقضي بينهما ﴿**والذين كذبوا بآياتنا**﴾ محمد والقرآن ﴿**صم**﴾ لا يسمعون الخبر ﴿**وبكم**﴾ لا يتكلمون، الخبر ﴿**في الظلمات**﴾ في ظلالات الكفر ﴿**من يشأ اللّه يضلله**﴾ يموتون على كفرهم ﴿**ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم**﴾ قائم وهو الإسلام ﴿**قل أرءيتكم**﴾ أي هل رأيتم والكاف فيه للتأكيد، ﴿**إن أتاكم عذاب اللّه**﴾ يوم بدر وأحد والأحزاب وحنين، ﴿**أو أتتكم الساعة أغير اللّه تدعون**﴾ في صرف العذاب، ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ ثم قال ﴿**بل إياه تدعون**﴾ تخلصون ﴿**فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون**﴾ تتركون ﴿**ما تشركون ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**﴾ فكفروا ﴿**فأخذناهم بالبأساء**﴾الفقر والجوع ﴿**والضراء**﴾ المرض والزمانة ﴿**لعلهم يتضرعون**﴾ يؤمنون ويتوبون ويخضعون ويخشعون.

﴿**فلولا إذا جاءهم بأسنا**﴾ عذابنا ﴿**تضرعوا**﴾ فآمنوا فكشف عنهم ﴿**ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**﴾ من الكفر والمعصية ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به**﴾ أي أنكروا ما عظوا وأمروا به ﴿**فتحنا عليهم أبواب كل شيء**﴾ أي بدلناهم مكان البلاء والشدة بالرخاء في العيش والصحة في الأبدان ﴿**حتى إذا فرحوا**﴾ أعجبوا ﴿**بما أوتوا أخذناهم بغتة**﴾ فجأة امن ما كانوا بالعجب ما كانت الدنيا لهم، ﴿**فإذا هم مبلسون**﴾يئسون من كل خير.

قال السدي: هالكون، ابن كيسان: خاضعون، وقال الحسن: منصتون.

وقرأ عبد الرحمن السلمي: مبلسون بفتح اللام مفعولا بهم أي مؤيسون. وأصل الإبلاس الإطراق من الحزن والندم.

وقال مجاهد: الإبلاس الفضيحة. وقال: إبن زيد المبلس الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه.

---

(١) سورة النبأ: ٤٠.
(٢) جامع البيان: ٧ / ٢٤٨.

قال جعفر الصادق: فلما نسوا ما ذكروا به من التعظيم فتحنا عليهم أبواب كل شيء من النعم حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الترفيه والتنعيم جاءتهم بغتة إلى سوء الجحيم ﴿**فقطع دابر القوم**﴾ قال السدي: أصل القوم.

قال قطرب: أخذهم يعني استؤصلوا وأهلكوا ﴿**الذين ظلموا والحمد للّه رب العالمين**﴾ على إهلاكهم.

روى عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت اللّه أعطى العباد ما يشاؤن على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم»[1] [١٣٤]. ثم تلا هذه الآية ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به**﴾ الآية.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

﴿**قل أرأيتم إن أخذ اللّه سمعكم وأبصاركم**﴾ فذهب بها ﴿**وختم على قلوبكم**﴾ وطبع عليها يعني لا يفقهوا قولاً ولا يبصروا حجة ﴿**من إله غير اللّه يأتيكم به**﴾ يعني بما أخذ منكم ﴿**أنظر كيف نصرف**﴾ نبين ﴿**لهم الآيات ثم هم يصدفون**﴾ يعرضون عنها مكذبين بها ﴿**قل أرأيتكم إن**

(١) تفسير القرطبي: ٦ / ٤٢٦.

أتاكم عذاب اللّه بغتة﴾ فجأة **﴿أو جهرة﴾** معاينة ورؤية [على ما أشركوا] **﴿هل يهلك﴾** بالعذاب **﴿إلاّ القوم الظالمون﴾** المشركون **﴿وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح﴾** العمل **﴿فلا خوف عليهم﴾** حين يخاف أهل النار **﴿ولا هم يحزنون﴾** إذا حزنوا **﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾** بمحمد والقرآن **﴿يمسهم﴾** يصيبهم **﴿العذاب بما كانوا يفسقون﴾** يرتكبون **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن اللّه﴾** يعني رزق اللّه **﴿ولا أعلم الغيب﴾** ما يخفى عن الناس **﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾** فتنكرون قولي وتجحدون أمري **﴿إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ﴾** وذلك غير منكر ولا مستحيل في العقل مع وجود الدلائل والحجة البالغة **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾** الكافر والمؤمن والضال والمهتدي **﴿أفلا تتفكرون﴾** لا يستويان **﴿وأنذر﴾** خوّف **﴿به﴾** بالقرآن.

قال الضحّاك: به أي باللّه **﴿الذين يخافون أن يحشروا﴾** يبعثوا ويحيوا **﴿إلى ربهم﴾** وقيل: يعلمون أن يحشروا لأن خوفهم بما كان من عملهم **﴿ليس لهم من دونه﴾** من دون اللّه **﴿ولي﴾** يعني قريب ينفعهم **﴿ولا شفيع﴾** يشفع لهم **﴿لعلهم يتقون﴾** **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾** الآية، قال سليمان، وخباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية.

جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصين الفزاري وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المسلمين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا: يا رسول اللّه لو جلست في صدر المجلس ويغيب عنا هؤلاء وأرواح جبابهم. وكانت عليهم جباب من صوف لم يكن عليهم غيرها. لجالسناك وحادثناك وأخذنا عنك، فقال رسول اللّه ﷺ: «ما أنا بطارد المؤمنين» قالوا: فأنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرانا العرب مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم وإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: أكتب لنا بذلك كتاباً، قال: فدعانا لصحيفة ودعا علياً ليكتب.

قال: ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرئيل (عليه السلام) بقوله **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾** إلاّ بشيء فألقى رسول اللّه ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: سلام عليكم **﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾**(١) فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾** الآية، قال: وكان رسول اللّه ﷺ يقعد معنا بعمد وندنوا منه حتى كادت رِكبنا تمسّ ركبه فإذا بلغ الساعة التي يقوم قمنا وتركناه حتى يقوم وقال: «الحمد للّه الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي [معكم المحيا ومعكم](٢) الممات» [١٣٥](٣).

---

(١) سورة الأنعام: ٥٤.

(٢) التقويم من المصدر.

(٣) جامع البيان: ١٥ / ٢٩٤.

وقال الكلبي: قالوا له: إجعل لنا يوماً ولهم يوم، قال: لا أفعل، قالوا: فاجعل المجلس واحداً وأقبل إلينا ولّ ظهرك عليهم فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

وروى الأشعث بن سواد عن إدريس عن عبد اللّه بن مسعود قال: مرّ الملأ من قريش على رسول اللّه ﷺ، صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء أهؤلاء الذين قال: منّ اللّه عليهم من بيننا، أطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم إتبعناك، فأنزل اللّه تعالى ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم**﴾ الآية، قال: بها قد قالت قريش: لولا بلال وابن أم عبد لتابعنا محمداً فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية.

وقال عكرمة: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن أمية ومطعم بن عدي والحرث بن نوفل وقرظة ابن عبد وعمرو بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: ياأبا طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فإنهم عبيدنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتّباعنا إيّاه. وتصديقنا له فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كتموه، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون فنزلت من قولهم هذه الآية فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته.

وقال جبير بن نفيل: إن قريشاً أتوا رسول اللّه ﷺ فقالت: أرسلت إلينا فاطرد هؤلاء السقاط عنك فنكون أصحابك فأنزل اللّه تعالى ﴿**ولا تطرد**﴾ الآية.

قال ابن عباس: يدعون ربهم يعني يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر، وذلك إن ناساً من الفقراء كانوا مع النبي ﷺ فقال قوم من الأشراف: إذا صلّينا فأخّر هؤلاء وليصلوا خلفنا، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية ﴿**ولا تطرد الذين**﴾ الآية.

وقال حمزة بن عيسى: دخلت على الحسن فقلت له: يا أبا سعيد أرأيت قول اللّه تعالى ﴿**ولاتطرد الذين آمنوا**﴾، قال: لا ولكنهم المحافظون على الصلوات في الجماعة.

وقال مجاهد: صليت الصبح مع سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) فلما سلم الإمام، ابتدر الناس القاص، فقال سعيد ما أسرع الناس إلى هذا المجلس.

فقال مجاهد: فقلت: يتأوّلون قول اللّه عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، فأراد في هذا هو إنما ذلك في الصلاة التي انصرفا عنها الآن، وقلنا إنهم يذكرون ربهم.

وقال أبو جعفر: يعني يقرأون القرآن ﴿**يريدون وجهه**﴾ جواب لقوله ﴿**ما عليك من حسابهم**

من شيء﴾[١] وقوله ﴿**فتكون**﴾ جواب لقوله ولا تطرد لا أحد هو جواب نفي والله جواب النهي ﴿**من الظالمين**﴾ من الضارين لنفسك بالمعصية والنفس الطرد في غير موضعه ﴿**وكذلك فتنّا بعضهم ببعض**﴾ التعريف الوضيع والعرفي بالمولى والغني الآية ﴿**ليقولوا**﴾ يعني الأشراف الأغنياء ﴿**أهؤلاء**﴾ يعني الفقراء والضعفاء ﴿**منّ الله عليهم من بيننا**﴾ قال الكلبي: كان الشريف إذا نظر إلى الوضيع قد آمن قبله حمى أنفاً أن يسلم ويقول: سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم ﴿**أليس الله بأعلم بالشاكرين**﴾ يعني المؤمنين وهذا جواب لقوله ﴿**أهؤلاء من الله عليهم من بيننا**﴾ وقيل: أليس الله أعلم بالشاكرين، من يشكر على الإسلام إذا هديته له.

العلاء بن بشير عن أبي بكر الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: كنت في عصابة فيها ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم يستر بعضاً من العري وقارىء يقرأ علينا ونحن نستمع إلى قراءته فقال النبي ﷺ حتى قام علينا فلما رأى القارىء سكت، فسلم وقال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا: يا رسول الله كان قارىء يقرأ علينا ونحن نستمع إلى قراءته، فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أُصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال هكذا بيده هكذا، فحلق القوم وبرزت وجوههم فلم يعرف رسول الله ﷺ منهم أحداً وكانوا ضعفاء المهاجرين. فقال النبي ﷺ: «أبشروا صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء المؤمنين بنصف يوم مقداره خمس مائة سنة»[٢] [١٣٦].

هشام بن سليمان عن أبي يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «يا معشر الفقراء إن الله رضي لي أن أتأسى بمجالسكم وأن الله معنا فقال: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾ فإنها مجالس الأنبياء قبلكم والصالحين» [١٣٧][٣].

معاوية بن مرّة عن عائذ بن عمرو: أن سلماناً وصهيباً وبلالا كانوا قعدوا فمر بهم أبو سفيان فقالوا له: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها بعد. فقال لهم أبو بكر (رضي الله عنه): تقولون هذا لشيخ قريش وسيّدها ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك» فوقع أبو بكر فيهم فقال: لعلي أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر يغفر الله لك[٤].

﴿**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا**﴾ إختلفوا فيما نزلت هذه الآية. فقال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه ﷺ عن طردهم وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال:

---

(١) سورة الأنعام: ٥٢.

(٢) تهذيب الكمال: ٢٢ / ٤٧٨.

(٣) كنز العمال: ٦ / ٤٨٤ ح ١٦٦٥٤.

(٤) سنن النسائي: ٥ / ٧٥ ح ٨٢٧٧.

«الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام» [١٣٨][١].

وقال الكلبي: لما نزلت هذه الآية ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم**﴾ جاء عمر (رضي الله عنه) للنبي ﷺ فاعتذر إليه من مقالته واستغفر اللّه تعالى منها، وقال: يا رسول اللّه ما أردت بهذا إلاّ الخير فنزل في عمر (رضي الله عنه) ﴿**وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم**﴾ الآية.

وقال عطاء: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة وصهيب بن عمير وعمر وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر، والأرقم بن الأرقم وأبي سلمة بن الأسد رضي اللّه عنهم أجمعين.

وقال أنس بن مالك (رضي الله عنه) عنه: أتى رسول اللّه ﷺ رجال فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً كثيرة عظيمة فسكت عنهم رسول اللّه ﷺ فأنزل اللّه على الرجال الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة**﴾ قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام ومن جهالته ركب الأمر وكل من عمل خطيئة فهو بها جاهل، وقيل: جاهل بما يورثه ذلك الذنب، يقال: جهل حين آثر المعصية على الطاعة ﴿**ثم تاب من بعده**﴾ فرجع عن دينه ﴿**وأصلح**﴾ عمله، وقيل: أخلص توبته ﴿**فإنه غفور رحيم**﴾ واختلف القراء في قوله تعالى ﴿**إنه**﴾ [الكوفيون] بفتح الألف منهما جميعاً. إبن كثير والأعمش وابن عمر وحمزة والكسائي على الإستئناف، ونصبها الحسن وعاصم ويعقوب بدلاً من رحمة، وفتح أهل المدينة الأولى على معنى وكتب إنّه وكسروا الثانية على الاستئناف لأن ما بعدها لا يخبر أبداً ﴿**وكذلك**﴾ أي هكذا، وقيل: معناه وفصلنا لك في هذه السورة والآية.

وجاء في أعلى المشروح في المنكرين من كذلك ﴿**نفصل الآيات**﴾ أي نميز ونبين لك حجتنا وأدلتنا في كل من ينكر أهل الباطل ﴿**ولتستبين سبيل المجرمين**﴾ مرّ رفع السبيل ومعناه وليظهر وليتضح طريق المجرمين. يقال بأن الشيء وأبان وتبيان وتبين إذا ظهر ووضح والسبيل يذكر ويؤنث، فتميم تذكر، وأهل الحجاز يؤنثه، ودليل المذكر قوله عزّ وجل ﴿**وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً**﴾ ﴿**وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلا**﴾ ودليل التأنيث قوله تعالى ﴿**لم تصدون عن سبيل اللّه من آمن تبغونها عوجاً**﴾ وقوله عز وجل ﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى اللّه على بصيرة**﴾ ولذلك قرأ ولتستبين بالياء والتاء، وقرأ أهل المدينة ولتستبين بالتاء، سبيل بالنصب على خطاب النبي ﷺمعناه ولتستبين يا محمد سبيل المجرمين، يقال واستبين الشيء وتبينته إذا عرفته ﴿**قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون اللّه قل لا أتّبع أهواءكم**﴾ في عبادة الأوثان وطرد بلال وسلمان ﴿**قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين**﴾ يعني إن فعلت ذلك فقد تركت سبيل الحق وسلكت غير الهدى.

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ١٤٧.

وقرأ يحيى بن وثاب [وأبو رجاء]: قد ضللت، بكسر اللام وهما لغتان ضلّ يضلّ مثل قلّ يقلّ. وضلّ يضلّ مثل ملّ يملّ، والأولى هي الأصح والأفصح لأنها لغة أهل الحجاز ﴿**قل إني على بينة**﴾ بيان وبرهان وبصيرة وحجة ﴿**من ربي وكذبتم به**﴾ أي بربي ﴿**ما عندي ما تستعجلون به**﴾ يعني العذاب، نزلت في النضر بن الحرث ﴿**إن الحكم**﴾ ما القضاء ﴿**إلا للّه يقص الحق**﴾ قرأ أهل الحجاز، وعاصم يقص الحق بالصاد المشددة أي يقول الحق قالوا: لأنه مكتوب في جميع المصاحف بغير ياء ولأنه قال الحق فإنما يقال قضيت بالحق. وقرأ الباقون: بالضاد أي يحكم بالحق دليله قوله ﴿**وهو خير الفاصلين**﴾ والفصل جلب القضاء، والقرّاء إنما حذفوا الياء للإستثقال ثم [. . .] كقوله ﴿**صال الجحيم**﴾[1] وقوله ﴿**يمحو اللّه ما يشاء**﴾[2] و ﴿**فما تغن النذر**﴾[3] ﴿**سندع الزبانية**﴾[4] ونحوها وحذفوا الباء من الحق لأنه صفة المصدر فكأنه يقضي القضاء الحق.

﴿**قل لو أن عندي**﴾ بيدي ﴿**ما تستعجلون به**﴾ هو العذاب ﴿**لقضي الأمر بيني وبينكم**﴾ أي فرغ من العذاب وأهلكتم ﴿**واللّه أعلم بالظالمين**﴾.

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو**﴾ المفاتح جمع المفتح.

وقرأ ابن السميقع: بمفاتيح على جمع المفتاح، يعني ومن عنده معرفة الغيب وهو يفتح ذلك بلطفه، واختلفوافي مفاتيح الغيب.

(١) سورة الصافّات: ١٦٣.
(٢) سورة الرعد: ٣٩.
(٣) سورة القمر: ٥.
(٤) سورة العلق: ١٨.

فروى عبد اللّه بن عمر إن النبي ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس. . . . . . . إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللّه عليم خبير»[١] [١٣٩].

وقال السدي: مفاتح الغيب خزائن الغيب. مقاتل، والضحّاك: يعني خزائن الأرض. وعلم نزول العذاب متى ينزل بكم.

عطاء: يعني ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وما يصير إليه أمري وأمركم، وقيل: هي الآجال ووقت انقضائها، وقيل: أحوال العباد من السعادة والشقاوة، وقيل: عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال، وقيل: هي ما لم يكن بعد إنه يكون أم لا يكون وما يكون كيف يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون.

وقال ابن مسعود: أوتي نبيّكم علم كل شيء إلاّ مفاتيح الغيب ﴿**ويعلم ما في البر والبحر**﴾.

قال مجاهد: البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء ﴿**وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها**﴾

قال ابن عباس: ما شجرة في بر ولا بحر إلاّ وبها ملك وكّل يعلم من يأكل وما يسقط من ورقها وقل منكم عند ما بقي من الورق على الشجر وما سقط منها.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عبدوس يقول: معناه يعلم كما تقلبت ظهراً لبطن إلى أن سقطت على الأرض ﴿**ولا حبة في ظلمات الأرض**﴾ أي في بطون الأرض، وقيل: تحت الصخرة في أسفل الأرضين ﴿**ولا رطب ولا يابس**﴾ قال ابن عباس: الرطب الماء، واليابس البادية. وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينبت.

وقال الحسن: يكتبه اللّه رطباً ويكتبه يابساً لتعلم يا بن آدم إن عملك أولى بها [من إصلاح] تلك الجنة.

وقال: الرطب لسان المؤمن رطب بذكر اللّه، واليابس لسان الكافر لا يتحرك بذكر اللّه. وبما يرضي اللّه عز وجل. وقيل: هي الأشجار والنبات.

وروى الأعمش عن أبي زياد عن عبد اللّه بن الحرث، فقال: ما في الأرض من شجرة ولا كمغرز إبرة إلاّ عليهاملك وكل يأتي اللّه بعلمها ويبسها إذا يبست ورطوبتها إذا رطبت.

محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «ما من زرع على الأرض ولا ثمار

---

(١) السنن الكبرى: ٤ / ٤١١.

على أشجار [ولا حبة في ظلمات الأرض][١] إلاّ عليها مكتوب: بسم اللّه الرحمن الرحيم، رزق فلان ابن فلان وذلك قوله تعالى في محكم كتابه **﴿وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس﴾**»[٢] [١٤٠].

﴿إلاّ في كتاب مبين * وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ أي يقبض أرواحكم في منامكم **﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾** وأصله من [جارحة] اليد.

ثم قيل لكل عليك جارح أي عضو من أعضائه عمل ومنه [الزرع الجيد]، ويقال لا ترك اللّه له جارحاً أي عبداً ولا أمة يكسب له **﴿ثم يبعثكم﴾** أي ينشركم ويوقظكم **﴿فيه﴾** في النار **﴿ليقضي أجلٌ مسمىً﴾** يعني أجل الحياة إلى الممات حتى ينقضي أثرها ورزقها.

فقرأ أبو طلحة وأبو رجاء **﴿لنقضي﴾** بالنون المفتوحة أجلاً نصب، وفي هذا إقامة الحجة على منكري البعث يعني كما قدرت على هذا فكذلك أقدر على بعثكم بعد الموت.

وقال: مكتوب في التوراة: يا ابن آدم كما تنام كذلك تموت وكما توقظ كذلك تبعث **﴿ثم إليه مرجعكم﴾** في الآخرة **﴿ثم ينبئكم﴾** يخبركم ويجازيكم **﴿بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة﴾** يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم وهو جمع حافظ، ونظيره قوله **﴿وإن عليكم لحافظين﴾**[٣] قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): ومن الناس من يعيش شقيّاً جاهل القلب، غافل اليقظة، فإذا كان ذا وفاء ورأى حذر الموت واتقى الحفظة، إنما الناس راحل ومقيم الذي راح للمقيم عظة **﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾** يعني أعوان ملك الموت يقبضونه ثم يدفعونه إلى ملك الموت **﴿وهم لا يفرطون﴾** لا يعصون ولا يضيعون.

وقرأ عبيد بن عمر: لا يفرطون بالتخفيف معنى لا يجاوزون الحد **﴿ثم ردوا إلى اللّه﴾** يعني الملائكة وقيل: يعني العباد **﴿مولاهم الحق ألا له الحكم﴾** القضاء في خلقه **﴿وهو أسرع الحاسبين﴾** يعني لا يحتاج إلى رويّة ولا تقدير **﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾** إذا ضللتم الطريق وخفتم الهلاك **﴿تدعونه تضرعاً وخفية﴾** وقرأ عاصم: وخفية وهما لغتان. وقرأ الأعمش وخفية من الخوف كالذي في الأعراف **﴿لئن أنجنا اللّه من هذه﴾** أي ويقولون لئن أنجيتنا من هذه يعني الظلمات **﴿لنكونن من الشاكرين﴾** من المؤمنين **﴿قل اللّه ينجيكم منها ومن كل كرب﴾** حزن **﴿ثم أنتم تشركون * قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾** يعني

(١) هكذا في المصدر.

(٢) تفسير القرطبي: ٧ / ٤.

(٣) سورة الإنفطار: ١٠.

الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾ يعني الخسف كما فعل بقارون.

وقال مجاهد: عذاباً من فوقكم السلاطين، الذين من تحت أرجلكم العبيد السوء.

الضحّاك: عذاباً من فوقكم من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم من أسفل منكم ﴿**أو يلبسكم شيعاً**﴾ أو يخلقكم ويفرق ويبث فيكم الأهواء المختلفة ﴿**ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ يعني السيوف المختلفة بقتل بعضكم بعضاً كما فعل ببني إسرائيل، فلما نزلت هذه الآية قال رسول اللّه ﷺ: «يا جبرئيل ما بقاء أمتي على ذلك؟ فقال له جبرائيل: إنما أنا عبد مثلك» فسل ربك؟ فقام رسول اللّه ﷺ وتوضأ وصلى وسأل ربه فأعطى آيتين ومنع واحدة، قال رسول اللّه ﷺ: «سألته أن يبعد على أمتي عذاباً من فوقهم ومن تحت أرجلهم فأعطاني ذلك، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني، وأخبرني جبرئيل (عليه السلام) أن فناء أمتي بالسيف»[1] [١٤١].

وقال الزهري: راقب خباب بن الأرث رسول اللّه ﷺ ذات ليلة يصلي فلما فرغ، قال: وقت الصباح لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها، قال: أجل إنها صلاة رغبة ورهبة سألت ربي فيها ثلاثاً وأعطاني إثنتين، وزوى عني واحدة، سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فأعطاني، وسألته أن لا يرسل عليهم سنة فتهلكهم فأعطاني، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فزواها عني».

﴿**أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب**﴾ قرأ إبراهيم بن عبلة وكذبت بالتاء ﴿**به**﴾ أي بالقرآن وقيل: بالعذاب ﴿**قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل**﴾ أي حفيظ ورقيب وقيل: مسلط ﴿**إنما**﴾ أنا رسول ﴿**لكل نبأ مستقر**﴾ موضع قوله وحقيقة ومنتهى ينتهي إليه فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله.

قال مقاتل: لكل خبر يخبره اللّه تعالى وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.

قال الكلبي: لكل قول أو فعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه. وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لهم ﴿**وسوف تعلمون**﴾ ذلك.

وقال الحسن: لكل عمل جزاء فمن عمل عملاً من الخير جوزي به الجنة، ومن عَمِل عَمَل سوء جوزي به النار، وسوف تعلمون يا أهل مكة.

وقال السدي: لكل نبأ مستقر أي ميعاد وحد تكتموه، فسيأتيكم حتى تعرفوه.

---

(١) بتفاوت في تفسير الطبري: ٧ / ٢٩٢.

وقال عطاء: لكل نبأ مستقر يؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فإذا عمل ذنبه عاقبه.

قال الثعلبي: ورأيت في بعض التفاسير إن هذه الآية نافعة من وجع الضرس إذا كتبت على كاغد ووضع عليه السن.

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا**﴾ يعني القرآن الإستهزاء والكذب ﴿**فأعرض عنهم**﴾ فاتركهم ولا تجالسهم ﴿**حتى يخوضوا**﴾ يدخلوا ﴿**في حديث غيره**﴾ غير القرآن، وذلك إن المشركين كانوا إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول اللّه ﷺ فسبوا واستهزؤا بالقرآن، فنهى اللّه المؤمنين عن مجالستهم ﴿**وإما ينسينك**﴾.

قرأ ابن عباس وابن عامر: ينسونك بالتشديد ﴿**الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**﴾ فقم من عندهم بعد ما ذكرت ثم قال ﴿**وما على الذين يتقون**﴾ الخوض ﴿**من حسابهم**﴾ من أيام الخائضين ﴿**من شيء**﴾.

قال ابن عباس: قال المسلمون: فإنا نخاف الإثم حين نتركهم فلا ننهاهم فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية.

وقال ابن عباس في رواية أخرى: قال المسلمون: لئن كنا كلما استهزأ المشركون في القرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزل ﴿**وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء**﴾ ﴿**ولكن ذكرى**﴾ أي ذكروهم وعظوهم وهي في محل النصب على المصدر أي ذكروهم ذكرى والذكر والذكرى واحد ويجوز أن يكون في موضع الرفع أي هو ذكرى ﴿**لعلهم يتقون**﴾ الخوض إذا وعظتموهم، وقيل: وإذا قمتم يسعهم في ذلك من الإستهزاء والخوض. وقيل: لعلهم يستحيون ﴿**وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً**﴾ باطلاً

وفرحاً ﴿**وغرتهم الحياة الدنيا**﴾ وذلك أن اللّه تعالى جعل لكل قوم عيداً يعظمونه ويصلون فيه فكان قوم إتخذوا عيدهم لهواً ولعباً إلاّ أمة محمد ﷺ فإنهم اتخذوا عيدهم صلاة للّه.

وذكرا مثل الجمعة والفطر والنحر ﴿**وذكّر به**﴾ وعظ بالقرآن ﴿**أن تبسل نفس بما كسبت**﴾ يعني أن لا تبسل كقوله تعالى بين اللّه لكم أن تضلوا. ومعنى الآية ذكرهم ليؤمنوا فلا تبسل نفس بما كسبت.

قال ابن عباس: تهلك، قتادة: تحبس.

الحسن، ومجاهد، وعكرمة، والسدي: تسلم للهلكة. علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس: تفضح.

الضحاك: تفضح وتحرق. المؤرخ، وابن زيد: تؤخذ.

قال الشاعر:

وإبسالي بني بغير جرم بعوناها ولا بدم مراق[1]

العوف بن الأحوض: وكان رهن بيته وحمل عن غنى لبني قشير دم السحقية. فقالوا: لا نرضى بك، فدفعهم رهناً، وقوله بعونا أي جنيناً، والبعو الجناية.

وقال الأخفش: تبسل أي تجزى. وقال الفراء: ترتهن.

وأنشد النابغة الجعدي:

ونحن رهناً بالأفاقة عامراً بما كان في الدرداء رهنا فأبسلا[2]

وقال عطية العوفي: يسلم في خزية جهنم.

وقال أهل اللغة: أصل الإبسال التحريم، يقال: أبسلت الشيء إذا حرمته، والبسل الحرام.

قال الشاعر:

بكرت تلومك بعد وهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي[3]

فقال: أنشدنا بسل أي شجاع لا يقدّر موته كأنه قد حرم نفسه ثم جعل ذلك نعتاً لكل شديد. يترك، ويبقى. ويقال: شراب بسل أي متروك.

قال الشنفرى:

---

(١) الصحاح: ٤ / ١٦٣٤.
(٢) الصحاح: ٢ / ٤٧٠.
(٣) لسان العرب: ١١ / ٥٥.

هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي مبسلاً بالجرائر[(١)]

وقوله تعالى ﴿**ليس لها**﴾ أي لتلك الأنفس ﴿**من دون اللّه ولي**﴾ حميم وصديق ﴿**ولا شفيع**﴾ يشفع لهم في الآخرة ﴿**وإن تعدل كل عدل**﴾ تفد كل فداء، ﴿**لا يؤخذ منها**﴾.

قال أبو عبيدة: وإن يقسطه كل قسط لا يقبل منها لأن التوبة في الحياة ﴿**أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون * قل أندعوا من دون اللّه**﴾ نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر حين دعا أباه إلى الكفر فأنزل اللّه تعالى قل أندعوا من دون اللّه ﴿**ما لا ينفعنا**﴾ إن عبدناه ﴿**ولا يضرنا**﴾إن تركناه ﴿**ونرد على أعقابنا**﴾ إلى الشرك ﴿**بعد إذ هدانا اللّه**﴾.

وتقول العرب لكل راجع خائب لم يظفر بحاجته: ردّ على عقبيه ونكص على عقبيه فيكون مثله ﴿**كالذي استهوته الشياطين**﴾ أي أضلته.

وقال ابن عباس (رضي الله عنه): كالذي استغوته الغيلان في المهامة[(٢)] وأضلوه وهو حائر بائر ﴿**في الأرض حيران**﴾ وحيران نصب على الحال.

وقرأ الأعمش، وحمزة: كالذي إستهوا به، بالباء. وقرأ طلحة: إستهواه بالألف.

وقرأ الحسن: إستهوته الشياطون وفي مصحف عبد اللّه وأُبي إستهواه الشيطان على الواحد

﴿**له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا**﴾ يعني أتوا به، وقيل: أصحاب محمد ﷺ ﴿**قل إن هدى اللّه هو الهدى وأمرنا لنسلم**﴾ أي لأن نسلم ﴿**لرب العالمين * وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون**﴾ إلى قوله ﴿**ينفخ في الصور**﴾.

قال أبو عبيدة: هو جمع صورة مثل سورة وسور.

قال العجاج:

ورب ذي سرادق محجور سرت إليه في أعالي السور[(٣)]

وقال آخرون: هو فرن ينفخ فيه بلغة أهل اليمن.

وأنشد العجاج:

نطحناهم غداة الجمعين بالضابحات في غبار النقعين
نطحاً شديداً لا كنطح الصورين[(٤)]

---

(١) الصحاح: ٢ / ٦٨٨.
(٢) المهامة: البادية.
(٣) تفسير القرطبي: ١٥ / ٤٠.
(٤) الصحاح: ٢ / ٧١٦، ولسان العرب: ٤ / ٤٧٥.

يدل على هذا الخبر المروي عن النبي ﷺ كيف أنعم صاحب القرن قد أكتم القرن [وحنى حنينه] وأصغى سمعه فنظر متى يؤمر فنفخ، ثم قال ﴿**عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير**﴾.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر**﴾.

قال محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي: وآزر أبو إبراهيم وهو تارخ مثل إسرائيل ويعقوب وكان من أهل كوثى قرية من سواد الكوفة[1].

وقال مقاتل بن حيان: لأب إبراهيم.

وقال سليمان [التيمي]: هو سب وعيب. ومعناه في كلامهم المعوج وقيل: معناه الشيخ [الهنم] بالفارسية وهو على هذه الأقاويل في محل الخفض على البدل أو الصفحة ولكنه نصب لأنه لا ينصرف.

وقال سعيد بن المسيب، ومجاهد، ويمان: آزر إسم صنم وهو على هذا التأويل في محل نصب.

وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره أتتخذ آزر أصناماً ألهة.

وقرأ الحسن وأبو يزيد المدني ويعقوب الحضرمي: آزر بالرفع على النداء بالمفرد يعني يا آزر ﴿**أتتخذ أصناماً ألهة**﴾ من دون اللّه إلى قوله ﴿**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض**﴾ يعني كما أريناه البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه نريه ملكوت السماوات

---

(١) تفسير الطبري: ٧ / ٣١٦.

والأرض أي ملكهما والملكوت الملك وبدت فيه وجدت التاء للتأنيث في الجبروت والرهبوت والرحموت.

وحكي عن العرب سراعاً له مليكوت اليمن والعراق.

وقال الكسائي: زيدت فيه التاء للمبالغة. وأنشد:

وشـر الـرجـال الـخـالـب الـخـلـبـوت[1]

وقال عكرمة: هو الملك غير إنها بالنبطية ملكوتاً. وقرأها بالياء المعجمة مليّاً.

وقال ابن عباس: يعني خلق السماوات والأرض.

مجاهد وسعيد بن جبير: يعني آيات السماوات والأرض، وذلك إنه أقيم على صخرة وكشفت له عن السماوات والأرض حتى العرش وأسفل الأرض ونظر إلى مكانه في الجنة. وذلك قوله ﴿**وآتيناه أجره في الدنيا**﴾[2] يعني أريناه مكانه في الجنة.

قال قتادة: إن إبراهيم (عليه السلام) حدث نفسه إنه أرحم الخلق. فرفعه اللّه عز وجل حتى أشرف على أهل الأرض وأبصر أعمالهم فلما رآهم يعملون بالمعاصي قال لله: دمرّ عليهم، وجعل يلعنهم. فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك، إهبط فلعلّهم يتوبوا.

قيس بن أبي حازم عن علي كرم اللّه وجهه عن النبي ﷺ قال: «لما أرى اللّه تعالى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض أشرف على رجل على معصية من معاصي اللّه فدعا اللّه عليه فهلك، ثم أشرف على آخر فدعا اللّه عليه فهلك، ثم أشرف على آخر فلما أراد أن يدعو عليه أوحى اللّه عز وجل إليه أن يا إبراهيم إنك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعونّ على عبادي فإنهم مني على ثلاث خصال: إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه، وإما أن أُخرج منه نسمة تسبّح، وإما أن [يعود] إلي فإن شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته».

وقال الضحاك: ملكوت السماوات والأرض الشمس والقمر والنجوم. وقال قتادة: خبيء إبراهيم (عليه السلام) من جبار من الجبابرة فحول له رزق في أصابعه فإذا مص إصبعاً من أصابعه وجد فيها رزقاً فلما خرج أراه اللّه ملكوت السماوات والأرض وكان ملكوت السماوات الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار.

﴿**وليكن من الموقنين * فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً**﴾ إلى آخر الآية.

قال المفسرون: إن إبراهيم (عليه السلام) ولد في زمن نمرود بن كيفان وكان نمرود أول

---

(١) كتاب العين: ٤ / ٢٧١.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٧.

من وضع التاج على رأسه وقلد التاج عليه ودعاء الناس [. . . .] وكان له كهان ومنجمون. وقالوا: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه. ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء عليهم السلام.

وقال السدي: رأى نمرود في منامه كأن كوكباً اطلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعاً شديداً ودعا السحرة والكهنة والجازة والقافة فسألهم عن ذلك فقالوا: مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاك ملكك وأهل بيتك على يديه. قالوا: فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشر رجلاً، فإذا حاضت إمرأة خليت بينها وبينه، فإذا طهرت عزل بينها، فرجع آزر أبو إبراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فلقفت فحملت إبراهيم (عليه السلام).

قال محمد بن إسحاق: بعث النمرود إلى كل إمرأة حبلى بقريته فحبسها عنده، إلاّ ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها وذلك إنها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحمل في بطنها.

قال السدي: خرج نمرود بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء خوفاً من ذلك المولود أن يكون فمكث بذلك ما شاء اللّه ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحداً من قومه إلاّ أزر فبعث إليه ودعاه. فقال: إن لي إليك حاجة أحبّ أن أوصيك بها ولا أبعثك إلاّ لثقتي بك بما أقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها، فقال آزر: أنا أشحّ على ديني من ذلك، فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته، ثم قال: قد دخلت على أهلي ونظرت إليه فلما نظر إلى أم إبراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بإبراهيم.

قال ابن عباس: لما حملت أم إبراهيم، قالت الكهان لنمرود: إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملته أمه الليلة، فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادت أم إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس، ثم لفته في خرقة فوضعته في خلفاء فرجعت فأخبرت بأنها ولدت وإن الولد في موضع كذا فانطلق أزر يأخذه من ذلك المكان وحفر له سرباً عند نهر فواراه فيه وسدّ عليه بابه بصخرة مخافة السباع، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه.

وقال السدي: لما أعظم بطن أم إبراهيم خشي آزر أن يذبح فانطلق بها إلى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها أورمة فأنزلها في سرب من الأرض وجعل عندها ماء يصلهما وجعل يتعمدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت في ذلك السرب وشب وكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب مخافة أن [يسقط في] طمع الذباحين ثم ذكر آزر لأصحابه أن لي إبناً كبيراً فانطلق به إليهم.

وقال ابن إسحاق: لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها فولدت فيها إبراهيم فأصلحت من شأنه ما يصنع من المولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل فتجده حيّاً يمص إبهامه.

وقال أبو روق: كانت أم إبراهيم كلما دخلت على إبراهيم وجدته يمص أصابعه، فقالت ذات يوم: لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء ومن إصبع عسلاً ومن إصبع لبناً ومن إصبع تمراً ومن إصبع سمناً.

قال محمد بن إسحاق: وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل. فقالت: ولدت غلاماً فمات، فصدقها فسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر، والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلاّ خمسة عشر شهراً ثم رجع إلى أبيه آزر فأخبره إنه إبنه و.خبرته أم إبراهيم إنه إبنه وأخبرته بما كانت صنعت في غيابه فسر بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً، قالوا: فإنما شب إبراهيم وهو في السرب بعد ما قال لأمه: من ربي؟

قالت: أنا، قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن ربّ أبي؟ قالت له: أسكت، فسكت، فلما رجعت إلى زوجها قالت: أرأيت الغلام الذي كنّا نتحدّث إنه بغير دين أهل الأرض فإنه إبنك ثم أخبرته بما قال لها، فأتاه أبوه آزر فقال له إبراهيم: يا أبتاه من ربي؟ قال: أمك، قال: فمن رب أمي؟ قال: أنا، قال: من ربك أنت ؟ قال نمرود، قال: فمن رب نمرود؟ فلطمه لطمة وقال: أسكت وقم، قال لأبويه: أخرجاني، فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الإبل، والخيل، والغنم، فقال: أباه ما هذه؟ قال: إبل وخيل وغنم، فقال: مالهذه بدّ من أن يكون لها رب وخالق ثم نظر وتفكر في خلق السماوات والأرض. فقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني ربي مالي إله غيره. ثم نظر فإذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر. فقال: هذا ربي فذلك قوله عز وجل: ﴿**فلما جن عليه الليل**﴾ أي دخل يقال: جن الليل وأجن وجنه الليل وأجنه وجن عليه الليل يجن جنوناً وجناناً إذا أظلم ومضى كلّ شيء، وإنما سميت الجن لاجتنانها فلا ترى.

قال أبو عبيدة: جنون الليل سواده، وأنشد:

فلولا جنان الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطي عياض بن ناشب[1]

ورأى كوكباً ﴿**فقال هذا ربي**﴾ إختلفا فيه فأجراه بعضهم على الظاهر. وقالوا: ما كان

---

(١) الصحاح: ٥ / ٢٠٩٤ وفيه: ركابنا، وتفسير القرطبي: ٧ / ٢٥. والرمث بالكسر مرعى الإبل، والأرطي شجر ينبت بالرمل.

إبراهيم (عليه السلام) مسترشداً متحيراً طالباً من التوفيق حتى وفقه اللّه تعالى، وآتاه رشده، فإنما كان هذا منه في حال طفولته، وقبل قيام الحجّة عليه وفي تلك يقول: لا يكون كفر ولا إيمان.

يدل عليه ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فعبده حتى غاب فلما غاب **﴿قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي﴾** فعبده حتى غاب فلما غاب **﴿فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الظالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر﴾** فعبدها حتى غابت الشمس فلما غابت **﴿قال: يا قوم إني بريء مما تشركون﴾**.

وأنكر الآخرون هذا القول، وقالوا: غير جائز أن يكون للّه عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات وهو غير موحد وعارف ومن كلّ معبود سواه بريء.

قالوا: وكيف قومهم هذا على عصمة اللّه وطهره في مستقره ومستودعه وآتاه رشده من قبل، وأراه ملكوته فقال: **﴿إذ جاء ربّه بقلب سليم﴾**(١) وقال **﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾**(٢) رأى كوكباً فقال **﴿هذا ربي﴾** على الاعتقاد والحقيقة هذا ما لا يكون أبداً.

ثم قيل فيه أربعة أوجه من التأويل: الوجه الأول: أن إبراهيم (عليه السلام) أراد أن يستدرجهم بهذا القول ويعرفهم خطأهم وجهلهم في تعظيم ما عظموا ويقيم عليهم الحجة ويريهم أنه معظم ما يعظموه ويلتمس الهدى من حيث التمسوا فلما أفل رأيهم النقص الداخل في النجوم ليتبينوا خطأ ما يدعون وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمونها.

قالوا: ومثل هذا مثل الحواري الذي ورد على قوم يعبدون بدّاً لهم وهو الصنم وأظهر فعظمه فأراهم الإجتهاد [. . .] كرموا وصدوا في كثير من الأمور عن رأيه إلى أن ذمهم عدو لهم خافه الملك على ملكه فشاور الحواري في أمره.

فقالوا الرأي: أن تدعوا إلهنا حتى يكشف ما قد أضلنا فإنا لمثل هذا اليوم مجتمعون فاجتمعوا حوله يجأرون ويتضرعون وأمر عدوهم يستعجل ويتوكل فلما تبين لهم أن ربّهم لا ينفع ولا يرفع فقال لهم على جهة الإستفهام والتوبيخ لفعلهم **﴿هذا ربي﴾** ومثل هذا يكون ربّاً؟ أي ليس هذا ربي كقول اللّه تعالى **﴿تكونا من الخالدين﴾**(٣) يعني أنهم الخالدون.

---

(١) سورة الصافّات: ٨٤.

(٢) سورة الأنعام: ٧٥.

(٣) سورة الأعراف: ٢٠.

وكقول موسى (عليه السلام) لفرعون: ﴿**وتلك نعمة تمنّها عليّ**﴾[١] يعني أو تلك نعمة نعمتها.

قال الهذلي:

رفعوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم[٢]

وقال آخر:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر[٣]

والوجه الثالث: أن إبراهيم (عليه السلام) قال هذا على وجه الاحتجاج على قومه لا على معنى الشك في ربه كأنه قال: هذا ربي عندكم فلمّا أفل قال: ـ وكان الهلال ـ قال: هذا أكبر منه فنظر إلى الذي عكفت عليه ها هنا يعني عندك وقوله: ﴿**ذق إنك أنت العزيز الكريم**﴾[٤] بقوله حزنه في النار لأبي جهل يعني **إنك** كذا عند نفسك وأما عندنا فلا عزيزاً ولا كريماً، في الآية إختصار وإضمار ومعناها قال: يقولون هذا ربي كقوله ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا**﴾[٥] أي يقولون ربنا تقبل منا. فلما أفل غاب وزال قال: لا أحب الآفلين رباً، لا يدوم، فلما رأى القمر بازغاً طالعاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين عن الهدى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي.

قال محمد بن مقاتل الرازي: إنما قال هذا ولم يقل هذه لأنه رأى ضوء الشمس ولم ير عين الشمس. فرده إلى الشعاع.

وقال الأخفش: أراد هذا الطالع ربي أو هذا الآتي أراه ربي هذا أكبر لأنه رآه أضوأ وأعظم فلما غربت قال: يا قوم إني بريء مما تشركون ﴿**إني وجهت وجهي**﴾ الآية. وكان آزر يصنع الأصنام فلما ضم إبراهيم إلى نفسه جعل يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليصرفها فيذهب بها إبراهيم فينادي: من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد، فإذا زادت عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب فيها رؤسها وقال: إشربي إستهزاءً بقومه وبما هم عليه من الضلالة حتى فشى عيبه إياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته ﴿**وحاجّه**﴾ أي خاصمه ﴿**قومه**﴾ في دينه ﴿**قال**﴾ لهم ﴿**أتحاجّوني في الله وقد هداني**﴾ عرّفني التوحيد والحق ﴿**ولا أخاف ما تشركون به**﴾ وذلك إنهم قالوا له: أما تخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل لعيبك إيّاها؟ فقال لهم: ولا

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢.

(٢) تفسير الطبري: ٧ / ٣٢٥، والصحاح: ٣ / ١٢٢٣، والبيت لأبي خراش.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة الدخان: ٤٩.

(٥) سورة البقرة: ١٢٧.

أخاف ما تشركون به من الأصنام ﴿**إلاّ أن يشاء ربي**﴾ سواء فيكون بما شاء ﴿**وسع ربي كل شيء علماً**﴾ يعني أحاط علمه بكل شيء ﴿**أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم**﴾ يعني الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ﴿**ولا تخافون أنكم أشركتم باللّه ما لم ينزل به عليكم سلطاناً**﴾ حجة وبرهاناً وهو القاهر القادر على كل شيء ثم قال ﴿**فأي الفريقين أحق بالأمن**﴾ أولى بالأمن [أنحن ومن اتّبع ديني] ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ فقال اللّه عز وجل قاضياً وحاكماً بينهما ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم**﴾ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ﴿**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

قال عبد اللّه بن مسعود: لما نزلت هذه الآية طبق ذلك على أصحاب النبي ﷺوقالوا: إننا لم نظلم نفسه، فقال رسول اللّه ﷺ: «ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه» ﴿**يا بني لا تشرك باللّه إن الشرك لظلم عظيم**﴾[(١)]» [١٤٢]. (إنما هو الشرك).

﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**﴾ يعني خصمهم وغلبهم بالحجة قال هي قوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم. قال بعبادة الأوثان ﴿**نرفع درجات من نشاء**﴾ بالعلم.

وقرأ أهل الكوفة ويحيى بن يعمر وابن [محيصن]: درجات بالتنوين يعني نرفع من نشاء درجات، مثله سورة يوسف ﴿**إن ربك حكيم عليم**﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

﴿**ووهبنا له**﴾ لإبراهيم ﴿**إسحاق ويعقوب كلاً هدينا**﴾ وفقنا وأرشدنا ﴿**ونوحاً هدينا من قبل**﴾ إبراهيم وولده ﴿**ومن ذريته**﴾ يعني ومن داود ونوح لأن داود لم يكن من ذرية إبراهيم وهو داود بن أيشا ﴿**داود وسليمان**﴾يعني إبنه ﴿**وأيوب**﴾ وهو أيوب بن [أموص بن رانزخ بن][(٢)] روح ابن عيصا بن إسحاق بن إبراهيم ﴿**ويوسف**﴾ وهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الذي قال رسول

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) هكذا في الأصل.

اللّه ﷺ «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»[١] [١٤٣] ﴿وموسى﴾ وهو موسى بن عمران بن [صهر بن فاعث بن لادي][٢] بن يعقوب.

وهارون وهو أخو موسى أكبر منه بسنة ﴿وكذلك﴾ أي كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء[٣] ﴿نجزي المحسنين﴾ على إحسانهم ﴿وزكريا﴾ وهو زكريا بن أزن بن بركيا[٤] ﴿ويحيى﴾ وهو إبنه ﴿وعيسى﴾ وهو إبن مريم بنت عمران بن أشيم بن أمون بن حزقيا ﴿وإلياس﴾.

واختلفوا فيه، فقال عبد اللّه بن مسعود: هو إدريس مثل يعقوب وإسرائيل.

وقال غيره: هو إلياس بن بستي بن فنخاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبي اللّه (عليه السلام) وهو [النصيح] لأن اللّه تعالى نسب في هذه الآية الناس إلى نوح وجعله من ذريته ونوح هو إبن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس[٥] ومحال أن يكون جدّ أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته[٦] ﴿وكل من الصالحين﴾ يعني الأنبياء والمؤمنين ﴿وإسماعيل﴾ وهو إبن إبراهيم ﴿واليسع﴾ وهو اليسع بن إخطوب بن العجون ﴿ويونس﴾ وهو يونس بن متى ﴿ولوطاً﴾ وهو لوط بن هارون أو ابن أخي إبراهيم (عليه السلام) ﴿وكلاً فضلنا على العالمين﴾ يعني عالمي زمانهم ﴿ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم﴾ اختبرناهم واصطفيناهم ﴿وهديناهم﴾ سددناهم وأرشدناهم، ﴿إلى صراط مستقيم * ذلك هدى اللّه يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا﴾ يعني ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكره فعبدوا معه غيره ﴿لحبط عنهم﴾ بطل عنهم وذهب عنهم ﴿ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني تلك الكتب ﴿والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء﴾ يعني قريشاً ﴿فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾ يعني الأنصار وأهل المدينة.

وقال قتادة: يعني الأنبياء الثمانية عشر الذين قال اللّه عز وجل ﴿أولئك الذين هدى اللّه فبهداهم اقتده﴾ بسنّتهم وسيرتهم اقتده الهاء فيه هاء الوقف ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً﴾ جعلا ورزقاً ﴿إن هو﴾ ما هو يعني محمد ﷺ ﴿إلاّ ذكرى﴾ عظة ﴿للعالمين * وما قدروا اللّه حق قدره﴾ أي ما عظموا اللّه حق عظمته. وما وصفوا اللّه حق صفته ﴿إذ قالوا ما أنزل اللّه على بشر من شيء﴾.

---

(١) سنن الترمذي: ٤ / ٣٥٦.
(٢) هكذا في الأصل.
(٣) زاد المسير: ٣ / ٥٥.
(٤) تفسير الطبري: ٧ / ٣٤٠.
(٥) راجع فتح الباري: ٦ / ٢٦٤.
(٦) تفسير الطبري: ٧ / ٣٤٠.

قال سعيد بن جبير: جاء رجل من يهود الأنصار يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ، فقال النبي: أتشرك بالله الذي أنزل التوراة على موسى؟ ما تجد في التوراة إن الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً سميناً فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال لأصحابه الذين معه ويحك ولا موسى؟ فقال: [والله] ما أنزل الله على بشر من شيء. فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال السدي: إنها نزلت في فحاص بن عازورا، وهو قائل بهذه المقالة.

محمد بن كعب القرضي: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ وهو محتب وقالوا: يا أبا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى (عليه السلام) ألواحاً يحملها من عند الله؟ فأنزل الله عز وجل **﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾**[1] الآية.

فجاء رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً. فأنزل الله هذه الآية.

وقال ابن عباس: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: نعم. قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً فأنزل الله **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**[2].

معلى بن أبي طلحة عن ابن عباس: نزلت في الكفار أنكروا قدرة الله تعالى عليهم فمن أقرّ أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره. ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره.

وقال مجاهد: نزلت في بشر من قريش. قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء.

وقوله **﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾** إلى قوله **﴿وتخفون كثيراً﴾** قال: هم اليهود.

وقوله **﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** قال هذه المسلمين وهكذا.

روى أيوب عنه إنه قرأ **﴿وعلمتم﴾** معشر العرب **﴿ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** وقوله **﴿يجعلونه قراطيس﴾** أي دفاتر كتبنا جمع قرطاس أي تفرقونها وتكتبونها في دفاتر مقطعة حتى لا تكون مجموعة لتخفوا منها ما شئتم ولا يشعر بها العوام، تبدونها وتخفون كثيراً من ذكر محمد وآية الرجم ونحوها مما كتبوها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء: يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً كلها بالياء على الإخبار عنهم.

---

(١) تفسير الطبري: ٧ / ٣٤٨، أسباب النزول للواحدي: ١٤٣.

(٢) سورة الأنعام: ٩١.

وقرأها الباقون: بالتاء على الخطاب، ودليلهم قوله تعالى ممّا قبله من الخطاب. قل من أنزل الكتاب.

وقرأ بعده ﴿**وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم**﴾ فإن أجابوك وقالوا: الله، وإلاّ ف ﴿**قل اللّه**﴾ فعل ذلك ﴿**ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**﴾ حال وليس بجواب تقديره ذرهم في خوضهم لاعبين.

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

﴿**وهذا كتاب**﴾ يعني القرآن ﴿**أنزلناه مبارك**﴾ أي وهذا كتاب مبارك أنزلناه ﴿**مصدق الذي بين يديه ولتنذر**﴾ تخبر.

وقرأ عاصم: بالياء أي ولينذر الكتاب ﴿**أم القرى**﴾ يعني مكة سمّاها أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها ﴿**ومن حولها**﴾ تحمل الأرض كلها شرقاً وغرباً ﴿**والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به**﴾ بالكتاب ﴿**وهم على صلاتهم**﴾ يعني الصلوات الخمس ﴿**يحافظون**﴾ يداومون ﴿**ومن أظلم**﴾ أي أخطأ قولاً وأجهل فعلاً ﴿**ممن افترى**﴾ اختلق ﴿**على اللّه كذباً**﴾ فزعم إنه بعثه نبياً ﴿**وقال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء**﴾ نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي وكان يستمع ويتكهن ويدعي النبوة ويزعم إن اللّه أوحى إليه وكان قد أرسل إلى رسول اللّه ﷺ رجلين، فقال لهما النبي ﷺ: «أتشهدان أنّ مسيلمة نبي؟ فقالا: نعم، فقال النبي ﷺ: «لولا أنّ الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»[1] [١٤٤].

وقال رسول اللّه ﷺ: «رأيت فيما يرى النائم كأنّ في يدي شوارين من ذهب فكبرا عليَّ وأهماني فأوحى اللّه إليَّ أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأوّلتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة، وكذاب صنعاء الأسود العبسي»[2] [١٤٥].

﴿**ومن قال سأنزل مثل ما أنزل اللّه**﴾ نزلت في عبد اللّه بن سعيد بن أبي سرح القرشي،

---

(١) مسند أحمد: ٣ / ٤٨٨.

(٢) صحيح البخاري: ٥ / ١١٩، والسنن الكبرى: ٨ / ١٧٥ بتفاوت.

وكان يكتب للنبي ﷺ فكان إذا قال سميعاً عليماً كتب هو عليماً حكيماً، وإذا قال عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً، وأشباه ذلك فلما نزلت **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾**[(١)] الآية. أملاها رسول الله عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله ﷺ: «أكتبها فهكذا نزلت»[(٢)] [١٤٦] فشك عبد الله وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت [كما كتب][(٣)] فارتدّ عن المسلمين ولحق بالمشركين، وقال لهما: عليكم بمحمد لقد كان يملي عليّ فأغيره وأكتب كما أُريد.

ووشى بعمار وجبير عبد لبني الحضرمي يأخذوهما وعذبوهما حتى أعطياهما الكفر وجذع أذن عمار يومئذ فأخبر عمار النبي ﷺ بما لقي وبما أعطاهم من الكفر فأبى النبي ﷺ أن يتولاّه هؤلاء فأنزل الله عز وجل فيه، وفي خبر: وابن أبي سرح **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾** إلى قوله **﴿بالكفر﴾**.

يعني عبد الله بن سعيد بن أبي سرح ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي ﷺ [بمرط هران] **﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾** وهم الذين ذكرهم الله ووصفهم قبل **﴿في غمرات الموت﴾** سكراته وهي جمع غمرة وغمرة كل شيء كثرته ومعظمه وأصل الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ومنه غمرة الماء ثم استعملت في معنى الشدائد والمكاره **﴿والملائكة باسطوا أيديهم﴾** بالعذاب والضرب وجوههم وأدبارهم كما يقال بسط يده بالمكروه **﴿أخرجوا﴾** أي يقولون أخرجوا **﴿أنفسكم﴾** أرواحكم كرهاً لأنّ نفس المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه، والجواب محذوف يعني ولو تراهم في هذا الحال لرأيت عجباً.

﴿اليوم تجزون﴾ تثابون **﴿عذاب الهون﴾** أي الهوان **﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته﴾** يعني محمداً ﷺ والقرآن **﴿تستكبرون﴾** تتعظمون.

قال النبي ﷺ: «من سجد لله سجدة فقد برىء من الكبر»[(٤)] [١٤٧] **﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾** هذا خبر من الله تعالى أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فرادى وجدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم ولا حشم.

قال الحسن: ولقد جئتمونا فرادى كل واحدة على حدة.

وقال ابن كيسان: مفردين من المعبودين، وفرادى جمع فردان مثل سكران وسكارى،

---

(١) سورة المؤمنون: ١٢.

(٢) تفسير القرطبي: ٧ / ٤٠ وفيه: وهكذا أُنزلت علي.

(٣) هكذا في الأصل.

(٤) كنز العمال: ٧ / ٣٠٨.

وكسلان وكسالى. ويقال أيضاً في واحد فرد بجزم الراء وفرِد بكسرها وفرَد بالفتح وأفرد وجمعها أفراد مثل أحاذ وفريد وفردان مثل قضيب وقضبان وكثيب وكثبان.

وقرأ الأعرج: فردى بغير ألف مثل كسرى [وكسلى] ﴿**كما خلقناكم أوّل مرّة**﴾ عراة حفاة غرلاً بهم ﴿**وتركتم**﴾ وخلفتم ﴿**ما خوّلناكم**﴾ أعطيناكم ومكنّاكم من الأموال والأولاد والخدم ﴿**وراء ظهوركم**﴾ خلف ظهوركم في الدنيا.

روى محمد بن كعب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملئت ما بين السماء والأرض فيقول الجبار جل جلاله: [وعزّتي] وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأجساد وإنما يدخل في الخياشم كما يدخل السم في اللديغ ثم يشق عليكم الأرض وأنا أول من يشق عنه الأرض فينسلون عنهم سراعاً إلى ربكم على سن ثلاثين مهطعين إلى الداعي فيوقفون في موقف منه سبعين عاماً حفاة عراة غرلاً بهم لا يناظر إليكم فلا يقضي بينكم فتبكي الخلائق حتى ينقطع الدمع ويجف العرق»(١) [١٤٨].

وقال القرضي: قرأت عائشة زوج النبي ﷺ قول اللّه عز وجل ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾، فقالت: يا رسول اللّه وأسوتاه إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض؟ فقال رسول اللّه ﷺ: «لكلّ إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض»(٢) [١٤٩].

﴿**وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء**﴾ وذلك إن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء اللّه وشفعاؤهم عنده ﴿**لقد تقطع بينكم**﴾.

قرأ أهل المدينة، والحسن، ومجاهد، وأبو رجاء، والكسائي: بينكم نصباً.

وقرأ أهل المدينة، والحسن، ومجاهد: وهي قراءة أبي موسى الأشعري على معنى لقد تقطع ما بينكم وكذلك هو في قراءة عبد اللّه وقرأ الباقون: بالرفع على معنى لقد تقطع وصلكم فالبين من الأضداد يكفي وصلاً وهجراً وأنشد:

لعمرك لولا البين لا يقطع الهوى ولولا الهوى ما حنّ للبين آلف(٣)

﴿**وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون**﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ

(١) الأحاديث الطوال: ٩٧، وتفسير القرطبي: ١٧ / ٢٨ بتفاوت يسير.

(٢) تفسير الطبري: ٧ / ٣٦٢.

(٣) لسان العرب: ١٣ / ٦٢.

﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

﴿إن اللّه فالق الحب﴾ أي فلق الحب عن النبات، ومخرج منها الزرع وشاق النوى عن الشجر والنخل ومخرجها منها.

وقال مجاهد: يعني الشقين الذين عناهما.

وقال الضحاك: فالق الحب والنوى، الحب جمع الحبة وهي كل ما لم يكن لها نواة مثل البر والشعير والذرة والحبوب كلها.

﴿والنوى﴾ جمع النواة وهي كل ما يكون له حب مثل الخوخ والمشمش والتمر والأجاص ونحوها.

﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم اللّه فأنى تؤفكون﴾ تصدون عن الحق **﴿فالق الإصباح﴾** شاق عمود الصبح من ظلمة الليل وكاشفه.

وقال الضحاك: خالق النهار، والأصباح مصدر كالإقبال والإدبار وهي الإضاءة.

وقرأ الحسن والقيسي: فالق الأَصباح بفتح الهمزة جعله جمع مثل قرص وأقراص.

﴿وجاعل الليل سكناً﴾ سكن فيه خلقه. وقرأ النخعي: فلق الأصباح وجعل الليل سكناً.

وقرأ أهل الكوفة: فالق الأصباح وجعل الليل سكناً على الفعل إتباعاً للمصحف.

وقرأ الباقون: كلاهما بالألف على الإسم.

﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ أي جعل الشمس والقمر بحساب لا يجاوزاه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما.

وقرأ [يزيد بن قعنب]: والشمس والقمر بالخفض عطفاً على اللفظ، والحسبان مصدر كالنقصان والرحمان وقد يكون جمع حساب مثل شهاب وشهبان، وركاب وركبان.

﴿ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم﴾ أي خلقها **﴿لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذي أنشأكم﴾** خلقكم وابتدأكم **﴿من نفس واحدة﴾** يعني آدم (عليه السلام).

﴿فمستقر﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: فمستقر بكسر القاف على الفاعل يعني فلكم مستقر.

وقرأ الباقون: بفتح على معنى فلكم مستقر.

واختلف المفسرون في المستقر والمستودع. فقال عبد الله بن مسعود: فمستقر في الرحم إلى أن يوادع مستودع في القبر إلى أن يبعث.

وقال مقسم: مستقر حيث يأوي إليه، ومستودع حيث يموت.

وقال سعيد بن جبير: فمستقر في بطون الأمهات، ومستودع في أصلاب الآباء.

وقال: قال لي ابن عباس (رضي الله عنه) أتزوجت يابن جبير؟ فقلت: لا وما أريد ذلك بوجه. قال: فضرب ظهري وقال: إنه مع ذلك ما كان مستودع في ظهرك فسيخرج.

عكرمة عن ابن عباس: المستقر الذي قد خلق واستقر في الرحم، والمستودع الذي قد استودع في الصلب مما لم يخلق بعد وهو خالقه.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المستقر في الرحم، والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب.

مجاهد: فمستقر على ظهر الأرض في الدنيا. ومستودع عند الله تعالى في الآخرة.

وقال أبو العالية: مستقرها أيام حياتها، ومستودعها حيث تموت وحيث يبعث.

وقال كرب: دعاني ابن عباس (رضي الله عنه) فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن عباس إلى فلان حبر تيماء، أما بعد فحدثني عن مستقر ومستودع. قال: ثم بعثني بالكتاب إلى اليهودي فأعطيته إياه، فقال: مرحباً بكتاب خليلي من المسلمين فذهب إلى بيته ففتح أسفاطاً له كثيرة فجعل يطرح تلك الأشياء لا يلتفت إليها. قال: قلت له: ما شأنك؟ قال: هذه أشياء كتبها اليهود، حتى أخرج سفر موسى فنظر إليه مرتين فقال: مستقر في الرحم ومستقر فوق الأرض ومستقر تحت الأرض ومستقر حيث يصير إلى الجنة أو إلى النار، ثم قرأ: **﴿ونقرّ في الأرحام ما نشاء﴾**. وقرأ: **﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾**[١].

فقرأ الحسن: المستقر في القبر، والمستودع في الدنيا، وكان يقول: يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك يوشك أن تلحق، بصاحبك وأنشد قول لبيد:

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائع[٢]

(١) تفسير الطبري: ٧ / ٣٧٧.

(٢) لسان العرب: ٨ / ١٩٠.

وقال سليمان بن يزيد العدوي في هذا المعنى:

فجع الأحبة بالأحبة قبلنا فالناس مفجوع به ومفجع
ومستودع أو مستقر مدخلا فالمستقر يزوره المستودع [١]

﴿**قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون. وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به**﴾ بالماء ﴿**نبات كل شيء فأخرجنا منه**﴾ من الماء، وقيل: من النبات ﴿**خضراً**﴾ يعني أخضر، وهو رطب البقول، يقول: هو لك خضراً مظراً أي هنيئاً مريئاً.

وقال نخلة: خضيرة: إذا كانت ترمي ببسرها أخضر قبل أن ينضج، وقد اختضر الرجل واغتضر إذا مات شاباً مصححاً [٢] ﴿**ومن النخل من طلعها**﴾ أي ثمرها [وكثيراً منها] وما يطلع منها ﴿**قنوان**﴾ جمع قنو وهو العذق مثل صنو وصنوان.

قال أبو عبيدة: [ولا ظير بهذا الكلام].

وقرأ الأعرج: قنوان بضم القاف، وهي لغة قيس، مثل قضبان. ولغة تميم: قنيان. وجمعه القليل أقنا مثل حنو وأحنا، ﴿**دانية**﴾ قريبة ينالها القائم والقاعد. وقال مجاهد: متدلّية.

وقال قتادة: متهدّلة [٣].

وقال الضحاك قصار ملتزقة بالأرض [٤]. ومعنى الآية ومن النخل قنوانها دانية ومنها ما هي بعيدة فاكتفى بالقريبة عن البعيدة كقوله تعالى ﴿**سرابيل تقيكم الحر**﴾ [٥] والبرد ﴿**وجنات**﴾ يعني وأخرجنا منه جنات.

وقرأ يحيى بن يعمر والأعمش وعاصم: وجنات رفعاً نسقياً على قنوان لفظاً وإن لم يكن في المعنى من جنسها ﴿**من أعناب والزيتون والرمان**﴾ يعني وشجر الزيتون والرمان، فاكتفى بالتمر عن الشجر كقوله ﴿**واسأل القرية**﴾ ﴿**مشتبهاً وغير متشابه**﴾ قتادة: متشابه ورقه يختلف بثمره، وقيل: مشتبهاً في المنظر غير متشابه في المطعم. وقال الحسن: الفعل منها ما يشبه بعضه بعضاً ومنها ما يخالف، وقيل: مشتبهاً في الخلقة من منشأه من الحكمة ﴿**أنظروا إلى ثمره**﴾.

قرأ أهل الكوفة: بضم الثاء والميم على جمع الثمار. وقرأ الباقون بفتحهما على جمع الثمرة مثل بغر وبر ﴿**إذا أثمر وينعه**﴾ نضجه وإدراكه.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٤ / ١٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٧ / ٣٨٠.
(٣) تفسير الطبري: ٧ / ٣٨٢.
(٤) نسب في زاد المسير (٣ / ٦٥) لابن عباس بلفظ: قصار النخل اللاحقة عذوقها بالأرض.
(٥) سورة النحل: ٨١.

وقرأ أبو رجاء ومحمد بن السميقع: ويانعه بالألف على الإسم **﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾**.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

﴿وجعلوا﴾ يعني الكافرين **﴿لله شركاء الجن﴾** يعني وجعلوا للّه الجن شركاء، وإن شئت نصبته على التفسير[1] **﴿وخلقهم﴾** يعني وهو خلقهم وخلق الجن.

وقرأ يحيى بن معمر: وخلقهم بسكون اللام وفتح القاف أراد إفكهم وادّعاءهم ما يعبدون من الأصنام حيث جعلوها شركاء للّه عز وجل يعني وجعلوا له خلقهم.

وقرأيحيى بن وثاب: وخلقهم بسكون اللام وكسر القاف، يعني جعلوا للّه شركاء ولخلقهم أشركوهم مع اللّه في خلقه إياهم.

وقال الكلبي: نزلت في الزنادقة قالوا: إن اللّه وإبليس شريكان، واللّه خالق النور والناس والدواب والأنعام. وإبليس خالق الظلمة والسباع والعقارب والحيّات، وهذا كقوله **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾** يعني في الجنة، وهم صنف من الملائكة خزان الجنان أشق لهم منهم صنف من الجن **﴿وخرقوا﴾** أي اختلفوا وخرصوا.

وقرأ أهل المدينة: بكثرته وخرّقوا على التكثير **﴿له بنين وبنات بغير علم﴾** وهم كفار مكة، قالوا: الملائكة والأصنام بنات اللّه. واليهود قالوا: عزير ابن اللّه. والنصارى قالوا: المسيح ابن اللّه ثم نزّه نفسه. وقال تعالى **﴿سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾** زوجة **﴿وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾** إلى قوله تعالى **﴿لا تدركه الأبصار﴾** أجراه بعضهم على العموم فقال: معناه لا تحيط به الأبصار بل تراه وهو يحيط بها[2].

---

(١) أي بدلاً من شركاء.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ٧ / ٥٤.

قال اللّه عز وجل **﴿ولا يحيطون به علماً﴾** فكما تعرفه في الدنيا لا كالمعروفين فكذلك تراه في العقبى لا كالمرئيين.

قالوا: وقد ترى الشيء ولا تدركه كما أخبر اللّه تعالى عن قول أصحاب موسى (عليه السلام) حين قرب منهم فرعون **﴿إنا لمدركون﴾** وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لأن اللّه تعالى قد وعد نبيه موسى (عليه السلام) إنهم لا يدركون بقوله **﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾**.

وكذلك قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار. وقال عطاء: كلّت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به.

وقال الحسن: لا تقع عليه الأبصار ولا تدلّ عليه العقول ولا يدركه الإذعان.

يدلّ عليه ما روى عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾**. قال: لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا صفوا صفاً واحداً ما أحاطوا باللّه[1] أبداً.

وأجراه بعضهم على النصوص. قال ابن عباس ومقاتل: معناه لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة **﴿وهو يدرك الأبصار﴾** لا يخفى عليه شيء ولا يفوته.

وقيل: معناه لا تدركه أبصار الكافرين، فأما المؤمنون فيرونه، واللّه أعلم **﴿وهو اللطيف الخبير﴾**.

قال أبو العالية: لطيف باستخراج الأشياء خبير بها.

وقال أكثر العلماء في معنى اللطيف. فقال الجنيد: اللطيف: من نوّر قلبك بالهدى وربي جسمك بالغدا، وجعل لك الولاية في البلوى ويحرسك من لظى ويدخلك جنة المأوى.

وقيل: اللطيف الذي أنسى العباد ذنوبهم لئلاّ يخجلوا. وقيل: الذي ركّب من النطفة من ماء مهين وقيل: هو الذي يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده.

قتادة: وقيل: اللطيف الذي يُغِير ولا يُغَير. وقيل: اللطيف الذي إن رجوته لبّاك وأن قصدته آواك، وإن أحببته أدناك وإن أطعته كافاك، وإن عصيته عافاك وإن أعرضت عنه دعاك، وإن أقبلت إليه عداك.

وقيل: اللطيف: الذي لا يطلب من الأحباب الأحساب والأنساب. وقيل: اللطيف: الذي يغني المفتقر إليه ويعز المفتخر به. وقيل: اللطيف: من يكافي الوافي ويعفو عن الباقي. وقيل: اللطيف: من أمره تقريب ونهيه تأريب.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢ / ١٦٧.

وقيل: اللطيف: الذي يكون عطاؤه خير ومنعه ذخيرة. وأصل اللطيف دقة النظر في جميع الأشياء ﴿**قد جاءكم بصائر من ربكم**﴾ يعني الحجج البينة التي يبصرون بها الهدى من الضلال والحق من الباطل.

قال الكلبي: يعني بينات القرآن.

﴿**فمن أبصر**﴾ يعني عرفها وآمن بها ﴿**فلنفسه**﴾ عمل وحظه أصاب وإياها بغى الخير[1] ﴿**ومن عمي فعليها**﴾ عنها فلم يعرفها ولم يصدقها.

وقرأ طلحة بن مصرف: ومن عُمّي بضم العين وتشديد الميم على المفعول التي تدل عليها، يقول: فنفسه ضر وإليها أساء لا إلى غيره ﴿**وما أنا عليكم بحفيظ**﴾ رقيب أحصي إليكم أعمالكم وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم ﴿**وكذلك نصرف الآيات**﴾ نبينها في كل وجه لندعوكم بها ﴿**وليقولوا**﴾ وليلاً يقولوا إذا قرأت عليهم القرآن ﴿**درست**﴾ أي تلوت وقرأت يا محمد بغير ألف قرأه جماعة منهم أبي رجاء وأبي وائل والأعرج ومعظم أهل العراق وأهل الحجاز، وكان عبد اللّه بن الزبير يقول: إن صبياناً يقرأونها دارست بالألف وإنما هي درست.

وقرأ علي ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: دارست بالألف يعني قارأت أهل الكتاب وتعلمت منهم تقرأ عليهم يقرأوا عليك.

وقال ابن عباس: يعني جادلت وخاصمت، وكذلك كان يقرأها، وقرأ قتادة: درست بمعنى قرئت وتليت.

وقرأ الحسن وابن عامر ويعقوب: درست بفتح الدال والراء وجزم التاء بمعنى تقادمت وانمحت وقرأ ابن مسعود وأبي طلحة والأعمش: درس بفتحها يعنون النبي درس الآيات ﴿**ولنبيّنه**﴾ يعني القول والتحريف والقرآن ﴿**لقوم يعلمون * إتبع**﴾ يا محمد ﴿**ما أوحي إليك من ربك**﴾ يعني القرآن إعمل به ﴿**لا إله إلاّ هو وأعرض عن المشركين**﴾ فلا تجادلهم ولا تعاقبهم ﴿**ولو شاء اللّه ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً**﴾ رقيباً. ويقال ربا.

قال عطاء: وما جعلناك عليهم حفيظاً تمنعهم مني ﴿**وماأنت عليهم بوكيل**﴾ والإعراض منسوخ بآية السيف. وهذه الآية نزلت حين قال المشركون لرسول اللّه ﷺ: إلى دين آبائك.

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ

---

(١) تفسير الطبري: ٧ / ٣٩٧.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾**(١). قال المشركون: يا محمد لتنتهينّ عن سبّ الهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم.

قال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك كيلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة.

وقال السدي: لما حضرت أبا طالب الوفاة، قالت قريش: إنطلقوا فلندخل على هذا الرجل ولنأمرنّه أن ينهى عنا ابن أخيه فإنا نستحي أن نقتله بعد موته فيقول العرب: كان يمنعه فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحرث، وأمية وأبي بن أخلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن البحتري، إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمداً قد آذانا وآذى الهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول الله ﷺ: «ما يريدون؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك»(٢) [١٥٠].

قال: قد أنصف قومك، فاقبل منهم، فقال النبي ﷺ «أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطيّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم»(٣) [١٥١].

قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشراً أمثالها فما هي ؟قال: قولوا: لا إله إلاّ الله، فأبوا واشمأزّوا.

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٢) جامع البيان: ٧ / ٤٠٤.

(٣) تفسير الطبري: ٧ / ٤٠٤.

وقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي، فإن قومك قد فزعوا منها. فقال: «يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها»(١) [١٥٢].

فقالوا: لتكفّنّ عن شتمك آلهتنا أو لنشتمن من يأمرك. فأنزل اللّه تعالى **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون اللّه﴾** من الأوثان **﴿فيسبوا اللّه عدواً﴾**.

وقرأ أبو رجاء والحسن وقتادة ويعقوب: عدواً بضم العين والدال وتشديد الواو أي أعداء اللّه.

﴿بغير علم﴾ فلما نزلت هذه الآية، قال رسول اللّه ﷺ لأصحابه «لا تسبوا ربهم» [١٥٣] فأمسك المسلمون عن سبّ آلهتهم.

﴿كذلك زيّنا لكل أُمة عملهم﴾ يعني كما زيّنا لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان، الحرمان والخذلان كذلك زيّنا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية **﴿ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم﴾** يخبرهم ويجازيهم **﴿بما كانوا يعملون. وأقسموا باللّه جهد أيمانهم﴾**.

قال محمد بن كعب القرضي والكلبي: قالت قريش: يا محمد تخبرنا بأن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك. قال رسول اللّه ﷺ: «أي شيء تحبون أن آتيكم به؟».

قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل، وأرنا الملائكة يشهدون لك أو ائتنا باللّه والملائكة قبيلاً. فقال رسول اللّه ﷺ: «لئن فعلت بعض ما تقولون تصدقوني» [١٥٤] قالوا: نعم واللّه لئن فعلت نتبعك أجمعين.

وسأل المسلمون رسول اللّه ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فقام رسول اللّه ﷺ يدعو اللّه أن يجعل الصفا ذهباً، فجاء جبرئيل عليه السلام فقال له: إن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم فإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول اللّه ﷺ «بل يتوب تائبهم»(٢) فأنزل اللّه تعالى **﴿وأقسموا باللّه جهد أيمانهم﴾** يعني أوكد ما قدروا عليه من الايمان وحدها.

قال الكلبي ومقاتل: إذا حلف الرجل باللّه سبحانه فهو جهد بيمينه. **﴿لئن جاءتهم آية﴾** كما جاء من قبلهم من أمم **﴿ليؤمنن بها قل﴾** يا محمد **﴿إنما الآيات عند اللّه﴾**وهو القادر على

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ١٤٩.

(٢) تفسير الطبري: ٧ / ٤٠٦، وأسباب النزول للواحدي: ١٥٠.

إتيانها دوني ودون كل من خلقه. ثم قال ﴿وما يشعركم﴾ وما يدريكم فحذف المفعول وما أدريكم، واختلفوا في المخاطبين، بقوله ﴿وما يشعركم﴾ حسب اختلافهم في قراءة قوله ﴿إنها﴾. فقال بعضهم: إن الخطاب للمشركين الذين أقسموا وتمّ الكلام عند قوله وما يشعركم، ثم إستأنف، فقال: إنها يعني الآيات ﴿إذا جاءت لا يؤمنون﴾ حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون.

وقرؤا: ﴿إنها﴾ بالكسر على الإبتداء، وهو في قراءة مجاهد وقتادة وابن محيصن وابن كثير وشبل وأبي عمر والجحدري.

وقال آخرون: الخطاب لرسول اللّه ﷺ وأصحابه وقرؤا: أنها بالفتح وجعلوا «لا» صلة يعني وما يدريكم يا معشر المؤمنين أنها إذا جاءت المشركين لا يؤمنون كقوله ﴿ما منعك أن لا تسجد﴾[1] يعني: أن تسجد، وقوله ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾[2] يعني إنهم يرجعون. وقيل: معنى إنها: لعلها وكذلك هي قراءة أُبيّ، تقول العرب: إذهب إلى السوق إنك تشتري شيئاً بمعنى لعلك تمر.

وقال عدي بن زيد:

أعاذل ما يدريك أن منيتي ... إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد[3]

يعنى: لعلّ منيّتي.

وقال دريد بن الصمة:

ذريني أطوف في البلاد لأنّني ... أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا[4]

يعني: لعلّني.

وقال أبو النجم:

قلت لسينان أدن من لقائه ... إنا نغدي القوم من سرائه[5]

أي ثعلباً تغدي.

وقرأ ابن عامر والسدي وحمزة: ﴿لا يؤمنون﴾ بالتاء على [حساب] الكفار وما يشعركم، واعتبر بقراءة أُبيّ: لعلكم إذا جاءكم لا يؤمنون.

---

(١) سورة الأعراف: ١٢.
(٢) سورة الأنبياء: ٩٥.
(٣) لسان العرب: ١٣ / ٣٤.
(٤) معجم ما استعجم: ١ / ٢١٥. وفيه: لعلني ألالقي بائد ثلة من محارب، وراجع تفسير الطبري: ٧ / ٤٠٩.
(٥) تفسير الطبري: ٧ / ٤٠٩.

وقرأ الباقون: بالياء على الخبر وتصديقها قراءة الأعمش إنّها إذا جاءتهم لا يؤمنون **﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾**.

قال ابن عباس وابن زيد: يعني نحول بينه وبين الإيمان. ولو جئناهم بالآيات التي سألوا ما آمنوا بها كما لم يؤمنوا بالتي قبلها مثل انشقاق القمر وغيره عقوبة لهم على ذلك.

وقيل: كما لم يؤمنوا به في الدنيا قبل مماتهم. نظيره قوله تعالى **﴿ولو ردوا لعادوا لما نهو عنه﴾**[1] **﴿ونذرهم﴾** قرأ أبو رجاء: ويذرهم بالياء. وقرأ النخعي: ويقلب ويذرهم كلاهما بالياء **﴿في طغيانهم يعمهون * ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾** فرأوهم عياناً **﴿وكلمهم الموتى﴾** بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا **﴿وحشرنا﴾** وجمعنا **﴿عليهم كل شيء قبلاً﴾** بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة وهي قراءة أكثر القراء، قرأ أبو جعفر: التي في الأنعام قبلاً بالكسر والتي في الكهف قبلاً عياناً بالضم. أبو عمرو بالنصب وكذلك اختار أبو عبيد وأبو حاتم لأنها في قراءة أُبيّ قبيلاً بجمعها القبل. والتي في الكهف قبلاً يعني عياناً.

وقرأ أهل الكوفة: بضم القاف والباء، ولها ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون جمع قبيل وهو الكفيل أي ضمناً وكفلاً. والقبالة الكفالة، يقال: قبيل وقبل مثل رغيف ورغف، وقضيب وقضب.

والثاني: جمع قبيل هو القبيلة يعني فوجاً فوجاً وصنفاً صنفاً.

والثالث: أن يكون بمعنى المقابلة والمواجهة من قول القائل: أتيتك قبلاً لا دبراً إذا أتاه من قبل وجهه **﴿ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء اللّه﴾** ذلك لهم. وقيل: الإستثناء لأهل السعادة الذين سبق لهم في علم اللّه الإيمان **﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾** إن ذلك كذلك **﴿وكذلك جعلنا﴾** يعزي نبيه ﷺ يعني كما أتيناك بهؤلاء القوم وكذلك جعلنا **﴿لكل نبي﴾** قبلك **﴿عدواً﴾** أعداء وفسّرهم فقال **﴿شياطين الإنس والجن﴾**.

عكرمة والضحاك والسدي والكلبي: معناه: شياطين الإنس التي مع الإنس وشياطين الجن التي مع الجن وليس للإنس شياطين.

وذلك أن إبليس قسم جنده فريقين، بعث منهم فريقاً إلى الإنس وفريقاً إلى الجن، شياطين الإنس والجن فهم ملتقون في كل حين، فيقول شيطان الإنس لشيطان الجن أضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثله، ويقول شيطان الجن لشيطان الإنس كذلك فذلك يوحي بعضهم إلى بعض.

وقال آخرون: إنّ من الإنس شياطين ومن الجن شياطين، والشيطان: العاتي المتمرّد من كل شيء.

---

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

قالوا: إن الشيطان إذا أغوى المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان من الإنس فأغراه المؤمن.

قال أبو طلحة ما روى عوف بن مالك عن أبي ذر قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يا أبا ذر هل تعوذت باللّه من شر شياطين الإنس والجن»[١] [١٥٥] قال: يا رسول اللّه فهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم هو شر من شياطين الجن.

وقال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلاّ وقد وكّل قرينه من الجن» قيل: ولا أنت يا رسول اللّه؟

قال: «ولا أنا إلاّ أن اللّه قد أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلاّ بخير»[٢] [١٥٦].

وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد من شيطان الجن وذلك إني إذا تعوذت باللّه ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يحبني فيجرني إلى المعاصي عياناً **﴿يوحي بعضهم إلى بعض﴾** أي يلقي **﴿زخرف القول غروراً﴾** وهو القول المموّه والمزّين بالباطل، وكل شيء حسّنته وزينته فقد زخرفته ثم **﴿ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى﴾** أي ولكي تميل.

وقال ابن عباس: ترجع يقال: صغى يصغى صغاً وصغى يصغى ويصغو صغواً وصغواً إذا مال.

قال الفطامي:

أصغت إليه هجائن بخدودها ... آذانهن تلى الحداة السوق[٣]

ترى عينها صغواء في جنب ماقها ... تراقب كفي والقطيع المحرما[٤]

﴿إليه﴾ يعني إلى الزخرف والغرور، ويقال: صغو فلان معك، وصغاه معك أي ميله وهواه.

وقرأ النجعي: ولتصغي بضم التاء وكسر الغين أي تميل، والإصغاء الإمالة. ومنه الحديث إن رسول اللّه ﷺ كان يصغي الإناء للهرة.

﴿أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ الأفئدة جمع الفؤاد مثل غراب وأغربة **﴿وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون﴾** أي وليكتسبوا ما هم مكتسبون.

---

(١) المعجم الكبير: ٨ / ٢١٧، وجامع البيان: ٨ / ٧.

(٢) صحيح ابن حبان: ١٤ / ٣٢٧ وتفسير القرطبي: ٧ / ٦٨.

(٣) الدرّ المنثور: ٣ / ٤٠.

(٤) لسان العرب: ١٤ / ٤٦٢.

وقال ابن زيد: وليعملوا ما هم عاملون[١]. يقال: إقترف فلان مالاً أي اكتسبه، وقارف فلان هذا الأمر إذا واقعه وعمله، قال الله تعالى ﴿ومن يقترف حسنة﴾[٢].

قال لبيد:

وإني لآتي ما أتيت وإنني لما اقترفت نفسي عليَّ لراهب[٣]

وقيل: هو من التهمة يقال: قرفه بسوء إذا اتهمه به.

قال رؤبة:

أعيا اقتراف الكذب المقروف تقوى التقيّ وعفّة العفيف[٤]

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١١٥) وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (١١٧) فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ (١١٩)﴾

قوله تعالى **﴿أفغير الله﴾** فيه إضمار أي قل لهم يا محمد أفغير الله **﴿أبتغي حكماً﴾** قاضياً بيني وبينكم، **﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾** مبيّناً يعني **﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾** يعني التوراة والإنجيل وهم مؤمنو أهل الكتاب.

قال عطاء: هم أصحاب النبي ﷺ أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي وأتباعهم رضي الله عنهم والكتاب هو القرآن.

﴿يعلمون أنه﴾ يعني القرآن **﴿منزل﴾**.

قرأ الحسن والأعمش وأبي عامر: وخص بالتشديد من التنزيل لأنه أنزل نجوماً مرة بعد مرة.

وقرأ الباقون: بالتخفيف من الإنزال لقوله عز وجل يعني أنزل إليكم الكتاب **﴿من ربك**

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢ / ١٧٣.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

(٣) الدر المنثور: ٣ / ٤٠.

(٤) جامع البيان: ٨ / ١١.

بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك﴾ قرأ أهل الكوفة كلمة: على الواحد والباقون: كلمات على الجمع، واختلفوا في الكلمات.

فقال قتادة: هي القرآن لا مبدل له لا يزيد المفترون ولا ينقصون.

وقال بعضهم: هي أقضيته وعدالته **﴿لا مبدل لكلماته﴾** لا مغير لها **﴿وهو السميع العليم وإن تطع أكثر من في الأرض﴾** يعني الكفار **﴿يضلوك عن سبيل اللّه﴾** عن دين اللّه ثم قال **﴿إن يتبعون إلاّ الظن وإن هم إلاّ يخرصون﴾** يكذبون **﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله﴾**.

قال بعضهم: موضع من نصب لأنّه ينزع الخافض وهو حرف الصفة أي بمن.

وقيل: موضعه رفع لأنه بمعنى أي والرافع ليضل.

وقيل: محله نصب لوقوع العلم عليه وأعلم بمعنى يعلم كقول حاتم الطائي:

فحالفت طيء من دوننا حلفا والله أعلم ما كنا لهم خذلا[1]

وقالت الخنساء:

القوم أعلم أن جفنته تغدو غداة الريح أو تسري[2]

﴿وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر إسم اللّه عليه﴾.

قال ابن عباس: قال المشركون للمؤمنين: أنكم تعبدون اللّه فما قبل الله لكم الحق الحق أن تأكلوا مما قتلتم بسكاكينكم فنزل اللّه **﴿فكلوا مما ذكر اسم اللّه عليه﴾** وقت الذبح يعني المذكاة بسم اللّه **﴿إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا﴾** وما يمنعكم أن لا تأكلوا **﴿مما ذكر إسم اللّه عليه﴾** من الذبائح **﴿وقد فصل لكم ما حرّم عليكم﴾**.

قرأ الحسن وأبو رجاء [الأعرج] وقتادة والجبائي وطلحة ومجاهد وحميد وأهل المدينة: بالفتح فهما على معنى فصل اللّه ما حرمه عليكم لقوله إسم اللّه جرى ذكره تعالى.

وقرأ محمد بن عامر وأبو عمرو: بضمهما على غير تسمية الفاعل لقوله ذكر.

وقرأ أصحاب عبد اللّه وأهل الكوفة: فصل بالفتح يحرم بالضم.

وقرأ عطية العوفي فصل مفتوحاً خفيفاً بمعنى قطع الحكم فيما حرم عليكم وهو ما ذكر في سورة المائدة قوله تعالى **﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾**[3] الآية **﴿إلاّ ما اضطررتم إليه﴾** من هذه الأشياء فإنه حلال لكم عند الإضطرار ثم قال **﴿وإن كثيراً ليضلون﴾** قرأ الحسن وأهل الكوفة: بضم الياء كقوله: يضلوك.

---

(١) جامع البيان: ٨ / ١٥.
(٢) جامع البيان: ٨ / ١٥.
(٣) سورة المائدة: ٣.

وقرأ الباقون: بالفتح كقوله: من يضل ومن ضل ﴿**بأهوائهم**﴾ بمرادهم ﴿**بغير علم**﴾ حين دعوا إلى أكل الميتة ﴿**إنّ ربك هو أعلم بالمعتدين**﴾ المتجاوزين من الحلال إلى الحرام.

وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾

﴿**وذروا ظاهر الإثم وباطنه**﴾ يعني الذنوب كلها لا يخلو من هذين الوجهين.

واختلفوا فيها فقال قتادة: سرّه وعلانيته، عطاء: قليله وكثيره. ومجاهد: ما ينوي وما هو عامله. الكلبي: ظاهر الإثم الزنا وباطنه المخالة.

السدي: الزواني الذي في الحوانيت وهو بيت أصحاب الرايات وباطنه الصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرّاً[١]. وقال مرّة الهمذاني: كانت العرب تجوز الزنا وكان الشريف إن يزني يستر ذلك وغيره لا يبالي إذا زنا ومتى زنا فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

وقال الضحاك: كان أهل الجاهلية يسترون الزنا ويرون ذلك حلالا ما كان سرّاً، فحرم اللّه تعالى لهذه الأمة السرّ منه والعلانية.

وروى حيان عن الكلبي: ظاهر الإثم طواف الرجال بالنهار عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة.

وقال سعيد بن جبير: الظاهر ما حرم اللّه تعالى بقوله ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء**﴾[٢]وقوله ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم**﴾[٣] الآية والباطن منه الزنا.

وقال ابن زيد: ظاهر الإثم التعرّي والتجرّد من الثياب في الطواف والباطن الزنا.

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٠.

(٢) سورة النساء: ٢٢.

(٣) سورة النساء: ٢٣.

﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يقترفون﴾ بما يكسبون في الآخرة ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم اللّه عليه﴾ فاقد]التسمية[ولم يدرك ذكاته أو ذبح لغير اللّه ﴿وإنه﴾ يعني الأكل ﴿لفسق وإن الشياطين ليوحون﴾ ليوسوسون ﴿إلى أوليائهم﴾ من المشركين ﴿يجادلوكم﴾. وذلك إن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ قال: اللّه قتلها. قالوا: فتزعم إن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الصقر والكلب حلال وما قتله اللّه حرام؟ فأنزل اللّه عز وجل هذه الآية.

وقال عكرمة: معناه ولي الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون إلى أوليائهم من مشركي قريش وكانوا أولياءهم في الجاهلية وذلك أن المجوس من أهل فارس لما أنزل اللّه تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش. وكانت بينهم مكاتبة. إن محمداً وأصحابه يزعمون إنهم يتبعون أمر اللّه ثم يزعمون إن ما ذبحوا فهو حلال، وما ذبحه اللّه فهو حرام ولا يأكلونه، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل اللّه تعالى هذه الآية ﴿وإن أطعتموهم﴾ في أكل الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾ قوله تعالى ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه﴾ هو ألف الإستفهام والتقدير دخلت على واو النسق فبقيت على فتحها يعني أومن كان كافراً ميتاً بالضلالة فهديناه واجتبيناه بالإيمان ﴿وجعلنا له نوراً﴾ يستضيء به ﴿ويمشي به في الناس﴾ على قصد السبيل ومنهج الطريق.

قال ابن زيد: يعني بهذا النور الإسلام نيابة قوله ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

وقال قتادة: هذا المؤمن معه من الله نوراً وبينة يعمل بها ويأخذ وإليها ينتهي كتاب الله ﴿كمن مثله في الظلمات﴾.

قال بعضهم: المثل زائد تقديره كمن في الظلمات.

وقال بعضهم: معناه كن أو شبه بشيء كان يشبهه من في الظلمات من ظلمة الكفر والجهل والضلالة والمسير.

﴿ليس بخارج منها﴾ لا يبصر شيئاً ولا يعرف طريقاً كالذي ضل طريقه في ظلمة الليل فهو لا يجد مخرجاً ولا يهتدي طريقاً.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما.

فقال ابن عباس: أومن كان [ميتاً] فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس. يريد حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها. أبو جهل، وذلك إن أبا جهل رمى النبي ﷺ بالحجارة وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع كعبد مسكين يقول: يابا يعلى أما ترى ما جاء به سفّه عقولنا وسبّ آلهتنا وخالف أبانا.

فقال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون اللّه، أشهد أن لا إله إلاّ اللّه لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

وقال الضحاك [ويمان]: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل.

قال عكرمة والكلبي: نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل.

﴿**كذلك زيّنا للكافرين ما كانوا يعملون**﴾ من الكفر والمعصية ﴿**وكذلك**﴾ أي وكما زيّنا للكافرين أعمالهم كذلك جعلنا.

وقيل: وكما جعلنا فسّاق مكة أكابرها كذلك ﴿**جعلنا في كل قرية أكابر**﴾ يعني عظماء، جمع أكبر مثل أفضل وأحمر وأحامر وأسود وأساود ﴿**مجرميها**﴾ إن شئت نصبته على التقديم تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر، كما تقول: جعلت زيداً رئيسها وإن شئت خفضته على الإضافة ﴿**ليمكروا فيهاوما يمكرون إلاّ بأنفسهم**﴾ لأن وبال مكرهم وجزاءه راجع إليهم ﴿**وما يشعرون**﴾ إنه كذلك ﴿**وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل اللّه**﴾ من النبوة، وذلك إن الوليد بن المغيرة قال: واللّه لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل بن هشام وذلك أنه قال: زاحمنا عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، واللّه لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلاّ أن يأتينا وحي كما يأتيه وأنزل اللّه تعالى ﴿**وإذا جاءتهم**﴾ آية حجة على صدق محمد ﷺ وصحت نبوته. ﴿**قالوا**﴾: يعني أبو جهل. قالوا: ﴿**لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل اللّه**﴾ يعني محمداً رسول اللّه ﷺ ثم قال ﴿**اللّه أعلم حيث يجعل رسالته**﴾ فخص بها محمداً ﷺ ﴿**سيصيب الذين أجرموا صغار**﴾ ذل وهوان ﴿**عند اللّه**﴾ أي من عند اللّه نصب بنزع حرف الصفة.

قال النحاس: سيصيب الذين أجرموا صغار عند اللّه على التقديم والتأخير ﴿**وعذاب شديد بما كانوا يمكرون**﴾.

وقال أبو روق: صَغَار في الدنيا وهذا العذاب في الآخرة.

﴿**فمن يرد اللّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ أي يوسّع عقله أو ينوّره ليقبل الإسلام فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

سئل رسول اللّه ﷺ عن شرح الصدر ما هو؟ قال: «نور يقذفه اللّه تعالى في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح» [١٥٧] قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت[١].

---

(١) زاد المسير: ٣ / ٨٢، وفيه: قبل نزوله.

﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ قرأ ابن كثير: ضيقاً بالتخفيف. والباقون: بالتشديد وهي لغتان مثل هين وهيّن، ولين وليّن، حرجاً كسر أهل المدينة، راءه وفتحها الباقون وهما لغتان مثل الأنف والأنف، والفرد والفرد، والوعد والوعد.

وقال سيبويه: الحرج بالفتح المصدر كالصلب والحلب ومعناه ذا حرج، والحرج بالكسر الإسم وهو أشد الضيق، يعني قلبه ضيقاً لا يدخله الإيمان.

وقيل: أثيماً لقول العرب: حرج عليك ضلمي أي ضيق وأثم. وقال السدي: حرجها شاكاً. وقال قتادة: ملتبساً.

وقال النضر بن شميل: ملقاً. وقال ليس للخير فيه منفذ.

وقال عبيد بن عمير. قرأ ابن عباس: هذه الآية، فقال: هل هاهنا أحد من بني بكر؟ فقال رجل: نعم، قال: ما الحرج فيكم؟ قال: الوادي الكثير الشجر المتمسك الذي لا طريق فيه. قال ابن عباس: كذلك قلب الكافر.

وقال أبو الصلت الثقفي وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه): هذه الآية ضيقاً حرجاً بنصب الراء. وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول اللّه ﷺ حرجاً بالكسر. فقال عمر: ابعثوا إلى رجل من كنانة وجعلوه راعياً فأتوه به فقال له عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال الحرجة فينا الشجرة التي تكون بين الأشجار التي لا يصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء.

فقال عمر (رضي الله عنه): كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير ﴿كأنما يصعّد في السماء﴾ يعني يشق عليه الإيمان، ويمتنع ويعجز عنه كما يشق عليه صعود السماء.

واختلف القراء في ذلك، فقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحمزة والكسائي: يصعّد بتشديد الصاد والعين بغير ألف أي يصعد فأدغمت التاء في الصاد.

فاختاره أبو حاتم وأبو عبيد [إعتزازاً] بقراءة عبد اللّه كأنما يتصعد في السماء.

وقرأ طلحة وعاصم وأبو عبيد والنخعي ومجاهد: بالألف مشدداً بمعنى تصاعد(١).

وقرأ ابن كيسان وابن [محيصن]، والأعرج وأبو رجاء: يصعد حقيقة(٢).

﴿كذلك يجعل اللّه الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ قال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه.

ابن زيد: الرجس العذاب مثل الرجز. وقال ابن عباس: هو الشيطان الذي يسلطه عليه.

وقال الكلبي: هو المأثم، وقيل: هو النجس. ويقال: رجس رجاسة ونجس نجاسة(٣).

---

(١) راجع تفسير الطبري: ٨ / ٤٢.
(٢) أي من الصعود.
(٣) راجع تفسير القرطبي: ٧ / ٨٣.

وكان رسول اللّه ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من نجس منجس الخبث المخبث الشيطان الرجيم»[1] [١٥٨].

﴿**وهذا صراط ربك مستقيماً**﴾ أي هذا الذي بيّنا طريق ربّك والذي ارتضاه لنفسه ديناً وجعله مستقيماً لا عوج فيه وهو الإسلام.

وقال ابن مسعود: هو القرآن. وقال: إن الصراط محتضر يحضره الشياطين ينادون: يا عبد اللّه هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل اللّه فاعتصموا بحبل اللّه وهو كتاب اللّه ﴿**قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون**﴾.

۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿**لهم دار السلم عند ربهم**﴾ يعني الجنة في الآخرة.

قال أكثر المفسرين: السلام هو اللّه عز وجل وداره الجنة. وقيل: سميت الجنة دار السلام لسلامتها من الآفات والعاهات.

وقيل: لأن من دخلها سلم من البلايا والرزايا أجمع.

وقيل: لأنها سلمت من دخول أعداء اللّه كيلا ينتغص أولياء الله فيها كما يُنغّص مجاورتهم في الدنيا.

وقيل: سميت بذلك لأن كل حالة من حالات أهلها مقرونة بالسلام فاما إبتداء دخولها فقوله ﴿**أدخلوها بسلام آمنين**﴾ وبعد ذلك قوله ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب**﴾ الآية. وبعده قوله ﴿**وتحيتهم فيها سلام**﴾ وبعده قوله ﴿**لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً**﴾[2] وقوله ﴿**لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً**﴾[3] وبعده قوله ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾[4]

---

(١) جامع البيان: ٨ / ٤٣، بتفاوت واختلاف.

(٢) سورة مريم: ٦٢.

(٣) سورة الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٤.

وبعد ذلك ﴿**سلام قولاً من ربّ رحيم**﴾[1]. فلما كان حالات أهل الجنة مقرونة بالسلام إما من الخلق وإما من الحق سمّاها اللّه دار السلام ﴿**وهو وليهم**﴾ ناصرهم ومعينهم ﴿**بما كانوا يعملون**﴾.

قال الحسن بن الفضل: يعني يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء. ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً**﴾ الجن والإنس يجمعهم في يوم القيامة فيقول: ﴿**يا معشر الجن والإنس قد استكثرتم من الإنس**﴾ أي من إضلال الناس وإغوائهم ﴿**وقال أولياؤهم من الإنس**﴾ الذين أطاعوهم ﴿**ربنا استمتع بعضنا ببعض**﴾.

قال الكلبي: إستمتاع الإنس بالجن. هو أن الرجل إذا سافر أو خرج فمشى بأرض قفر أو أصاب صيداً من صيدهم فخاف على نفسه منهم. فقال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيثبت جواز منهم، واستمتاع الجن بالإنس هو أن قالوا: قد سدنا الإنس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في قومهم وعظماً في قومهم وهذا معنى قوله تعالى ﴿**وإنه كان رجال من الإنس**﴾. الآية.

وقال محمد بن كعب وعبد العزيز بن يحيى: هو طاعة بعضهم بعضاً وموافقة بعضهم بعضاً وقيل: إستمتاع الإنس بالجن بما كانوا يأتون إليهم. من الأراجيف والسحر والكهانة، فاستمتاع الجن بالإنس إغراء الجن الإنس واتباع الإنس إياهم ﴿**وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا**﴾ يعني الموت والبعث. قال اللّه تعالى ﴿**قال النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء اللّه**﴾ يعني قدّر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم.

قال ابن عباس: هذا الإستثناء هو أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على اللّه في خلقه لا يولهم جنة ولا ناراً.

وقال الكلبي: إلا ما شاء اللّه وكان ما شاء اللّه أبداً.

وقيل: معناه النار مثواكم خالدين فيها سوى ما شاء الله من أنواع العذاب وقيل: إلا ما شاء اللّه من إخراج أهل التوحيد من النار.

وقيل: إلا ما شاء اللّه أن يزيدهم من العذاب فيها.

وقيل: إلا ما شاء اللّه من كونهم في الدنيا بغير عذاب.

وقال عطاء: إلا ما شاء اللّه من الحق في عمله أن يؤمن فمنهم من آمن من قبل الفتح ومنهم من آمن من بعد الفتح.

---

(١) سورة يس: ٥٨.

﴿**إن ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون**﴾.

روي عن قتادة: يجعل بعضهم أولياء بعض. والمؤمن ولي المؤمن والكافر ولي الكافر حيث كان.

وروى معمر عن قتادة: تبع بعضهم بعضاً في النار من الموالاة.

وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس ظلمة الجن ونولي ظلمة الجن ظلمة الإنس، يعني نَكِلُ بعضهم إلى بعض كقوله ﴿**نوله ما تولى**﴾.

قال ابن زيد: نسلط بعضهم على بعض. يدل عليه قوله ﷺ: «من أعان ظالماً سلّطه اللّه عليه»[١] [١٥٩].

وقال مالك بن دينار: قرأت في كتب اللّه المنزلة: إن اللّه تعالى قال: أُفني أعدائي بأعدائي ثم أُفنيهم بأوليائي.

وروى حيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: تفسيرها: هو أن اللّه تعالى إذا أراد بقوم خيراً ولى أمرهم خيارهم وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم.

وفي الخبر: يقول اللّه: إني أنا اللّه لا إله إلاّ أنا مالك الملوك قلوبهم ونواصيهم فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسبّ الملوك ولكن توبوا إلى اللّه تعالى بعطفهم عليكم.

﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾.

قال الأعرج وابن أبي إسحاق: تأتكم بالتاء كقوله: ﴿**لقد بعث رسل ربنا بالحق**﴾.

قرأ الباقون: بالياء كقوله تعالى ﴿**مثل ما أوتي رسل اللّه**﴾ ﴿**يقصون**﴾ يقرأون ﴿**عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا**﴾ وهو يوم القيامة.

واختلف العلماء في الجن هل أُرسل إليهم رسول أم لا؟ فقال عبيد بن سليمان: سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم مؤمن قبل أن يبعث النبي ﷺ؟ فقال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾ يعني بذلك رسلاً من الإنس ورسلاً من الجن.

قال الكلبي: كانت الرسل قبل أن يبعث النبي ﷺ يبعثون إلى الجن والإنس جميعاً.

قال مجاهد: الرسل من الإنس. والنذير من الجن ثم قرأ ﴿**ولوا إلى قومهم منذرين**﴾.

قال ابن عباس: هم الذين استمعوا القرآن وأبلغوه قومهم.

---

(١) الجامع الصغير: ٢ / ٥٧٤، ح ٨٤٧٢.

وقال أهل المعاني: لم يكن من الجن رسول وإنما الرسل من الإنس خاصة وهذا كقوله تعالى ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾[١] وإنما يخرج من المالح دون العذب.

وقوله ﴿**يذكروا اسم اللّه في أيام معلومات**﴾[٢] وهي أيام العشر وإنما الذبح في يوم واحد من العشر فهو يوم النحر. وقوله ﴿**وجعل القمر فيهن نوراً**﴾[٣] وإنما هو في سماء واحدة ﴿**قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا**﴾ أقروا ﴿**على أنفسهم إنهم كانوا كافرين * ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم**﴾ أي بشرك من أشرك ﴿**وأهلها غافلون**﴾ حتى يبعث إليهم رسلاً ينذرونهم. وقيل: معناه: لم يكن ليهلكهم دون البينة والتذكير بالرسل والآيات فيكون قد ظلمهم ﴿**ولكل درجات مما عملوا**﴾ يعني بالثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا منهم من هو أشد عذاباً ومنهم من هو أجزل ثواباً ﴿**وما ربك بغافل عما يعملون**﴾.

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿**وربك الغني**﴾ بعلمه ﴿**ذو الرحمة**﴾ بهم ﴿**إن يشأ يذهبكم**﴾ ثم يميتكم ويهلككم ﴿**ويستخلف**﴾ يخلق ﴿**من بعدكم ما يشاء**﴾ خلقاً غيركم أمثل وأطوع منكم.

وقال عطاء: يريد الصحابة والتابعين ﴿**كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين**﴾ قرناً بعد قرن، وقال مقاتل: يعني أهل سفينة نوح. وقرأ زيد بن ثابت: ذرية بكسر الذال مشدّدة.

---

(١) سورة الرحمن: ٢٢.

(٢) سورة الحج: ٢٨.

(٣) سورة نوح: ١٦.

وقال أبان بن عثمان: ذرية بفتح الذال وكسر الراء خفيفة على قدر فعله، الباقون: بضم الذال مشددة، وهي لغات صحيحة. وقال ثعلب: الذرية بالكسر الأصل، والذرية بالضم الولد **﴿إن ما توعدون لآت﴾** لجائي كائن **﴿وما أنتم بمعجزين﴾** بفائتين سابقين أي حيث كنتم يدرككم. والإعجاز أن يأتي بالشيء يعجز عنه خصمه ويقصر دونه فيكون قد قهره وجعله عاجزاً عنه **﴿قل﴾** يا محمد لهم **﴿يا قوم أعملوا على مكانتكم﴾**.

قال ابن عباس: على ناحيتكم. قال ابن زيد: على حيالكم. يمان: على مذاهبكم. عطاء: على حالتكم التي أنتم عليها. مقاتل: على جديلتكم. مجاهد: على وتيرتكم. الكلبي: على منازلكم. وقيل: إعملوا ما أمكنكم.

قرأ السلمي وعاصم: مكاناً لكم على الجمع في كل القرآن.

﴿إني عامل﴾ يقول إعملوا ما أنتم عاملون فإني عامل ما أمرني ربي، وهذا أمر وعيد وتهديد لا أمر إباحة وإطلاق كقوله **﴿إعملوا ما شئتم﴾**[1].

وقال الكلبي: معناه إعملوا ما أمكنكم من أمري فإني عامل في أموركم بإهلاك.

﴿فسوف تعلمون من تكون﴾ قرأ مجاهد وأهل الكوفة: يكون بالياء، الباقون: بالتاء، **﴿له عاقبة الدار﴾** يعني الجنة **﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾** أي لا يأمن الكافرون.

قال عطاء: لا يبعد. وقال الضحاك: لا يفوز. وقال عكرمة: لا يبقى في الثواب.

﴿وجعلوا للّه مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾.

قال المفسرون: كانوا يجعلون للّه من حروثهم وأنعامهم وثمارهم وسائر أموالهم نصيباً وللأوثان نصيباً فما كان للصنم أنفق عليه، وما كان للّه أطعم الضيفان والمساكين ولا يأكلون من ذلك كله شيئاً فما سقط مما جعلوا للّه في نصيب الأوثان تركوه. وقالوا: إن اللّه غني عن هذا، وإن سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب اللّه التقطوه فردوه إلى نصيب الصنم وقالوا: إنه فقير. وكانوا إذا بذروا ما وقع من بذر اللّه في حصة الصنم تركوه، وما وقع من حصّة الصنم في حصّة اللّه تعالى ردوه وان انفجر من سقي ماء جعلوه للشيطان في نصيب اللّه، شدّوه، وإن انفجر من سقي ماء جعلوه للّه في نصيب الشيطان تركوه. فإذا هلك الذي سموا لشركائهم أو أجدب وكثر الذي للّه، قالوا: ليس لآلهتنا بدّ من نفقة فأخذوا الذي للّه وأنفقوا على الهتهم فإذا أجدب الذي للّه وكثر الذي لآلهتهم قالوا: لو شاء اللّه لأزكى الذي له فلا يردون عليه شيئاً مما للآلهة فإذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزوا منه ووفروا ما يجزون لشركائهم وذلك قوله تعالى مما **﴿ذرأ من**

---

(١) سورة فصلت: ٤٠.

الحرث والأنعام نصيباً﴾ أي مما خلف من الحرث والأنعام نصيباً، وفيه إضمار واختصار مجازه: وجعلوا للّه نصيباً ولشركائهم نصيباً **﴿فقالوا هذا للّه بزعمهم﴾**.

يحيى بن رئاب والسلمي والأعمش والكسائي: بالضم.

وقرأ الباقون: بالفتح. وهما لغتان وهوالقول من غير حقيقة.

سمعت الحسين يقول: سمعت العنبري عن أبي العباس الأزهري عن أبي حاتم إنه قال: قال شريح القاضي: إن لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا، والزعم أيضاً في الطمع **﴿وهذا لشركائنا﴾** يعني الأوثان **﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى اللّه وما كان للّه فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾** أي بئس ما كانوا يقضون **﴿وكذلك زيّن﴾** أي كما زين لهم تحريم الحرث والأنعام كذلك زين **﴿لكثير من المشركين قتل أولادهم﴾** (ساء) موضع فرفع والمعنى: ساء الحكم حكمهم **﴿شركاؤهم﴾** يعني شياطينهم زيّنوا وحسّنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة.

وقال الكلبي: شركاؤهم سدنة الهتهم هم الذين كانوا يزينوّن للكفار قتل أولادهم. وكان الرجل في الجاهلية يحلف باللّه لئن ولد له كذا غلاماً لينحرنَّ أحدهم كما حلف عبد المطلب على إبنه عبد اللّه[١].

وقرأ أهل الشام: **﴿زيّن﴾** بالضم، **﴿قتل﴾**: رفع، **﴿أولادهم﴾** نصب، **﴿شركائهم﴾** بالخفض على التقديم، كأنه قال: زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم. ففرّقوا بين الفعل وفاعله.

يقول الشاعر:

يمر على ما يستمر وقد شقت غلائل غير نفس صدورها

يريد شقت.

عبد القيس: غلايل صدورها.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: زين بضم الزاي قتلُ رفعاً، أولادِهم خفضاً، شركاؤهم رفعاً على [التوضيم][٢] والتكرير.

كأنه لما قال: زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم. تم الكلام. ثم قال: من زيّنه؟ فقال: شركاؤهم أي زيّنه شركاؤهم فارتفع الشركاء بفعل ضمير دلّ عليه زُين، كما تقول: أكل اللحم زيد: كأنه قيل: من الآكل فتقول زيد.

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ٩١.

(٢) هكذا في الأصل.

قال الشاعر:

ليبك لزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح[١]

فزيد مفعول مستقل بنفسه غير مسمّى فاعله، ثم بيّن فقال: ضارع.

أي ليبكيه ضارع، وقوله تعالى ﴿**ليردوهم**﴾ ليهلكوهم ﴿**وليلبسوا**﴾ أي ليخلطوا ويشبهوا ﴿**عليهم دينهم**﴾ وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه ﴿**ولو شاء اللّه**﴾ هداهم ووفقهم وعصمهم عن ﴿**ما فعلوه**﴾ ذلك من تحريم الأنعام والحرث، وقيل: الأولاد ﴿**فذرهم**﴾ يا محمد ﴿**وما يفترون**﴾ يختلقون على اللّه الكذب فإن اللّه لهم بالمرصاد ولا يخلف الميعاد ﴿**وقالوا**﴾ يعني المشركين ﴿**هذه أنعام وحرث حجر**﴾ يعني ما كانوا جعلوه للّه ولآلهتهم التي قد مضى ذكرها[٢].

وقال مجاهد: يعني بالأنعام، البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، والحجر: الحرام. قال اللّه تعالى ويقولون ﴿**حجراً محجوراً**﴾[٣] أي حراماً حرماً.

قال الليث:

حنّت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس[٤]

وأصله من الحجر وهو المنع والحظر، ومنه: حجر القاضي على المفسد.

وقرأ الحسن وقتادة: وحرث حجر بضم الحاء وهما لغتان. وقرأ أُبي بن كعب وابن عباس وابن الزبير وأبي طلحة والأعمش: وحرث حرج بكسر الحاء والراء قبل الجيم وهي لغة أيضاً مثل جذب وجبذ.

وأنشد أبو عمرو:

ألم تقتلوا الحرجين إذ أعرضا لكم يمران بالأيدي اللحاء المضفرا[٥]

﴿**لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم**﴾ يعنون الرجال دون النساء ﴿**وأنعام حرمت ظهورها**﴾ يعني الحامي إذا ركب ولد ولده. قالوا: حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ﴿**وأنعام لا يذكرون اسم اللّه عليها**﴾.

قال مجاهد: كانت لهم من أنعامهم طائفة لا يذكرون اسم اللّه عليها ولا في شيء من شأنها لا أن ركبوا ولا أن حلبوا ولا أن نتجوا ولا أن باعوا ولا أن حملوا.

---

(١) لسان العرب: ٢ / ٥٣٦، والبيت أنشده سيبويه.

(٢) تفسير الطبري: ٨ / ٥٩.

(٣) سورة الفرقان: ٢٢.

(٤) كتاب العين: ٤ / ١٢٠، ولسان العرب: ٦ / ٩٠، والبيت لجرير، ويروى حجّت.

(٥) لسان العرب: ٢ / ٢٣٦، والبيت للهذلي.

وقال أبو عاصم: قال لي أبو وائل: أتدري ما أنعامٌ حرمت ظهورها؟ قلت: لا. قال: لا يحجّون عليها.

وقال الضحاك: هي التي إذا ذكوها أهلوا عليها بأصنامهم ولا يذكرون إسم اللّه عليها ﴿**إفتراءً عليه**﴾[١] يعني إنهم كانوا يفعلون ذلك ويزعمون إن اللّه أمرهم به ﴿**سيجزيهم بما كانوا يفترون * وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا**﴾.

قال ابن عباس والشعبي وقتادة: يعني ألبان النحائر كانت للذكور دون النساء فإذا ماتت اشترك في لحمها ذكورهم وإناثهم.

وقال السدي: يعني أخذ النحائر ما ولد منها أُخذ خالص للرجل دون النساء [وأما ما ولد ميت فيأكله] الرجال والنساء، ودخل الهاء في (خالصة) على التأكيد والمبالغة، كما فعل ذلك بالراوية والنسابة والعلامة.

قال الفراء: أُهلت الهاء لتأنيث الأنعام، لأن مافي بطنها مثلها، فأنث لتأنيثها قال: وقد يكون الخالصة كالعاقبة ومنه قوله ﴿**إنّا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**﴾[٢]، وقرأ عبد الله والأعمش: خالص لذكورنا بغير الهاء ردّاً إلى ما، وقرأ ابن عبّاس: خالصة بالإضافة [ويخلص] والخالصة والخليصة والخلصان واحد. قال الشاعر:

كنت أميني وكنت خالصتي وليس كل إمرىء بمؤتمن[٣]

﴿**ومحرّم على أزواجنا**﴾ يعني النساء ﴿**وإن يكن ميتةً**﴾ قرأ أهل المدينة: تكن بالتاء، ميتةٌ بالرفع على معنى: وإن تقع الأنعام ميتة، وقرأ أهل مكّة: يكن بالياء، ميتة بالرفع على معنى: وإن يقع ما في بطون الأنعام ميتةً، وقرأ الأعمش: تكن بالتاء، ميتة نصباً على معنى: وإن يكن [ما في بطون الأنعام ميتة][٤] وقرأ الباقون: يكن بالياء، ميتة بالنصب، ردّوه إلى ما يؤيّد ذلك قوله: ﴿**فهم فيه شركاء**﴾ ولم يقل: فيها. ﴿**سيجزيهم وصفهم**﴾ أي بوصفهم وعلى وصفهم الكذب على الله كقوله ﴿**وتصف ألسنتهم الكذب**﴾[٥] والوصف والصفة واحد كالوزن والزنة والوعد والعدة، ﴿**إنّه حكيم عليم قد خسروا الذين قتلوا أولادهم سفهاً**﴾ الآية نزلت في ربيعة ومضر وفي العرب الذين يدفنون بناتهم أحياء مخافة السبي والفقر، إلاّ ما كان من بني كنانة فإنّهم كانوا لا يفعلون ذلك.

---

(١) سورة الأنعام: ١٣٨. (٢) سورة ص: ٤٦.

(٣) البيت من أبيات قالها سليمان بن قتة يرثي بها الإمام الحسن عليه السلام كما في شرح النهج لابن أبي الحديد: ٦/ ٥٢ وفيه بدل العجز المذكور هنا قوله: لكل حي من أهله سكن.

(٤) زيادة عن تفسير القرطبي: ٧ / ٩٦.

(٥) سورة النحل: ٦٢.

وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن وأهل مكّة والشام: قتّلوا، مشدداً على التكثير والباقون بالتخفيف ﴿**بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله**﴾ يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام افتراءً على الله حين قالوا: إنّ الله أمرهم بها ﴿**وقد ضلّوا وما كانوا مهتدين وهو الذي أنشأ**﴾ اخترع وابتدع ﴿**جنات**﴾ بساتين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿**معروشات وغير معروشات**﴾ مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات قال ابن عباس: معروشات ما انبسط على وجه الأرض وأنتشر ممّا يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات ما كان على ساق مثل النخيل وسائر الأشجار وما كان على نسق، ومثل [البروج]، وقال الضحاك: معروشات وغير معروشات الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش.

وروي عن ابن عباس إيضاً أنَّ المعروشات ما عرش الناس[١]، وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار[٢].

يدلّ عليه قراءة علي (معروشات وغير معروشات) بالغين والسين. (والنخل) يعني وأنشأ ﴿**النخل والزرع مختلفاً أُكله**﴾ ثمره وطعمه الحامض والمرّ والحلو والجيّد والرديء وارتفع معنى الأكل [ومختلفاً نعته] إلاّ أنه لمّا تقدّم النعت على الاسم وولي منصوباً نصب، كما تقول: عندي طبّاخاً غلام وأنشد:

الشر منتشر لقاك [من مرض] والصالحات عليها مغلقاً باب

﴿**والزيتون والرمان متشابهاً**﴾ في المنظر ﴿**وغير متشابه**﴾ في الطعم مثل الرمانتين لونهما

(١) أي رفع أغصانه.

(٢) تفسير الطبري: ٨ / ٦٩.

واحد وطعمهما مختلف، إحداهما حلوة والأخرى حامضة وقد مرّ القول فيه ﴿**كلوا من ثمره إذا أثمر**﴾ ولا تحرّموه كفعل أهل الجاهلية ﴿**وآتو حقّه يوم حصاده**﴾ قرأ أهل مكّة والمدينة والكوفة حِصاده بكسر الحاء والباقون بالفتح، وهما واحدة كالجَداد. والجِداد [والصَرام والصِرام] واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال ابن عباس وطاووس والحسن وجابر بن زيد ومحمد ابن الحنفية وسعيد بن المسيب والضحاك وابن زيد:]هي الزكاة[المفروضة العُشْر ونصف العشر.

وقال عليّ بن الحسين وعطاء وحمّاد والحكم: هو حق في المال سوى الزكاة.

قال مجاهد: إذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم من السنبل، وإذا جذذت فألف لهم من الشماريخ، وإذا درسته ودسته وذرّيته فاطرح لهم منه، وإذا كدسته ونقيته فاطرح لهم منه، وإذا عرفت كيله فاعزل زكاته.

وقال إبراهيم: هو الضغث[1]، قال الربيع: لقاط السنبل. قال مجاهد: كانوا يعلّقون العذق عند الصرام فيأكل منه الضيف [ومن مرَّ به][2].

قال زيد بن الأصم: كان أهل [الجاهليّة] إذا صرموا يجيئون بالعذق فيُعلّقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فيسقط منه ويأخذه.

وقال سعيد بن جبير وعطيّة: كان هذا قبل الزكاة فلمّا فرض الزكاة نسخ هذا.

وقال سفيان والسدي: سألت عن هذه الآية فقال: نسخها العشر ونصف العشر، قلت: ممّن؟ فقال: من العلماء مقسّم عن ابن عباس: نسخت الزكاة كلّ [صدقة] في القرآن.

﴿**ولا تُسرفوا أنّه لا يحب المُسرفين**﴾ كان رجال [ينفقونها بالحرام] فيقول الرجل لا أمنع سائلا حتّى [أمسي] فعمد ثابت بن قيس بن شمّاس إلى خمس مائة نخلة فجذها ثمّ قسّمها في يوم واحدولم يترك لأهله شيّئاً فنزلت (ولا تُسرفوا) أي لا تعطوا كلّه، وقال السدي: لا تُسرفوا لا تعطوا أموالكم فتقعدوا فقراء، وقال سعيد بن المسيّب: لا تمنعوا الصدقة، وقال [يمان بن رئاب]: ولا تُبذّروا تبذيراً، مجاهد وعطية العوفي: ولا تتركوا الأصنام في الحرث والأنعام.

وقال الزهري: [فوقعوا في] المعصية، وقال مجاهد: لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً أو مدّاً في معصية الله [كان] مسرفاً، وفي هذا المعنى قيل لحاتم الطائي: لا خير في السرف فقال: لا سرف في الخير.

وقال محمد بن كعب: السرف أن لا يعطي في حق، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٧٥.

(٢) تفسير القرآن لعبد الرزاق: ٢ / ٢١٩.

الإسراف ما لا يقدر على ردّه إلى الصلاح، والفساد ما يقدر على ردّه إلى الصلاح.

قال النضر بن شميل: الإسراف التبذير والإفراط، والسرف الغفلة والجهل. قال الشاعر:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ... مافي عطائهم منٌ ولا سرف[1]

قال إياس بن معاوية: ما تجاوز أمر الله فهو سرف، وروى ابن وهب عن ابن زيد قال: الخطاب [للمساكين] يقول: لا تأخذوا فوق حقّكم.

﴿ومن الأنعام﴾ يعني أنشأ من الأنعام ﴿حمولةً﴾ بمعنى كلّ ما محمّل عليها ويركب مثل كبار الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، سمّيت بذلك لأنّها تحمل أثقالهم، قال عنترة:

ما دعاني إلا حمولة أهلها ... وسط الديار [تسف] حب الخمخم[2]

والحمولة الأحمال.

وقال أهل اللغة: الفعولة بفتح الفاء إذا كانت [يعني] الفاعل استوى فيه المذكّر والمؤنّث نحو قولك: رجل فروقة وامرأة فروقة للجبان والخائف، ورجل صرورة وامرأة صرورة إذا لم يحجا، وإذا كانت بمعنى المفعول فرّق بين الذكر والأُنثى بالهاء كالخلويّة والزكويّة ﴿وفرشاً﴾ والفرش ما يؤكل ويجلب ولا يحمل عليه مثل الغنم والفصلان والعجاجيل، سمّيت فرشاً للطافة أجسامها وقربها من الفرش. هي الأرض المستوية، وأصل الفرش الخفة واللطافة ومنه فراشة العقل وفراش العظام، والفرش أيضاً نبت ملتصق بالأرض [تأكله] الإبل قال الراجز:

كمفشر الناب تلوك الفرشا[3] ... والفرش: صغار الأولاد من الأنعام

وقال الراجز:

أورثني حمولة وفرشاً ... أمشها في كلّ يوم مشاً[4]

﴿كلوا ممّا رزقكم الله ولا تتّبعوا خطوات الشيطان﴾ ما حرم الحرث الأنعام ﴿إنّه لكم عدوٌّ مبين﴾ ثمّ بيّن الحمولة والفرش فقال: ﴿ثمانية أزواج﴾ نصبها على البدل من الحمولة [بالفرض] يعني [واحد من] الأنعام ثمانية أزواج أي أصناف ﴿من الضأن اثنين﴾ فالذكر زوج والأُنثى زوج والضأن والنعاج جمعه، واحده: ضائن، والأُنثى: ضائنة، والجمع: ضوائن.

قرأ الحسن وطلحة بن مصرف: الضأن مفتوحة الهمزة، والباقون ساكنة الهمزة، تميم بهمزة وسائر لا بهمزة ﴿ومن المعز أثنين﴾ والمعز المعزى لا واحد له من لفظه، وأمّا الماعز

(١) البيت لجرير كما في الكنز اللغوي لابن السكيت الأهوازي ص ١١٦.
(٢) لسان العرب: ١٢ / ١٩١.
(٣) لسان العرب: ٦ / ٣١٧.
(٤) تفسير القرطبي: ٧ / ١١٢، ومش الناقة: حلبها.

فجمعه معيزة وجمع الماعزة مواعز، وقرأ أهل المدينة والكوفة: من المعز ساكنة العين والباقون بالفتح، وفي مصحف أُبيّ: من المعزى، وقرأ أبان بن عثمان: من الضأن اثنان ومن المعز اثنين، قل يا محمد: ﴿**الذكرين**﴾ حرّم الله عليكم؟ ذكر الضأن ﴿**حرم أم الأنثيين**﴾ والمعز؟ أم أُنثييهما [والنصب] قوله ﴿**آلذكرين حرم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين**﴾ منهما ﴿**نبئوني بعلم إن كنتم صادقين**﴾ ﴿**ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قلّ الذّكرين حرّم أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين**﴾.

وذلك أنّهم كانوا يقولون هذه أنعام [وحرث حجر]، وقالوا: أمّا في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا، فحرّموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. فلما قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبيّ ﷺ وكان خطيبهم يومئذ مالك بن عوف وأبو النضر [النصري] فقال: يا محمد [رأينا] أنك تحرّم ما كان أباؤنا يفعلونه؟

فقال لهم رسول الله ﷺ: إنكم قد حرّمتم أصنافاً من النعم على [غير. . . . .][1] إن الله خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها فمن أين حرمت ذكران هذه النعم على نسائكم دون رجالكم؟

فإن زعمتم أن تحريمه من أجل الذكران وجب أن تحرموا كل ذكر، لأن للذكر فيها حظاً، وإن زعمتم أنّ تحريمه من جهة الأنثى وجب أن تحرموا كل انثى لأن للأناث فيها حظّاً، وإن زعمتم أن تحريمه لإجتماع الذكر والأنثى فيه وما اشتمل الرحم عليه وجب أن تحرّموا الذكر والأنثى والحي والميّت، لأنَّه لا يكون ولد إلاّ من ذكر وأنثى ولا يشتمل الرحم إلاّ على ذكر وأنثى، فَلِم تحرمون بعضاً وتحّلون بعضاً؟ فسكت.

فلما لزمته الحجّة أخذ بالإفتراء على الله فقال: كذا أمرنا الله فقال الله تعالى ﴿**أم كنتم شهداء**﴾ [حضوراً] ﴿**إذ وصّاكم الله بهذا**﴾.

﴿**فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليُضل الناس بغير علم إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾.

قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن

(١) كلام غير مقروء.

كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

[ثمّ بيّن] المحرمات فقال ﴿**قل لا أجدُ في ما أُوحي إليَّ محرّماً**﴾ أي شيئاً محرّماً ﴿**على طاعم يطعمه**﴾ آكل يأكله. وقرأ علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: يطعمه مثقلة بالطاء أراد يتطعّمه فأدغم، وقرأت عائشة على طاعم طعمه[1] ﴿**إلاّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً**﴾ [مهراقاً] سائلاً. قال عمران بن جرير: سألت أبا مجلز عمّا يتلطخ من اللحم بالدم وعن القدر تعلوها حمرة الدم. قال: لا بأس به إنّما نهى الله سبحانه عن الدم المسفوح.

وقال إبراهيم: لا بأس الدم في عروق أو مخ إلاّ المسفوح الذي تعمّد ذلك، قال عكرمة: لولا هذه الآية لأتّبع المسلمون من العروق ما تتبّع اليهود[2] ﴿**أو لحم خنزير فإنّه رجس**﴾ خبيث ﴿**أو فسقاً**﴾ معصية ﴿**أُهِلَّ**﴾ ذبُح ﴿**لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربّك غفور رحيم**﴾.

﴿**وعلى الذين هادُوا**﴾ يعني اليهود ﴿**حرّمنا كلّ ذي ظفر**﴾، وهو مالم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير. مثل الإبل والنعّام والأوزة والبط.

قال ابن زيد: هو الإبل فقط. وقال القتيبي: هو كلّ ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب، وقد حكاه عن بعض المفسّرين، وقيل: سمّي الحافر ظفراً على الاستعارة وأنشد قول طرفة:

فما رقد الولدان حتّى رأيته ... على البكر يمريه بساق وحافر[3]

فجعل الحافر موضع القدم.

وقرأ الحسن كل ذي ظفر مكسورة الظاء مسكنة الفاء. وقرأ [أبو سماك] ظِفِر بكسر الظاء والفاء وهي لغة.

---

(١) بفعل ماض.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ٧ / ١٢٤.

(٣) البيت لجبيها الأسدي كما في اللسان: ٤ / ٢٠٦.

﴿ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومها﴾ يعني [الشروب] وشحم الكليتين **﴿إلاّ ما حملت ظهورهما﴾** أي ما علق بالظهر والجانب إلاّ منْ داخل بطونها **﴿أو الحوايا﴾** يعني الماعز **﴿أو ما اختلط بعظم﴾** مثل لحم الإلية **﴿ذلك﴾** التحريم **﴿جزيناهم ببغيهم﴾** بظلمهم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل **﴿وإنا لصادقون﴾** في أخبارنا عن هؤلاء اليهود وعمّا حرّمنا عليهم من اللحوم والشحوم.

﴿سيقول الذين أشركوا﴾ [لمّا الزمنا بينهم] الحجّة وتبيّنوا وتيقنوا باطل ما كانوا عليه **﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا من قبل ولا حرّمنا﴾**ما حرّمنا من التغاير والسوايب وغير ذلك لأنَّه قادر على أن يحمل بيننا وبين ذلك حتّى لا نفعله ولكنّه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأصنام وتحريم الحرث والأنعام وأراد منّا وأمرنا به فلم يحل بيننا وبين ذلك فقال الله تعالى تكذيباً لهم وردّاً عليهم **﴿كذلك كذّب الذين من قبلهم﴾** ولو كان كذلك خيراً من الله تعالى عن مَنْ كذّبهم في قولهم **﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾** لقال كذلك (كذَب الذين من قبلهم) بتخفيف الذال وكان نسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب.

وقال الحسن بن الفضل: [لمّا خبّروا بهذه المقالة] تعظيماً وإجلالا لله سبحانه وتعالى وصفة منهم به لمّا عابهم ذلك، لأن الله قال **﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾** وقال سبحانه: **﴿ما كانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله﴾** وقال **﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾** والمؤمنون يقولون هذا ولكنّهم قالوا ذلك تكذيباً وتخرصاً وبدلاً من غير معرفة بالله تعالى وبما [يقولون] نظيره قوله **﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾**(١)، قال الله تعالى **﴿مالهم بذلك من علم إنّ هم إلاّ يخرصون﴾** بقولهم هذا من غير علم بيّنهم بآية **﴿والمؤمنون﴾** وبقوله و **﴿علم﴾** منهم بالله عزّ وجلّ ثمّ قال **﴿هل عندكم من علم﴾** من حظ وحجّة على ما يقولون من غير علم ويقين **﴿وإن أنتم إلاّ تخرصون﴾** تكذّبون **﴿قل فلله الحجّة البالغة﴾** التامة الكافية على خلقه **﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾** **﴿قل هلم شهداءَكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾** أي احضروهم وأتوا بهم فقالوا: نحن نشهد، فقال الله تعالى: **﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾** إلى قوله **﴿يعدلون﴾** يشركون.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

(١) سورة الزخرف: ٢٠.

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

ثمّ قال ﴿**قل يامحمد تعالوا أتلُ**﴾ أقرأ ﴿**ما حرم ربكم عليكم**﴾ حقّاً يقينا كما أوحى إليّ ربّي وأمرني به لاظنّاً ولا تكذيباً كما يزعمون ﴿**لا تشركوا به شيئاً**﴾ اختلفوا في محل أن فقال بعضهم: [محلّه] نصب، ثمّ اختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه: حرّم أن تشركوا ولا صلة كقولهم: (ما منعك ألا تسجد).

وقيل: إنّك ألاّ تشركوا، وقيل: أوحى ألا تشركوا، وقيل: [ما] بدل [من] ما حرّم، وقيل: الكلام عند قوله ﴿**حرّم ربّكم**﴾ ثمّ قال: عليكم أن لا تشركوا على الكفر، وقال بعضهم: موضع [من] معناه: وهو أن لا تشركوا جهراً بكفركم، وأما بعده فيجوز أن يكون في محل النصب عطفاً على قوله أن لا تشركوا) وأن [. . . . .][1] لأنّه يجوز أن يكون جزم على الأقوى كقوله ﴿**قل إني أمرت أن أكون أوّل مَنْ أسلم**﴾.

﴿**ولا تكونن من المشركين**﴾ عطف بالنهي على الخبر قال الشاعر:

حـج وأوصـي بـسـلـيـمـى إلا عـبـدا أن لاتـــرى ولا تـــكـــلـــم أحـــداً

ولا يـــزال شـــرابـــهـــا مـــبـــردا[2]

﴿**وبالوالدين إحساناً فلا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**﴾ ولاتئدوا بناتكم خشية العيش فإني أرزقكم وإياهم والإملاق الفقر ونفاد الزاد.

﴿**ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها**﴾ يعني علانية ﴿**وما بطن**﴾ يعني السرّ قال المفسّرون: كانوا في الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السرّ فحرّم الله تعالى الزنا في العلانيّة والسر وقال الضحاك: ما ظهر الخمر وما بطن ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله**﴾ [نهى وهي] نفس مؤمن أو معاهد ﴿**إلاّ بالحق**﴾ يعني بما أباح قبلها وهي الارتداد والقصاص والرجم.

وروى مطر الوراق عن نافع بن عمر عن عثمان رضي الله عنه أشرف على أصحابه وقال: علام يقتلونني فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم أمرىء مُسلم إلاّ بإحدى ثلاث:

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) تفسير الطبري ٨: ١٠٨.

رجل زنا بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عامداً فعليه القود، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ولا قتلت أحداً فاقيد نفسي، ولا ارتددت منذ أسلمت، إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله» [١٦٠](١)

﴿ذلكم﴾ النبيّ الذي ذكرت ﴿وصّاكم به لعلّكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن﴾ يعني بما فيه صلاحه وتثميره، وقال مجاهد: هو التجارة فيه، وقال الضحاك: أموال يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً.

وقال ابن زيد: وأن يأكل بالمعروف إن افتقر، وإن استغنى لم يأكل، وقال الشعبي: مَنْ خالط مال اليتيم حتّى يفصل عليه فليخالطه، ومَنْ خالطه ليأكل منه وليدعه حتّى يبلغ أشده.

وقال يحيى بن يعمر: بلوغ الحلم، وقال الشعبي: الأشد الحلم حيث يكتب له الحسنات وعليه السيئات، وقال أبو العاليّة: حتّى يعقل ويجتمع قوّته.

وقال الكلبي: الأشد مابين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة. وقال السدّي: هو ثلاثون سنة ثمّ جاء بعدها حتّى بلغوا النكاح.

والأشد جمع شدّ، مثل قدّ وأقدّ، وهو استحكام قوماً لفتى وشبابه وسنه، ومنه شد النهار وهو ارتفاعه، يقال: أتيته شدّ النهار ومد النهار وقال الفضل بن محمد في شد بيت عنترة:

[عهدي به] شدّ النهار كأنّما　　خضب اللبان ورأسه بالعظلم(٢)

وقال آخر:

تطيف به شد النهار ضعينة　　طويلة أنقاء اليدين سحوق(٣)

وليس بلوغ الأشد ممّايدع قرب ماله بغير الأحسن وقد تمّ الكلام.

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن﴾ [على الأبد] ﴿حتّى يبلغ أشدّه﴾ فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً ﴿وأُوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا نكلف نفساً إلاّ وسعها﴾ أي طاقتها في إيفاء الكيل والوزن، وقال أهل المعاني: معناه: إلاّ يسعها ويحلّ لها ولا يخرج عليه ولا يضيق عنه وذلك أنّ لله تعالى من عباده أنّ كثيراً منهم ضيق نفسه عن أن يطيّب لغيره بما لا يجب عليها له فأمر المعطي بإيفاء الحق ربّه الذي هو له ويكلّفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر صاحب الحق بأخذ حقّه ولم يكلفه الرضا بأقل منه لمّا فيه في النقصان عليه من ضيق نفسه، فلم يكلّف نفساً منهما إلاّ ما لا حرج فيه ولا يضيق عليه.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ٦٧.

(٢) لسان العرب: ٣ / ٢٣٥.

(٣) لسان العرب: ١٠ / ١٥٤.

قال ابن عباس: إنكم معشر الأعاجم فقد وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان **﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾** أي فاصدقوا في الحكم والشهادة **﴿ولو كان ذا قربى﴾** محذوف الاسم يعني ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قربة **﴿وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذّكرون﴾** يتّعظون.

قال ابن عباس: هذا الآيات محكمات لم ينسخهنّ شيء في جميع الكتب وهنَّ محرّمات على بني آدم كلّهم وهنّ أُمّ الكتاب مَنْ عمل بهن دخل الجنّة ومَنْ تركهن دخل النار.

قال كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إنَّ هذا لأوّل شيء في التوراة **﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربّكم عليكم﴾** الآيات.

وقال الربيع بن خيثم لأصحابه: ألا أقرأ عليكم صحيفة عليها خاتم محمد ﷺ لم يُفك فقرأ هذه الآية **﴿قل تعالوا أتل﴾** **﴿وإنَّ هذا﴾** يعني وصّاكم به في هاتين الآيتين **﴿صراطي﴾** طريقي وديني **﴿مستقيماً﴾** مستوياً قويماً **﴿فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل﴾** يعني الطرق المختلفة التي عداها مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات **﴿فتُفرّق﴾** فيمتدّ وتخالف [وتشتت] **﴿بكم عن سبيله﴾** عن طريقه ودين النبيّ الذي ارتضى وبها وصّى **﴿ذلكم الذي﴾** ذكرت **﴿وصاكم به لعلكم تتقون﴾** **﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب﴾** يعني ثمّ قل يا محمد لهم آتينا موسى الكتاب، لأنّ موسى أوتي الكتاب قبل محمد عليهما الصلاة والسلام. وقيل: ثمّ بمعنى الواو لأنّهما حرفا عطف قال الشاعر:

قل لمن ساد ثمّ ساد أبوه ثمّ قد ساد قبل ذلك جدّه(١)

﴿تماماً﴾ نصب على القطع، وقيل: على التفسير **﴿على الذي أحسن﴾** قال بعضهم: معناه تماماً على المحسنين. ويكون (الذي) بمعنى (من) وتقديره على الذين أحسنوا، لفظه واحد ومعناه جمع كما تقول: أُوصي بمالي للذي غزا وحجَّ يريد الغازين والحاجين.

وقال الشاعر:

شبّوا عليّ المجد وشابوا واكتهل

يريد: واكتهلوا.

يدلّ عليه قراءة عبد الله بن مسعود (على الذين أحسنوا).

وقال أبو عبيد: معناه على كل مَنْ أحسن، ومعنى هذا القول أتممنا [طلب] موسى بهذا الكتاب، على المحسنين يعني أظهرنا فضله عليهم، والمحسنون هم الأنبياء والمؤمنون. وقيل:

---

(١) البيت لأبي نؤاس في مدح العباس بن عبيد الله، كما في شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٣٩٠.

معناه: ثمّ آتينا موسى الكتاب متماً للمحسنين يعني تتميماً منّا للأنبياء والمؤمنين الكتب ﴿على﴾ بمعنى (اللام) كما تقول أتم الله عليه فأتم له. قال الشاعر:

رعته أشهراً وخلا عليها فطار التي فيها واستعاراً [١]

أراد: وخلا لها.

وقيل: (الذي) بمعنى (ما)، يعني آتينا موسى الكتاب تماماً على ما أحسن موسى من العلم والحكمة أي زيادة على ذلك.

وقال عبد الله بن بريدة: معناه تماماً مِني على مَنّي وإحساني إلى موسى، وقال ابن زيد: معناه تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه وأياديه عندهم، وقال الحسن: فمنهم المحسن ومنهم المسيء فنزل الكتاب تماماً على المحسنين، وقرأ يحيى بن يعمر: على الذي أحسن، بالرفع أي على ﴿الذي أحسن وتفصيلا﴾ بياناً ﴿لكلّ شيء﴾ يحتاج إليه من شرائع الدين ﴿وهدىً ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ هذا يعني وهذا القرآن ﴿كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ واعملوا بما فيه ﴿واتقوا﴾ وأطيعوا ﴿لعلّكم ترحمون﴾ فلا تعذبون.

أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

﴿أن تقولوا﴾ يعني [لئلاّ] تقولوا كقوله ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ وقوله: ﴿قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا﴾[٢] يعني أي لا تقولوا يعني لئلاّ تقولوا.

---

(١) شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٣٢٢.

(٢) سورة المائدة: ١٩.

وقيل: معناه أنزلناه كراهة أن يقول، وقال الكسائي: معناه: اتقوا أن تقولوا: يا أهل مكّة، وقرأ ابن محيصن والأعمش كلاهما والقراءة بالياء بقوله تعالى فقد جاءكم ﴿**إنّما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿**وإن كنّا**﴾ وقد كنّا ﴿**عن دراستهم**﴾ قراءتهم ﴿**لغافلين**﴾ لا نعلم ما هي وإنّما قال: دراستهم، ولم يقل: دراستهما، لأن كل طائفة جماعة، كقوله تعالى ﴿**هذان خصمان اختصموا**﴾ وأن ما يقال من المؤمنين اقتتلوا. ﴿**أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم**﴾ يعني أصوب من اليهود والنصارى ديناً ﴿**فقد جاءكم بيّنة من ربّكم**﴾ حجّة واضحة لمن يعرفونها ﴿**وهدىً**﴾ وبيان ﴿**ورحمة**﴾ ونعمة لمن اتبعه وعمل به ﴿**فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصَدَّق**﴾ وأعرض عنها ﴿**سنجزي الذين يصدّون عن آياتنا سوء العذاب**﴾ شدة العذاب ﴿**بما كانوا يصدفون**﴾ يعرضون ﴿**هل ينظرون**﴾ وينتظرون ﴿**إلاّ أن تأتيهم الملائكة**﴾ لقبض أرواحهم ﴿**أو يأتي ربّك**﴾ بلا كيف لفصل القضاء من خلقه في موقف القيامة، وقال الضحاك: يأتي أمره وقضاؤه ﴿**أو يأتي بعض آيات ربّك**﴾ يعني طلوع الشمس من مغربها ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها**﴾ وقرأ ابن عمر وابن الزبير: يوم تأتي بعض آيات ربّك بالتاء، قال المبرّد: على التأنيث على المجاورة لا على الأصل، كقولهم: ذهبت بعض أصابعه. قال جرير:

لمّا أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشع [1]

فأنت فعل السور، وهو مذكّر لاتصاله بمؤنّث.

روى عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتّى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا أجمعين وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ﴿**لم تكن آمنت من قبل**﴾» [١٦١] الآية[2].

وروى مقاتل بن حيّان عن عكرمة عن ابن عباس: قال: قال رسول الله ﷺ «إذا غربت الشمس رفع بها إلى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع إلى مغربها أو من مطلعها [فكسى] ضوؤها، وإن كان القمر منوّر على مقادير ساعات الليل والنهار ثمّ ينطلق بها ما بين السماء السابعة العليا وبين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فتنحدر [جبال] المشرق من سماء إلى سماء، فإذا ما وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الصبح ويضيء النهار فلا يظل الشمس والقمر، كذلك حتّى يأتي الوقت الذي وقت الله التوبة لعباد وتكثر المعاصي في الأرض، ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد، فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش كلما

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ١٤٨.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٢٣١.

سجدت وأستأذنت من أن تطلع لم يجىء لها جواب حتّى يراقبها القمر [فيجيء معها] ويستأذن من أن تطلع فلا يجاب لهما بجواب حتّى تحبسا مقدار ثلاث ليالي للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرف طول تلك الليالي إلاّ المتهجّدون في الأرض، وهم يومئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين في هوان من الناس وذلّة من أنفسهم، فينام أحدهم تلك الليلة قدر ما كان ينام قبلها من الليالي، ثمّ يقوم ويتوضّأ ويدخل مصلاّه فيصلّي ورده، فلا يصبح نحو ما كان يصبح كلّ ليلة فينكر ذلك فيخرج فينظر إلى السماء فإذا هو بالليل فكأنه والنجوم قد استدارت مع السماء فصارت إلى أماكنها من أول الليل، فينكر ذلك ويظن فيها الظنون فيقول: قد خففت قراءتي وقصرت صلواتي أم قمت قبل حيني.

قال: ثمّ يقوم فيعود إلى مصلاّة فيصلّي نحو صلاته الليلة الثانية ثمّ ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضاً فإذا بالليل مكانه فيزيده ذلك إنكاراً ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء، ثمّ يقول فلعلّي قصّرت صلواتي ثمّ خفّفت قراءتي [أم قمت] في أوّل الليل ثمّ يعود وهو وجل مشتت خائف لما توقّع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلّي أيضاً مثل [ورده] كلّ ليلة قبل ذلك، ثمّ ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر إلى السماء فإذا بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها عند أوّل الليل فيشفقه عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيستحييه الخفّة ويستخفّه الندامة، ثمّ ينادي بعضهم بعضاً وهم كانوا قبل ذلك يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم ويجأرون إلى الله تعالى بالبكاء ويصلّوا بقيّة تلك الليلة.

فإذا ما تمّ لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله إليهما جبرائيل فيقول: إنّ الرب تبارك وتعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه وإنّه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وَجَلا من الله عزّ وجلّ وخوف يوم القيامة بكاءً يسمعه أهل سبع سماوات ومن دونها وأهل سرادقات العرش وحملته ومن فوقهما، فيبكون جميعاً لبكائهما من خوف الموت والقيامة، فيرجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما المتهجّدون يبكون ويتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ، والغافلون في غفلاتهم إذ نادى مناد: ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من المغرب فينظر الناس فإذا هم بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك. فذلك قوله ﴿**وجُمع الشمس والقمر**﴾ وقوله ﴿**إذا الشمسُ كُوّرت**﴾ فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين يُنازع كلّ واحد منهما صاحبه اشتياقاً، ويتصايح أهل الدنيا وتدخل الأُمّهات[1] على أولادها والأحبّة عن غمرات قلوبها، فتشتغل كلُّ نفس بما ألّمها، فأمّا الصالحون والأبرار فإنّه ينفعهم بكاؤهم يومئذ فيكتب لهم ذلك عبادة، وأمّا الفاسقون والفُجّار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب

(١) في تفسير الدر المنثور (٣ / ٦١): وتذهل الأمهات وتضع كل ذات حمل حملها.

ذلك حسرة عليهم فإذا ما بلغ الشمس والقمر سرّت السماء وهي منصفها جاءهما جبرائيل (عليه السلام) فأخذ بقرونهما فردّهما إلى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما ولكن يغربهما من باب التوبة».

فقال له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله وما باب التوبة؟

فقال ﷺ: «يا عمر خلق الله تعالى باباً للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكلّلان بالدرّ والجوهر ما بين المصراع إلى المصراع الآخر أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً منذ خلق الله آدم إلى ذلك اليوم إلاّ ولجت تلك التوبة في ذلك الباب. لم يرفع إلى الله تعالى».

فقال له معاذ بن جبل: بأبي أنت وأُمي يا رسول الله وما التوبة النصوح؟

قال: «أن يندم المذنب على الذنب الذي أصاب فيعتذر إلى الله عزّ وجلّ ثمّ لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

قال: فيغربهما جبريل في ذلك الباب ثمّ يرد المصراعين ثمّ يلتئم ما بينهما فيصير كأنّه لم يكن بينهما صدع قط، فإذا أغلق باب التوبة لم يقبل من العبد بعد ذلك توبة ولم ينفعه حسنة يعملها في الإسلام، إلاّ مَنْ كان قبل ذلك مُحسناً فإنّه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله عزّ وجلّ **﴿يوم يأتي بعض آيات ربّك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**.

فقال أُبي بن كعب: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر يومئذ بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا.

فقال: «يا أُبي إنّ الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضوء والنور، ثمّ يطلعان على الناس ويغربان، كما كانا قبل ذلك يطلعان ويغربان، فإنّ الناس رأوا ما رأوا في فظاعة تلك الآية يلحون على الدنيا حتّى يجروا فيها الأنهار ويغرسوا فيها الأشجار ويبنوا البنيان. وأمّا الدنيا فلو نتج لرجل مُهْراً[١] لم يركبه حتّى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى أن يُنفخ في الصور» [١٦٢][٢].

قال حذيفة بن أسيد والبراء بن عازب: كنّا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ فقال: «ما تذاكرون؟»

---

(١) في كتاب الفتن: فرساً.

(٢) تفسير الدر المنثور: ٣/ ٦١، وكتاب الفتن لنعيم: ٣٩٧.

[قلنا:] نتذاكر الساعة.

قال: «إنها لا تقوم حتّى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، ويأجوج ومأجوج، وناراً تخرج من قعر عدن، ونزول عيسى، وطلوع الشمس من مغربها» [١٦٣][١].

ويقال: إنّ الآيات تتابع كالنظم في الخيط عاماً فعاماً[٢].

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: والحكمة في طلوع الشمس من مغربها إنّ إبراهيم (عليه السلام) قال لنمرود: **﴿ربّي الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الذي كفر﴾**[٣].

وأن الملحدة والمنجّمة عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير [كائن] فيطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليري المنكرين قدرته فإنّ الشمس من ملكه إن شاء أطلعها من المطلع وإن شاء من المغرب.

وقال عبد الله بن عمر: يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة حتّى يغرسوا النخل.

قال الله: **﴿قال انتظروا إنّا منتظرون﴾** العذاب **﴿إنّ الذين فرّقوا دينهم﴾** قرأ حمزة والكسائي: فارقوا بالألف أي خرجوا من دينهم وتركوه وهي قراءة عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ، ورواه معاذ عن النبيّ ﷺ وقرأ الباقون مشدّداً بغير ألف وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وأُبي بن كعب أي جعلوا دين الله ـ وهو واحد دين الحنيفيّة ـ أدياناً مختلفة فتهوّد قوم وتنصّر آخرون يدلّ عليه قوله **﴿وكانوا شيعاً﴾** أي صاروا فرقاً مختلفة وهم اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك.

وروى ليث عن طاوس عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «[إنّ] هذه الآية **﴿إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء وليسوا منك﴾**، هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل من هذه الأُمّة لست منهم في شيء»، أي [نفر] منهم ورسول الله [١٦٤][٤].

قالوا: وهذه اللفظة منسوخة بآية القتال.

وقال زادان أبو عمر قال لي علي (عليه السلام): «يا أبا عمر أتدري كم افترقت اليهود؟

---

(١) مسند أحمد: ٤ / ٦.

(٢) تفسير القرطبي: ٧ / ١٤٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٤) جامع البيان للطبري: ٨ / ١٣٩.

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلاّ واحدة وهي الناجية. أتدري على كم افترقت النصارى»؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «افترقت على ثنتين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلاّ واحدة هي [الناجية].

أتدري على كم تفترق هذه الأُمّة»؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «تفترّق على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلاّ واحدة فهي الناجية.

ثمّ قال علي ـ رضي الله عنه ـ أتدري على كم تفترق فيّ؟

قلت: وإنّه لتفترق فيك يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم تفترق فيَّ اثنا عشر فرقة كلّها في الهاوية إلاّ واحدة وهي الناجية وأنت منهم يا أبا عمر» [١٦٥][1].

[ومنهم فرق الروافض والخوارج].

﴿**مَنْ جاء بالحسنة فله**﴾ يعني التوحيد: لا إله إلاّ أنت ﴿**فله عشر أمثالها**﴾ قرأ الحسن وسعيد بن جبير. ويعقوب عشر [منون] أمثالها رفع على معنى فله حسنات عشر أمثالها، وقرأ الباقون بالإضافة على معنى: فله عشر حسنات أمثالها، وإنما لم يقل عشرة والمثل مذكر فأنث العدد لأنه مضاف إلى مؤنث فرده إلى الحسنة و الدرجة ﴿**ومَنْ جاء بالسيّئة**﴾ في الشرك ﴿**فلا يُجزى إلاّ مثلها**﴾ النار ﴿**وهم لا يُظلمون**﴾ وقيل: هو عام في جميع الحسنات والسيّئات.

روى [المقدوس] بن يزيد عن أبي ذر: قال: حدّثني الصادق المصدّق أنَّ الله عزّ وجلّ قال: «الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أغفرها فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة ثمّ لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة» [١٦٦][2].

قال ابن عمر وابن عباس: هذه الآية في الأحزاب وأهل البدو، قيل: فما لأهل القرى قال: ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾ وأقلها سبعمائة ضعف، وقال قتادة: في هذه الآية ذكر لنا أنّ رسول الله ﷺ قال: «الأعمال ستة فموجبة وموجبة مضاعفة ومثل وبمثل فأمّا الموجبتان فمن لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنّة ومَنْ لقى الله يُشرك به

---

(١) كنز العمال: ١ / ٣٧٨ / ح ١٦٤٣.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ١٥٥، والمعجم الأوسط: ٧ / ٢٣٦.

دخل النار، فأمّا المضاعفتان فنفقة الرجل على أهله عشر بعشر أمثالها ونفقة الرجل في سبيل الله سبعمائة ضعف، وأمّا مثل بمثل فإنّ العبد إذا همَّ بحسنة ثمّ لم يعملها كُتبت واحدة وإذا عملها كُتبت [عشرة]» [١٦٧].

وعن سفيان الثوري لمّا نزلت **﴿مَنْ جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** قال النبيّ ﷺ «ربّي زدني» فنزلت **﴿مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله مثل حبّة﴾** الآية قال: يا رب زدني فنزلت **﴿مَنْ ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيُضاعفه له أضعافاً كثيرة، قال: ربّ زدني؟ فنزلت: ﴿إنّما يوفّى الصابرون أجورهم بغير حساب﴾** [١٦٨].

﴿قل﴾ يا محمد **﴿إنني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً﴾**» قرأ أهل الكوفة والشام: قِيَماً بكسر القاف وفتح الياء مخففاً. وقرأ الباقون: قَيّماً بفتح القاف وكسر الياء مشدداً وهما لغتان وتصديق التشديد قوله تعالى **﴿ذلك الدين القيّم﴾**[1]. و **﴿ديناً قيّماً﴾** معناهما: ذلك الدين القويم المستقيم.

واختلف النحّاة في وجه انتصابه فقال الأخفش: معناه هداني ديناً قيّماً، وقيل: عرفت ديناً قيّماً، وقيل: أعني ديناً قيّماً، وقيل: نصب على الآخر يعني ابتغوا ديناً قيّماً.

وقال قطرب: نصب على الحال [وضع] **﴿ملّة إبراهيم﴾** بدل من الدين **﴿حنيفاً﴾** نصب على الحال **﴿وما كان من المشركين﴾** **﴿قل إنّ صلاتي ونُسكي﴾** قال أهل التفسير يعني ذبيحتي في الحج والعمرة.

وقيل: ديني **﴿ومحياي ومماتي﴾** يعني حياتي ووفاتي قال: يمان: محياي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان. وقرأ أهل المدينة ومحياي بسكون الياء.

وقرأت العامة بفتح الياء لئلاّ يجتمع ساكنان. وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى: ومحييّ بتشديد الياء الثانية من غير ألف وهي [لغة عليا مضر] يقولون: [قفي وعصي] وقرأ السلمي نسكي بجزم السين والباقون بضمّتين **﴿لله ربّ العالمين * لا شريك له وبذلك أُمرتُ وأنا أوّل المسلمين﴾** قال قتادة أوّل المسلمين من هذه الأُمّة، قال الكلبي: أوّل مَنْ أطاع الله من أهل زمانه.

وروى سعيد بن جبير عن عمران بن [حصين] قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة قومي واشهدي أُضحيّتك فإنّه يغفر لكِ في أوّل قطرة من دمها كل ذنب عملته ثمّ قولي: إنّ صلاتي ونُسكي ـ إلى قوله ـ المسلمين».

---

(١) سورة التوبة: ٣٦، والروم: ٣٠، ويوسف: ٤٠.

قال عمران: يا رسول الله هذه الآية لأهل بيتك خاصة أم للمسلمين عامة؟

قال: «بل للمسلمين عامّة» [١٦٩][١].

﴿**قل أغير الله أبغي ربّاً**﴾ سوى الله أطلب سيّداً ﴿**وهو ربّ كلّ شيء ولا تكسب كل نفس إلاّ عليها**﴾ لا تؤخذ مما أتت من المعصية وارتكبت من الذنوب سواها.

﴿**ولا تزروا وازرة وزر أُخرى**﴾ يعني ولا تحمل نفس حمل طبق محل أُخرى ما عليها من الذنوب ولاتأثم نفس آثمة بأثمّ أُخرى، بل كل نفس مأخوذ بجرمها ومعاقبة بإثمها ﴿**ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فيُنبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وهو الذي جعلكم خلائف الأرض**﴾ يعني أهل القرون الماضية والأُمم الخالية وأورثكم الأرض من بعدهم ثمّ جعلكم خلايف منهم فيما يخلفونهم فيها ويعمرونها بعدهم والخلاف جمع خليفة، كالوصيف يجمع وصيفة فكل مَنْ جاء من بعد مَنْ مضى فهو خليفة يقال: خلف فلان فلاناً في داره يخلفه خلافةً فهو خليفة كما قال الشماخ:

تصيبهم وتخطئني المنايا وأخلف في ربوع عن ربوع[٢]

﴿**ورفع بعضكم فوق بعض درجات**﴾ يعني وخالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض في الخلق والرزق والقوّة والبسطة والعلم والفضل والمعاش والمعاد ﴿**ليبلوكم فيما أتاكم**﴾ يعني الغنى والفقر والشريف والوضيع والحر والعبد ﴿**إن ربّك سريع العقاب**﴾ يعني ماهو آت قريب، وقيل: الهلاك في الدنيا.

وقال الكلبي: إذا عاقب فعقابه سريع، وقال عطاء: سريع العقاب لأعدائه ﴿**وإنّه لغفور رحيم**﴾ لأوليائه.

---

(١) كنز العمال: ٥ / ١٠٢ / ح ١٢٢٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ٨ / ١٥٠، ولسان العرب: ٨/ ١٠٢.

سورة الأعراف

وهي مائتان وست آيات

روى أبو أمامة عن أُبي بن كعب عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم له شفيعاً يوم القيامة» [١٧٠][1].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝١٠﴾

﴿المص﴾ روى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: **﴿المص﴾** قسم أقسم الله عزّ وجلّ، وقال عطاء بن أبي رباح: هو من ثناء الله سبحانه على نفسه، أبو صالح عن ابن عباس: اسم من أسماء الله تعالى، أبو الضحى عن ابن عباس: أنا الله أفصل وقال وهي هجاء موضوع، قتادة: اسم من أسماء القرآن. وقيل: اسم السورة، مجاهد: فواتح افتتح الله بها كتابه، الشعبي: فواتح السور من أسماء الله تعالى إذا وصلها كانت اسماً.

وقال أبو روق: أنا الله الصادق، سعيد بن جبير: أنا الله أصدق، محمد بن كعب: إلاّ أن افتتاح اسمه أحد أول آخر، واللام افتتاح اسمه لطيف، والميم افتتاح اسمه مجيد وملك، والصاد افتتاح اسمه صمد وصادق أحد وصانع المصنوعات.

ورأيت في بعض التفاسير معنى **﴿المص﴾**: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾** وقيل: هي حروف هجاء مقطّعة، وقيل: هي حساب الجمل، وقيل: هي حروف اسم الله الأعظم، وقيل: هي

(١) تفسير الكشاف: ٢ / ١٩٣.

حروف تحوي معاني كثيرة، وقيل: الله بها خلقه على مراده كلّه من ذلك، وموضعه رفع بالأبتداء وكتاب خبره كأنّه قال: (المص) حروف ﴿كتاب أُنزل إليك﴾، وقيل: كتاب خبر ابتدأ في هذا كتاب.

وقيل رفع على التقديم والتأخير، يعني أُنزل كتاب إليك وهو القرآن ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ قال أبو العالية: ضيق، وقال مجاهد: تَنك، وقال الضحاك: إثمّ، وقال مقاتل: فلا يكن في قلبك شك في القرآن. إنّه من الله، وقيل: معناه لا اطبق قلبك بإنذار من أرسلتك بإنذاره وإبلاغ من أمرتك بإبلاغه إياه ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ أي عظة لهم وموعظة، وموضعه رفع مردود على الكتاب.

وقيل: هو نصب على المصدر تقديره ويذكر ذكرى. ويجوز أن يكون في موضع الخفض على معنى لتنذر في موضع خفض، والمعنى الإنذار والذكرى، وأمّا ذكرى فمصدر فيه ألف التأنيث [بمنزلة] دعوت دعوى ورجعت رجعى إلاّ أنّه اسم في موضع المصدر.

﴿اتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم﴾ أي قل لهم: اتبعوا ولا تتبعوا من دونه أولياء.

قرأ العامّة بالعين من الاتباع، وروى عاصم الجحدري عن أبي [الشيخ] ومالك بن دينار «ولا تبتغوا» بالغين المعجمة أي لا تطلبوا ﴿قليلا ما تذكرون﴾ ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ بالعذاب وموضع (كم) الرفع بالابتداء وخبره في (أهكلناها) وإن شئت نصبته برجوع الهاء، ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلا [كما يأتِ بالعساكر] ﴿أوهم قائلون﴾ يعني نهاراً في وقت [القائلة] وقائلون نائمون ظهيرة، ومعنى الآية: (أو هم قائلون) يعني: إن من هذه القرى ما أُهلكت ليلا ومنها ما أُهلكت نهاراً وإنّما حذفوها [لاستثقالهم] نسقاً على نسق، هذا قول الفراء، وجعل [الزجاج] بمعنى أو [التحيّر] والإباحة تقديره: جاءهم بأسنا مرّة ليلا ومرّة نهاراً ﴿فما كان دعواهم﴾ أي قولهم ودعاؤهم مثل قوله تعالى ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾[1] قال الشاعر:

وإن مــذلــت رجــلــي دعــوتــك أشــتــفــي ... بــدعــواك مــن مــذل بــهــا فــتــهــون[2]

مذل رجله إذا خدرت ﴿إذ جاءَهم بأسنا﴾ عذابنا إلاّ أن قالوا ﴿إنّا كنّا ظالمين﴾ مسيئين آثمين ولأمره مخالفين أقرّوا على أنفسهم.

روى ابن مسعود عن النبيّ ﷺ قال: «ما هلك قوم حتّى يعذروا من أنفسهم. قال: قلت: كيف يكون ذلك؟

فقرأ هذه الآية: ﴿ما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا﴾ الآية [١٧١][3].

---

(١) سورة الأنبياء: ١٥.
(٢) لسان العرب: ١١ / ٦٢١.
(٣) مسند أحمد ٤ / ٢٦٠، وليس فيه ذكر الآية.

﴿فلنسئلن الذين أُرسل إليهم﴾ يعني الأُمم عن إجابتهم الرسل ﴿ولنسئلن المرسلين﴾ عن تبليغ الأُمم ﴿فلنقصّن عليهم بعلم﴾ قال ابن عباس: ينطق لهم كتاب أعمالهم يدلّ عليه قوله ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ الآية(١).

﴿وما كنّا غائبين﴾ عن الرسل فيما يُلقون وعن الأُمم فيما أجابوا ﴿والوزن يومئذ﴾ يعني [السؤال] ﴿الحق﴾ قال مجاهد: والقضاء يومئذ العدل، وقال آخرون: أراد به دون [وزن الأعمال] وذلك أن الله عزّ وجلّ ينصب الميزان له [يدان وكفّان] يوم القيامة يوزن أعمال العباد خيرها وشرها فيثقل مرّة ميزان الحسنات لنجاة مَنْ يريد نجاته. ويخفّف مرّة ميزان الحسنات علامة هلاك مَنْ يُريد هلاكه.

فإن قيل: ما الحكمة في وزن أعمال العباد والله هو العالم بمقدار كلّ شيء قبل خلقه إياه وبعده قلنا أربعة أشياء: أحدهما: امتحان الله تعالى عباده بالإيمان به في الدنيا، والثاني: جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى.

والثالث: تعريف الله عزّ وجلّ للعباد ما عند الله من جزاء على خير وشر، والرابع: إلقائه الحجّة عليه.

ونظيره قوله ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾(٢) الآية فأخبر ما تأتي الأعمال ونسخها مع علمه بها ما ذكرناه من المعاني والله أعلم.

﴿فمَنْ ثُقلت موازينه﴾ قال مجاهد: حسناته ﴿فأُولئك هم المفلحون * ومَنْ خفّت موازينه﴾ إلى قوله تعالى ﴿يُظلمون﴾ يجحدون قال حذيفة: صاحب الموازين يوم القيامة جبرائيل يقول الله تعالى «يا جبرائيل زن بينهم فردًّ بعضهم على بعض» قال: وليس ثمّ ذهب ولا فضّة وإن كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فيرد على المظلوم وإن لم يكن له حسنات يحمل عليه من سيئات صاحبه، يرجع الرجل وعليه مثل الجبال [١٧٢].

قال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان لسان وكفتان فأمّا المؤمن فيؤتي بعمله في أحسن صورة فيرتفع في كفّة الميزان وهو الحق فينقل حسناته على سيئاته فيوضع عمله في الجنّة يعرفها بعمله فذلك قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ الناجون ولهم غرف بمنازلهم في الجنّة إذا أنصرفوا إليها من أهل [الجنّة] إذا أنصرفوا إلى منازلهم.

وأمّا الكفّار فيؤتى بأعمالهم في أقبح صورة فيوضع في كفّة الميزان وهي الباطل فيخفّ وزنه حتّى يقع في النار ثمّ يقال للكافر: إلحق بعملك.

---

(١) سورة الجاثية: ٢٩.

(٢) سورة الجاثية: ٢٩.

فإن قيل: كيف تصح وزن الأعمال وهي غراض وليست بأجسام فيجوز وزنها ووصفها بالثقل والخفة وإنما توزن الاعمال التي فيها أعمال العباد مكتوبة.

يدلّ عليه حديث عبد الله بن عمر، وقال: يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان ثمّ خرج له تسعة وتسعون سجلاً كلّ سجل منها مثل مدى البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في الكفّة ثمّ يُخرج له كتاب مثل الأنملة فيها شهادت أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ يوضع في الكفّة الأُخرى فيرجّح خطاياه وذنوبه، ونظير هذه الآية قوله ﴿**ونضع الموازين بالقسط ليوم القيامة**﴾[1].

فإنّ قيل: لِما جمعه وهو ميزان واحد.

قيل: يجوز أن يكون [أعظم] جميعاً ومعناه واحد كقوله ﴿**الذين قال لهم الناس**﴾[2] ﴿**ويا أيّها الرسل**﴾[3] وقال الأعشي:

ووجه نقي اللون صاف يزيّنه مع الجيد لبّات لها ومعاصم

أراد لبّة ومعصماً.

وقيل: أراد به الأعمال الموزونة.

وقيل: الأصل ميزان عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلّق به.

وقيل: جمعه لأن الميزان ما اشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ولا يحصل الوزن إلاّ باجتماعهما.

وقيل: الموازين أصله: ميزان يفرق به بين الحق والباطل وهو العقل، وميزان يفرّق بين الحلال والحرام وهو العلم، وميزان يفرّق به بين السعادة والشقاوة هو عدم سهو الإرادة، وبالله التوفيق.

﴿**ولقد مكّناكم في الأرض**﴾ ملّكناكم في الأرض ووطّأنا لكم وجعلنّاها لكم قراراً ﴿**وجعلنا لكم فيه معايش**﴾ يعيشون بها أيام حياتكم من المأكل والمشرب والمعايش جمع المعيشة الياء من الأصل فلذلك لا تهمز ﴿**قليلا ما تشكرون**﴾ فيما صنعت إليكم.

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ

---

(١) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٣) سورة المؤمنون: ٥١.

فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

﴿**ولقد خلقناكم**﴾ قال ابن عباس: خلقنا أصلكم وأباكم آدم ﴿**ثمّ صوّرناكم**﴾ في أرحام أُمهاتكم قال قتادة والربيع والضّحاك والسدي: أمّا خلقناكم فآدم وأمّا صوّرناكم فذرّيّته. قال مجاهد: خلقنا آدم ثمّ صوّرناكم في ظهر آدم.

وقال عكرمة: خلقناكم في أصلاب الرجال وصورناكم في أرحام النساء قال عطاء: خلقوا في ظهر آدم ثمّ صوروا في الأرحام.

وقال يمان: خلق الإنسان في الرحم ثمّ صوّره ففتق سمعه وبصره وأصابعه، فإن قيل: ما وجه قوله ﴿**ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ وإنّما خلقنا بعد ذلك وثمّ يوجب الترتيب والتراخي. كقول القائل: قمت ثمّ قعدت لا يكون القعود إلاّ بعد القيام.

قلنا: قال قوم: على التقديم والتأخير، قال يونس: الخلق والتصوير واحد [......][1] إلينا، كما نقول: قد ضربناكم وإنّما ضربت سيّدهم، قال الأخفش: ثمّ بمعنى الواو ومجازه: قلنا، كقول الشاعر:

سألت ربيعة من خيرها   أباً ثم أُماً فقالت لمّه [2]

أراد أباً وأُمّا.

﴿**فسجدوا**﴾ يعني الملائكة ﴿**إلاّ إبليس لم يكن من الساجدين**﴾ لآدم فقال الله لإبليس حين امتنع من السجود لآدم ﴿**قال ما منعك ألا تسجد**﴾ قال بعضهم: لا زائدة [وإن صلة] تقدير الكلام: ما منعك السجود لآدم، لأن المنع يتعدّى إلى مفعولين قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وحرام على قرية أهلكناها أنّهم لا يرجعون**﴾[3].

قال الشاعر:

ويلحينني في اللهو أن لا أحبه   وللهو داع دائب غير غافل[4]

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) تفسير الطبري: ٨ / ١٦٩.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٥.

(٤) جامع البيان: ١ / ١٢١، ومغني اللبيب: ١ / ٢٤٨.

أراد: أن أُحبُّه.

وقال آخر:

فما ألوم البيض أن لا تسخروا لما رأيتي الشمط القفندرا[١]

وقال آخر:

أبى جوده لا البخل واستعجلت به نعم الفتى لا يمنع الجود قاتله[٢]

أراد: أبى جوده البخل.

سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا الهيثم الجهني يحكي عن أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان بعضهم يكره القالا، وتناول في المنع بمعنى القول، لأن القول والفعل يمنعان، وتقديره: من قال لك لا تسجد. قال بعضهم: معنى المنع الحول بين المرء وما يريد. والممنوع مضطر إلى خلاف ما منع منه فكأنّه قال: أي شيء اضطرّك إلى أن لا تسجد[٣].

﴿إذ أمرتك﴾ قال إبليس مجيباً له ﴿قال أنا خير منه﴾ لأنّك ﴿خلقتني من نار﴾ والنار خير وأفضل واصفى وأنور من الطين قال ابن عباس: أوّل مَنْ قاس إبليس. فأخطأ القياس فمَنْ قاس الدين بشيء من رأيه قرنه مع إبليس.

وقال ابن سيرين: أوّل مَنْ [قاس] إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلاّ بالمقاييس.

وقالت الحكماء: أخطأ عدو الله حين فضّل النار على الطين، لأن الطين أفضل من النار من وجوه:

أحدها: إنّ من جوهر الطين الرزانة والسكون والوقار والاناة والحُلم والحياء والصبر، وذلك هو الداعي لآدم في السعادة التي [سبقت] له إلى التوبة والتواضع والتضرّع وأدرته المغفرة والاجتباء والهداية والتوبة ومن جوهر النار الخفّة والطيش والحدّة والارتفاع والاضطراب، وذلك الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سيقت له إلى الاستكبار والاصرار فأدركه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاق.

والثاني: إنّ الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفريقها.

والثالث: إن الخبر ناطق بأن تراب الجنّة مسك أذفر ولم ينطق الخبر بأن في الجنة ناراً وفي النار تراباً.

---

(١) جامع البيان: ١ / ١٢١ / ، ولسان العرب: ٢ / ١١٢.

(٢) تفسير الطبري: ٨ / ١٧٠، ولسان العرب: ١٢ / ٥٨٩.

(٣) تفسير الطبري: ٨ / ١٧١.

والرابع: إن النار سبب العذاب وهي عذاب الله لإعدائه وليس التراب سبباً للعذاب.

والخامس: إنّ الطين [يُسقى] من النار والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب.

فقال الله له: ﴿قال فاهبط منها﴾ أي من الجنّة، وقيل: من السماء إلى الأرض فألحقه بجزائر البحور وإنّما سلطانه وعظمته في خزائن البحور وعرشه في البحر الأخضر فلا يدخل في الأرض إلاّ لهبة السارق عليه أطمار تروع فيها [مَنْ يخرج] منها ﴿فما يكون لك﴾ فليس لك أن ﴿تتكبر فيها﴾ في الجنّة، وليس ينبغي أن يسكن الجنّة ولا السماء [متكبر] ولا بخلاف أمر الله عزّ وجلّ ﴿فاخرج إنّك من الصاغرين﴾ الأذلاء والصغر الذل والمهانة قال إبليس عند ذلك ﴿قال أنظرني﴾ أخرّني واجلني وأمهلني ولا تمتني ﴿إلى يوم يُبعثون﴾ من قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة، أراد الخبيث أن لا يذوق الموت، ﴿قال إنّك من المنظرين﴾ المؤخّرين.

ثمّ بيّن مدّة النظر والمهلة في موضع آخر، فقال ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾[١] وهي النفخة الأولى حين ثبوت الخلق كلّهم ﴿قال فبما أغويتني﴾. اختلفوا في ما قال: فبعضهم قال: هو استفهام يعني فبأي شيء أغويتني ثمّ ابتدأ فقال ﴿لأقعدن لهم﴾ فقيل: هو ما الجزاء يعني فإنّك أغويتني لأجل أنك أغويتني لأقعدن، وقيل: هو ما المصدر في موضع القسم تقديره: بإغوائك إياي لأقعدن كقوله ﴿بما غفر لي﴾[٢] يعني بغفران ربّي[٣].

وقوله أغويتني أضللتني عن الهدى. وقيل: أهلكتني، من قول العرب غوى الفصيل [يعني] غوي وذلك إذا فقد اللبن فمات. قال الشاعر:

معطفة الأثناء ليس فصيلها برازئها دراً ولا ميّت غوى[٤]

وحكى عن بعض قبائل طي أنها تقول: أصبح فلان غاوياً أي مريضاً غاراً، وقال محمد بن جرير: أصل الإغواء في كلام العرب تزيين الرجل للرجل الشيء حتّى يحسنه عنده غاراً له[٥].

قال الثعلبي: وأخبرنا أبو بكر محمد بن محمد الحسين بن هاني قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد [الراوساني] قال: حدثنا عليّ بن سلمة قال: حدثنا أبو معاوية الضرير عن رجل لم يسمّ قال: كنت [عند] طاووس في المسجد الحرام فجاء رجل ممّن يرمي القدر من كبار الفقهاء فجلس إليه فقال طاووس: [يقوم أو يقام] فقام الرجل فقال لطاووس: تقول هذا الرجل فقيه، فقال إبليس: أفقه منه بقول إبليس ربِ بما أغويتني ويقول: هذا أنا أغوي نفسي.

---

(١) سورة الحجر: ٣٨.

(٢) سورة يس: ٢٧.

(٣) تفسير الطبري: ٨ / ١٧٦.

(٤) الصحاح: ٦ / ٢٤٥٠، والبيت لعامر المجنون كما في تاج العروس.

(٥) جامع البيان للطبري: ٨ / ١٧٥.

﴿لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم﴾ يعني لأجلسنّ [لبني آدم] على طريقك القويم وهو الإسلام كما قال أوعجلتم أمر ربّكم يعني عن أمر ربّكم.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه كان يقول: «إن الشيطان قعد لبني آدم بطرق فقعد له بطريق الإسلام فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك، فعصاه فأسلم ثمّ قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك فإنّما مثل المهاجر كالفرس في الطول. فعصاه وهاجر ثمّ قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال: أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصا له وجاهد» [١٧٣][1].

وعن عون بن عبد الله **﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾** قال: طريق مكّة **﴿ثمّ لأتينّهم من بين أيديهم﴾** الآية قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: (ثم لآتينّهم) من بين أيديهم يقول [أشككهم] في آخرتهم **﴿ومن خلفهم﴾** [أن يُقيم في كتابهم] **﴿وعن أيمانهم﴾** اشتبه عليهم أمر دينهم **﴿وعن شمائلهم﴾** [أُشهّي] لهم المعاصي.

روى عطيّة عن ابن عباس قال: أما بين أيديهم فمن قِبل دنياهم وأمّا من خلفهم [فإنّه] آخرتهم وأمّا من إيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم.

وقال قتادة: أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنّه لا يعذّب ولا جنّة ولا نار، ومن خلفهم من أمر الدنيا فزيّنها لهم ودعاهم إليها، وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها، وعن شمائلهم يزين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها، إياك يا بن آدم من كل وجه غير أنّه لم يأتك من فوقك لم يستطيع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

وقال الحكم والسدّي **﴿لآتينهم من بين أيديهم﴾**: يعني الدنيا أدعوهم إليها وأُرغبهم فيها وأُزينها لهم. **﴿ومن خلفهم﴾** من قِبَل الآخرة أُشككهم و[أثبطهم] فيها. **﴿وعن أيمانهم﴾** من قبل الحق أصدهم عنه [أبتلكم] فيه، وعن شمائلهم من قِبل الباطل أُخففه عليهم وأُزينه لهم وأُرغبهم فيه.

وقال مجاهد: من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون، قال ابن جريج: معنى قوله: من حيث يبصرون أي يخطئون حيث يعلمون أنّهم يخطئون وحيث لا يبصرون لا يعلمون أنهم يخطئون.

وقال الكلبي: **﴿ثمّ لأتينهم من بين أيديهم﴾** من قِبل آخرتهم أخبرهم أنّه لا جنّة ولا نار ولا نشور. **﴿ومن خلفهم﴾** من قِبل دنياهم فأمرهم بجمع الأموال لا يعطون لها حقّاً [وأُخوفهم الضيعة] على ذرّيتهم.

---

(١) جامع البيان للطبري: ٨ / ١٧٧.

﴿**وعن أيمانهم**﴾ من قِبل دينهم [فأُبيّن] لكلّ قوم ما كانوا [يعبدون] وإن كانوا على هدى شبّهته عليهم حتّى أخرجتهم منه ﴿**وعن شمائلهم**﴾ من قِبل الشهوات واللذات فأُزيّنها لهم(١).

وقال شقيق بن إبراهيم: ما من صباح إلاّ وقعد لي الشيطان على أربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، أما من بين يدي فأقول: لا تحزن فإنّ الله غفور رحيم، ويقول ﴿**ذلك لمن تاب * وآمَنْ وعمل صالحاً ثمّ اهتدى**﴾(٢).

وأمّا من خلفي فتخوّفني الضيعة على عيالي ومحللي فأقول ﴿**وما من دابة على الأرض إلاّ على الله رزقها**﴾(٣).

وأما من قِبَل يميني فيأتيني من قبل [الثناء] فأقول والعاقبة للمتقين.

وأمّا من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات واللّذات فأقول ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾(٤).

﴿**ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾ قال الله عزّ وجلّ لإبليس ﴿**قال أخرج منها مذءوماً مدحورا**﴾ أي معيباً والذيم والذأم أشد العيب، وهو أبلغ من الذم، يقال: ذمّه يذمّه ذمّاً فهو مذموم [وذائمه يذائمه] ذأماً [فهو مذؤوم وذامه] بذمة ذيماً، مثل سار يسير، فهو مذيم والمدحور [المقصي] يقال: دَحَره يدحره دحراً إذا أبعده وطرده(٥).

قال ابن عباس: مذؤوم عنه ﴿**مذؤوماً مدحوراً**﴾ يعني غير مطروداً إذ قال الربيع ومجاهد: مذؤوماً [ممقوتاً] وروى عطيّة: مذؤوماً مقوتاً، أبو العالية: مذؤوماً [مزرياً] به.

وقال الكلبي: مذؤوماً ملوماً مدحوراً مقصياً من الجنّة ومن كل خير، وقال عطاء: مذؤوماً ملعوناً.

وقال الكسائي: المذؤوم المقبوح. وقال النضير بن شميل: المذؤوم [المحبوس] وقال أبان عن ثعلب والمبرّد: المذؤوم المعيب.

قال الأعشى:

وقد قالت قبيلة إذ رأتني ... وإذ لا تعدم الحسناء ذأماً(٦)

---

(١) راجع تفسير الطبري: ٨ / ١٨٠. (٢) سورة طه: ٨٢.

(٣) سورد هود: ٦.

(٤) سورة سبأ: ٥٤.

(٥) راجع مجمع البحرين: ٢ / ٨٢ وتاج العروس: ٨ / ٣٠٠.

(٦) في لسان العرب: ١٢ / ٢٢٣ وفي المثل: لا تعدم الحسناء ذاماً، وذكر شعر لأنس المحاربي:
وكنت مسوداً فينا حميداً ... وقد لا تعدم الحسناء ذاماً.

وقال أُميّة بن أبي الصلب:

قال لإبليس رب العباد أخرج [رجس الدنيا] مذؤماً

﴿لمن تبعك منهم﴾ من بني آدم ﴿لأملأن جهنم منكم﴾ منك ومن ذريتك وكفار ذرية آدم ﴿أجمعين﴾.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)﴾

﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة فكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس﴾ يعني إليهما ومعناه فحدث إليهما ﴿الشيطان ليبدي لهما ما وُري عنهما من سوءاتهما﴾ يعني ليظهر لهما ما غطى وستر عنهما من عوراتهما، وقال وهب: كان عليهما نور لا يرى سوءاتهما ثمّ بين الوسوسة ﴿وقال مانهاكما﴾ ياآدم وحواء ﴿ربكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين﴾ يعني إلاّ أن تكونا وكراهيّة أن يكونا من الملائكة يعملان الخير والشر.

وقرأ ابن عباس والضحاك ويحيى بن أبي معين: ملكين بكسر اللام من الملك أخذوها من قوله ﴿هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾.

﴿أو تكونا من الخالدين﴾ من الباقين الذين لا يموتون ﴿وقاسمهما﴾ أي أقسم وحلف لهما، وقاسم من المفاعلة أي يختصّ الواحد مثل المعافاة المعاقبة والمناولة.

قال خالد بن زهير:

وقاسمهما بالله جهداً لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها[1]

قال قتادة: حلف لهما بالله عزّ وجلّ حتّى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال: إني خُلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله خدعنا.

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ١٨٦.

وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن غر كريم، والفاجر خبٌّ لئيم [١٧٤]»[١].

[وحدّثنا] أبو القاسم الحبيبي في بعضها. قال: أنشدنا أبو الحسن المظفّر بن محمد بن غالب قال: أنشدنا نفطويه:

إن الكريم إذا تشاء خدعته ... وترى اللئيم مجرباً لا يخدع[٢]

﴿إنّي لكما من الناصحين فدلّهما بغرور﴾ يعني فخدعهما يقال: ما زال فلان يدلي لفلان يعرّفُة، يعني مازال يخطّئه ويكلّمه بزخرف القول الباطل، وقال مقاتل: فزين لهما الباطل.

وقال الحسن بن الفضل: يعني تعلقهما بغرور، يقال: تدلي بنفسه ودلى غيره. ولا يكون التدلّي إلاّ من علو إلى أسفل، وقيل أصله دللهما فأبدل من إحدى اللامات ياء، كقوله: (تمطّى) و(دسّاها)، وقال أبو عبيدة: دلّيهما أخذ لهما وكلاهما من تدلين الدلو إذا أرسلتها في البئر لتملأها ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ أكلا منها ووصل إلى بطنيهما ﴿بدت﴾ ظهرت ﴿لهما سوءاتهما﴾ عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتّى أبصر كل واحد منهما ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك.

قال قتادة: كان لباس آدم وحوّاء في الجنّة ظفر أكله فلما واقعا الذنب كشط عنهما وبدت سوءاتهما فأستحيا ﴿وطفقا يخصفان﴾ [يوقعان] ويشدان [ويمزّقان ويصلاّن] ﴿عليهما من ورق الجنّة﴾ وهو ورق التين حتّى صار بهيئة الثوب ومنه خصف النعل.

وروى أُبي بن كعب: عن رسول الله ﷺ قال: «كان آدم رجلاً [طوّالا] كأنّه نخلة [سحوق] كثير شعر الرأس فلمّا وقع في الخطيئة بدت له سوءاته وكان لا يراها فانطلق هارباً في الجنّة فعرضت له شجرة من شجر الجنّة فَحَسِبَهُ بشر. فقال: أرسلني، قالت: لست بمرسلتك، فناداه ربّه يا آدم أمنّي تفر، قال: لا يا رب ولكنّي أستحيي منك» [١٧٥][٣].

وقال ابن عباس وقتادة: قال الله عزّ وجلّ لآدم: ألم يكن لك فيما أبحته ومنحته لك من الجنّة [مندوحة] من الشجرة، قال: على عهدي ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً، قال: فبعزّتي لأُهبطنّك إلى الأرض ثمّ لا تنال العيش [إلاّ نكداً] فاهبطا من الجنّة، فكانا يأكلان رغداً إلى غير رغد من طعام وشراب، تعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثمّ سقى حتّى إذا بلغ حصد ثمّ طحنه ثمّ عجنه ثمّ خبزه ثمّ أكل ثمّ بلعه حتّى بلغ منه ما شاء الله أن بلغ ﴿وناداهما ربّهما الم أنهكما﴾ الآية، قال محمد بن قيس: ناداه ربّه يا آدم لم أكلت منها وقد

---

(١) مسند أحمد: ٢ / ٣٩٤.

(٢) تفسير القرطبي: ٧ / ١٨٠.

(٣) المستدرك: ٢ / ٢٦٢. والنخلة السحوق: الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني.

نهيتك قال: يارب أطعمتني حواء، قال: لحواء لم أطعمتيه قالت: أخبرتني الحيّة، قال للحيّة: لِمَ أمرتيها؟ قالت: أمرني [إبليس] فقال الله عزّ وجلّ: أمّا إنّكِ ياحوّاء فكما أدميت الشجرة [فسأُدميكِ][1]، وأمّا أنتِ ياحيّة فاقطع قوائمك فتمشين جهتيّ الماء على وجهك وسيندفع رأسك من لقيك، وأمّا أنتَ يا إبليس فملعون مدحور.

﴿قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا﴾ ضررناها بالمعصية **﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾** الهالكين **﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾** **﴿قال فيها تحيون﴾** يعني في الأرض **﴿وفيها تموتون ومنها تُخرجون﴾**.

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿يابني آدم قد أنزلنا عليكم﴾ أي خلقنا لكم، وقيل: نزّلنا أسبابه وآلاته لأنه [المثبّت] بما يقول.

وقيل: [على الحكم] كبقيّة صنعته وذلك أن قريشاً كانوا يطوفون بالبيت عراة وقوله **﴿لباساً﴾** وهو ما يُلبس من الثياب **﴿يواري﴾** يستر **﴿سوءاتكم﴾** عوراتكم واحدها سوءة، وهي فعلة من السوء سمّيت سوأة لأنّه يسوء صاحبها إنكشافها من جسده **﴿وريشاً﴾** يعني مالاً في قول ابن عباس والضحاك والسدي، فقال: الريش: الرجل إذا [تموك] وقال ابن زيد: الريش الجمال.

وقيل: هو اللباس. وحكي أبو عمرو أنّ العرب تقول: أعطاني فلان ريشة أي كسوة وجهازة.

وقرأ عثمان بن عفان والحسن وأبو عبد الرحمن وأبو رجاء وقتادة: ورياشاً بالألف وهو جمع ريش مثل ذئب وذياب وبير وبيار وقَدِحَ وقداح.

---

(١) وهو كناية عن الحيض.

قال قطرب: الريش والرياش واحد، كقولك دبغ ودباغ ولبس ولباس وحل وحلال وحرم وحرام، ويجوز أن يكون مصدراً من قول القائل: راشه إليه بريشه رياشاً.

والرياش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من المتاع والثياب و الفراش وغيرها. وقال ابن عباس: الرياش اللباس والعيش والنعيم. وقال الأخفش: الرياش الخصبة والمعايش.

﴿ولباس التقوى خير﴾ قرأ أهل المدينة والشام. والكسائي ولباس التقوى بالنصب عطفاً على الريش. وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء وخبره (خير).

وجعلوا ذلك صلة في الكلام، وكذلك قرأ ابن مسعود وأُبي بن كعب: ولباس التقوى خير. واختلفوا في لباس التقوى ماهو [هل] يدلّ على لباس التقوى [الدرع] والساعدان. والساقان. والآلات التي يتّقى بها في الحرب مع العدو.

وقال قتادة والسدي وابن جريج: لباس التقوى هو الإيمان. وقال معبد الجهني: هو الحياة. وأنشدني أبو القاسم [السدوسي] قال: أنشدني أبو عرابة الدوسي في معناه

إنـــي كـــأنـــي أرى مـــن لا حـــيـــالـــة ولا أمـــانـــة وسـط الـنـاس عُـريـانـاً.

عطيّة عن ابن عباس: هو العمل الصالح وروى الذبال بن عمرو عن ابن عباس قال: هو السمت الحسن في الوجه.

وقال الحسن: رأيت عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص قوهي[1] محلول الزر وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام، ثمّ قال: أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده ماعمل أحدٌ قط سراً إلاّ ألبسه الله رداءه علانية إن خيراً فخير وإن شراً فشر» [١٧٦][2] ثمّ تلا هذه الآية **﴿وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾** قال: السمت الحسن.

وقال عروة بن الزبير: لباس التقوى خشية الله، ابن زيد: ستر للعورة يتقي الله فيواري عورته **﴿ذلك من آيات الله لعلّهم يذّكرون﴾** قال وهب بن منبه: الإيمان عريان لباسه التقوى وزينته الحياء وفاله [الفقه] وجماله العفّة، وثمره العمل الصالح. **﴿يابني آدم لا يفتنّنكم الشيطان﴾** لا يعلّمنّكم ولا يستزلّنكم فتبدي برأيكم للناس في الطواف بطاعتكم. **﴿كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليُريهما سوءاتهما﴾** **﴿إنّه﴾** يعني الشيطان **﴿يراكم﴾** يابني آدم **﴿هو وقبيله﴾** خيله وجنوده وهم الجن والشياطين.

---

(١) نسبةً إلى القوهاء بالضم وهي كور بين نيسابور وهراة، ومراده نوع من الثياب البيض.

(٢) تفسير الطبري: ٢ / ٢١٦.

قال ابن زيد: نسله ﴿من حيث لا ترونهم﴾ قال مجاهد: قال إبليس: جعل لنا أربعاً: نرى ولا يُرى ونخرج من تحت الثرى. ويعود شيخنا فتى.

قال مالك بن دينار: إن عدواً [يراك] ولا تراه لشديد [المؤنة] إلاّ مَنْ عصم الله.

وسمعت أبا القاسم [الحبيبي] قال: سمعت أبي قال: سمعت عليّ بن محمد الورّاق يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: الشيطان قديم وأنت حديث والشيطان ليّن وأنت ناعم الناحية والشيطان يراك وأنت لا تراه والشيطان لا ينساك وأنت لا تزال تنساه ومن نفسك له عون وليس لك منه عون.

وقيل: صدر ابن آدم مسكن له ويجري من ابن آدم مجرى الدم، وأنه لا يقاومه إلاّ بعون الله. ومنه يقول: ولا أراه من حيث يراني. وعندما أنساه لا ينساني فسيدي إن لم [تغث] يسبيني كما سبا آدم من جنانك.

قال ذو النون المصري: إن كان هو يراك من حيث لا تراه فإنّ الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه فإنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً.

﴿إنّا جعلنا الشياطين أولياء﴾ أعواناً وقرناء **﴿للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة﴾** وفاحشتهم أنّهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة الرجال [بالنهار والنساء بالليل]. ويقولون: نطوف كما ولدتنا أُمهاتنا ولا نطوف في الثياب التي اقترفنا فيها الذنوب.

وكانت المرأة تضع على قُبُلها النسعة أو الشيء وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه وما بدى منه فلا أحلّه[1]

وفي الآية إضمار ومعناه **﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾** ونُهوا عنها **﴿قالوا وجدنا عليه آباءنا﴾** قيل: من أين أخذوا آباؤكم قالوا: **﴿الله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾** **﴿قل أمر ربّي بالقسط﴾** قال ابن عباس: بلا إله إلاّ الله، وقال الضحاك: التوحيد، وقال مجاهد والسدي: بالعدل **﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾** قال مجاهد والسدي وابن زيد: يعني وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة.

وقال الضحاك: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند المسجد فصلّوا فيه ولا تقولن: أحب أن أُصلي في مسجدي، وإذا لم يكن عند مسجد [فليأت] أيّ مسجد فليصلِّ فيه.

وقال الربيع: معناه واجعلوا سجودكم لله سبحانه وتعالى خالصاً دون ما سواه من الآلهة

---

(١) تفسير الطبري: ٧ / ١٧٩.

والأنداد ﴿**وادعوه**﴾ واعبدوه ﴿**مخلصين له الدين**﴾ الطاعة والعبادة ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾ قال النبيّ ﷺ «تبعث كل نفس على ما كانت عليه» [١٧٧][١].

قال ابن عباس: إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً كما قال ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن**﴾[٢] ثمّ يعيده يوم القيامة كما بدأ خلقهم كافراً ومؤمناً، فيبعث المؤمن مؤمناً والكافر كافراً.

وقال جابر: يبعثون على ما ماتوا عليه المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه. وقال أبو العالية: عادوا إلى علمه فيهم.

قال محمد بن كعب: من ابتدأ خلقه على الشقوة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه وإن عمل بإعمال أهل السعادة، كما أنّ إبليس عمل أعمال أهل السعادة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه، ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه وإن عمل أهل الشقاوة، كما أنّ السحرة عملت أعمال أهل الشقاء ثم صاروا إلى ما ابتدأ عليه خلقهم.

وقال سعيد بن جبير: معناه كما كتب عليكم يكونون نضير قوله ﴿**كما بدأنا أوّل خلق نعيده**﴾.

قال قتادة: خلقكم من التراب وإلى التراب تعودون نضير قوله ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم**﴾[٣].

وقال الربيع ابن أنس: كما بدأكم عرياناً تعودون لهم عرياناً. نضيره قوله: ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة**﴾[٤].

وقال السدي: كما خلقكم فريق مهتدون وفريق ضلال، كذلك تعودون تخرجون من بطون أُمهاتكم، قال الحسن ومجاهد: كما بدأكم فخلقكم فريق مهتدون وفريق ضلال. كذلك تعودون يوم القيامة، نضيره قوله ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾[٥].

روي سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال «يُحشر الناس حُفاة عُراة وأوّل من يُكسى إبراهيم عليه السلام» [١٧٨][٦] ثمّ قرأ ﴿**كما بدأنا أوّل خلق نُعيده**﴾.

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٠٦.
(٢) سورة التغابن: ٢.
(٣) سورة طه: ٥٥.
(٤) سورة الأنعام: ٩٤.
(٥) سورة الأنبياء: ١٠٤.
(٦) مسند أحمد: ١ / ٢٢٣.

﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء أرباباً من دون الله يحسبون أنهم مهتدون﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٣١) قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٣٢) قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ (٣٤) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٦)﴾

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال المفسّرون: كانت بنو عامر في الجاهلية يطوفون في البيت عُراة الرجال بالنهار والنساء بالليل، وكانوا إذا قدموا مسجد منى طرح أحدهم ثيابه في رحله وإن طاف وهي عليه ضُرب]وانبزعت[منه فأنزل الله تعالى: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** يعني الثياب.

وقال مجاهد: ما تواري به عورتك [للصلاة والطواف] وقال عطيّة وأبو روق وأبو رزين: المشط[1].

وسمعت أبو القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا الهيثم [الجهني] يحكي عن السنوخي القاضي: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** يعني: رفع الأيدي في مواقيت الصلاة.

وروى علي عن النبيّ ﷺ في الخبر، قول جبرائيل (عليه السلام) للنبي ﷺ: «إن لكل شيء زينة وإن زينة الصلاة برفع الأيدي فيها في ثلاث مواضع إذا تحرمت [للصلاة]: إذا كبرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع» [١٧٩].

﴿وكلوا واشربوا﴾ قال الكلبي: كانت بنو عامر لا يأكلون من الطعام إلاّ قوتاً ولا يأكلون دسماً في أيام حجّهم يعظّمون بذلك حجّهم فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق أن نفعل ذلك، فأنزل الله تعالى **﴿وكلوا﴾** يعني اللحم والدسم **﴿واشربوا ولا تُسرفوا﴾** يعني الحرام.

قال ابن عباس: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك سرف ومخيلة[2]، وقال مجاهد: الإسراف ما قصرت به عن حق الله. وقال: لو أنفقت مثل أُحُد في طاعة الله لم يكن سرفاً ولو أنفقت درهماً أو مداً في معصية الله كان إسرافاً.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي: ٣ / ١٢٧.

(٢) ذكر أخبار أصبهان: ٢ / ٣٠٣.

وقال الكلبي: ولا تُسرفوا يعني لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم ﴿**إنّه لا يُحب المسرفين**﴾ المتجاوزين من فعل الحرام في الطعام والشراب، وبلغني أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعليّ بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان، قال عليّ: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى ﴿**كلوا واشربو ولا تُسرفوا إنّه لا يُحبُ المسرفين**﴾ فقال النصراني: ولا يؤثر [عن رسولكم] شيء في الطب؟

فقال عليّ: جمع رسول الله ﷺ الطب فيّ [ألفاظ يسيرة] قال: وما هي؟ قال: قوله: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كلّ دواء وأعطِ كل بدن ما عودته» [١٨٠][(١)].

فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيّكم لجالينوس طبّاً.

﴿**قل مَنْ حرّم زينة الله التي أخرج لعباده**﴾ يعني الثياب ﴿**والطيّبات من الرزق**﴾ قال ابن زيد: كان قوم إذا حجّوا أو اعتمروا حرموا الشاة عليهم وما يخرج منها لبنها وسمنها ولحمها وشحمها، فأنزل الله تعالى: ﴿**قل مَنْ حرّم زينة الله التي أخرج لعباده**﴾ الآية.

قال ابن عباس وقتادة: يعني بالطيبات من الرزق ما حرم أهل الجاهلية من البحائر والسوائب والوصايا والحوامي. ﴿**قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**﴾ قال ابن عباس: إنّ المؤمنين يشاركون المشركين في الطيّبات من الدنيا فأكلوا من طيّبات طعامهم وأُلبسوا من جياد ثيابهم وانكحن الزوج الخ... كما هم، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء ومجاز الآية: قل هي للذين آمنوا مشتركة في الحياة الدنيا وخاصة في يوم القيامة.

وقراءة ابن عباس وقتادة ونافع: خالصة بالرفع يعنون قل هي خالصة.

وقرأ الباقون: بالنصب على القطع لأن الكلام قد تمّ دونه ﴿**كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون**﴾ ﴿**قل إنّما حرّم ربّي الفواحش**﴾ يعني الطواف عُراة ﴿**ما ظهر منها**﴾ طواف الرجال بالنهار ﴿**وما بطن**﴾ طواف النساء بالليل.

وقيل: هي الزنا و[المخالة].

وقال النبيّ ﷺ «ليس أحد أحب إليه من المدح من الله سبحانه من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وليس أحد أحب إليه العذر من الله عزّ وجلّ من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل [١٨١][(٢)].

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ١٩٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٦٠٢.

﴿**والإثم**﴾ يعني الذنب والمعصية. وقال الحسن: الإثم الخمر. وقال الشاعر:

شربت الإثم ظل عقلي كذلك ... الأثمّ يذهب بالعقول

وقال الآخر:

نشرب الإثم بالصواع جهاراً ... ونرى السكر بيننا مستعارا

﴿**والبغي**﴾ وهو الظلم ﴿**بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا**﴾ حجة وبرهاناً ﴿**وأن تقولوا على الله مالا تعلمون**﴾ تحريم الملابس والمأكل ﴿**ولكل أمّة أجل**﴾ مدّة وأجل، وقيل: وقت حلول العقاب وأوّل العذاب. ﴿**فإذا جاء أجلهم**﴾ وإذا أنقطع أجلهم، وقرأ ابن سيرين آجالهم ﴿**لا يستأخرون ساعة**﴾ لا يتأخّرون ﴿**ولا يستقدمون**﴾ لا يتقدّمون ﴿**يابني آدم إمّا يأتينّكم رسل منكم**﴾ شرط معناه: إن أتاكم [عجزاً به] فمن بقى، وقيل فأطيعوه وقال: مقاتل: أراد بقوله يابني آدم لا تشركوا بالرب، وبالرسل محمدﷺ وحده. ﴿**يقصون عليكم آياتي فمن أتّقى الله وأصلح**﴾ عمله ﴿**فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها**﴾ عن الإيمان بمحمد والقرآن ﴿**أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)

﴿**فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أُولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب**﴾ حظّهم بما كتبوا لهم في اللوح المحفوظ. وقال الحسن والسدي وأبو صلاح: ما كسب لهم من العذاب.

وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطيّة: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة. وروى بكر الطويل عن مجاهد في هذه الآية قال: قوم يعملون أعمالا لابد من أن يعملوها ولم يعملوها

بعد. قال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعني أعمالهم وما كتب عليهم من خير أو شر، فمن عمل خيراً أُجزي به ومن عمل شراً أُجزي به. مجاهد عن ابن عباس قال: هو ما وعدو من خير وشر. عطيّة عن ابن عباس أنّه قال: ينالهم ماكتب لهم وقد كتب لمن يفتري على الله أن وجهه مسود[1]، يدل عليه [قوله تعالى]، ﴿**وجوههم يومئذ مسودة**﴾.

قال الربيع والقرظي وابن زيد: يعني ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال والأعمار فإذا فنيت و[تم خرابها] ﴿**حتّى إذا جاءتهم رسلنا يتوفّونهم**﴾ يقبضون أرواحهم يعني ملك الموت وأعوانه ﴿**قالوا أين ما كنتم تدعون**﴾ تعبدون من دون الله ﴿**قالوا ضلوا عنا**﴾ أنشغلوا بأنفسهم ﴿**وشهدوا على أنفسهم**﴾ أقروا ﴿**إنهم كانوا كافرين**﴾قالوا: [شهدنا] على أنفسنا [بتبليغ الرسل] وغرّتهم الحياة الدنيا وشهدوا وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿**قل أدخلوا**﴾ يقول الله عزّ وجلّ لهم يوم القيامة ادخلوا ﴿**في أُمم**﴾ يعني مع جماعات ﴿**قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار**﴾ يعني كفار الأُمم الماضية ﴿**كلما دخلت أُمة لعنت أُختها**﴾ في الدين والملة ولم يقل أخاها لأنّه عنى بها الأُمّة فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود، وكذلك النصارى النصارى والمجوس المجوس ويلعن الأتباع القادة يقولون: لعنكم الله أنتم غررتمونا يقول الله عزّ وجلّ ﴿**حتّى إذا أدركوا فيها**﴾ أي تلاحقوا ﴿**جميعاً**﴾ قرأ الأعمش: حتّى إذا تداركوا، على الأصل، وقرأ النخعي: حتّى إذا أدركوا، مثقلة الدال من غير ألف أراد فنقلوا من الدرك.

﴿**قالت آخراهم**﴾ قال مقاتل: يعني أُخراهم دخولاً للنار وهم الأتباع، ﴿**لأُولاهم**﴾ دخولاً وهم القادة.

قال ابن عباس: (أُخراهم) يعني آخر الأُمم، (لأولاهم) يعني أوّل الأُمم، وقال السدي: أُخراهم يعني الذين كانوا في آخر الزمان. (لأولاهم) يعني الذين شرعوا لهم ذلك الدين ﴿**ربّنا هؤلاء أضلونا**﴾ عن الهدى. يعني الفساد ﴿**فآتهم**﴾ أي فأعطاهم ﴿**عذاباً ضعفاً في النار**﴾ أي مضعفاً من النار ﴿**قال لكلّ ضعف**﴾ من العذاب ﴿**ولكن لا تعلمون**﴾ حتّى يحل بكم ﴿**وقالت أُولاهم لأُخراهم فما كان لكم علينا من فضل**﴾ لأنّكم كفرتم كما كفر به ونحن وأنتم في الكفر شرع سواء وفي العذاب أيضاً ﴿**فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون * إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح**﴾ قرئ بالياء والياء والتشديد والتخفيف جميعاً ﴿**لهم أبواب السماء**﴾ يعني لا أرواحهم وأعمالهم لأنّها خبيثة فلا يصعد بل تهوى بها إلى [سجن] تحت الصخرة التي تحت الأرضين.

روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن الميت ليحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة، وأبشري

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٢٥.

بروح من الله وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتّى تخرج ثمّ تعرج بها إلى السماء فينفتح لها فيقال: من هذا [فيقال: فلان] فيقولون: مرحباً بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقال: ذلك لها حتّى يعرج بها إلى السماء السابعة.

وإذ كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فيقولون ذلك حتّى يخرج، ثمّ يعرج بها إلى السماء فتفتح لها فيقال: من هذا فيقولون فلان، فيقولون: لا مرحباً بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث أرجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فيُرسل من السماء والأرض فيصير إلى القبر[١].

﴿ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾ يعني يدخل البعير في ثقب الإبرة [وهذا مثل والسمّ] وهو الإبرة.

وقرأ عكرمة و سعيد بن جبير: الجمل بضم الجيم وبتشديد الميم. وهو حبل السفينة ويقال لها الفلس قال عكرمة: هو الحبل الذي يصعد به إلي النخل **﴿وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهادٌ﴾** فراش من نار **﴿ومن فوقهم غواش﴾** وهي جمع غاشية وذلك ما غشاهم وغطاهم وقال القرظي ومجاهد: هي اللحف **﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾** قال البراء: قال رسول الله ﷺ: «يكسي الكافر لوحين من نار في قبره» [١٨٢][٢]، فذلك قوله **﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾**.

﴿والذين آمنوا وعموا الصالحات لا نكلّف نفساً إلاّ وسعها﴾ أي طاقتها ومايسعها ويحلّ لها فلا تخرج منه ولا تضيق عليه **﴿أُولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون * ونزعنا﴾** وأخرجنا وأذهبنا **﴿ما في صدورهم﴾** قلوبهم **﴿من غل﴾** وحقد وعداوة كان من بعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم إخواناً على سرر متقابلين لا [يحسد] بعضهم بعض على شيء خص الله به بعضهم وفضلهم به، روى الحسن بن عليّ (رضي الله عنه) قال: فينا والله أهل البيت نزلت **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على مسرر متقابلين﴾**[٣].

وقال عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ أيضاً: «إنّي لا أرجوا أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله **﴿ونزعنا ما في صدورهم﴾** الآية[٤].

---

(١) مسند أحمد: ٢ / ٣٦٤.

(٢) الدر المنثور: ٣ / ٨٥.

(٣) كنز العمال: ٢/ ٤٥٠ ح ٤٤٧٢، وفضائل الصحابة لأحمد: ٢/ ٥٩٧ ح ١٠١٨ .

(٤) تفسير القرآن لعبد الرزاق: ٢ / ٢٢٨.

وقال السدي: في هذه الآية: إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنّة وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأُخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبداً[١].

وروى الجزائري عن أبي نضرة قال: تحتبس أهل الجنّة حتّى تقتص بعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنّة حين يدخلونها، ولا يطلب أحد منهم أحداً علاقة ظفر ظلمها إياه وتحبس أهل النار دون النار حتّى تقتص لبعضهم من بعض يدخلون النار حين يدخلونها، ولا يطلب أحد منهم أحداً بعلاقة ظفر ظلمها أياه ﴿**تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**﴾ وفقنا وأرشدنا إلى هذا يعني طريق الجنّة وقال سفيان الثوري: معناه الحمد لله الذي هدانا لعمل هذا ثوابه ﴿**وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾ قال رسول الله ﷺ: كل أهل النار يرى منزلة مَنْ بالجنّة فيقولون: لو هدانا الله نكون [من المؤمنين] وكل أهل الجنّة ترى منزلة من بالنار ويقولون: لولا أنّه هدانا الله فهذا شكرهم قال: وليس [هناك] من كافر ولا مؤمن إلاّ وله في الجنّة أو النار منزل [فإذا] دخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار فدخلوا منازلهم رفعت الجنّة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله، ثمّ يقال: يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنّة منازلهم، ونودوا أن صحوا ولا تسقموا وأخلدوا فلا تموتوا وأنعموا ولا تيأسوا وشبّوا فلا تهرموا[٢].

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

﴿**ونادى أصحاب الجنّة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا**﴾ من الثواب ﴿**حقاً**﴾ صدقاً ﴿**فهل وجدتم ما وعدكم ربّكم**﴾ من العذاب ﴿**حقاً**﴾ [هذا قول محمد بن جرير] ﴿**قالوا**

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٤١.

(٢) انظر جامع البيان للطبري: ٨ / ٢٤٣، بتفاوت.

نعم﴾ قال الكسائي «نعم» بكسر العين وتجوز بإسكانها وهما لغتان **﴿فأذّن مؤذّن بينهم﴾** فنادى مناد منهم **﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾** الكافرين **﴿الذين يصدّون﴾** يصرفون **﴿عن سبيل الله﴾** دين الله **﴿ويبتغونها عوجاً﴾**يطلبونها زيغاً وميلاً **﴿وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب﴾** يعني بين الجنّة والنار حجاب حاجز وهو السور الذي ذكر الله عزّ وجلّ في قوله **﴿فضرب بينهم بسور﴾**.

﴿وعلى الأعراف﴾ يعني على ذلك الحجاب. والأعراف سور بين الجنّة والنار وهي جمع عرف وهو كلّ تل مرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على ماسواه من جسده.

وقال الشماخ:

وظلت بأعراف تعالى كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز[1]

ويروى: بأعراف قفالاً، أي قفالى أي قفلى بعضهم بعضاً، بمشغرة نصف حمير، وشبّه [قوامها] بالرماح نحاها قصد بها وجهة الريح، أي جهة الريح، وقوله: بأعراف أي نشوز من الأرض.

وقال آخر:

كل كناز لحمها نياف كالعلم الموفي على الأعراف[2]

يعني كل كناز نياف لحمها والكناز الصلب.

قال السدي: سمي أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس. وقال الحسين بن الفضل: هو الصراط، واختلفوا في الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الأعراف من هم وما السبب الذي من أجله صاروا هناك؟ فقال حذيفة وابن عباس: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم في سيّئاتهم وقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنّة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتّى يقضي الله فيهم ما يشاء ثمّ يدخلهم الجنّة بفضل رحمته وهم آخر مَنْ يدخل الجنّة قد عرفوا أهل الجنّة وأهل النار، فإذا أراد الله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه من الذهب مكلّلا باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتّى يصلح ألوانهم ويبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بهم فأتى بهم فقال الله لهم: تمنوا ماشئتم فيتمنون متى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم: لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفاً فيدخلون الجنّة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنّة.

قال ابن مسعود: يحاسب الله عزّ وجلّ الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ٨ / ٢٤٧.

سيّئاته بواحدة دخل الجنّة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثمّ قرأ: **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفحلون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾**، ثمّ قال: الميزان يخفف بمثقال حبّة [فيرجح].

ومَنْ استوت حسناته وسيّئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ولم ينزع منهم النور الذي كان في أيديهم. وروى يحيى بن [شبل] أنّ رجلا من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال أن أباه أخبره أنّه سأل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «هم رجال غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم فقتلوا فاعفوا من النار لقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن الجنّة بمعصية أبائهم فهم آخر من [يدخل] الجنّة» [١٨٣].

قال شرحبيل بن سعيد: هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم، وقال مجاهد: هم قوم صالحون فقهاء علماء، وقال [التميمي] وأبو مجلن: هم ملائكة يعرفون أهل الجنّة وأهل النار فقيل لأبي مجلن يقول الله: **﴿وعلى الأعراف رجال﴾** وتزعم أنت أنهم ملائكة، فقال: إنهم ذكور ليسوا بإناث، قال ابن عباس: هم رجال كانت لهم ذنوب كثيرة، وكان حبسهم أمر الله يقومون على الأعراف **﴿يعرفون كلاً بسيماهم﴾**

وروى [صالح مولى الكوفة] أنّ ابن عباس قال: أصحاب الأعراف أولاد الزنا. وقال أبو العالية: هم قوم يطمعون أن يدخلوا الجنّة وما جعل [الله] ذلك الطمع فيهم إلاّ كرامة يريدها بهم.

وقال عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: هم قوم رضي عنهم آبائهم دون أُمهاتهم أو أُمهاتهم دون آبائهم فلم يدخلهم الله الجنّة، لأن آباءهم وأُمهاتهم غير راضين عنهم ولم يدخلهم النار لرضا آبائهم أو أمهاتهم عنهم فيحبسون على الأعراف إلى أن يقضي الله عزّ وجلّ بين الخلق ثمّ يدخلهم الجنّة، وقال عبد العزيز بن يحيى [الكناني]: هم الذين ماتوا [بالفقر] ولم يبدلوا دينهم، وفي تفسير المنجوني: إنهم أولاد المشركين.

وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت محمد بن محمد بن الأشعب يحكي عن بعضهم أنهم أُناس عملوا لله عزّ وجلّ ولكنهم راؤوا في أعمالهم فلا يدخلون النار لأنّهم عملوا أعمالهم لله ولا يدخلون الجنّة لأنّهم طلبوا الثواب من غير الله فيوقفون على الأعراف إلى أن يقضي الله بين الخلق قوله: **﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾**.

وروى جويبر بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ **﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾** قال: «الأعراف موضع عال [من] الصراط عليه العباس وحمزة، وعليّ بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يَعرفون محبيهم بياض الوجوه ومبغظيهم سواد الوجوه» [١٨٤].

وقوله: (يعرفون كلا بسيماهم) يعني يعرفون أهل الجنّة ببياض وجوههم ونظرة النعيم عليهم ويعرفون أهل النار بسواد الوجوه وزرقة عيونهم.

﴿ونادوا أصحاب الجنّة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهو يطمعون﴾ يعني أهل الأعراف.

قال سعيد بن جبير: والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم[1] لأن الله تعالى [......][2]، ويود المنافقون وهم على الصراط لو بقي أحدهم ولم [.........][3].

﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء﴾ [وجوه] أهل النار **﴿أصحاب النار﴾** وحيالهم تعوذوا بالله **﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾** الكافرين في النار **﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالا﴾** كانوا عظماء أهل النار جبّارين **﴿يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾** في الدنيا من المال و [الأولاد] **﴿وما كنتم تستكبرون﴾** عن الإيمان.

وقال الكلبي: إنهم ينادون وهم على السور يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويا فلان. ثمّ ينظرون إلى الجنّة فيرون فيها الضعفاء والفقراء والمساكين ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخبّاب وأتباعهم فينادون **﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾** حلفتم وأنتم في الدنيا **﴿لا ينالهم الله برحمته﴾** يعني الجنّة ثمّ يقال لأصحاب الأعراف **﴿ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾**.

وقال مقاتل أقسم أهل النار أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنّة بل يدخلون النار معهم.

فقالت الملائكة الذين حبسوا أصحاب الصراط هؤلاء الذين يعني أصحاب الأعراف الذين أقسمتم يا أهل النار لا [يُكلّمهم] الله برحمة، ثمّ قالت الملائكة لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنّة.

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا﴾[صبّوا] وأوسعوا **﴿علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله﴾** من طعام الجنّة **﴿قالوا إن الله حرمهما﴾** يعني الماء والطعام **﴿على الكافرين﴾** قال أبو الجوزاء: سألت ابن عباس: أي الصدقة أفضل قال: قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة الماء ألا رأيت أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنّة قالوا أفيضوا علينا من الماء» [١٨٥][4].

﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً﴾ وهو ما زيّن لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٥٢.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) مجمع الزوائد: ٣ / ١٣١.

والوصيلة والحام والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الرديئة الدنيئة التي كانوا يفعلونها في جاهليتهم، والدين كل ما أطيع به والتزم من حق أو باطل، وقال أبو روق: دينهم أو عقيدتهم **﴿وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم﴾** نتركهم في النار **﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون﴾**.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ من القرآن **﴿فصلناه﴾** بيّناه **﴿على علم﴾** منّا بذلك **﴿هدىً ورحمة﴾** نصبها على القطع **﴿لقوم يؤمنون * هل ينظرون﴾** ينتظرون **﴿إلاّ تأويله﴾** أي ما يؤول إليه أمرهم من العذاب وورود النار.

قال قتادة: تأويله ثوابه. وقال مجاهد: جزاؤه. وقال السدي: عاقبة. وقال ابن زيد: حقيقته **﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا﴾** اليوم **﴿من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد﴾** إلى الدنيا **﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾** قال الله تعالى **﴿قد خسروا أنفسهم وضل﴾** زال وبطل **﴿عنهم ما كانوا يفترون * إن ربكم الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام﴾** قال سعيد بن جبير: قدّر الله على مَنْ في السماوات والأرض في لمحة ولحظة وإنما خلقهن في ستة أيام تتنظيماً لخلقه بالرفق والتثبيت في الاسم **﴿ثمّ استوى على العرش﴾** قال الكلبي ومقاتل: يعني استقر وقال أبو عبيد [فصعد] وقال بعضهم: استولى وغلب.

وقيل: ملك وغلب، وكلّها تأويلات مدخولة لا يخفى [بعدها] وأمّا الصحيح والصواب فهو ماقاله الفراء وجماعة من أهل المعاني [إن أول ما] خلق العرش وعهد إلى خلقه يدل عليه قوله تعالى **﴿ثمّ استوى إلى السماء﴾**[1] أي إلى خلق السماء.

---

(١) سورة البقرة: ٢٩.

وقال أهل الحق من المتكلمين: أحدث الله فعلا سماه استواء، وهو كالإتيان والمجيء والنزول [وهي] صفات أفعاله.

روى الحسن عن أم سلمة في قوله تعالى ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾[1] قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والنزول به إيمان والجحود به كفر.

عن محمد بن شجاع البلخي قال: سئل مالك بن أنس عن قول الله تعالى ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ كيف استوى؟ قال: الكيف مجهول والاستواء غير معقول والإيمان واجب فالسؤال عنه بدعة.

وروى محمد بن شعيب بن شابور عن أبيه أن رجلاً سأل [الأوزاعي] في قوله تعالى ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ فقال: هو على العرش كما وصف نفسه، وإني لأراك رجلا ضالاً.

وبلغني أن رجلاً سأل إسحاق بن الهيثم الحنظلي فقال: كيف استوى على العرش أقائم هو أم قاعد؟

فقال: يا هذا إنما يقعد من يمل القيام ويقوم من يمل القعود وغير هذا أولى لك ألاّ تسأل عنه.

والعرش في اللغة السرير.

وقال آخرون: هو ما علا وأظل، ومنه عرش الكرم، وقيل: العرش الملك.

قال زهير:

تداركتما الاحلاف قد ثل عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل[2]

﴿**يغشى**﴾ [يطمس] ﴿**الليل النهار يطلبه حثيثاً**﴾ مسرعاً ﴿**والشمس والقمر والنجوم مسخّرات**﴾ أي مذلّلات ﴿**بأمره**﴾ وقرأ أهل الشام بالرفع على الابتداء والخبر ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ سمعت أبا القاسم [الحبيبي] يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن نافع التاجر بهرات الشجري يقول: سمعت أبا زيد حاتم بن محبوب السامي يقول: سمعت عبد الجبار ابن العلاء العطّار يقول: سألت سفيان بن عيينة عن قوله ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ فقال: فرق الله بين الخلق والأمر ومَنْ جمع بينهما فقد كفر.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لم يحمد الله على [ما عمل من] عمل صالح وحمد نفسه فقد

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) الصحاح: ٤ / ١٣٤٦.

قلّ شكره وحبط عمله، ومَنْ زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ » [١٨٦][١].

وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي، أنشدنا أبو المثنّى معاذ بن المثنى العنبري عن أبيه محمود بن الحسن الورّاق قال: إن لله كل الأمر في كل خلقه ليس إلى المخلوق شي من الأمر ﴿تبارك الله﴾ قال الضحاك: تبارك تعظم، الخليل ابن أحمد: تبارك تمجد، القتيبي: تفاعل من البركة، الحسين بن الفضيل: تبارك في ذاته وبارك فيمن شاء من خلقه ﴿ربّ العالمين أُدعوا ربّكم تضرّعاً﴾ تذلّلا واستكانة ﴿وخفية﴾ سرّاً.

وروى عاصم الأحول عن ابن عثمان الهندي عن أبي موسى قال: كان النبيّ ﷺ في غزاء فأ شرفوا على واد فجعل [ناس] يكبّرون ويهلّلون ويرفعون أصواتهم فقال النبيّ ﷺ: «أيُّها الناس أربعوا على أنفسكم إنّكم لا تدعون أصم ولا [غائباً] إنّكم تدعون سميعاً قريباً إنّه معكم» [١٨٧][٢].

وقال الحسن: بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ثمّ قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وماشعر به جاره فالرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل ليصلّي الصلاة الطويلة في بيت وعنده الدور وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدورن أن يعملوه في السرّ فيكون علانية أبداً.

ولقد كان المسلمون [يجتهدون] في الدعاء ولا يسمع لهم صوتاً كأن كان إلا همساً بينهم وبين دينهم، وذلك أن الله تعالى يقول: (أُدعوا ربكم تضرعاً وخفية) وإن الله ذكر عبداً صالحاً ورضى فعله فقال عزّ مَنْ قائل: (فنادى ربّه نداءاً خفياً).

﴿إنّه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء، قال أبو مجلن: هم الذين يسألون منازل الأنبياء، وقال عطيّة العوفي: هم الذين يدعونه فيما لا يحل على المؤمنين فيقولون: اللّهمّ أخزهم اللّهمّ ألعنهم، قال ابن جريج: من [الاعتداء] رفع الصوت والنداء بالدعاء والصفح وكانوا يؤمرون بالتضرّع والاستكانة ﴿ولا تُفسدوا في الأرض﴾ بالشرك والمعصية والدعاء إلى غير عبادة الله ﴿بعد إصلاحها﴾ بعد [اصلاح] الله إيّاها يبعث الرسل، والأمر بالحلال والنهي عن المنكر والحرام وكل أرض قبل أن يبعث لها نبي فاسدة حتّى يبعث الرسل إليها فيصلح الأرض بالطاعة.

وقال عطيّة: معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ قال الكلبي: خوفاً منه ومن عذابه وطمعاً فيما عنده من مغفرته وثوابه،

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٦٩.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة: ٢ / ٣٧٢.

الربيع بن أنس: ﴿**خوفاً وطمعاً**﴾ كقوله ﴿**رغباً ورهباً**﴾[١]. وقيل: خوف العاقبة وطمع الرحمة، ابن جريج: خوف العدل وطمع الفضل. عطاء: خوفاً من النيران وطمعاً في الجنان. ذو النون المصري: خوفاً من الفراق وطمعاً في التلاق ﴿**إن رحمت الله قريب من المحسنين**﴾ وكان حقه قربته. واختلف النحاة فيه وأكثروا وأنا ذاكر نصوص ما قالوا.

قال سعيد بن جبير: الرحمة هاهنا الثواب. وقال الأخفش: هي المطر فيكون القريب نعتاً للمعنى دون اللفظ كقوله تعالى ﴿**وإذا حضر القسمة أُولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه**﴾[٢] ولم يقل: منها، لأنه أراد بالقسمة الميراث والمال. وقال ﴿**فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثمّ استخرجها من وعاء أخيه**﴾[٣] والصواع مذكّر لأنّه أراد به القسمة، والميراث [كالمنشريّة] والسقاية.

وقال الخليل بن أحمد: القريب والبعيد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع [يذكر ويؤنث] يقول الشاعر:

كفى حُزناً أنّي مقيم ببلدةٍ أخلاّئي عنها نازحون بعيد[٤]

وقال آخر:

كانوا بعيداً فكنت آملهم حتّى إذا ما تقربوا هجروا[٥]

وقال آخر:

فالدار منّي غير نازحة لكن نفسي ما كادت مواتاتي

[وقال سيبويه]: لمّا أضاف المؤنث إلى المذكّر. أخرجه على مخرج المذكر، وقال الكسائي: إن رحمة الله قريب مكانها قريب كقوله: ﴿**وما يدريك لعلّ الساعة قريب**﴾ أي أتيانها قريب.

قال النضر بن شميل: الرحمة مصدر وحق المصادر التذكير كقوله: ﴿**فمن جاءه موعظة من ربّه**﴾[٦] وقال الشاعر:

إنّ السماحة والمروّة ضيمنا قبراً بمروَ على الطريق الواضح[٧]

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٠.
(٢) سورة النساء: ٨.
(٣) سورة يوسف: ٧٦.
(٤) تاريخ دمشق: ٥ / ٢٧.
(٥) ذيل تاريخ بغداد: ١/ ٢٠٢، والبيت لعبد الوهاب بن صباح.
(٦) سورة البقرة: ٢٧٥.
(٧) تفسير الطبري: ١٤ / ١٧٤.

ولم يقل: ضمنتا لأنّها مصدر. وقال أبو عمر بن العلاء: القريب في اللغة على ضربين قريب قرب [مقربه أبوابه] كقول العرب: هذه المرأة قريبة منك إذا كانت بمعنى القرابة وهذه المرأة قريب منك إذا كانت بمعنى المسافة والمكان. قال أمرؤ القيس:

لـه الـويـل إن أمـسـى ولا أم هـاشـم قـريـب ولا الـبـسـبـاسـة ابـنـة يـشـكـر[1]

وقال أبو عبيدة: القريب والبعيد يكونان للتأنيث والتذكير واحتج بقول عروة بن الورد:

خـشـيـتـه لا عـفـراء مـنـك قـريـبـة فـتـدنـوه ولا عـفـراء مـنـك بـعـيـد

وقال أبو عبيدة: القريب والبعيد إذا كانا اسمين استوى فيهما المذكر والمؤنث وان بنيتهما على قَرُبت وبعدت فهي قريبة وبعيدة.

﴿**وهو الذي يرسل الرياح بشراً**﴾ قرأ عاصم بُشراً بالباء المضمومة والشين المجزومة يعني أنّها تبشّر بالمطر يدلّ عليه قوله: ﴿**الرياح مبشّرات**﴾[2].

وروى عنه بُشُراً بضم الباء والشين على جمع البشير مثل نذير و[نذار].

وهي قراءة ابن عباس. وقرأ غيره من أهل الكوفة نشراً بفتح النون وجزم الشين وهو الريح الطيبة اللينة.

قال أمرؤ القيس:

كـان الـمـدام وصـوب الـغـمـام وريـح الـخـزامـي ونـشـر الـقـطـر

وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس وزر بن حبيش، واختاره أبو عبيد لقوله: ﴿**والناشرات نشراً**﴾ وقرأ أهل الحجاز والبصرة نشراً بضم النون والشين واختاره أبو حاتم فقال: هي جمع نشور مثل صبور وصابر، وشكور وشاكر. وهي الرياح التي تهب من كل ناحية وتجيء من كل [وجه] وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو عبد الرحمن وابن عامر نشراً بضم النون وجزم الشين على التخفيف.

وقرأ مسروق (نشراً) بفتحتين أراد منشوراً [كالمقبض] والقبض ﴿**بين يدي رحمته**﴾ يعني قدّام المطر ﴿**حتّى إذا أقلّت**﴾ حملت ﴿**سحاباً ثقالاً**﴾ المطر ﴿**سقناه**﴾ رد الكناية إلى لفظ السحاب ﴿**لبلد ميت**﴾ يعني إلى بلد.

وقيل: معناه [لأجل] بلد لا نبات له ﴿**فأنزلنا فيها**﴾ أي السحاب وقيل: بالبلد ﴿**الماء**﴾ يعني المطر، وقال أبو بكر بن عيّاش: لا تقطر من السماء قطرة حتّى يعمل فيها أربع: رياح

---

(١) لسان العرب: ١ / ٦٦٣.

(٢) سورة الروم: ٤٦.

الصبا تهيّجه والشمال تجمعه والجنوب تدرّه والدبور تفرّقة ﴿**كذلك نخرج الموتى**﴾ أحياء قال أبو هريرة وابن عباس: إذا مات الناس كلّهم في النفخة الأولى أمطر عليهم أربعين عاماً [يسقى] الرجال من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان فينبتون في قبورهم بذلك المطر كما ينبتون في بطون أُمهاتهم، وكما ينبت الزرع من الماء حتّى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثمّ يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا نفخ في الصور الثانية عاشوا وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم كما يجد النائم إذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون ﴿**يا ويلنا مَنْ بعثنا من مرقدنا**﴾[1] فيناديهم المنادي ﴿**هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون**﴾[2].

﴿**والبلد الطيّب يخرج نباتة بإذن ربّه**﴾ هذا مثل ضربه الله المؤمن والكافر فمثل المؤمن مثل البلد الطيب الزاكي يخرج نباته ريعة بإذن الله، فمثل الكافر كمثل الأرض الصبخة الخبيثة التي لا يُخرج نباتها]وغلّتها[﴿**إلاّ نكدا**﴾ [أي عسيراً قليلاً بعناء] ومشقّة وقرأ أبو جعفر: (نكداً) بفتح الكاف أي النكد ﴿**كذلك نصرّف الآيات**﴾ بينهما ﴿**لقوم يشكرون**﴾.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿**لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه**﴾ وهو نوح بن ملك بن متوشلح بن اخنوخ، وهو إدريس بن

---

(١) سورة يس: ٥٢.

(٢) تفسير الطبري: ٨ / ٢٧٤.

مهلائيل بن يزد بن قيثان ابن انوش بن شيث بن آدم عليهم السلام، وهو أول نبي بعد إدريس وكان نجاراً بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه وهو ابن خمسين سنة فقال لهم: **﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾** قرأ محمد بن السميقع (غيره) بالنصب.

قال الفراء: بعض بني [أسد وقضاعة أجاز نصب (غير) في كل موضع يحسن فيه «إلا»][1] تمّ الكلام قبلها أو لم يتم فيقولون: ما جاءني مشرك وما أتاني أحد غيرك. فأنشد الفضل:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في ذات أو قال[2]

وقال الزجاج: قد يكون النصب من وجهين: أحدهما الاستثناء من غير [جنسه].

والثاني الحال من قوله **﴿أعبدوا الله﴾** لأن «غيره» نكرة، وإن أضيف إلى المعارف. وقرأ أبو جعفر ويحيى بن وثّاب والأعمش والكسائي: **﴿مالكم من إله غيره﴾** بكسر الراء على نعت الإله، واختاره أبو عبيد ليكون كلاماً واحداً.

وقرأ الباقون (غيره) بالرفع على وجهين: أحدهما: التقديم وإن كان مؤخّراً في اللفظ تقديره: مالكم غيره من إله غيره.

والثاني أن يجعله نعت التأويل الاله لأن المعنى مالكم إله غيره **﴿إنّي أخاف عليكم﴾** إن لم تؤمنوا **﴿عذاب يوم عظيم * قال الملأ من قومه﴾** يعني الأشراف والسادة، وقال الفراء: هم الرجال ليست فيهم امرأة **﴿إنّا لنراك في ضلال﴾** خطال وزوال عن الحق **﴿مبين﴾** يعني ظاهر **﴿قال نوح ياقوم ليس بيّ ضلالة﴾** ولم يقل: ليست لأن معنى الضلالة الضال، وقد يكون على معنى تقديم الفعل **﴿ولكنّي رسول من ربّ العالمين أُبلّغكم﴾** قرأ أبو عمرو: وأُبلّغكم خفيفة في جميع القرآن لقوله: (لقد أبلغتكم رسالات ربّي)، وليعلموا أن قد أبلغوا رسالات ربهم. ولأن جميع كتب الأنبياء نزلت دفعة واحدة [منها] القرآن، وقرأ الباقون: أُبلّغكم بالتشديد واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لأنّها أجزل اللغتين، قال الله: **﴿بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك﴾**[3].

﴿وأنصح لكم﴾ يقال [بتخفيفه] ونصحت له وشكرته وشكرت له **﴿وأعلم من الله مالا تعلمون﴾** من عقابه لا يرد عن القوم المجرمين **﴿أوعجبتم﴾** الألف للإستفهام دخلت على واو العطف كأنه قال: إن أضعتم كذا وكذا **﴿أن جاءكم ذكر من ربّكم﴾** يعني نبوّة الرسالة، وقيل: [معجزة وبيان].

﴿على رجل منكم لينذركم﴾ عذاب الله إن لم يؤمنوا **﴿ولتّتقوا﴾** [ولكي يتّقوا] الله

---

(١) المخطوط مشوش واللفظ مقوم من تفسير القرطبي: ٧ / ٢٣٣.

(٢) لسان العرب: ١٠ / ٣٥٤.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

﴿ولعلّكم تُرحمون﴾ لكي تُرحموا **﴿فكذّبوه﴾** يعني نوحاً **﴿فأنجيناه﴾** من الطوفان **﴿والذين معه﴾** قال ابن إسحاق: يعني بنيه الثلاثة، سام وحام ويافث وأزواجهم وستة أناس ممن كان آمن به وحملهم في الفلك وهو السفينة(١).

وقال الكلبي: كانوا ثمانين إنساناً أربعون ذكوراً وأربعون امرأة **﴿وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا إنّهم كانوا قوماً عمين﴾** عن الحق جاهلين بأمر الله، وقال الضحاك: (عمينَ) كفّاراً.

وقال الحسين بن الفضل: (عمين) في البصائر يقال: رجل عَمٍ عن الحق وأعمى في البصر. وقيل: العمي والأعمى واحد كالخضر والأخضر. وقال مقاتل: عموا عن نزول العذاب بهم وهو الحرث.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

﴿وإلى عاد﴾ يعني وأرسلنا إلى عاد فلذلك نصب **﴿أخاهم﴾** وهو علاء بن عوص بن آدم ابن سام بن نوح وهو عاد الأولى **﴿أخاهم﴾** في النسب لا في الدين **﴿هود﴾** وهو هود بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح وقال ابن إسحاق: هود بن [شالخ] بن أرفخشد بن سام بن نوح **﴿قال﴾** لهم **﴿ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتّقون﴾** الله فتوحدونه وتعبدونه **﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة﴾** جهالة وضلالة [بتركك ديننا] **﴿وإنّا لنظنّك من الكاذبين﴾** إنّك رسول الله إلينا وأن العذاب نازل بنا **﴿قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من ربّ العالمين * أُبلغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح﴾** أدعوكم إلى التوبة **﴿أمين﴾** قال الضحاك: أمين على الرسالة، وقال الكلبي: قد كنت فيكم قبل ذلك [اليوم أميناً] **﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم﴾** يعني نفسه

(١) تفسير القرطبي: ١٢ / ٤٨.

﴿لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ يعني أهلكهم [بشركاء منهم] **﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾** أي طولا وشدّة وقوّة.

قال مقاتل: طول كل رجل أثنا عشر ذراعاً، ابن عباس: تمثّل ذراعاً وقال الكلبي: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستّين ذراعاً. أبو حمزة الثمالي سبعون ذراعاً. ابن عباس: ثمانون، وهب: كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكان عين الرجل يفرخ فيها السباع، وكذلك مناخرهم **﴿فاذكروا آلاء الله﴾** نعم الله واحدها [إلْ وإلي وإلو وإلى كالآناء واحدها إنى وإني وإنو وأني][1] **﴿لعلّكم تُفلحون * قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾** وندع ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام **﴿فآتنا بما تعدنا﴾** يعني العذاب **﴿إن كنت من الصادقين﴾** قال: قد وقع وجب ونزل **﴿عليكم من ربّكم رجسٌ﴾** أي عذاب [والسين مبدأ من الزاي][2] وغضب **﴿أتجادلونني في أسماء سمّيتموها﴾** وضعتموها على الأصنام [......][3] يعبد ناراً **﴿أنتم وآباؤكم﴾** قبلكم **﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾** حجّة وبيان وبرهان فانتظروا نزول العذاب.

﴿إنّي معكم من المنتظرين فأنجيناه﴾ يعني هوداً عند نزول العذاب.

﴿والذين معه برحمة منّا وقطعنا دابر الذين كذّبوا بآياتنا﴾ أي استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم **﴿وما كانوا مؤمنين﴾** وكانت قصّة عاد وهلاكهم على ماذكره محمد بن إسحاق والسدي وغيرهما من الرواة والمفسّرين: إن عاداً كانوا ينزلون اليمن وكان مساكنهم منها بالشجرة والأحقاف، وهي رمال يقال لها رمل عالج (ودمما وبيرين)[4] ما بين عمان إلى حضرموت، وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض فكلّها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عزّ وجلّ وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله صنم يقال له: صنا، وصنم يقال له: صمود، وصنم يقال لها: الهبار.

فبعث الله عزّ وجلّ إليهم هوداً نبيّاً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً وأمرهم أن يوحدوا الله ولا يشركوا معه إلهاً غيره، وأن يكفّوا عن ظلم الناس [ولم] يأمرهم فيما تذكر بغير ذلك.

فأبوا عليه وكذّبوه وقالوا: مَنْ أشد منّا قوّة، وبنو المصانع وبطشوا بطشة الجبارين كما ذكر الله تعالى فلما فعلوا ذلك أمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتّى جهدهم ذلك.

---

(١) زيادة من تفسير القرطبي: ٧ / ٢٣٧.

(٢) كذا في المخطوط ومراده أن الرجز بالزاي والرجس بالسين هما بمعنى واحد قلبت السين زاياً، وهذا قول أبو عمرو بن العلاء، راجع زاد المسير: ٣ / ١٥١.

(٣) كلمة غير مقروءة.

(٤) بيرين: من قرى حمص، ودمما: قرية دون الأنبار على الفرات.

وكانت الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو حرب دعوا إلى الله الفرج وطلبتهم إلى الله عند البيت الحرام بمكّة مسلمهم ومشركهم فتجتمع بمكّة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلّهم معظّم لمكّة عارف بحرمتها ومكانها من الله عزّ وجلّ. وأهل مكّة يومئذ العماليق وإنّما سُمّوا العماليق لأن أباهم عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيّد العماليق إذ ذاك بمكة رجل يقال له: معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت [الخبيري] رجل من عاد الأكبر فلمّا قحط المطر عن عاد [وجمدوا] قال: جهزوا وفداً إلى [أن يستسقوا] لكم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال وعتيل بن ضد بن عاد الأكبر ومرثد بن سعد بن عقير.

وكان مسلماً يكتم إسلامه وجهلمة بن الخيبري، قال معاوية بن بكرة: ثمّ بعثوا لقمان ابن عاد بن صد بن عاد الأكبر، فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتّى بلغ [عدّة فعدّهم] سبعين رجلاً فلمّا قدموا مكّة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكّة خارجاً من الحرم. فأنزلهم وأكرمهم وكانوا إخوانه وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر، وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً، فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوّثون من البلاء الذي أصابهم أشفق ذلك عليه وقال: هلك إخواني وأصهاري وهؤلاء يقيمون عندي وهم ضيفي والله ما أدري كيف أصنع بهم إنّي لأستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا له فيظنون أنّه ضِيق منّي ببقائهم عندي، وقد هلك من ورائهم من قومهم [جدباً] وعطشاً، فشكى ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين فقالتا: اصنع شعراً نغني به لا يدرون من قاله لعلّ ذلك [يحرّكهم].

فقال معاوية بن بكر:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم	لعل الله يسقينا غماماً
فيسقي أرض عاد ان عاداً	قد أمسوا لا يبينون كلاما
من العطش الشديد فليس نرجو	به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نسائهم بخير	فقد أمست نساؤهم عيامىً
وإن الوحش يأتيهم جهاراً	ولا يخشى لعادي سهاماً
وأنتم ههنا فيما أشتهيتم	نهاركم وليلكم إلتماما
فقبح وفدكم من وفد	قوم ولا لقوا التحيّة والسلاما[1]

فلما قال الشعر غنتهم به الجرادتان فلما سمع القوم قال بعضهم لبعض: إنّما بعثكم قومكم يتغوّثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أطلتم عليهم فادخلوا هذا الحرم واستسقوا

(١) جامع البيان للطبري: ٨ / ٢٨٣.

لقومكم، وقال مرثد بن سعد بن عفير: إنكم والله ما تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيّكم وأنبتم إليه سقيتم، فأظهر إسلامة عند ذلك فقال جلهمة بن [الخيبري] خال معاوية حين سمع قوله وعرف أنّه اتبع دين هود (عليه السلام):

أبا سعد فإنّك من قبيل ... ذوي كرم وأمك من ثمود
فإنا لا نطيعك ما بقينا ... ولسنا فاعلين لما تريد.
أتأمرنا لنترك دين رفد ... ورمل والصداء مع الصمود.
ونترك دين آباء كرام ... ذوي رأي ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخاً كبيراً: [احبسا] عنّا مرثداً بن سعد فلا يدخل معنا مكّة فإنّه اتبع دين هود وترك ديننا.

ثمّ خرجوا إلى مكّة يستسقون بها لعاد فلمّا ولّوا إلى مكّة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتّى أدركهم بها فقال: لا أدعو الله عزّ وجلّ بشيء مما خرجوا له، فلما أنتهى إليهم قام يدعو الله وهم قد اجتمعوا يدعون الله ويقول: اللهم أعطني سؤلي وحدي ولاتدخلني في شيء مما يدعونك، وكان قيل بن عنز على رأس وفد عاد، وقال وفد عاد: اللّهمّ أعطه ما سألك واجعل سؤالنا مع سؤاله، وكان [قد تخلف] عن وفد عاد حين دعا لقمان بن عاد وكان سيّد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام فقال: اللّهمّ إنّي جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي وسأل الله عزّ وجلّ طول العمر. فعمّر عمر سبعة أنسر. وقال: قيل بن عنز: [يا إلهنا] إن كان هود صادقاً فاسقنا فإنّا قد هلكنا.

وقال: اللّهمّ إنّي لم [أجيء] لمريض فأُداويه ولا لأسير فأُناديه، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فأنشأ الله عزّ وجلّ له [سحائب] ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثمّ نادى مناد من السماء: يا قيل اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب ما شئت، فقال قيل: اخترتُ السحابة السوداء فإنّها أكبر السحب، فناداه مناد قد اخترت رماداً رمدداً، لا تبقى من عاد أحداً، لا والداً ولا ولدا، إلا جعلتهم همداً، إلا بني اللوذية المهدا.

وبنو اللوذية هم بنو لقيم بن هزال بن هزيلة بن بكر فكانوا سكان بمكّة مع أخوالهم ولم يكونوا مع عاد بأرضهم وعاد الآخر كان من نسل الذي بقوا من عاد.

ونادى الله عزّ وجلّ السحابة السوداء التي اختارها قيل: [فيها من النقمة] من عاد حتّى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا **﴿هذا عارض ممطر﴾** يقول الله تعالى: **﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمّر كل شيء بأمر ربّها﴾**[1].

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٤ ـ ٢٥.

وكان أول من أبصر ما فيها وعرف إنّها ريح امرأة من عاد يقال لها: مهدر، فلمّا أتت عليهم صاحت وصعقت. فلما أفاقت قالوا: ماذا رأيت؟ قالت: رأيت ريحها فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها **﴿سخّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾**(١) أي دائمة فلم يدع من عاد أحداً إلاّ هلك.

فاعتزل هود (عليه السلام) ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبها ومن ريح إلاّ ما تلين عليه الجلود وتلتذ الأنفس. وإنها لترتفع بعاد والظعن إلى ما بين السماء والأرض وتدفعهم بالحجارة.

وخرج وفد عاد من مكّة حتّى مرّوا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر. فقالوا له: فأين فارقت هود وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر وكأنّهم شكوا فيما حدّثهم به فقالت هذيلة بنت بكر: صدق ورب مكّة.

وذكروا أنّ مراد بن سعد ولقمان بن عاد، وقيل: بن عنز حين دعوا بمكّة قيل لهم قد أعطيتهم مناكم فاختاروا لأنفسكم إلاّ أنّه لا سبيل إلى الخلود ولابد من الموت فقال مهد: اللهم أعطني [برّاً وصدقاً] فأعطي ذلك. وقال لقمان: أعطني يارب عمراً، فقيل له: اختر لنفسك بقاء سبع بعرات(٢) سمر من أظب عفر في جبل وَعَر لا يمسها القطر، أو بقاء سبعة أنسر إذا مضى نسر خلف بعده نسر واختار سبعة أنسر فعمر لقمان عمر سبعة أنسر يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضة ويأخذ الذكر منها لقوته حتّى إذا مات أخذ غيره، ولم يزل يفعل ذلك حتّى على السابع، وكان كل نسر يعيش مئتي سنة وكان آخرها لبد، فلما مات لبد مات لقمان معه.

وأما قيل: فإنّه اختار أن يصيبه ما أصاب قومه فقيل له: أنّه الهلاك فقال: لا أُبالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم فأصابه الذي أصاب عاداً من العذاب فهلك(٣).

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أوحى الله إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم، فخرجت بغير كيل على قدر منخر ثور حتّى رجفت الأرض ما بين المشرق والمغرب فقال [الخزان] يارب لن نطيقها، ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله إليها أن ارجعي فاخرجي على قدر خرق الخاتم [فرجعت] فخرجت على قدر خرق الخاتم وهي الخلقة(٤).

---

(١) سورة الحاقة: ٧.

(٢) بهامش تفسير القرطبي (١٩ / ٢٥): «في نسخة: بقرات» وهو مخالف لما في صحاح الجوهري: ٢ / ٥٣٤.

(٣) بطوله في تفسير الطبري: ٨ / ٢٨٢ ح ١١٤٩٣.

(٤) الدر المنثور: ٣ / ٩٦.

عن عاصم بن عمرو والبجلي عن أبي أُمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «يبيت قوم من هذه الأُمّة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردةً وخنازير وليصيبنّهم خسف وقذف فيقولون: لقد خسف الليلة [ببنيّ] فلان وخسف الليلة بدار فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً بشربهم الخمور وأكلهم الربا وإتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام»[١٨٨][(١)].

وفي الخبر: أنّه أُرسل عليهم من الريح قدر ما تجري في خاتم، قال السدي: بعث الله إلى عاد الريح العقيم فلمّا دنت منهم نظروا إلى [الإبل] والرجال تطير بهم الريح من السماء والأرض فلمّا رأوها [بادروا] إلى البيوت فلمّا دخلوا البيوت دخلت عليهم وأهلكتهم فيها ثمّ أخرجتهم من البيوت، فلمّا أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداً فلقطتهم إلى البحر وألقتهم فيه ولم تخرج ريح قط إلاّ مكيال إلاّ يومئذ فإنّها عتت على الخزنة فقلبتهم فلم يعلموا كم مكيالها.

وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة: سمعت عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثباً أحمر يخالطه مدرة حمراء وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت، قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنّك لتنعته نعت رجل قد رآه، وقال: ولكنّي قد حُدّثت عنه، فقال الحضرمي: [وما شأنه] يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود ـ صلوات الله عليه ـ [(٢)].

عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنّه قال: بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيّاً وإن قبر هود وشعيب وصالح وإسماعيل في تلك البقعة.

وفي رواية أُخرى: وكان النبيّ من الأنبياء إذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه إلى مكّة بمن معه فيعبدون الله فيها حتّى يموتوا.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ

---

(١) تاريخ دمشق: ٢٥ / ٢٨٤.

(٢) المستدرك: ٢ / ٥٦٤.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٦) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٧) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٨)﴾

﴿**وإلى ثمود**﴾ قرأ يحيى بن وثاب: إلى هود بالصرف والتنوين. والباقون بغير الصرف وإنّما يعني: وإلى بني ثمود، وهو ثمود بن [عاد] بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو [جديس] وأراد ههنا القبيلة.

قال أبو عمرو بن العلا: سُمّيت ثمود لقلّة مائها والثمد الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ﴿**أخاهم صالحاً**﴾ وهو صالح بن [عبيد] بن أسف ابن ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود ﴿**قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم**﴾ حجّة ودلالة من ربّكم على صدقي ﴿**هذه ناقة الله لكم**﴾ أضافها إليه على التفضيل والتخصيص كما يقال: بيت الله[1].

وقيل: أُضيفت إلى الله لأنّها كانت بالتكوين من غير اجتماع ذكر وأُنثى ولم يكن في صلب ولا رحم ولم يكن للخلق فيها سعي ﴿**آيةً**﴾ نصب على الحال أي انظروا إلى هذه الناقة ﴿**فذروها تأكل**﴾ العشب ﴿**في أرض الله ولا تمسّوها بسوء**﴾ ولا تصيبوها [بعقر] ﴿**فيأخذكم عذاب أليم * واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم**﴾ أسكنكم وأنزلكم ﴿**في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون**﴾ قرأ الحسن (وتنحتون) بفتح الحاء وهي لغة ﴿**من الجبال بيوتاً**﴾ وكانوا ينقبون في الجبال البيوت ﴿**فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين * قال الملأ الذين استكبروا من قومه**﴾ يعني الأشراف والقادة الذين تعظّموا عن الإيمان بصالح عليه السلام ﴿**للذين استضعفوا**﴾ يعني الأتباع ﴿**لمن أمن منهم أتعلمون أن صالحاً مُرسلٌ من ربه قالوا إنا بما أُرسِل به مؤمنون قال الذين أستكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون**﴾ جاحدون ﴿**فعقروا الناقة**﴾ نحروها ﴿**وعتوا عن أمر ربّهم وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا**﴾ يعني العذاب ﴿**إن كنت من المرسلين**﴾ أي من الصادقين ﴿**فأخذتهم الرجفة**﴾ يعني الصيحة والزلزلة وأصلها الحركة مع الصوت. قال الله: ﴿**يوم ترجف الراجفة**﴾.

قال الشاعر:

ولـمّـا رأيـت الـحـج قـد آن وقـتـه ... وظلّت جمال القوم بالقوم ترجفُ[2]

وقال الأخطل:

---

(١) راجع تاريخ الطبري: ١ / ١٥٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٧ / ٢٤٢، وفيه: وظلت مطايا القوم.

أما تريني [حناتي] الشيب من كبر كالنسر أرجف الإنسان مهدود فيه[١]

﴿فاصبحوا في دارهم﴾ أي في أرضهم وبلدتهم ولذلك وحد الدار. وقيل: أراد به الديار فوحد كقوله تعالى: ﴿**إن الإنسان لفي خُسر**﴾[٢] ومعنى ﴿**جاثمين**﴾ جامدين [مبتلين] صرعى هلكوا، وأصل الجاثمّ البارك على الركبة.

قال جرير:

عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحدأ الجثوم[٣]

﴿**فتولّى**﴾ أعرض صالح عنهم وقال: ﴿**يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم ولكن لا تُحبّون الناصحين**﴾ وكانت قصّة صالح وثمود وعقرهم الناقة سبب هلاكهم على ما ذكره ابن إسحاق والسدي ووهب وكعب وغيرهم من أهل الكتب قالوا: إن عاداً لمّا هلكت وانتهى أمرها عمّرت أعمارهم واستخلفوا في الأرض فربوا فيها وعمّروا، حتّى جعل أحدهم يبني المسكن من [المدر] فينهدم والرجل منهم حي. فلما رأوا ذلك اتخذوا الجبال بيوتاً فنحتوهاوجابوها وخرقوها وكانوا في سعة من معائشهم فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله، فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا فيها عرباً كان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً.

فبعثه الله تعالى إليهم شابّاً فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ حتّى شمط وكبر لا يتبعه منهم إلاّ قليل مستضعفون فلمّا ألحّ عليهم صالحٌ بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقاً لقوله، قال: أي آية تريدون؟ قالوا: نُريد أن تخرج معنا إلى عيدنا هذا وكان اسم عيد يخرجون إليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو إلهك وندعو وإن أستجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا.

فقال لهم صالح: نعم، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم ودعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شيء ممّا يدعو به. ثمّ قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيّد ثمود: يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة. لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها: الكاثبة. ناقة مخترجة جوفاء وبراء. فالمخترجة ما شاكلت البخت من الإبل، فإن فعلت صدّقناك وآمنّا بك، فأخذ صالح عليهم مواثيقهم إن فعلت لتصدقنني ولتومنن به، قالوا: نعم.

فصلّى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثمّ تحرّكت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشرا وجوفاء وبراء كما سألوا لا يعلم ما بين جنبيها إلاّ الله عزّ وجلّ عظماً

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٣٠٢.
(٢) سورة العصر: ٢.
(٣) تفسير الطبري: ٨ / ٣٠٣.

وهم ينظرون ثمّ [نتجت] ثقباً مثلها في العظم. فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويُصدّقوه فنهاهم ذوءاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود. وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد فأراد أن يسلم فنهاه أُولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من آل ثمود:

وكانت عصبة من آل عمرو ... إلى دين النبيّ دعوا شهاباً

عزيز ثمود كلّهم جميعاً ... فهمّ بأن يجيب ولو [أجابا]

لأصبح صالح فينا عزيزاً ... وما عدلوا بصاحبهم ذوءابا

ولكن الغواة من آل حجر ... تولّوا بعد رشدهم ذئاباً[1]

فلما خرجت الناقة قال صالح (عليه السلام): ﴿**هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم**﴾[2]، فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء سبتاً فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر من الحجر يقال لها بئر الناقة فما ترفعها حتّى تشرب كلّ ما فيها لا تدع قطرةً ماء فيها ثم ترفع رأسها [فتفسح] يعني تفجج لهم فيحتلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون حتّى يملأوا أوانيهم كلهم ثمّ تصدر من [غير] الفج الذي وردت لا تقدر على أن تصدر من حيث وردت لضيقه عنها فلا يرجع منه ثمّ ترفع رأسها.

قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعاً، حتّى إذا كان الغد كان يومهم فيشربون ما شاؤوا من الماء ويدخرون ماشاؤوا ليوم الناقة، فهم من ذلك في سعة ودعة [وكانت] الناقة تصيف إذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وأبقارهم وإبلهم فتهبط إلى بطن الوادي في حرّه وجدبه.

والمواشي تنفر منها إذا رأتها [تشتو] في بطن الوادي إذا كان الشتاء، فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادي في البرد والجدب. فأضرّ ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار وكانت مراتعها في ما يزعمون [الجناب] وحسمى، كل ذلك ترعى مع واد الحجر.

فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربّهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فأجمعوا على عقرها.

وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنّى أُم غنم وهي من بني عبيد ابن المهل، وكانت امرأة ذوءاب بن عمر، وكانت عجوزاً مسنّة وكانت ذات بنات حسان، وكانت ذات مال من إبل وبقر وغنم، وامرأة أُخرى يقال لها: صدوف بنت المحيا بن زهير ابن المحيا سيد بني عبيد وصاحب أوثانهم في الزمن الأول، وكان الوادي يقال له: وادي المحيا

---

(١) تفسير الطبري: ٨ / ٢٩٤.

(٢) سورة الشعراء: ١٥٥.

الأكبر جد المحيا الأصغر أبي صدوف، وكانت صدوف من أحسن الناس وكانت غنية ذات مال من إبل وغنم وبقر وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح (عليه السلام) وأعظمهم به كفراً، وكانتا تحبان أن يعقرا الناقة مع كفرهما به لما أضرت به من مواشيهما وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له: صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بني هليل فأسلم وحسن إسلامه، وكانت صدوف قد فوّضت إليه مالها فأنفقه على مَنْ أسلم له من أصحاب صالح حتّى رق المال فاطلعت على ذلك [من] إسلام صدوف وحاسبته على ذلك. فأظهر لها دينه فدعاها إلى الله وإلى الإسلام فأبت عليه وأخذت بنيها وبناتها منه فغيبتهم في عبيد بطنها الذي [هي] منه وكان صنتم زوجها من بني هليل، وكان ابن خالها فقال لها: ردي عليَّ ولدي، فقالت: حتّى أُنافرك إلى بني صنعان بن عبيد أو إلى بني [جندع] بن عبيد، فقال لها صنيم: بل أنافرك إلى بني مرداس بن عبيد. وذلك أن بني مرداس كانوا مسلمين.

فقالت: لا أُنافرك إلاّ إلى مَنْ دعوتك إليه. فقالت بنو مرداس: والله لتعطينه ولده كارهة أو طائعة فلما رأت ذلك أعطته إياهم.

ثم إنّ صدوف وعنيزة تحيّلا في عقر الناقة للشقاء الذي نزل بهم فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له [الحبّاب] لعقر الناقة وعرضت نفسها إن هو فعل ذلك [فأبى] عليها فدعت ابن عم لها يقال له: مصدح بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة، وكانت من أحسن الناس وجهاً وأكثرهم مالاً فأجابها إلى ذلك، ودعت عنيزة بنت غنم قدار ابن سالف بن جندع رجلا من أهل قرح وذكره رسول الله ﷺ وقال: «انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعه» [١٨٩][١] واسم أُمّه قدير. وكان رجلا أحمراً أزرقاً قصيراً يزعمون أنّه كان لزنية من رجل يقال له: صبيان ولم يكن لسالف الذي يدعى السر، ولكنه قد ولد على فراش سالف فقالت: أعطيك أيَّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه فانطلق قدار بن سالف هو ومصدع بن مهرج فاستنفرا غواة من ثمود فاتبعهما سبعة نفر، وكانوا تسعة رهط أحدهم هويل بن مسطح خال عزير من أهل حجر [ودعيت] بن غنم بن ذاغر ذؤاب بن مهرج بن مصدع وخمسة لم يذكر لنا أسماءهم فاجمعوا على عقر الناقة.

وقال السدي وغيره: أوحى الله تعالى إلى صالح (عليه السلام) أن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك.

فقالوا: ماكنّا لنفعل ذلك. فقال صالح: إنّه يولد في قومكم غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد لنا ابن في هذا الشهر إلاّ قتلناه.

---

(١) تفسير الطبري: ٣٠ / ٢٦٩.

قال: فولد لهم تسعة في ذلك الشهر. فدعوا أبناءهم ثمّ ولد العاشر فأبى أن يذبح أبنه وكان لم يولد له قبل ذلك ابن وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً، وكان إذا مرّ بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، فغضب التسعة على صالح، لأنّه كان سبب قتلهم أبنائهم فتقاسموا بالله لنبيتنّه وأهله قالوا: نخرج فنري الناس أنا قد خرجنا إلى [سفرنا] فنأتي الغار فنكون فيه حتّى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه ثمّ رجعنا إلى الغار فكنّا فيه ثمّ رجعنا فقلنا مهلك أهله وإنّا لصادقون يصدّقوننا يعلمون إنّا قد خرجنا إلى سفرنا، وكان صالح ﷺ لا ينام معهم في القرية. وكان في مسجد يقال له مسجد صالح فيه يبيت الليل. فإذا أصبح أتاهم فوعظهم ويذكرهم، وإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلمّا دخلوا الغار وأرادوا أن يخرجوا من [الجبل] سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجل ممّن قد اطلع على ذلك منهم فإذا هم رطخ فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية أي عباد الله أما رضي صالح [بأن] أمرهم بقتل أولادهم حتّى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

وقال ابن إسحاق: إنّما كان تقاسم التسعة على قتل صالح ﷺ بعد عقرهم الناقة وإنذار صالح إياهم بالعذاب. ذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا: هلّم فلنقتل صالحاً وإن كان صادقاً عجّلنا قتله، وإن كان كاذباً قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدفعتهم الملائكة بالحجارة فلمّا أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشتدخين قد رُضخوا بالحجارة فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثمّ همّوا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح. وقالوا لهم: والله لا تقتلونه أبداً وقد وعدكم أنّ العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقاً لم تزيدوا ربّكم إلاّ غضباً وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك.

قال السدي وغيره: فكان شر مولود ـ يعني قدار ـ وكان يشبُّ في اليوم شباب غيره في الجمعة. ويشبّ في الشهر شباب غيره في السنة فلمّا كبر جلس مع أُناس يصيبون من الشراب فأرادوا ما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة. فاشتد ذلك عليهم وقالوا في شأن الناقة وشدّتها عليهم ونحن ما نصنع باللبن لو كنّا نأخذ من هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة نسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيراً لنا، فقال ابن العاشر هل لكم في أن أعقرها لكم؟

قالوا: نعم.

وقال كعب: كان سبب عقرهم الناقة أنّ امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلمّا أقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة إليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدّار بن سالف ولامرأة أُخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدح بن وعد ويقال ابن مهرج، وكان قدار ومصدع يجتمعان كل ليلة معهما ويشربون الخمر فقالت لهما ملكا: إن أتاكم الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما: إن الملكة حزينة لأجل الناقة و لأجل صالح فنحن لا

نطيعكما حتّى تعقرا الناقة فإن عقرتماها أطعناكما، فلمّا أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا: يكون من وراء عقرهما.

وقال ابن إسحاق وغيره: فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل حفرة على طريقها، وكمن لها مصدع في طريق آخر فمرّت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فاستقرّت لقدار ثمّ دمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فحدر سقبها ثمّ طعن في لبّتها فنحرها.

وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلمّا رأى سقبها[١] ذلك انطلق حتّى أتى جبلا منيعاً يقال له صور، وقيل: اسمه قارة، وأتى صالح فقال له: أدرك الناقة قد عُقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه يانبي الله إنّما عقرها فلان وفلان ولا ذنب لنا. فقال صالح (عليه السلام): أنظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى أن يُرفع عنكم العذاب. فخرجوا يطلبونه فلمّا رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الجبل فتطاول في السماء حتّى لا تناله الطير. وجاءَ صالح (عليه السلام) فلمّا رآه الفصيل بكى حتّى سالت دموعه ثمّ استقبل صالحاً فرغا رغوة ثم رغا أُخرى ثم رغا أُخرى.

فقال صالح (عليه السلام): لكل رغاة أجل يومكم تمتّعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب.

وقال ابن إسحاق: أتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع ابن مهرج وأخوه داب بن مهرج فرمى مصدع بسهم فانتظم قلبه ثمّ جر برجله وأنزله وألقوا لحمه مع لحم أُمّه. فقال لهم صالح: انتهكتم حرمة الله تعالى فأبشروا بعذاب الله ونقمته، فقالوا له وهم يهزأون به: ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك؟ وكان يسمّون الأيام فيهم الأحد الأوّل والأثنين أُميون والثلاثاء دبار والأربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة غروبة والسبت شيار. وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح (عليه السلام) حين قالوا ذلك: تصبحون غداء يوم مؤنس ووجوهكم مصفرّة، ثمّ تصبحون يوم غروبة ووجوهكم محمرّة ثمّ تصبحون يوم شيّار ووجوهكم مسودّة، ثمّ يصبحكم العذاب يوم الأوّل، فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرّة كأنّما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وإناثهم، فأيقنوا العذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه، وخرج صالح هارباً حتّى لجأ إلى بطن من ثمود، يقال له: بنو غنم، فنزل على سيّدهم رجل منهم يقال له: نفيل ويكنّى أبا هدب وهو مشرك فغيّبه فلم يقدروا عليه، وقعدوا على أصحاب صالح يعذّبونهم ليدلّوهم عليه.

---

(١) وهو ولدها.

فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم: يا نبي الله إنّهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم؟ قال: نعم، فدلّهم عليه ميدع فأتوا أبا هدب وكلّموه في ذلك، فقال: نعم عندي صالح وليس لكم إليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله عزّ وجلّ فيهم من عذابه فجعل بعضهم يخبّر بعضاً بما يرون في وجوههم فلما أصبحوا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يوم من الأجل، فلمّا أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرّة كأنّما خُضّبت بالدماء فصاحوا وضجّوا وبكوا وعرفوا آية العذاب، فلمّا أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل و حضركم العذاب. فلما كان اليوم الثالث إذا وجوههم مسودّة كأنّما طُليت بالنار فصاحوا جميعاً ألا قد حضركم العذاب.

فلمّا كان ليلة الأحد خرج صالح (عليه السلام) من بين أظهرهم ومَنْ أسلم معه إلى الشام فنزلوا رملة فلسطين فلمّا أصبح القوم تكفّنوا وتحنّطوا وكان حنوطهم الصبر والمقر وكانت أكفانهم [الإنطاع] ثمّ ألقوا أنفسهم بالأرض فجعلوا يقلّبون به أبصارهم فينظرون إلى السماء مرّة وإلى الأرض مّرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب.

فلمّا اشتد الضحى يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كلّ صاعقة وصوت كل [شيء] له صوت في الأرض فتقطّعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلاّ هلك كما قال الله تعالى: ﴿**فأصبحوا في ديارهم جاثمين**﴾ إلاّ جارية منهم مقعدة يقال لها: ذريعة بنت سلق وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح (عليه السلام) فأطلق الله عزّ وجلّ لها رجلها بعدما عاينت العذاب أجمع، فخرجت كأسرع ما يُرى شيء قط حتّى أتت قزح[1] وهي وادي القرى فأخبرتهم بما [عاينت] من العذاب وما أصاب ثمود ثمّ أستسقت من الماء فسُقيت فلمّا شربت ماتت.

وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: لمّا أُمر النبيّ ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: «لا يدخلن أحدّكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلاّ أن تكونوا باكين خائفين فإن لم تكونوا فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

ثمّ قال: «أمّا بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله عزّ وجلّ لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوماً فيردها وراءهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في الغار فعتوا عن أمر ربّهم وعقروها فأهلك الله مَنْ [تحت] أديم السماء منهم إلاّ رجلاً واحداً كان في حرم الله».

قيل: من هو؟ قال: «أبو رغال» [١٩٠].

---

(١) قزح: وادي بالمزدلفة.

فلمّا خرج أصابه ما أصاب قومه [فدفن ههنا] ودُفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبي رغال فول القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن، ثمّ قبع رسول الله ﷺ رأسه وأسرع السير حتّى جاز الوادي(١).

قال أهل العلم: توفي صالح (عليه السلام) بمكّة وهو ابن ثمان وخمسين [سنة فلبث] في قومه عشرين سنة.

عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله (عليه السلام): «يا عليّ أتدري مَنْ أشقى الأوّلين؟»

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «عاقر الناقة».

قال: «أتدري مَنْ أشقى الآخرين؟»

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «قاتلك» [١٩١](٢).

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿ولوطاً﴾ يعني وأرسلنا لوطاً وقيل معناه: واذكر لوطاً. وهو لوط بن [هاران] بن تارخ أخي إبراهيم (عليه السلام) **﴿إذ قال لقومه﴾** وهم أهل سدوم، وذلك أنّ لوطاً شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم (عليه السلام) مؤمناً به مهاجراً معه إلى الشام فنزل إبراهيم (عليه السلام) فلسطين وأنزل ابن أخيه لوطاً الأردن فأرسل الله إلى أهل سدوم فقال لهم: **﴿أتأتون الفاحشة﴾** يعني إتيان الذكران **﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾** قال عمرو بن دينار: ما كان يزني ذكر على ذكر في الدنيا حتّى كان قوم لوط **﴿إنّكم لتأتون الرجال﴾** [في أدبارهم] **﴿شهوةً من دون النساء﴾** يعني أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء **﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾** مشركون [تبدّلون] الحلال إلى الحرام.

---

(١) بطوله في تفسير الطبري: ١٢ / ٨٥ وتاريخ الطبري: ١ / ١٥٩ مع تفاوت.

(٢) الطبقات الكبرى: ٣ / ٣٥، وتاريخ بغداد: ١ / ١٤٦، وشواهد التنزيل: ٢ / ٤٤٤ ح ١١٠٨.

قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ قال: إن [عضلتم] بهم كلهم أنجوتكم منهم فأبوا، فلما ألحّ الناس عليهم فعبدوهم فأصابوا غلماناً صباحاً فأخبثوا وأستحكم فيهم ذلك.

وقال الحسن: كانوا لا ينكحون [إلاّ الرجال] وقال الكلبي: أوّل مَنْ عمل عمل قوم لوط إبليس الخبيث لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان فتمثّل لهم إبليس في صورة شاب ثمّ دعا [في] دبره فنُكح في دبره ثمّ عتوا بذلك العمل فأكثر فيهم ذلك فعجّت الأرض إلى ربّها فسمعت السماء فعجّت إلى ربّها فسمع العرش فعجّ إلى ربّه فأمر الله السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم **﴿وما كان جواب قومه﴾** إذا قال لهم ذلك **﴿إلاّ أن قالوا﴾** قال بعضهم لبعض **﴿أخرجوهم﴾** لوطاً وأهل دينه **﴿من قريتكم إنّهم أُناسٌ يتطهرون﴾** يتنزّهون ويتحرّجون عن أتيان أدبار الرجال وأدبار النساء **﴿وأنجيناه﴾** يعني لوطاً **﴿وأهله﴾** المؤمنين به، وقيل: وأهله بنتاه: نعوذا وديثا.

﴿إلاّ امرأته﴾ فاعلة فإنّها **﴿كانت من الغابرين﴾** يعني الباقين في العذاب وقيل: معناه: كانت من الباقين والمعمّرين قبل الهلاك الذين قد أتى عليهم عمرت دهراً طويلا فهرمت فيمن هرم من الناس. فهلكت مع مَنْ هلك من قوم لوط حين أتاهم العذاب. وإنّما قال: (الغابرين) ولم يقل: الغابرات لأنه أراد أنّها ممّن بقى مع الرجال فلمّا ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قيل: الغابرين. وقيل: له غبر يغبر غبوراً، وغبر إذا بقي. قال الشاعر:

وأبي الذي فتح البلادبسيفه ... فأذلّها لبني أبان الغابر[(١)]

يعني الباقي.

وقال أبو ذؤيب:

وغبرت بعدهم بعيش ناصب ... وإدخال أنّي لاحق مستتبع[(٢)]

﴿فأمطرنا عليهم مطراً﴾ يعني حجارة من سجّيل **﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾** وسنذكر القصّة بتمامها في موضعها إن شاء الله.

وروى أبو اليمان بن الحكم بن نافع الحمّصي عن صفوان بن عمر قال: كتب عبد الملك ابن مروان إلى ابن حبيب قاضي حمص سأله كم [عقوبة] اللوطي فكتب أن عليه أن يُرمى بالحجارة كما رجُم قوم لوط فإن الله تعالى قال: **﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾** وقال: **﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجّيل﴾**[(٣)] فقبل عبد الملك ذلك منه وأستحسنه.

---

(١) جامع البيان للطبري: ٨ / ٣٠٦.
(٢) لسان العرب: ١ / ٧٥٨.
(٣) سورة الحجر: ٧٤.

وروى عكرمة عن النبيّ ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فأقتلوا الفاعل والمفعول به».

وقال محمد بن المنكدر: كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر أنّه وجد رجلا في بعض قوافل العرب يُنكح كما تُنكح المرأة فشاور أصحاب النبيّ ﷺ وأشهدهم في ذلك عليه، فاجتمع عليهم على أن يُحرقوه فأحرقوه.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)

﴿**وإلى مدين**﴾ يعني وأرسلنا إلى بني مدين بن إبراهيم خليل الله وهم أصحاب الأيكة.

وقال قتادة: أرسل مرّتين إلى مدين وإلى أصحاب الأيكة ﴿**أخاهم شُعيباً**﴾ قال قتادة: هو شعيب بن [نويب] وقال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم، وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن ميكيل بن إسحاق بن مدين بن إبراهيم واسمه بالسريانية يثروب وأُمّه ميكيل بنت لوط وكان شعيب أعمى.

ويقال: إنّه خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر يكفرون بالله وبخس المكيال والميزان فقال لهم ﴿**ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم**﴾ [يعني يجي] شعيب ﴿**فأُوفوا**﴾ فأتمّوا ﴿**الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوها [إياهم] ﴿**ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾ كانت الأرض قبل أن يُبعث إليها شعيباً رسولا يُعمل فيها بالمعاصي ويُستحلّ فيها المحارم ويُسفك فيها الدماء بغير

حقّها فذلك فسادها، فلمّا بُعث إليها شعيباً ودعاهم إلى الله صلحت الأرض وكلّ نبيّ بُعث إلى قومه فهو يدعوهم لإصلاحهم الذي ذكرت لكم وأمرتكم به.

﴿خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ مصدّقين بما أقول **﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾** [يعني] في هذا الطريق كقوله: **﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾**(١).

﴿توعدون﴾ تُهددون **﴿وتصدّون عن سبيل الله﴾** دين الله **﴿مَنْ آمن به وتبغونها عوجاً﴾** زيغاً وذلك أنّهم كانوا يجلسون على الطرق فيُخبرون مَنْ قصد شعيباً ليُؤمن به إنّ شعيباً كذّاب. فلا يفتنّنك عن [ذلك] وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوّفونهم.

قال السدي وأبو روق: كانوا [جبّارين]. قال عبد الرحمن بن زيد: كانوا يقطعون الطريق. وقال النبيّ ﷺ «رأيت ليلة أُسري بي خشبة على الطريق لا يمرّ بها ثوب إلاّ شقّته ولا شيء إلاّ خرقته فقلت ما هذا يا جبرائيل؟

قال: هذا مثل أقوام من أُمّتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثمّ تلا: **﴿ولا تقعدوا بكل صراط تُوعدون﴾**(٢) [١٩٢].

﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثّركم﴾ [فكثّر بينكم] **﴿وانظروا كيف كان عاقبة المُفسدين﴾** يعني آخر قوم لوط **﴿وإن كان طائفة منكم﴾** إلى قوله تعالى **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾** يعني الروءساء الذين تعالوا عن الإيمان به **﴿لنُخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملتنا﴾** لترجعن إلى ديننا الذي نحن عليه وتدعون دينكم.

قال شعيب: **﴿قال أولو كُنّا كارهين﴾** لذلك يعني ولو كنّا كارهين لذلك تجبروننا عليه فأُدخلت الف الاستفهام على ولو **﴿قد أفترينا على الله كذباً إنّ عدنا في ملّتكم بعد إذ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها﴾** نرجع إليها بعد إذ أنقذنا الله منها **﴿إلاّ أن يشاء الله ربّنا﴾** تقول إلاّ أن يكون سبق لنا في علم الله ومشيئته أن نعود فيها فيمضي حينئذ قضاء الله فينا [وينفذ] حكمه وعلمه علينا **﴿وسع ربّنا كلّ شيء علماً﴾** أحاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن **﴿على الله توكلنا﴾** فيما تتوعدوننا به.

واختلف العلماء في معنى قوله **﴿أو لتعودن في ملتنا﴾** وقوله **﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾** فقال بعضهم: معناه أو لتدخلن فيها ولن تدخل [إلاّ] إن يشاء الله ربّنا فيضلنا بعد إذ هدانا.

وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد الحبيبي يقول: سمعت عليّ بن مهدي الطبري بها يقول: إنّ عدنا في ملّتكم أي صرنا، لا أن نعود، يكون ابتداء ورجوعاً.

---

(١) سورة الفجر: ١٤.

(٢) الدر المنثور: ٣ / ١٠٣.

قال أُميّة بن أبي الصلت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيباً بماء فعادا بعد أبوالا[١]

أي صار الآن اللبن، كأن لم تكن قط بولا.

وسمعت [الحسين بن الحبيبي] قال: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: معناه: إذ نجّانا الله منها في سابق علمه وعند اللوح والقلم.

وقال بعضهم: كان شعيب ومَنْ آمن معه في بدء أمرهم مستخفين ثمّ أظهروا أمرهم وإنما قال لهم قومهم ﴿أو لتعودنّ في ملّتنا﴾ حسبوا أنّهم على ملّتهم [قيل: من هو معه][٢] على أصحاب شعيب دون شعيب لأنّهم كانوا كفّاراً ثمّ آمنوا بالخطاب لهم وجواب شعيب عنهم لا عن نفسه، لأن شعيباً لم يكن كافراً قط وإنّما ناوله الخطاب في أصناف مَنْ فارق دينهم إليه.

ورأيت في بعض التفاسير أن الملّة هاهنا الشريعة وكان عليه قبل نبوّته فلمّا [نُبّئ] فارقهم.

ثمّ دعا شعيب على قومه إذ لمس ما فيهم فقال **﴿ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾** أي اقض.

وقال [المؤرخ]: افصل.

وقال ابن عباس: ما كنت أدري ما قوله **﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾** حتّى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك. أي أقاضيك..

وقال الفراء: أهل عمان يسمّون القاضي الفاتح والفتّاح. وذكر غيره أنّه لغة مهاد. فأنشد لبعضهم:

ألا أبلغ بني عصُم رسولا   بأنّي عن فتاحتكم غنيّ[٣]

أي حكمكم. **﴿وأنت خير الفاتحين﴾** يعني الحاكمين **﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتّبعتم شعيباً﴾** وتركتم دينكم **﴿إنّكم إذاً لخاسرون﴾** قال ابن عباس: مغبونون. قال عطاء: جاهلون. قال الضحاك: فجرة. **﴿فأخذتهم الرجفة﴾** قال الكلبي: الزلزلة.

قال ابن عباس: وغيره من المفسّرين: فتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم فأرسل عليهم ريحاً وحرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر فبعث الله عزّ وجلّ سحابة فيها ريح طيّبة فوجدوا برد الريح بطيبها وظل السحابة فتنادوا

---

(١) كتاب العين: ١ / ١٨٢.

(٢) كذا في المخطوط.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٢٥.

عليكم بها فخرجوا إلى البريّة فلمّا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجرّاد المعلّى وصاروا رماداً وهو عذاب يوم الظلّة، وذلك قوله: ﴿**فأصبحوا في دارهم جاثمين**﴾ ميّتين قال أبو العالية: ديارهم منازلهم، وقال محمد بن مروان: كل شيء في القرآن (دارهم) فهو [مرغمهم] وكلّ شيء (درياهم) فهو عساكرهم.

قال ابن إسحاق: بلغني أن رجلاً من أهل مدين يُقال له عمر بن [جلهاء] لمّا رأى الظلّة فيها الغضب. قال: يا قوم إن شُعيباً مُرسلٌ فذروا عنكم سُميراً أو عمران بن شداد إني أرى غيمة ياقوم طلعت دعو بصوت على صمانة الوادي، فإنّكم إن تروا فيها ضحاة غد إلاّ الرقيم يمشي بين أنجاد وسُميراً وعمران: كاهناهم راعيين، والرقيم كلباً لهما(١).

قال أبو عبد الله البجلي: أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت: أسماء ملوك وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب. فقالت أخت كلمون تبكيه:

كلمون هدَّ ركني هلكه وسط المحله سيّد القوم أتاه الحتف ناراً وسط ظلة.

جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحلة.

﴿**الذين كذّبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها**﴾ أي لم يعيشوا ولم ينزلوا ولم يقيموا ولم ينعموا، وأصله من قولهم غنيّة بالمكان إذا أقمت به والمغاني المنازل وأحدها مغنى قال لبيد:

وغنيت ستاً قبل مجرى داهس لو كان للنفس اللجوج خلود

وقال حاتم:

غنينا زماناً للتصعلك والغنى فكلا سقانا بكأسيهما الدهر(٢)

﴿**الذين كذّبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين**﴾ لا المؤمنون كما زعموا ﴿**فتولّى**﴾ أعرض ﴿**عنهم**﴾ شعيب [بن شامخ] من أظهرهم حين أتاهم العذاب ﴿**وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربّي ونصحتُ لكم فكيف آسى**﴾ [أحزن] ﴿**على قوم كافرين**﴾ حين يُعذّبون، يقال: آسيتم آسي أسىً. قال الشاعر:

آسيت على زيد ولم أدر ما فعل(٣)

والأسى الحزن [والأسى] الصبر.

---

(١) راجع تفسير الطبري: ٩ / ٧ بتفاوت.

(٢) لسان العرب: ١٠ / ٤٥٦.

(٣) تفسير القرطبي ١٤ / ١١٨.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿**وما أرسلنا في قرية من نبي**﴾ فيه اضمار واختصار يعني فكذبّوه ﴿**إلاّ أخذنا**﴾ عاقبنا ﴿**أهلها**﴾ حين لم يُؤمنوا ﴿**بالبأساء**﴾ يعني بالبؤس الشدّة وضيق العيش ﴿**والضرّاء**﴾ تعني أضر وهو الحال. وقيل: المرض والزمناء قال: السدي البأساء يعني الفقر والجوع ﴿**لعلّهم يضّرعون**﴾ لكي يتضرعوا [فينيبوا] ويتوبوا ﴿**ثمّ بدّلنا مكان السيّئة**﴾ وهي البأساء والجواب والجوع ﴿**الحسنة**﴾ يعني النعمة والسعة والرخاء والخصب ﴿**حتّى عفوا**﴾ أي كثروا وأثروا وكثرت أموالهم وأولادهم، قال ابن عباس: (عفوا) يعني [جهدوا]، وقال ابن زيد: يعني كثروا كما يكثر النبات والريش.

قال قتادة: (حتّى عفوا): سروا بذلك، وقال مقاتل بن حيان: (عفوا) حتى كثروا وتركوا ولم يستكثروا وأصله من الكثرة.

وقال النبيّ ﷺ: «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى»[1].

وقال الشاعر:

يقول من بعد أُولاك أولات أتوا زماناً ليس عندهم بعيد

وقال آخر:

ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم[2]

﴿**وقالوا**﴾ من جهلهم وغفلتهم ﴿**قد مسّ آباءنا الضراء والسراء**﴾ فنحن مثلنا فقال الله تعالى ﴿**فأخذناهم بغتة**﴾ [فجأة عِبرة[3] لمن بعدهم]. ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ بنزول العذاب ﴿**ولو**

(١) مسند أبي يعلى: ١٠ / ١٠٥ ح ٥٧٣٨.
(٢) تفسير الطبري ٢ / ٤٩٨.
(٣) في تفسير القرطبي (٧ / ٢٥٢): ليكون أكثر حسرة.

أن أهل القرى آمنوا واتّقوا﴾ يعني وحدوا الله وأطاعوه ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء﴾ يعني المطر ﴿والأرض﴾ يعني النبات، وأصل البركة المواضبة على الشيء تقول: برك فلان على فلان إذا [أجابه، وبركات الأرض أي] تابعنا عليهم بالمطر والنبات والخصب ورفعنا الحرث والقحط ﴿ولكن كذّبوا فأخذناهم﴾ فجعلنا لهم العقوبات ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعصية والأعمال الخبيثة.

﴿أفأمِنَ أهل القرى﴾ الذين كفروا وكذّبوا ﴿أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون﴾ آمنون.

﴿أو أمِن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً﴾ نهاراً ﴿وهم يلعبون﴾ لاهون.

﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر اللهِ إلاّ القوم الخاسرون﴾ ومعني (مكر) استدراج القوم بما أراهم في دنياهم.

قال قتادة: مكر الله استدراجه بطول الصحة وتظاهر النعم، وقال عطيّة: يعني أخذه وعذابه، وحكى [الشبلي] أنه سئل عن مكر الله فأجاب بقول

محبتك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبقَ حبك لي حراكاً
ومقبح من موالد ليفعل سنتي ويفعله فيحسن

فقال السائل: اسأله عن آية من كتاب الله ويجيبني من الشعر فعلم الشبلي أنه لم يفطن لما قال، فقال: يا هذا [. . . .][1] إياهم على ما هم فيه.

﴿أوَلم يهد﴾ قرأ أبو عبد الرحمن وقتادة ويعقوب في رواية زيد (نهد) بالنون على التعظيم والباقون بالياء على [التفريد] ﴿للذين يرثون﴾ يستخلفون في ﴿الأرض﴾ بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا بسيرتهم [. . . .][2] ربّهم ﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾ أهلكناهم ﴿بذنوبهم﴾ بما أهلكنا من قبلهم ﴿ونطبع﴾ نختم ﴿على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ الهدى ولا يقبلون الموعظة ﴿تلك القرى﴾ هذه القرى التي ذكرت لك وأهلكناهم وهي قرى نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ نخبرك أخبارها ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ [بالآيات والعلامات والدلالات] ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل﴾ اختلف في تأويله.

قال أُبي بن كعب: معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجئ الرسل بما سبق في علم الله أنّهم يكذّبون به يوم أقرّوا له بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم.

وقال ابن عباس والسدي: يعني فما كان هؤلاء الكفار الذين أهلكناهم ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حتّى أخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرهاً وأقروا باللسان وأظهروا التكذيب.

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) كلمة غير مقروءة.

وقال مجاهد: معناه فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ورددناهم إلى الدنيا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم كقوله ﴿**ولو ردّوا لعادوا لم نهو عنه**﴾[1] وقال يمان بن رئاب: هذا معنى أنّ كلّ نبي أخذ قومه بالعذاب ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأُمم الكفار بل كذّبوا كما كذب نظير قوله ﴿**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به**﴾[2].

وقيل: معناه: ﴿**ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ يعني بالمعجزات والعجائب التي سألوهم فما كانوا ليؤمنوا بعد ما رأوا الآيات والعجائب بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك العجائب نظيره قوله ﴿**قد سألها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين**﴾[3] ﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلاّ أن كذّب بها الأوّلون**﴾[4].

﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين**﴾ الذين كتب عليهم أن لا يؤمنون من قومك ﴿**وما وجدنا لأكثرهم من عهد**﴾ يعني وفاء بالعهد، والعهد الوصية ﴿**وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**﴾ أي ما وجدنا أكثرهم إلاّ فاسقين ناقضين العهد.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

﴿**ثمّ بعثنا من بعدهم**﴾ أي من بعد قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ﴿**موسى بآياتنا**﴾ بحجّتنا وأدلّتنا ﴿**إلى فرعون وملئه فظلموا**﴾ فجحدوا وكفروا ﴿**بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ وكيف فعلنا بهم ﴿**وقال موسى**﴾ لمّا دخل على فرعون واسمه قابوس في قول أهل الكتاب.

---

(١) سورة الأنعام: ٢٨.

(٢) سورة الذاريات: ٥٢ ـ ٥٣.

(٣) سورة المائدة: ١٠٢.

(٤) سورة الاسراء: ٥٩.

قال وهب: كان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وكان من القبط وعَمّرَ أكثر من أربعمائة عام وقال موسى: ﴿يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾ إليك فقال فرعون كذبت فقال موسى: ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلاّ الحقّ﴾ يعني أنا [خليق] بأن لا أقول على الله إلاّ الحق، فعلى بمعنى الباء، كما يقال: رميت بالقوس على القوس وجاءني على حال حسنة وبحالة حسنة يدل عليه، [قول الفراء] والأعمش: حقيق بأن لا أقول. وقال أبو عبيدة: معناه حريص على أن لا أقول على الله إلاّ الحق، وقرأ شيبة ونافع: حقيق علي تشديد الياء يعني حق واجب عليَّ ترك القول على الله عزّ وجلّ إلاّ الحق.

﴿قد جئتكم ببيّنة من ربّكم﴾ يعني العصا وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت عليّ بن مهدي الطبري يقول: إنّه تعريض يقول: لحقيق مصرف الخطاب ﴿وحقيق﴾ [فعيل] من الحق يكون بمعنى القائل ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أي اطلق عنهم وخلهم يرجعون إلى الأرض المقدسة.

قال وهب: وكان سبب استعباد فرعون بني إسرائيل أنّ فرعون حاجّ [موسى] وكان [أشد من] فرعون يوسف [........][1] في يوسف [وانقرضت] الأسباط عليهم فرعون فاستعبدهم فأنقذهم الله بموسى.

قال: وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخل موسى رسولاً أربعمائة عام ﴿قال﴾ فرعون مجيباً لموسى ﴿إن كنت جئت بآية فأتِ بها إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه﴾ من يده ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾.

قال ابن عباس والسدي: كانت [عظيمة ذكراً] من الحيات، إذا فتحت فاها صار شدقها ثمانين وقد ملأت ما بين سماطي فرعون واضعة لحييها ذراعاً واضع لحية الأسفل في الأرض الأعلى على سور القصر، حتى رأى بعض من كان خارج مدينة مصر رأسها.

ثمّ توجهت نحو فرعون لتبتلعه فوثب فرعون من سريره وهرب منها فأحدث ولم يكن حدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحملت على الناس فانهزموا منها فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً، ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا مؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت.

ثمّ قال له فرعون: هل معك آية أُخرى، قال: نعم، فأدخل يده في جيبه ثمّ نزعها فأخرجهابيضاء مثل الثلج لها شعاع غلب على نور الشمس، وكان موسى أدم ثمّ أدخلها جيبه فصارت يداً كما كانت.

---

(١) كلمة غير مقروءة.

﴿قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عظيم﴾ يعنون أنّه يأخذ بأعين الناس بخداعه إيّاهم حتّى تخيّل إليهم العصا حيّة والأدم أبيض [يري الشيء] بخلاف ما هو به، كما قيل سحر المطر الأرض إذا جاءها فقطع نباتها من أصلها وقلب الأرض على البطن فهو يسحرها سحراً والأرض مسحورة فشبه سحر الساحر به لتخيله إلى من سحره أنّه يري الشيء بخلاف ما هو به، ومنه قول بني الرمة في صفة السراب

وساحرة العيون من الموامي ترقص في نواشزها الأروم[1]

﴿يريد أن يخرجكم﴾ [من القبط] **﴿من أرضكم﴾** مصر **﴿فماذا تأمرون﴾** هذا من قول فرعون للملأ ولم يذكر فرعون فيه كقوله **﴿الآن حصص الحق﴾ ﴿أنا راودته عن نفسه وإنّه من الصادقين ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب﴾**[2] هذا من كلام يوسف ولم يذكر **﴿قالوا أرجه﴾** أحبسه **﴿وأخاه﴾** هارون ولا تقتلهما ولا يؤمن بهما، وقال عطاء: احبسه وهذا أعجب إليّ لأنّه قد علم أنه لا يقدر على حبسه بعد ما رأى الآيات من العصا واليد.

﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ يعني الشرطة وكانت له مدائن فيها السحرة عدة للأشياء إذا [حزّ به أمر] أرسل.

﴿يأتوك بكل ساحر عليم﴾ قرأها أهل الكوفة على التكثير وقرأ العامّة كل ساحر. والفرق بين الساحر والسحّار أن الساحر الذي لا يعلم والسحار الذي يعلم ولا يعلم. وقال المؤرخ: الساحر من سحره في وقت دون وقت، والسحار من قديم السحر.

قال: فإن غلبهم موسى صدقناه على ذلك وعلمت أنه ساحر.

قال ابن عباس وابن إسحاق والسدي: قال فرعون لمّا رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نغالب موسى إلاّ بمَنْ هو مثله فأخذ غلمان بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرقاء يعلّمونهم السحر كما يعلّم الصبيان الكتابة في المكتب فعلّموهم سحراً كثيراً وواعد فرعون موسى موعداً، فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم سحر لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلاّ أن يكون أمر من السماء فإنّه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون الشرطي في [مملكته] فلم يترك في سلطانه ساحراً إلاّ أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون.

فقال مقاتل: كان السحرة اثنين وسبعين ساحراً اثنان فيهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني إسرائيل.

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ٢٢.

(٢) سورة يوسف: ٥١ . ٥٢.

وقال الكلبي: كانوا سبعين ساحراً غير رئيسهم وكان الذين يعلّمونهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى، وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين. عكرمة: سبعين ألفاً، ابن المنكدر: ثمانين ألفاً فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم إلا ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبرائهم وعلمائهم، وقاله ابن جريج، فلمّا أجتمع السحرة ﴿**قالوا**﴾ لفرعون ﴿**إنّ لنا لأجراً**﴾ أي جعلاً وثواباً.

﴿**إنّ كنّا نحن الغالبين قال**﴾ فرعون ﴿**نعم وإنّكم لمن المقرّبين**﴾ في المنزلة عندي.

قال الكلبي: أوّل مَنْ يدخل عليّ وآخر مَنْ يخرج ﴿**قالوا**﴾ يعني السحرة.

﴿**يا موسى إمّا أن تُلقي وأمّا أن نكون نحن الملقين**﴾ بعصيّنا [وحبالنا].

﴿**قال**﴾ موسى ﴿**ألقوا فلمّا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم**﴾ أي أرعبوهم وأفزعوهم ﴿**وجاءوا بسحر عظيم**﴾ وذلك أنّهم ألقوا حبالاً وعظاماً وخشباً طوالاً فإذا هي حيّات كالجبال قد ملأت الوادي [يأكل] بعضهم بعضاً.

۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿**وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك**﴾ فألقاها ﴿**فإذا هي تلقف**﴾ تبتلع، ومَنْ قرأ تلقف ساكنة اللام خفيفة القاف فهو من لقف يلقف، ودليله قراءة سعيد بن جبير: تلقم من لقم يلقم.

﴿**ما يأفكون**﴾ يُكذّبون، وقيل: يقلبون ويزوّرون على الناس فأكلت سحرهم كله فقالت السَحرة: لو كان هذا سحراً لبقت حبالنا وعصينا. فذلك قوله: ﴿**فوقع الحق**﴾ أي ظهر.

قال النضير بن شميل: فوقع الحق أي فزعهم وصدّعهم [كوقع الميقعة] ﴿**وبطل ما كانوا يعملون**﴾ من السحر ﴿**فغُلبوا هنالك**﴾ وبطل ما كانوا يعملون ﴿**وانقلبوا صاغرين**﴾ ذليلين ومقهورين.

﴿**وأُلقي السحرة ساجدين**﴾ لله حيث عرفوا أنّ ذلك أمر سماوي وليس سحراً، وقيل: ألهمهم الله ذلك، وقال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا ﴿**قالوا آمنا برب العالمين**﴾ فقال فرعون: إياي تعنون فقالوا ﴿**رب موسى وهارون**﴾.

قال عطاء: فكان رئيس السحرة بأقصى مدائن مصر وكانا أخوين فلمّا جاءهما رسول فرعون قالا لأُمّهما [دلّينا] على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما فقالا: إن الملك وجه إلينا رسولاً أن نقدم عليه، لأنّه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما [عزّ ومنعة] وقد ضاق الملك ذرعاً من عزّهما، ومعهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لهما [شيء] تبلغ الحديد والحجر والخشب. فأجابهما أبوهما: انظرا إذا هما ناما فإنّ قدرتما أن تسلا العصا فسلاّها فإنّ الساحر لا يعمل سحره إذا نام، وإن عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر ربّ العالمين، ولا طاقة لكما به ولا الملك ولا جميع أهل الدنيا، فأتاهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قاله مقاتل.

قال موسى للساحر الأكبر: تؤمن بيّ إن غلبتك فقال لآتينَ بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لأؤمنن بك وفرعون ينظر ﴿**قال**﴾ لهم فرعون حين آمنوا ﴿**آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر**﴾ صنيع وخديعة ﴿**مكرتموه**﴾ صنعتموه أنتم وموسى ﴿**في المدينة**﴾ في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع.

﴿**لتُخرجوا منها أهلها**﴾ بسحركم ﴿**فسوف تعلمون**﴾ ما أفعل بكم.

﴿**لأُقطّعن أيديكم من خلاف**﴾ وهو أن يقطع من شق طرفا قال سعيد بن جبير: أوّل مَنْ قطع من خلاف فرعون ﴿**ثم لأُصلّبنّكم أجمعين**﴾ على شاطئ نهر مصر ﴿**قالوا**﴾ يعني السحرة لفرعون ﴿**إنّا إلى ربّنا منقلبون**﴾ راجعون في الآخرة ﴿**وما تنقم منّا**﴾ قرأ العامّة بكسر القاف.

وقرأ الحسن وابن [المحيصن] بفتح القاف وهما لغتان نقَم ينقَم ونقم ينقِم.

قال الشاعر:

وما نقموا من بني أميّة إلا أنّهم يحلمون إن غضبوا[١]

وقال الضحاك وغيره: يعني وما يطعن علينا. قال عطاء: ما لنا عندك من ذنب وما ارتكبنا منك مكروهاً تعذّبنا عليه ﴿إلا أن آمنا بآيات ربّنا لمّا جاءتنا﴾ ثمّ [فزعوا] إلى الله عز وجل فقالوا ﴿ربّنا أفرغ﴾ اصبب ﴿علينا صبراً﴾ أصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتّى لا نرجع كفاراً ﴿وتوفنا مسلمين﴾ واقبضنا إليك على دين موسى، فكانوا أول النهار كفاراً سحرة وآخره شهداء بررة.

﴿وقال الملأُ من قوم فرعون أتذرُ﴾ أتدع ﴿موسى وقومه ليفسدوا﴾ كي يفسدوا عليك ملكك عبيدك ﴿في الأرض﴾ في أرض مصر ﴿ويذرك﴾ يعني وليذرك.

وروى سليمان التيمي عن أنس بن مالك أنّه قرأ ويذرك بالرفع والنون، [أخبروا] عن أنفسهم أنهم يتركون عبادته إن ترك موسى حياً فيصرفهم عنّا.

وقرأ الحسن (ويذرك) بالرفع على تقدير المبتدأ، أي وهو يذرك، ﴿آلهتك﴾ فلا نعبدك ولا نعبدها. قال ابن عباس: كان لفرعون بقرة يعبدها وكانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، ولذلك أخرج السامري لهم عجلاً.

وروى عمرو عن الحسين قال: كان لفرعون حنانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد عليها كأنّه صنم كان عابده يحن إليه.

وروي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: كان فرعون يصنع لقومه أصناماً صغاراً ويأمرهم بعبادتها ويقول لهم: أنا رب هذه الأصنام، وذلك قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾[٢].

قال أبو عبيد: وبلغني عن الحسن أنه قيل له: هل كان فرعون يعبد شيئاً؟ قال: نعم كان يعبد تيساً.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وبكر بن عبد الله [الشعبي] والضحاك وابن أبي إسحاق: إلهتك بكسر الألف أي [إلهك] فلا يعبدك كما تعبد. قالوا: لأن فرعون كان يُعبد ولا يَعبد.

وقيل أراد بالآلهة الشمس وكانوا يعبدونها.

قال [عيينة] بن [شهاب]:

تروحنا من الأعيان عصراً فأمحلنا الآلهة أن تؤوبا[٣]

---

(١) لسان العرب: ١٢ / ٥٩١.

(٢) سورة النازعات: ٢٤.

(٣) تاج العروس: ٩ / ٣٧٥، وبلاغات النساء: ٢٠٨ وفيه: اللعاب قصراً.

بمعنى الشمس ﴿قال﴾ يعني فرعون سنقتل أبنائهم بالتشديد على التكثير. وقرأ أهل الحجاز بالتخفيف ﴿ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ غالبون.

قال ابن عباس: كان فرعون يقتل بني إسرائيل في العام الذي قيل له إنّه يولد مولود يذهب بملكك فلم يزل يقتلهم حتّى أتاهم موسى (عليه السلام) بالرسالة فلما كان من أمر موسى ما كان أمر بإعادة عليهم القتل فشكت بنو إسرائيل إلى موسى (عليه السلام) فعند ذلك ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله﴾ يعني أرض مصر ﴿يورثها﴾ يُعطيها ﴿مَنْ يشاءُ من عباده﴾ وقرأ الحسن يورثها بالتشديد والاختيار والتخفيف لقوله تعالى وأورثنا الأرض ﴿والعاقبة للمتّقين﴾ يعني النصر والظفر، وقيل: السعادة والشهادة، وقيل: الجنّة.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: لما آمنت السحرة اتّبع موسى ست مائة ألف من بني إسرائيل ﴿قالوا﴾ يعني قوم موسى ﴿أُوذينا﴾ بقتل الأبناء واستخدام النساء والتسخير. ﴿من قبل أن تأتينا﴾ بالرسالة ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾ بالرسالة وإعادة القتل والتعذيب وأخذ الأموال والأتعاب في العمل.

قال وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون فأما ذوو القوة منهم فيسلخون السوابي من الجبال وقد [. . . . . . .][1] أعناقهم وعواتقهم وأيديهم ودبرت ظهورهم من قطع ذلك وقتله.

وطائفة أُخرى قد [قرحوا] من ثقل الحجارة وسير [الليل] له، وطائفة يلبنون اللبن ويطنبون الأجر، وطائفة نجارون وحدادون، والضعفاء بينهم عليهم الخراج ضريبة يودون كانت ضربت عليه الشمس، قيل: وإن يردى ضريبته غلت يده إلى عنقه شهراً، وأما النساء فيقرن اختان وينسجنه فقال موسى (عليه السلام) لهم ﴿عسى ربّكم أن يهلك عدوكم﴾ فرعون ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ ويسكنكم مصر من بعدهم بالتسخير والاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ يعني مصر والشام ﴿التي باركنا فيها﴾ بالماء والأشجار والثمار وإنما ذكر بلفظ [. . . . .][2].

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) سقط قريب الورقة.

[. . . . .] فأورثهم ذلك بمهلك أهلها من العمالقة والفراعنة. **﴿وتمّت كلمة ربّك الحسنى﴾** يعني تمت كلمة الله وهي وعده إياهم بالنصر والتمكين في الأرض. وذلك قوله عز وعلى **﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض﴾** إلى قوله **﴿ما كانوا يخلدون﴾**.

وقيل: معناه [رحبت] نعمة ربّك الحسنى **﴿على بني إسرائيل﴾** يعني أنهم مجزون الحسنى يوم القيامة **﴿بما صبروا﴾** على دينهم **﴿ودمرنا﴾** أهلكنا [فدمرنا] **﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾** في أرض مصر من المغارات **﴿وما كانوا يعرشون﴾**.

قال الحسن: وما كانوا يعرشون من الثمار والأعشاب.

وقال مجاهد: يعني يبنون البيوت، والقصور ومساكن وكان [غنيّهم] غير معروش.

وقرأ ابن عامر وابن عباس: بضم الراء وهما لغتان فصيحتان عرش يعرش.

وقرأ إبراهيم بن أبي علية: يعرشون بالتشديد على الكسرة **﴿وجاوزنا﴾** قطعنا **﴿ببني إسرائيل البحر﴾** بعد الآيات التي رأوها والعير التي عاينوها.

قال الكلبي: عبر بهم موسى يوم عاشوا بعد هلاك فرعون وقومه وصام يومئذ شكراً لله عزّ وجلّ **﴿فأتوا﴾** فمرّوا **﴿على قوم يعكفون﴾** يصلّون، قرأ حمزة والكسائي يعكفون بكسر الكاف والباقون بالضم وهما لغتان **﴿على أصنام﴾** أوثان **﴿لهم﴾** أوثان لهم كانوا يعبدونها من دون الله عزّ وجلّ.

قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر وذلك أوّل [شأن] العجل[١].

قال قتادة: كانوا أُولئك القوم من لخم وكانوا هؤلاء بالرمة، وقيل: كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم فقالت بنو إسرائيل له عندما رأوا ذلك **﴿قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً﴾** تمثالاً نعبده **﴿كما لهم آلهة قال﴾** موسى **﴿إنكم قوم تجهلون﴾** عظمة الله ونعمته وحرمته.

وروى معمر عن الزهري عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بشجرة خضراء عظيمة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفّار ذات أنواط. فقال النبيّ ﷺ: «الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى (عليه السلام) اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والذي نفسي بيده [لتركبنّ سنن] مَنْ كان قبلكم» [١٩٣][٢].

وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: «لا تقوم الساعة حتّى تأخذ أُمّتي أخذ الأُمم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع كما قالت فارس والروم» [١٩٤][٣].

---

(١) راجع تفسير الطبري: ٩ / ٦١.

(٢) مسند أحمد: ٥ / ٢١٨. وجامع البيان للطبري: ٩ / ٦١.

(٣) صحيح البخاري: ٨ / ١٥١.

﴿**إن هؤلاء متبرٌ**﴾ مهلك ومفسد ومخسر ﴿**ما هم فيه وباطل**﴾ مضمحل زائل ﴿**ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم**﴾ أطلب وأبغي لكم فحذف حرف الصفة لقوله (واختار موسى قومه) ﴿**إلهاً وهو فضلكم على العالمين**﴾ على أهل زمانكم ﴿**وإذ نجيناكم**﴾ قرأ أهل المدينة أنجيناكم، وقرأ أهل الشام وإذ أنجاكم وكذلك في مصاحفهم بغير نون.

﴿**من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم**﴾.

قرأ نافع: (يقتلون) خفيفة من القتل على القليل، وقرأ الباقون التشديد على الكثير من القتل ﴿**ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**﴾ ذا القعدة ﴿**وأتمّمناها بعشر**﴾ من ذي الحجّة ﴿**فتم ميقات ربّه أربعين ليلة**﴾ وقال عند انطلاقه لأخيه هارون ﴿**آخلفني**﴾ كن خليفتي ﴿**في قومي وأصلح**﴾ وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله ﴿**ولا تتبع سبيل المفسدين**﴾ ولا تسلك طريق العاصين ولا تكن مرناً للظالمين، وذلك أن موسى وعد بني إسرائيل وهم بمصر إذا أهلك الله عدوّهم واستنقذهم من أيديهم أتاهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون، فلما فعل الله ذلك بهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله عز وجل صوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذي القعدة فلما تمت ثلاثون ليلة أنكر خلوق(١) فمه فتسوك بعود [ضرنوب] فقالت له الملائكة: كنّا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك(٢).

---

(١) الخلوق: الرائحة.

(٢) تفسير القرطبي: ٧ / ٢٧٤.

وقال أبو العالية: إنّه أكل من لحاء الشجرة فأمره الله عزّ وجلّ بصوم عشرة أيام من ذي الحجّة. وقال: أما علمت أن خلوق فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فكان فتنتهم في العشر التي زادها الله عز وجل ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا**﴾ أي الوقت سأله أن يكلمه فيه والميقات مفعال من الوقت كالميعاد والبلاد انقلبت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها.

قال المفسّرون: إنّ موسى (عليه السلام) تطهّر وطهّر ثيابه لميعاد ربه فلما أتى بطور سيناء ﴿**وكلمه ربه**﴾ وناجاه وأدناه حتّى سمع حروف القلم فاستجلى كلامه واشتاق [إلى رؤيته] وطمع فيها ﴿**قال ربّي أرني أنظر إليك**﴾ قال ابن عباس: أعطني أنظر إليك ﴿**قال**﴾ الله تعالى ﴿**لن تراني**﴾ وليس بشراً [لا] يطيق النظر إليّ في الدنيا، من نظر إليّ مات، فقال له: سمعت كلامك واشتقت إلى النظر إليك [فلئن] أنظر إليك وأموت أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك فقال الله تعالى ﴿**ولكن انظر إلى الجبل**﴾ فهو أعظم جبل بمدين يُقال له: زبير فلمّا سمعت الجبال ذلك تعاظمت رجاء أن يتجلّى منها الله لها وجعل زبير يتواضع من تبيان فلمّا رأى الله تعالى تواضعه رفعه من بينهما وخصّه بالتجلّي.

قال السدي: لمّا كلّم الله موسى خاض الخبيث إبليس في الأرض حتّى خرج بين قدمي موسى فوسوس إليه وقال: إن مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى: لن تراني [.......][1] تعلّقت [.......][2] الرؤية بهذه الآية، ولا دليل لهم فيها لأنّ (لن) ههنا لا توجب التأبيد وإنما هي للتوقيت لقوله تعالى حكاية عن اليهود ﴿**لن يتمنوه أبداً بما قدمت**﴾[3] يعني الموت ثمّ حكى عنهم أنهم يقولون لمالك ﴿**يا مالك ليقض علينا ربّك**﴾[4]. و ﴿**ياليتها كانت القاضية**﴾[5] يعني الموت، وقال سبحانه ﴿**لن تنالوا البر**﴾ يعني الجنّة ﴿**حتّى تنفقوا مما تحبون**﴾ وقد يدخل الجنّة مَنْ لا يُنفق ممّا [علمت] فمعنى الآية لن تراني في الدنيا وإنما تراني في العقبى.

قال عبد العزيز بن يحيى: قوله ﴿**لن تراني**﴾ جواب قول موسى (أرني أنظر إليك) ولا تقع على الآخرة، لأن موسى لم يقل أرني أنظر إليك في الآخرة إنما سأله الرؤية في الدنيا فأُجيب عما سأل ولا حجّة فيه لمَنْ أنكر الرؤية.

وقيل: معنى ﴿**لن تراني**﴾ أي لا تقدر أن تراني، وقيل: معناه لن تراني بعين فانية وإنما تراني بعين باقية، وقيل: لن تراني قبل محمد وأُمته وإنما تراني بعد محمد وأُمته، وقيل: معناه

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) كلمة غير مقروءة.
(٣) سورة البقرة: ٩٥.
(٤) سورة الزخرف: ٧٧.
(٥) سورة الحاقة: ٢٧.

لن تراني بالسؤال والدعاء وإنما تراني بالنوال والعطاء إنّه لو أعطاه إياه بسؤاله لكانت الرؤية مكافأة السؤال، ويجوز أن يكون فعله مكافأة فعل عبده ولا يجوز أن يكون هو مكافأة فعل عبده.

وقيل: معناه لن تراني بالعين التي رأيت بها عدوي وذلك أنّ الشيطان تراءى له فوسوس إليه، فقال الله تعالى: ياموسى أما تعلم أنّ رؤية الخبيث والله لا يجتمعان في حال واحد ومكان واحد وزمان واحد.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت عليّ بن مهدي الطبري يقول: لو كان سؤال موسى مستحيلاً لما أقدم عليه نبي الله موسى (عليه السلام) مع علمه ومعرفته بالله عن اسمه كما لم تجز أن يسأله لنفسه صاحبة ولا ولداً.

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿**ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**﴾ واستقراره بكونه وثباته.

قال المتكلّمون من أهل الشام: لما علق الله [الرؤية باستقراره] دلّ على جواز الرؤية لأن استقراره غير محال فدلّ على أن ما [علق] عليه ـ من كون الرؤية ـ غير محال أيضاً ألا ترى أن دخول الكفار الجنّة لما كان مستحيلاً علقه بشيء مستحيل. وهو قوله ﴿**ولا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سم الخياط**﴾[١].

وقال أهل الحكمة والاشارة: إن الكليم لما أراد الخروج إلى الميقات جعل بين قومه وبين ربه واسطة يقول لأخيه هارون: ﴿**اخلفني في قومي**﴾ فلما سأل الرؤية جعل الله تعالى بينه وبينها واسطة وهو الجبل لقوله تعالى ﴿**لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل**﴾ فقال: وكأنّه يقول إن لم أصلح لخلافتك دون أخيك فأنت أيضاً لأنه لم تروننى دون استقرار الجبل ﴿**فلمّا تجلّى ربّه للجبل**﴾.

قال وهب: لما سأل موسى الرؤية أرسل إليه الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فأحاطت بالجبل الذي عليه موسى فأمر الله ملائكة السماوات أن يعترضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به ملائكة سماء الدنيا كثير، إن البقر تتبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كأصوات الرعد الشديد، ثمّ أمر الله ملائكة سماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الأسد لهم لجبّ بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى وسمع واقشعر كل شعرة في رأسه وجسده.

ثمّ قال: ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه؟

فقال له حبر الملائكة ورأسهم: يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثمّ

---

(١) سورة الأعراف: ٤٠.

هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تتبع بالتسبيح بالتقديس كجلب الجيش العظيم ولهب النار.

ثمّ هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به من قبلهم.

ثمّ هبطت عليهم ملائكة السماء الخامسة سبعة ألوان فلم يستطيع أن يتبعهم طرفه ولم يرَ مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفاً واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له حبر الملائكة ورأسهم: يا بن عمران مكانك حتّى ترى ما لا تصبر عليه ثمّ أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي أراد أن يراني فاعترفوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلهيب النار، إذا سبحوا وقدّسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السماوات كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سبوح قدوس رب العزّة أبداً لا يموت، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول: رب اذكرني ولا تنسَ عبدك لا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا؟ إن خرجت أُحرقت وإن مكثت متّ، فقال له رأس الملائكة ورئيسهم: قد أوشكت ياابن عمران أن يمتلىء جوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي جلست.

ثمّ أمر الله تعالى أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة وقال: أروه، فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب ورفعت ملائكة السماوات أصواتهم جميعاً فارتج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه ﴿**وخرّ**﴾ العبد الضعيف ﴿**موسى صعقاً**﴾ على وجهه ليس معه روحه فقلب الله الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كالمعدة كهيئة القبّة لئلاّ يحترق موسى، فأرسل الله تعالى إليه روح الحياة فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول: آمنت بأنك ربّي وصدقت بأنه لا يراك أحد فيحيا. ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت إليك الحمد لله لا شريك لك رب العالمين[1].

وقال السدي: حفّت حول الجبل بالملائكة وحفّت حول الملائكة بنار وحفّ حول النار بالملائكة وحفّ حول الملائكة بنار ثمّ تجلّى ربّك للجبل.

وقال ابن عباس: ظهر نور ربّه للجبل جبل زبير[2]، وقال الضحاك [أخرج] الله تعالى له من نور الحجب مثل منخر الثور.

---

(١) بطوله في تفسير الطبري: ٩ / ٧٠ مع تفاوت وزيادة.

(٢) زاد المسير: ٣ / ١٧٤.

وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار: ما تجلّى من عظمة الله للجبل إلاّ مثل سمّ الخياط، يعني صار دكّاً.

وقال السدي: ما تجلّى منه إلاّ قدر الخنصر. يدلّ عليه ما روى عن ثابت عن أنس عن النبيّ ﷺ أنّه قرأ هذه الآية فقال: هكذا، ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل.

وقال سفيان: ساخ الجبل في الأرض حتّى وقع في البحر فهو يذهب معه.

وقال أبو بكر الهذلي: انقعر فدخل تحت الأرض فلا يظهر إلى يوم القيامة.

وقال عطيّة العوفي: جعله دكّاً أي رملاً هائلاً، وقال الكلبي: جعله دكاً أي كسراً جبالاً صغيراً. قال الحسن: جعله دكّاً أي ذاهباً أصلاً. وقال مسروق: صار صغيراً [كالرابية](١).

الحسن: أوحى الله تعالى إلى الجبل هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وساخ في الأرض وموسى ينظر حتّى ذهب أجمع.

وقال قطرب: فلمّا تجلّى ربّه أي: أمر ربّه للجبل كقوله. ﴿**وأسأل القرية التي كنّا فيها**﴾(٢).

وقال المبرد: معناه فلمّا تجلّى ربّه آية للجبل جعله فعلاً متعدّياً [كالتخلّص والتبدّل والتوعد].

وقال أبو بكر محمد بن عمر الورّاق: حكي لي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من [وراء] سبعين ألف حجاب ضوءاً قدر الدرهم فجعل الجبل دكاً.

وقال أبو بكر: فَعَذُب إذ ذاك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرأ كل مريض. وزالت الأشواك عن الأشجار وخصبت الأرض وأزهرت وخمدت نيران المجوس. وخرت الأصنام لوجهها ﴿**جعله دكاً**﴾ مستوياً بالأرض. وقال ابن عباس: جعله تراباً.

عن معونة بن قرّة عن أنس بن مالك قال: قال النبيّ ﷺ في قوله: ﴿**فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكاً**﴾: «طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان، ورضوى. ووقع ثلاثة بمكّة ثور وثبيرة وحراء» [١٩٥](٣).

واختلفت القراءة في هذا الحرف، وقرأ عاصم ﴿**دكاً**﴾ بالقصر والتنوين. والتي في الكهف بالمد، وقرأ غيره من أهل الكوفة وحمير (دكاء) ممدودة غير مجراه في التنوين.

---

(١) راجع فتح القدير: ٢ / ٢٤٣.

(٢) سورة يوسف: ٨٢.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠ / ٤٤٠، وفتح الباري: ٦ / ٣٠٧.

وقرأ الباقون مقصورة الرفع منونة. وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد، فمن قصره فمعناه جعله مدكوكاً. والدك والدق بمعنى واحد لأن الكاف والقاف يتعاقبات، لقولهم: كلام رقيق وركيك، ويجوز أن يكون معناه: دكه الله دكاً أي فتّه الله أغباراً لقوله **﴿إذا دُكّت الأرض دكّاً﴾** وقوله **﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكةً واحدة﴾**[1].

قال حميد:

يــدك أركــان الــجــبــال هــزمــه تــخــطــر بــالــبــيــض الــرقــاق بــهــمــه[2]

ومن مده فهو من قول العرب ناقة دكاء إذا لم يكن لها سنام. وحينئذ يكون معناه: جعله أيضاً دكاء، أي مستوية لا شيء فيها، لأن الجبل مذكر، هذا قول أهل الكوفة.

وقال نحاة البصرة: معناه فجعله مثل دكّاً وحذف مثل فأجرى مجرى **﴿واسأل القرية﴾** قال الأخفش: من مدّ قال في الجمع: دكاوات، وذلك مثل حمراوات وحمرة، ومن قال: أرض دك، قال في الجمع: دكوك، **﴿وخرَّ﴾** أي وقع **﴿موسى صعقاً﴾** قال ابن عباس: فغشي عليه، وقال قتادة: ميّتاً.

وقال الكلبي: خرّ موسى صعقاً يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة [يوم النحر].

وقال الواقدي: لما خرَّ موسى صعقاً قالت ملائكة السماوات: ما لابن عمران وسؤاله الرؤية؟!

وفي بعض الكتب أنّ ملائكة السماوات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون: يابن النساء الحيض أطمعت في رؤية ربّ العزّة.

﴿فلمّا أفاق﴾ من صعقته وعقله عرف أنّه قد فعل أمراً لا [ينبغي فعله] **﴿قال سبحانك تبت إليك﴾** من سؤالي الرؤية **﴿وأنا أوّل المؤمنين﴾** بأنك لا تُرى في الدنيا [قال السدي] ومجاهد: وأنا أوّل مَنْ آمن بك من بني إسرائيل.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي قال: سمعت أبا القاسم النصر آبادي يحكي عن الجنيد [أنه قال:] جئت إليك من الأسباط في شيء لا تعقله نيتي، فأنا أوّل المؤمنين بأنّك لا تُرى في الدنيا لأن أول من سألك الرؤية [. . . . . .][3].

---

(١) سورة الحاقة: ١٤.

(٢) تفسير الطبري: ٩ / ٧٢.

(٣) كلمة غير مقروءة.

قال ابن عباس: لمّا سار موسى إلى طور سيناء للميقات قال له ربه: ما تبتغي؟ قال: جئت أبتغي الهدي. قال قد وجدته يا موسى، فقال موسى: يارب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: أي عبادك أقصى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه فيسمع الكلمة تهديه إلى الهُدى ويرد سنن رديء.

وقال عبد الله بن مسعود: لمّا قرب الله موسى بطور سيناء رأى عبداً في ظلّ العرش جالساً فقال: [ما هذا]، قال: هذا عبد لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله وبرّ بوالديه ولا يمشي بالنميمة.

فقال موسى: يارب اغفر لي ما مضى من ذنبي وما مضى وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني، أعوذ بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من شر عملي. فقال: قد كفيت ذلك يا موسى، قال: يا رب أي العمل أحب إليك أن أعمل به؟ قال: تذكرني ولا تنساني، قال: أي عبادك خير عملاً؟ قال: مَنْ لا يُكذّب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه [وهو ذو خلق حسن]، قال: فأي عبادك شر عملاً؟ قال: فاجر في خلق سيء [جيفة ليل] بطال النهار[1]. ﴿**اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك**﴾ أعطيتك ﴿**وكن من الشاكرين**﴾ لله سبحانه على نعمه.

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أحمد بن حمدون الفراتي. أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن بكير الرازي، حدثنا الحسن بن عليّ بن يحيى بن سلام الإمام، حدثنا أحمد بن حسان بن موسى البلخي. حدثنا أبو عاصم إسماعيل بن عطاء بن قيس [الأموي] عن أبي حازم المدني عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أعطى الله تعالى موسى الألواح فنظر فيه قال: يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرمها أحداً قبلي قال: يا موسى إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، بجد ومحافظة وموت على حب محمد ﷺ.

قال موسى: يا رب ومن محمد؟ قال: أحمد النبي الذي أُثبت اسمه على عرشي من قبل أن أخلق السماوات بألفي عام، إنّه نبيي وصفيي وحبيبي وخيرتي من خلقي وهو أحب إلي من جميع خلقي وجميع ملائكتي.

قال موسى: يا رب إن كان محمد أحب إليك من جميع خلقك فهل خلقت أمته أكرم عليك من أمتي؟ قال: يا موسى إنّ فضل أُمة محمد على سائر الخلق كفضلي على جميع خلقي. قال: يا رب ليتني رأيتهم، قال: يا موسى إنّك لن تراهم، لو أردت أن تسمع كلامهم أسمعتك، قال: يا رب فإني أُريد أن أسمع كلامهم، قال الله تعالى: يا أُمة أحمد، فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا

---

(١) تاريخ دمشق: ٦١/ ١٣٣.

وأرحام أُمهاتنا لبيك اللهم لبيك إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك. قال الله تعالى: يا أُمة أحمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق حسابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم قبل أن تعصوني. من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنّة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر. وهذا قوله عزّ وجلّ» [١٩٦].

﴿وما كنت بجانب الطور * إذ ناديناه وما كنت بجانب الغربي﴾ إلى قوله ﴿الشاهدين﴾.

قال الثعلبي: وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عليّ بن نصير المزكى، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا رشد بن سعيد عن سعيد بن عبد الرحمن المعافري عن أبيه أن كعب الأحبار رأى حبر اليهود يبكي قال: ما يبكيك؟

قال: ذكرت بعض الأُمور.

فقال له كعب: أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك تصدقني؟

قال: نعم.

قال: أنشدك الله تجد في [الكتاب] المنزل أنّ موسى (عليه السلام) نظر في التوراة فقال: إني أجد أُمة خير أُمم أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله والرسول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتّى يقاتلوا الأعور الدجال، فقال موسى: ربّ اجعلهم أُمّتي، قال: هم أُمّة محمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال: أنشدك الله تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أُمةً يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبداً مملوكاً ولا أمةً إلاّ اشتراه ثمّ أعتقه من تلك الصدقات فما فضل حفر له بئر عميقة القعر فألقاه فيها ثمّ دفنه كيلا يرجعوا فيه، وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون والمشفوع لهم.

قال موسى: اجعلهم أُمّتي؟ قال: هي أُمة أحمد يا موسى. قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك الله تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى (عليه السلام) نظر في التوراة، فقال: إني أجد أُمة إذا أشرف أحدهم على نشر كبر الله وإذا هبط وادياً حمد الله، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حيث ما كانوا، يتطهرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غير محجلون من آثار الوضوء، فاجعلهم أُمتي؟ قال: هي أُمة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك الله تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: ربِ إني

أجد أُمةً إذا همَّ أحدهم بحسنة لم يعملها كتبت له حسنة مثلها، وإن عملها ضعف عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فإذا هَمّ بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وإن عملها كتبت سيئة مثلها.

قال: اجعلهم أُمتي؟ قال: هي أُمة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك الله تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة وقال: ربِ إنّي أجد أُمّة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيناهم، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد منهم أحداً إلاّ مرحوماً. اجعلهم أُمّتي؟ قال: هي أُمة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك الله تجد في كتاب الله المنزل أنّ موسى نظر في التوراة قال: ربِ إنّي أجد في التوراة أُمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنّة، يصفون في صلواتهم صفوف الملائكة أصواتهم [في مساجدهم] كدوي النحل، لا يدخل النار منهم أحداً أبدً إلا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر، قال موسى: فاجعلهم أُمتي؟ قال: هي أمة أحمد ياموسى. قال الحبر: نعم.

فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ قال: يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله عزّ وجلّ ثلاث آيات يرضيه بها هي ﴿**يا موسى إنّي اصطفيتك على الناس**﴾ الى قوله ﴿**دار الفاسقين**﴾ ﴿**ومن قوم موسى أُمّة يهدون بالحق وبه يعدلون**﴾ قال: فرضى موسى كل الرضا[١].

قوله تعالى ﴿**وكتبنا له**﴾ يعني لموسى ﴿**في الألواح**﴾.

قال الربيع بن أنس: كانت ألواح موسى (عليه السلام) من برد[٢]، وقال ابن جريج: كانت من زمرّد أمر الله تعالى جبرئيل حتّى جاء بها من عدن يكتبها بالقلم الذي كتب به [الذكر فاستمد] من بحر النور فكتب له الألواح.

وقال الكلبي: كانت الألواح زبرجداً خضراء وياقوتة حمراء كتب الله فيها ثماني عشرة آية من بني إسرائيل وهي عشر آيات في التوراة. قال وهب: أمره الله تعالى بقطع الألواح من صخرة صماء ليّنها الله له فقطعها بيده ثمّ شقها بإصابعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر، وكان ذلك أول يوم من ذي القعدة وكانت الألواح عشرة على طول موسى (عليه السلام).

وقال مقاتل وكعب ﴿**وكتبنا له في الألواح**﴾ كنقش الخاتم وكتب فيها: إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإنّ كل ذلك خلقي ولا تقطعوا

---

(١) بطوله في تفسير الدر المنثور: ٣ / ١٢٥.

(٢) راجع تفسير الطبري: ٩ / ٨٩.

السبل ولا تحلفوا باسمي كاذباً فإن مَنْ حلف باسمي كاذباً فلا أُزكّيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقّوا الوالدين.

وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يقرأ منها الجزء في سنة لم يقرأها إلاّ أربعة نفر: موسى يوشع وعزير وعيسى(عليهم السلام)[١]، وقال: هذه الآية ألف آية يعني قوله ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً**﴾ وتبياناً ﴿**لكل شيء**﴾ من الأمر والنهي الحلال والحرام والحدود والأحكام.

﴿**فخذها بقوة**﴾ قال مقاتل: بجد ومواظبة. قال الضحاك: بطاعة ﴿**وأمر قومك يأخذوا بأحسنها**﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي: بأحسن ما أُمروا [في] الأرض فيحلوا حلالها ويحرموا حرامها، وكان موسى أشد عداوة من قومه فأمر بما لم يؤمروا به. وقال ابن كيسان وابن جرير: أحسنها الفرائض لأنه قد كان فيها أمر ونهي، فأمرهم الله تعالى أن يعملوا بما أمرهم به ويتركوا ما نهاهم عنه فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه.

وقيل: معناه أخذوا بها وأحسن عمله. وقال قطرب: يأخذوا بأحسنها أي بحسنها و [كلّها حسن] كقوله ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾[٢] وقال الحسين بن الفضل: معنى قوله (أحسنها) أن يتخيل للكلمة معنيين أو ثلاثة فيصرفوا إلى الشبهة بالحق. وقيل: كان فيها فرائض لا مبرّك لها وفضائل مندوباً إليها والأفضل أن يجمع بين الفرائض و [الفضائل].

﴿**سأُريكم دار الفاسقين**﴾ قال أهل المعاني: هذا كقول القائل لمن يخاطبه سأُريك غداً إلى بصير [فيه قال] مَنْ يخالف أمري على وجه الوعيد والتهديد.

وقال مجاهد: ﴿**سأُريكم دار الفاسقين**﴾ قال: مصيرهم في الآخرة. قال الحسن: جهنم، وقال قتادة وغيره: سأُدخلكم النار فأُريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة.

وقال عطيّة العوفي: معناه سأُريكم دار فرعون وقومه وهي مصر يدلّ عليه.

قرأ ابن عباس وقسامة بن زهير: سأُورّثكم دار الفاسقين. وقال الكلبي: دار الفاسقين ما مرّوا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا. وقال ابن كيسان: سناريكم دار الفاسقين ما يصير قرارهم في [الأرض].

وقال ابن زيد: يعني سنن الأوّلين، وقيل: الدار الهلاك وجمعه أدوار. وذلك أن الله تعالى لمّا أغرق فرعون أوحى إلى البحر أن يقذف أجسادهم إلى الساحل ففعل فنظر إليهم بنو إسرائيل فأراهم هلاك الفاسقين.

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ٨٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

وقال يمان: يعني مسكن فرعون.

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق﴾ قال قوم: حكم الآية لأهل مصر خاصة يعني بقوله ﴿آياتي﴾ يعني الآيات التسع التي أعطاها الله سبحانه موسى (عليه السلام).

وقال آخرون: هي عامة، وقال ابن جريج وابن زيد: يعني عن خلق السماوات والأرض وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والبحور والشجر والنبات وغيرها أصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها، وقال الفراء أي الغرباني: إنّي أمنع قلوبهم عن التفكر في أمري.

وسمعت أبا القاسم الحبيبي قال: سمعت أبا سعيد محمد بن نافع السجزي بهراة يقول: سمعت أبا يزيد حاتم بن محبوب الشامي قال: سمعتُ عبد الجبار بن العلاء العطار قال: سمعت سفيان بن عيينة وسئل عن هذه الآية: أُحرمهم فَهْم القرآن.

سمعت أبا القاسم الحبيبي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي قال: سمعت العباس بن حمزة قال: سمعت ذا النون المصري يقول: أبى الله أن يكرّم قلوب الظالمين مكتوب حكمة القرآن ﴿وإن يروا﴾ يعني هؤلاء المتكبّرين.

قرأ مالك بن دينار فإن يروا بضم الياء أي يفعل بهم ﴿سبيل الرشد﴾ طريق الهدي والسداد ﴿لا يتخذوه﴾ لأنفسهم ﴿سبيلاً وإن يروا سبيل الغي﴾ يعني الضلال والهلاك ﴿يتخذوه سبيلاً﴾ وقرأ مجاهد وحميد وطلحة والأعمش وحمزة ويحيى والكسائي: الرشد، بفتح الراء والشين وهما لغتان كالسَقَم والسُقم والحَزَن والحُزن والبَخَل البُخل، وكان أبو عمرو يفرق بينهما فيقول: الرشد بالضم والصلاح في الأمر كقوله: ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾[1] والرشد بفتحتين الاستقامة في الدين، وقرأ أبو عبد الرحمن الرشاد بالألف وهو مصدر كالعفاف والصلاح.

﴿ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنّها غافلين﴾ لاهين ساهين لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ ورؤية القيامة، وقيل: العالية في الآخرة ﴿حبطت أعمالهم هل يُجزون﴾ في العقبى ﴿إلاّ ما كانوا﴾ أي جزاء ما كانوا ﴿يعملون﴾ في الدنيا.

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ

---

(١) سورة النساء: ٦.

اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾

﴿واتّخذ قوم موسى من بعده﴾ أي من بعد انطلاقه إلى الجبل **﴿من حُليّهم﴾** التي استعاروها من قوم فرعون.

وكانت بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية في الإسلام، وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فزامن ذلك عيدهم فاستعادوا الحلي للقبط فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في أيديهم فاتخذ السامري منها عجلاً وهو ولد البقر **﴿عجلاً جسداً﴾** مجسّد لا روح فيه.

وقال وهب: جسداً لحماً ودماً **﴿له خوار﴾** وهو صوت البقر خار خورة واحدة ثمّ لم تعد. وقال وهب: كان يسمع منه الخوار إلاّ أنّه لا يتحرك. وقرأ عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: خوار بالجيم والهمز وهو الصوت أيضاً واختلفت القراء في قوله (حليهم)، فقرأ يعقوب بفتح الحاء وجزم اللام وتخفيف الياء على الواحد.

وقرأ حمزة والكسائي: حليّهم بكسر الحاء وتشديد الياء، الباقون بضم الحاء وهما لغتان مثل [صلى] وجثي وبكى [وعثى] يجوز فيها الكسر والضم **﴿ألم يروا﴾** يعني الذين عبدوا العجل من دون الله **﴿أنّه لا يُكلّمهم ولا يهديهم سبيلاً﴾** قال الله **﴿اتخذوه﴾** عبدوه واتخذوه إلهاً **﴿وكانوا ظالمين﴾** كافرين **﴿ولمّا سقط في أيديهم﴾** أي ندموا على عبادة العجل وهذا من فصيحات القرآن.

والعرب تقول لكل نادم أو عاجز عن شيء: سقط في يديه وأسقط، وهما لغتان وأصله من [الاستئسار] وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره فيكتفه، والمرمي فيه مسقوط في يد الساقط[١].

﴿ورأوا أنّهم قد ضلّوا قالوا لئن لم يرحمنا ربّنا﴾ يتب علينا ربنا **﴿ويغفر لنا﴾** ويتجاوز عنا **﴿لنكونن من الخاسرين﴾** بالعقوبة **﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾** قال أبو الدرداء: الأسف منزلة وراء الغضب أشد منه، وقال ابن عباس والسدي: [رجع حزيناً من صنيع قومه][٢] قال الحسن بن غضبان: حزيناً **﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾** أي بئس الفعل فعلتم بعد ذهابي، يقال: منه خلفه بخير أو شر إذا ألاه في أهله أو قومه بعد شخوصه عليهم خيراً أو شراً.

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ٨٤.

(٢) تفسير القرطبي: ٧ / ٢٨٦.

﴿**أعجلّتم**﴾ أسبقتم ﴿**أمر ربّكم وألقى الألواح**﴾ غضباً على قومه حين عبدوا العجل، وقال قتادة: إنّما ألقاها حين سمع من فضائل أُمّة محمد ﷺ وفي الألواح: قال: يا رب اجعلني من أُمّة محمد قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أخي موسى ما المخبر كالمعاين لقد أخبره الله بفتنة قومه فعرف أنّ ما أخبره الله حق وأنه على ذلك لمتمسّك بمّا في يديه، فرجع إلى قومه ورآهم فغضب وألقى الألواح»[١].

قالت الرواة: كانت التوراة سبعة أسباع فلمّا ألقى الألواح تكسرت فوقع منها ستة أسباع وبقي سبع وكان فيها رُقع موسى وفيما بقي الهدى والرحمة ﴿**وأخذ برأس أخيه**﴾ أي لحيته وذقنه ﴿**يجره إليه**﴾ وكان هرون أكبر من موسى بثلاث سنين وأحبّ إلى بني إسرائيل من موسى، لأنه كان لين الغضب ﴿**قال**﴾ هرون عند ذلك يا ﴿**ابن أُم**﴾ قرأ [أهل] الكوفة بكسر الميم هاهنا وفي طه أراد يا بن أُمي فحذف ياء الإضافة، لأنه مبنى النداء على الحذف وأبقى الكسرة في الميم لتدل على الاضافة كقوله ﴿**ياعباد**﴾ يدل عليه، قراءة ابن السميقع: يابن أُمي بإثبات الياء على الأصل، وقرأ الباقون بفتح الميم فهما على معنى يابن أُماه جعل أصله إسماً واحداً وبناه على الفتح كقولهم: حضرموت وخمسة عشر ونحوهما[٢].

﴿**إن القوم استضعفوني**﴾ باتخاذهم العجل ﴿**وكادوا**﴾ يعني همّوا وقاربوا ﴿**يقتلونني فلا تُشمت**﴾ بضم التاء وكسر الميم ونصب الأعداء قرأه العامّة وقرأ مالك بن دينار فلا تشمت ﴿**بي الأعداء**﴾ بفتح التاء والميم الأعداء رفع ﴿**ولا تجعلني**﴾ في [موعدتك] عليّ وعقوبتك لي ﴿**مع القوم الظالمين**﴾ يعني أصحاب العجل ﴿**قال**﴾ موسى لمّا تبيّن له عذر أخيه ﴿**رب اغفر لي**﴾ ما صنعت إلي ﴿**ولأخي وادخلنّا**﴾ جميعاً أنا وأخي ﴿**في رحمتك وأنت أرحم الراحمين * إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم**﴾ في الآخرة ﴿**وذِلّة في الحيٰوة الدنيا**﴾ قال أبو العالية: هو ما أُمروا به من قتل أنفسهم.

وقال عطيّة العوفي: أراد سينالهم أولادهم [الكبير] كابراً على عهد رسول الله ﷺ غضب وذُلّة في الحياة الدنيا، وهو ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتوليتهم متخذي العجل ورضاهم به، وقال ابن عباس: هو الجزية.

﴿**وكذلك نجزي المفُترين**﴾ الكاذبين قال أبو قلابة: هي والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة، قال يذله الله عزّ وجلّ.

وسمعت أبا عمرو الفراتي سمعت أبا سعيد بكر بن أبي عثمان الخيري سمعت السراج

---

(١) تاريخ بغداد: ٣: ٤١٨.

(٢) راجع تفسير القرطبي فقد فصل ذلك: ٧ / ٢٩١.

سمعت سوار بن عبد الله الغزّي سمعت أبي يقول: قال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلاّ [وتجد فوق] رأسه ذلّة ثمّ قرأ ﴿**إن الذين اتخذوا العجل**﴾ الآية يعني المبتدعين.

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

﴿**والّذين عملوا السيّئات ثمّ تابوا**﴾ إلى قوله ﴿**ولمّا سكت عن موسى**﴾ يعني سكن عن موسى ﴿**الغضب**﴾ يدلّ عليه قراءة معاوية بن مغيرة: ولمّا سكن، بالنون.

قال أبو النجم:

وهـمـت الأفـعـى بـأن تـسـيـحـا وسـكـت الـمـكـاء أن يـصـيـحـا[١]

وأصله الكف عن الشيء، ومنه الساكت عن الكلام.

﴿**أخذ الألواح**﴾ التي ألقاها وذهب منها ستة أسباعها ﴿**وفي نسختها**﴾ أي فما نسخ منها.

قال عطاء: يعني فيما بقي منها، ولم يذهب من الحدود و[الأحكام] شيء فقال ابن عباس: وعمرو بن دينار: صام موسى أربعين يوماً فلمّا ألقى الألواح فتكسّرت صام مثلها فردّت عليه وأُعيدت له في لوحين مكان الذي انكسر [ولم يفقد منها شيئاً] ﴿**هدى ورحمة**﴾.

قال ابن عباس: هدى من الضلالة ورحمة من العذاب ﴿**للذين هم لربّهم يرهبون**﴾ [يخلفون] وقال الراجز:

يـصـنـع الـجـزع فـيـهـا أو اسـتـحـيـوا

للماء في أجوافها خريراً أي من أصل الجزع ﴿**واختار موسى قومه**﴾ أي من قومه فلمّا نزع حرف الصفة نصب كقول الفرزدق:

ومـنّـا الـذي أُخـتـيـر الـرجـال سـمـاحـة وبـراً إذا هـبّ الـريـاح [الـزعـازع][٢]

(١) تفسير الطبري: ٩ / ٩٦.

(٢) تاج العروس: ٣ / ١٩٤.

وقال آخر:

اخترتك للناس إذ رثت خلائقهم   واعتل مَنْ كان يُرجى عنده السؤل[1]

أي من الناس، واختلفوا في سبب اختيار موسى السبعين.

وقال السدي: أمر الله أن سيأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ووعد موعداً، واختار موسى من قومه ﴿سبعين رجلاً﴾ ثمّ ذهب إليه ليعتذر فلمّا أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة وإنّك قد كلّمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا.

وقال ابن إسحاق: اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم.

وقال مجاهد: اختارهم لتمام الموعد.

وقال وهب: قالت بنو إسرائيل لموسى (عليه السلام): إن طائفة يزعمون أنّ الله لا يكلمك ولو كلمك فأقمت لكلامه ألم ترَ أنّ طائفة منّا سألوه النظر إليه فماتوا فلا تسأله أن [ينزل] طائفة منّا حتّى يكلمك فيسمعوا كلامه فيؤمنوا وتذهب التهمة، فأوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) أن اختر من خيارهم سبعين رجلاً، ثمّ ارتق بهم إلى الجبل أنت وهرون. واستخلف على بني إسرائيل يوشع بن نون يقول كما أمر الله تعالى واختار سبعين رجلاً.

روى المنهال عن الربيع بن حبيب قال: سمعنا أبا سعيد الرقاشي وقرأ هذه الآية قال: كان السبعون ابناً ما عدا عشرين. ولم يتجاوز الأربعين. وذلك أن ابن عشرين قد ذهب [جماله] وصباه وأنّ من لم يتجاوز الأربعين لم يعد من عقله شيءٌ. وقال الآخرون: كانوا شيوخاً.

قال الكلبي: اختار موسى سبعين رجلاً لينطلقوا إلى الجبل فلم يصب إلاّ ستين شيخاً وأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختار وأصبحوا شيوخاً فاختار من كل سبط ستّة رهط فصاروا اثنين وسبعين.

فقال موسى: إنّما أمرت سبعين رجلاً فاستخلف منكم رجلان فتشاجروا على ذلك. فقال: إن لِمن قعد مثل أجر من خرج، فقعد رجلان أحدهما كالب بن [يوقيا] والآخر يوشع بن نون.

فأمر موسى السبعين أن تصوموا وتطهروا، وتطهّروا ثيابكم ثمّ خرج بهم إلى طورسيناء لميقات ربّه وكان لا يأتيه إلاّ بإذن منه وذلك قوله تعالى: **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ ﴿فلمّا أخذتهم الرجفة﴾** اختلفوا في كيفية هذه الرجفة وسبب أخذها إياهم.

فقال ابن إسحاق والسدي: إنّهم لمّا أتوا ذلك المكان قالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام

---

(١) لسان العرب: ١١ / ٣٥٠.

ربّنا فقال: أفعل، فلمّا دنا موسى (عليه السلام) من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتّى يغشي الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم: ادنوا وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتّى إذا دخلوا في الغمام وهو عمود فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره فيها: افعل لا تفعل فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعاً.

وقال ابن عباس: إن السبعين الذين قالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة، وإنما أمر الله موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاختارهم وبرزهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا أن قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة.

قال عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ: إنّما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قبل هارون، وذلك أن موسى وهارون وشبر وشبير (عليهم السلام) انطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفّاه الله فلمّا مات دفنه موسى فلمّا رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له: أين هارون؟ قال: توفّاه الله، فقالوا: بل أنت قتلته [عمداً] على خُلُقه وَلِيْنِهِ، قال: فاختاروا من شئتم، فاختاروا سبعين رجلاً وذهب بهم، فلما انتهوا إلى القبر قال موسى: يا هارون أقتلتَ أم تُوفّيت؟

فقال هارون: ما قتلني أحد. ولكن الله توفاني إليه.

فقالوا: ياموسى لن تقصّ بعد اليوم فأخذتهم الرجفة وصعقوا وماتوا، وقال موسى: يارب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم، يقولون: أنت قتلتهم فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلّهم.

وقال ابن عباس: إنّما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا ولم ينهوا عن العجل، وقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب: أخذتهم الرجفة لأنّهم لم [يزايلوا] قومهم حين عبدوا العجل ولم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر.

وقال وهب: لم تكن تلك الرجفة موتاً ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرجفة وخلقوا فرجفوا حتّى كادت أن تبيّن مفاصلهم وتنقص ظهورهم فلمّا رأى ذلك موسى (عليه السلام) رحمهم وخاف عليهم الموت واشتدّ عليه فقدهم وكانوا له ولداً على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربّه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله **﴿قال﴾** يعني موسى **﴿ربِ لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾** بقتل القبطي **﴿أتهلِكنا بما فعل السفهاء منّا﴾** يعني عبدة العجل. وظن موسى أنّه عوقبوا باتخاذ بني إسرائيل العجل.

وقال السدي: أوحى الله إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل وكان موسى لا يعلم ذلك فقال موسى: يارب كيف أرجع إلى بني إسرائيل وقد أهلكت أخيارهم وليس معي رجلٌ واحدٌ فما الذي يصدقوني به ويأمنونني عليه بعد هذا، فأحياهم الله، وقال [المبرّد]: قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا استعلام واستعطاف أي لا تهلكنا قد علم موسى أن الله أعدل من أن يؤاخذ بجريرة الجاني غيره ولكنّه كقول عيسى: ﴿**أن تعذبهم فإنهم عبادك**﴾ الآية[١].

﴿**إن هي إلاّ فتنتك**﴾ أي اختيارك.

قال سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع: محنتك، وقال ابن عباس: عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عن من تشاء ﴿**تُضل بها مَنْ تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا**﴾ ناصرنا ومولانا وحافظنا ﴿**فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا**﴾ أي حقق [ووفقنا للأعمال الصالحة][٢] يقال: [كتب] الله عليك السلامة ﴿**في هذه الدنيا حسنة**﴾ يعني الأعمال الصالحة ﴿**وفي الآخرة**﴾ يعني المغفرة والجنّة ﴿**إنا هُدنا إليك**﴾ قرأ أبو رجزة السعدي: . وكان مصححاً من القراء شاعراً. هدنا بكسر الهاء يقال: هاد يهيد ويهود إذا رجع وتحرك [فأدلّه الميل] قال الشاعر:

قد علمت سلمى [رجلاً] أني من الناس لها هايد

﴿**قال**﴾ الله تعالى: ﴿**عذابي أُصيبُ به مَنْ أشاء**﴾ من خلقي وقال الحسن وابن السميقع: مَنْ أشاء [. . . . . .][٣] من الإشاءة ﴿**ورحمتي وسعت**﴾ عمّت ﴿**كل شيء**﴾ قال الحسن وقتادة: إن رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتّقين خاصة.

وقال عطيّة العوفي: وسعت كل شيء ولكن لا يجيب إلاّ الذين يتقون، وذلك أنّ الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن يعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمسير في كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه، قال أبو روق: ورحمتي وسعت كل شيء يعني الرحمة التي قسمها بين الخلائق يعطفه بها بعضهم على بعض، وقال ابن زيد: (ورحمتي وسعت كل شيء) هو التوبة، وقال آخرون: لفظه عام ومعناه خاص لهذه الأُمّة.

وقال ابن عباس وقتادة وابن [جرير] وأبو بكر الهذلي: لما نزلت هذه الآية ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء ونزعها الله من إبليس فقال ﴿**فسأكتبها للذين**

---

(١) سورة المائدة: ١١٨.

(٢) زيادة عن تفسير القرطبي: ٧ / ٢٩٦.

(٣) كلمة غير مقروءة.

يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ فقالت اليهود والنصارى نحن نتّقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله منهم وجعلها لهذه الأُمة.

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمي﴾ الآية قال نوف البكالي الحميري: لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقات ربه قال الله تعالى لموسى أجعل لكم في الأرض مسجداً وطهوراً تصلّون حيث أدركتكم الصلاة إلاّ عند مرحاض أو حمام أو قبر وأجعل السكينة في قلوبكم وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرأها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير.

فقال ذلك موسى لقومه فقالوا: لا نريد أن نصلي في الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا، ونريد أن تكون كما كانت في التابوت، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهور قلوبنا، ولا نريد أن نقرأها إلاّ نظراً، فقال الله **﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾** إلى قوله **﴿المفلحون﴾** فجعلها الله لهذه الأمة، فقال موسى: رب اجعلني نبيهم، فقال: نبيهم منهم، قال: رب اجعلني منهم، قال: إنك لن تدركهم، فقال موسى: يارب أتيتك بوفد بني إسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله تعالى **﴿ومن قوم موسى أمة يهدون﴾** أنفسهم **﴿بالحق وبه يعدلون﴾** فرضي موسى، قال نوف: إلا تحمدون ربّاً حفظ غيّكم وأجزل لكم سهمكم وجعل وفادة بني إسرائيل لكم[١].

واختلف العلماء في معنى الأُمّي.

فقال ابن عباس: هو منكم كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحاسب قال الله تعالى **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك﴾**[٢] وقال ﷺ «إنا أُمة أُميّة لا نكتب ولا نحاسب» [١٩٧][٣].

---

(١) تمامه في تفسير الطبري: ٩ / ١١٢ مع تفاوت بسيط.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٨.

(٣) مسند أحمد: ٢ / ٤٣ ح ١٢٩ وفيه: لا نحسب.

وقيل: هو منسوب إلى أُمّته كأن أصله أُمتي فسقطت التاء من النسبة كما سقطت من اليكي والمدى.

وقيل: منسوب إلى أُم القرى وهي مكّة أُم القرى ﴿**الذي يجدونه**﴾ أي صفته ونبوّته ونعته وأمره ﴿**مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل**﴾ قال عطاء بن يسار: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن. ﴿**يا أيُّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً**﴾ وحرزاً للأُميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب[1] بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتّى يقيم الملّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلاّ الله فيفتح به قلوباً غلفاً وآذناً صُماً وأعيناً عمياً[2].

قال عطاء: ثمّ لقي كعباً فسأله عن ذلك فما اختلفا حرفاً إلاّ أن كعباً قال: بلغته قلوباً غلوفياً وآذاناً صمويا وأعيناً عموميّاً[3].

وروى كعب في صفة رسول الله ﷺ فقال: مولده مكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفي كل منزلة، يُوَضِئون أطرافهم و [ويتورّون] إلى [الجهاد] وفيهم وعاة الشمس ويصلون الصلاة حيث أدركتهم ولو على ظهر الكناسة، صفهم في القول مثل صفهم في الصلاة ثمّ قرأ ﴿**إنّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً**﴾[4].

وقال الواقدي: حدّثني عثمان بن الضحاك عن يزيد بن [الهادي] عن ثعلبة بن مالك أن عمر بن الخطاب أنه سأل أبا مالك عن صفة النبيّ ﷺ في التوراة وكان من علماء اليهود، فقال: صفته في كتاب بني هرون الذي لم يغير ولم يبدّل أحد من ولد إسماعيل بن إبراهيم ومن آخر الأنبياء وهو النبي العربي الذي يأتي بدين إبراهيم الحنيف، يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه في [عينيه] حمرة وبين كتفية خاتم النبوّة مثل زر الحجلة، ليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة ويجرى بالبلغة ويركب الحمار ويمشي في الأسواق، معه حرب وقتل وسبي سيفه على عاتقه لا يبالي مَن لقي مِن الناس، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ولو كانت في عاد ما أهلكوا بالريح ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة.

مولده بمكّة ومنشأه بها وبدء نبوّته بها ودار هجرته يثرب بين جرّة ونخل [وسبخة] وهو أُمّي لا يكتب بيده، هو بجهاد، يحمد الله على كل شدة ورخاء، سلطانه الشام، صاحبه من الملائكة

---

(١) في بعض المصادر: صخاب.
(٢) صحيح البخاري: ٣ / ٢١، ودلائل النبوة لأبي نعيم: ١٥١.
(٣) الزيادة في تفسير الطبري: ٩ / ١١٣.
(٤) سورة الصف: ٤.

جبرئيل يلقى من قومه أذىً شديداً. ويحبّونه حبّاً شديداً ثمّ يدال على قومه يحصرهم حصر [الجرين]، يكون له وقعات في يثرب، منها له ومنها عليه، ثمّ يكون له العاقبة يعدّ معه أقوام هم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم قربانهم دماؤهم ليوث النهار ورهبان بالليل يرعب منه عدوه بمسيرة شهر، يباشر القتال بنفسه حتّى يخرج ويكلم لا شرطة معه ولا حرس يحرسه[1].

﴿**يأمرهم بالمعروف**﴾ أي بالايمان ﴿**وينهاهم عن المنكر**﴾ يعني الشرك، وقيل: المعروف والشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنّة.

وقال عطاء: يأمرهم بالمعروف وبخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام ينهاهم عن المنكر عن عبادة الأصنام وقطع الأرحام ﴿**ويحل لهم الطيبات**﴾ يعني الحلالات التي كانت أهل الجاهلية تحرمها: البحائر السوائب والوصائل والحوامي ﴿**ويحرّم الخبائث**﴾ يعني لحم الخنزير والدم والميتة والربا وغيرها من المحرمات. ﴿**ويضع عنهم إصرهم**﴾ ابن عباس والحسن والضحاك والسدي ومجاهد يعني: جهدهم الذي كان يأخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة. وقال ابن زيد وقتادة: يعني الشدائد الذي كان عليهم في الدين ﴿**والأغلال**﴾ يعني الأثقال ﴿**التي كانت عليهم**﴾ [بما أُمروا] به من قتل الأنفس في التوراة وقطع الأبهاء، شبّه ذلك بالأغلال كما قال الشاعر:

فليس لعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل ... سوى العدل شيئاً واستراح العواذل[2]

فشبه حدود الإسلام وموانعه عن التخطّي إلى المحذورات بالسلاسل المحيطات بالرقاب ﴿**والذين آمنوا به وعزّروه**﴾ أعانوه ووقّروه ﴿**ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه**﴾ يعني القرآن ﴿**أُولئك هم المفلحون قل يا أيّها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السمٰوات والأرض**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**بالله وكلماته**﴾.

قال قتادة: وآياته. وقال مقاتل والسدي: يعني عيسى ابن مريم ﴿**واتبعوه لعلكم تهتدون * ومن قوم موسى**﴾ يعني بني إسرائيل ﴿**أمة**﴾ جماعة ﴿**يهدون بالحق**﴾ أي يرشدون إلى الحق، وقيل: خلفاء يهتدون ويستقيمون عليه ويعملون به ﴿**وبه يعدلون**﴾ أي ينصفون من أنفسهم ويحمدون.

وقال السدي: هم قوم بينكم وبينهم [قوم] من سهل.

---

(١) راجع لصفات الرسول وأُمته: تفسير الدر المنثور: ٣ / ١٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ١ / ٤٦٦، وتفسير القرطبي: ٧ / ٣٠١.

وقال ابن جريج: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط منهم ممّا صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم [وبينه] ففتح الله عليم نفقاً في الأرض فساروا فيه سنة ونصف حتّى خرجوا من وراء الصين، فهم هناك حقاً مسلمون يستقبلون قبلتنا.

قال الكلبي والربيع والضحاك وعطاء: هم قوم من قبل المغرب خلف الصين على نهر من الرمل يسمى نهر أودق وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصبحون بالنهار ويزرعون لا يصل إليهم منّا أحدٌ ولا منهم إلينا أحدٌ وهم على الحق وذكر عن النبيّ ﷺ أن جبرئيل [ذهب إليهم ليلة] أُسري به فكلّمهم فقال لهم جبرئيل: هل تعرفون مَنْ تُكلّمون؟

قالوا: لا.

قال: هذا محمدٌ النبيّ فآمنوا به، وقالوا: يا رسول الله إنّ موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منّي السلام.

فردّ محمد ﷺ على موسى: فعليه السلام، ثمّ أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة فأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يُقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا وأن يتركوا السبت.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

﴿**وقطعناهم**﴾ يعني بني إسرائيل ﴿**إثنتي عشرة أسباطاً أُمماً**﴾ روى أبان بن يزيد العطار عن عاصم: وقطعناهم بالتخفيف وأراد بالأسباط القبائل والفرق ولذلك أنشأ العدد والأسباط جمع مذكر.

قال الشاعر:

وإن قريشاً كلّها عشر أبطن وأنت بريءٌ من قبائلها العشر[1]

فذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة فلذلك كان [البطن] مذكر وإنما قال: (أسباطاً أُمماً)

---

(١) في جامع البيان للطبري: ٩ / ١١٩، ولسان العرب: ١ / ٧٢٢: وإن كلاباً هذه عشر أبطن.

بالجمع ولا يقال: أتاني اثنا عشر رجالاً، لأنه أراد الأعداد والجموع فأقام كل عدد مقام واحد، وقيل: معناه وقطعناهم أسباطاً أمماً اثني عشر.

﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾ في التيه **﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾** قال عطاء: كان الحجر أربعة وجوه لكل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين لا يُخالطهم سواه **﴿فانبجست﴾** أخصبت وانفجرت.

قال أهل التفسير: انبجست وانفجرت واحد، وكان أبو عمرو بن العلاء يفرق بينهما فيقول انبجست عرفت وانفجرت [سالت].

قال عطاء: كان يظهر على كل موضع من الحجر يضربه موسى (عليه السلام) مثل ثدي المرأة فيعرق أوّلاً ثمّ يسيل **﴿قد علم كل أُناس﴾** من كل سبط **﴿مشربهم﴾** لا يدخل سبط على غيره في شربه وكل سبط من أب واحد. **﴿وضلّلنا عليهم الغمام﴾** في التيه يقيهم من الشمس **﴿وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾** إلى قوله: **﴿يغفر لكم خطاياكم﴾** وقرأ أهل المدينة يغفر [بياء] مضمومة وخطاياكم بالرفع، وقرأ ابن [عامر] بتاء مضمومه.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿وسئلهم﴾ واسأل يامحمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال تقرير وتوبيخ **﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾** أي بقربه وعلى شاطئه، واختلفوا فيها فروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي قرية يقال لها ايلديس مدين والطور.

وروى عليّ بن أبي طلحة عنه فقال: هي قرية على شاطئ البحر من مصر والمدينة يقال لها: ايله وقال ابن زيد: هي قرية يقال لها: مقنى بين مدين وعينونا، وقيل: هي الطبريّة **﴿إذ يعدون في السبت﴾** أي يتجاوزون أمر الله وقرأ أبو نهيك إذ تعدون بضم الياء وكسر العين بتثقيل الدال من الأعداد يريد [يهيبون] الآلة لأخذها.

وقرأ ابن السميقع: في الاسبات، على جمع السبت **﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرعاً﴾** قرأ ابن عبد العزيز يوم إسباتهم شرعاً الى [شراع] ظاهرة على الماء كثيرة، وقال الضحاك: متتابعة **﴿ويوم لا يسبتون﴾** أي لا يفعلون السبت. يقال سبت يسبت سبتاً وسبوتاً إذا أعظم السبت.

وقرأ الحسن: يُسبتون بضم الياء أي يدخلون في السبت كما يقال أجمعنا وأشهرنا أي دخلنا في الجمعة والشهر **﴿لا تأتيهم كذلك نبلوهم﴾** نختبرهم **﴿بما كانوا يفسقون﴾** وسمعت الحسن بن محمد بن الحسن سمعت إبراهيم بن [محارب] بن إبراهيم سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا [يأتيك] إلاّ قوتاً والحرام يأتيك جزفاً جزفاً؟ قال: نعم، في قصّة داود وتأويله: **﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾**[1].

قال عكرمة: جئت ابن عباس يوماً فإذا هو يبكي ووضع المصحف في حجرة فقلت: مايُبكيك جعلني الله فداك. قال: هؤلاء الورقات فإذا هو في سورة الأعراف، فقال: تعرف الآية؟ قلت: نعم، قال: فإنّه كان بها حي من اليهود في زمن داود حرم عليهم الحيتان في السبت، وذلك أنّ اليهود أمروا باليوم الذي أمرتهم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرّم عليهم فيه الصيد فأمروا بتعظيمه إن أطاعوا لم يؤجروا وإن عصوا عذبوا، وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاء سماناً كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم حتّى لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر.

ثمّ إنّ الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فأتّخذوا الحياض وكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة]فتسقي[فيها ولا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الأحد[2].

وقال ابن زيد: كانوا قد قرّبوا بحب الحيتان وكان في غير يوم السبت لا تأتيهم حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتاً فربط في ذنبه خيطاً فأخذه وشواه فوجد جار له ريح الحوت. فقال له: يا فلان أنا أجد في بيتك ريح نون، قال: لا فتطلع في تنوره فإذا هو فيه فقال: إني أرى الله سيعذّبك، فلما لم يره عذب ولم يعجل عليهم بالعذاب أخذ في السبت الأُخرى حوتين اثنين.

فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم أكلوا وملحوا وباعوا وأثروا وكثر مالهم، وكانوا نحواً من سبعين ألف، فصارت أهل القرية [ثلاثاً]: ثلث نُهوا . وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً . وثلث قالوا: لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم، وثلث أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا قال المسلمون: لا [نسألهم] فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود (عليه السلام) فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن للناس شأناً لعل الخمر غلبتهم فعلوا على الجدار فنظروا فإذا بهم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم وعرفت القردة [أنسابها] من الأنس. ولا تعرف الأنس أنسابهم من القرود. فجعلت القردة تأتي نسيبها من

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ٣٠٦.

(٢) بتفاوت في تفسير الطبري: ٩ / ١٢٧.

الأنس وتشم ثيابه وتبكي فيقول: ألم ننهكم؟ فتقول برأسها: نعم[١].

قال قتادة: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فما نجا إلاّ الذين نهوا وهلك سائرهم.

واختلف العلماء في الفرقة الذين قالوا: (لِمَ تعظون قوماً) كانت من الناجية أو من الهالكة؟ فقال بعضهم: كانت من الناجية لأنّها كانت من الناهية.

وقال آخرون: كانت من الفرقة الهالكة، لأنّهم كانوا من الخاطئة وذلك أنهم لما نهوا وقالوا لهم انتهوا عن هذا العمل قبل أن ينزل بكم العذاب فإنّا قد علمنا أن الله تعالى منزل عليكم بأسه إن لم تنتهوا قالوا لهم **﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾** إذ علمتم أنّ الله معذبهم **﴿أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةً إلى ربّكم﴾** أي هذه معذرة، وقرأ حفص: معذرة أي يفعل ذلك معذرة **﴿ولعلهم يتقون﴾** صيد الحيتان والصواب أنها كانت من الفرقة الناجية وأن هذا الكلام من قول المؤمنين بعضهم لبعض لأنّه لو كان الخطاب للمعتدين لقالوا: ولعلكم تتّقون يدلّ عليه قول يمان بن رئاب نحن الطائفتان اللذان قالوا **﴿لِمَ تعظون قوماً الله مُهلكهم﴾** والذين قالوا **﴿معذرة إلى ربّكم﴾** فأهلك الله أهل المعصية الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير.

وقال ابن عباس: ليت شعري ما فعل هؤلاء الذين قالوا: **﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾** قال عكرمة: فقلت له: جعلني الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: **﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾** فلم أزل به حتّى عرّفته أنهم قد نجوا فكساني حلّة[٢].

﴿فلمّا نسوا ما ذكروا به﴾ تركوا ما وعظوا به **﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾** أي المعصية **﴿وأخذنا الذين ظلموا﴾** أي عاقبنا باعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله **﴿بعذاب بئيس﴾** شديد وجيع من البأس وهو الشدة والفعل منه بَؤس يبْؤسُ، فاختلف القراء فيها فقرأ أهل المدينة بِيْس بكسر الباء وجزم الياء من غير همزة على وزن فعل، وقرأ ابن عامر كذلك على وزن فِعْل إلاّ أنّه الهمزة.

وقرأ عاصم: في رواية أبي بكر: بَيْئس بفتح الباء وجزم الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل مثل صيقل ويثرب.

كما قال الشاعر:

كلاهما كان رئيساً بيئسا ... يضرب في الهيجاء منه القونسا[٣]

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ١٢٧.

(٢) تفسير الطبري: ٩ / ١٢٦ بتفاوت.

(٣) نسبه الطبري في تفسيره إلى امرىء القيس بن عابس الكندي: ٩ / ١٣٤، وفيه:

كلاهما كان رئيساً بيئساً ... يضرب في يوم الهياج القونسا

وقرأ بعضهم: بَيْئِس بفتح الباء وكسر الهمزة على وزن فعل مثل [حذر] كقول ابن قيس الرقيات:

ليتني ألقى رقيّة في خلوة من غير ما بيئس[١]

وقرأ الحسن: بكسر الباء وفتح السين على معنى بيئس العذاب.

وقرأ مجاهد: بائيس على وزن فاعل وقرأ أبو أياس بفتح الباء والياء من غير همزة.

وقرأ نصر بن عاصم: بيئس بفتح الباء وكسر الياء مشدداً من غير همزة.

وقرأ بعض أهل مكة بئيس بكسر الياء والهمزة كما يقال: بعر للبعير. وقال أهل اللغة: كل فعل ثانية أحد حروف الحلق فإنّه يجوز كسر أوّله مثل بِعير وصغير ورحيم و[حميم] وبخيل، وقرأ الباقون بئيس على وزن فعيل وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لأن فعيلاً أشبهه بصفات [التعريف] كقول ذي الاصبع العدواني:

لقد رأيت بني أبيك محمجين[٢] إليك شوساً[٣]

حنقاً علي ولن ترى لي فيهم أثراً بئيساً[٤]

وقوله ﴿فلمّا عتوا عمّا نُهوا عنه﴾ قال ابن عباس: أبوا أن يرجعوا عن المعصية ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ صاغرين. قال سعيد بن جبير: رأى موسى (عليه السلام) رجلاً يحمل قصباً يوم السبت فضرب عنقه[٥]، أبو روق: الخاسئون الذين لا يتكلّمون.

وقال المؤرخ مبعدين كما بَعُد الكلاب. قال ابن عباس: [مكثوا] ثلاث أيام ينظر إليهم الناس ثمّ هلكوا ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام.

قال مقاتل: عاشوا سبعة أيام يعرف الكبير بكبره والصغير بصغره، ثمّ ماتوا.

وروى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: إن الله لم يمسخ شيئاً فجعل له نسلاً وعاقبه[٦].

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ

(١) شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٤٩.
(٢) التحميج: التحديق في النظر.
(٣) تاج العروس: ٢ / ٢٤.
(٤) تفسير الطبري: ٩ / ١٣٥.
(٥) تفسير الطبري: ٩ / ١٣٦.
(٦) كتاب السنة للضحاك: ١١٦.

وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

﴿وإذ تأذن ربّك﴾ أذّن وأعلم ربّك مثل قولهم تعلم بمعنى أعلم. وأنشد المبرّد:

تعلم أن خير الناس حي ... ينادي في شعارهم يسار[١]

وقال زهير:

فقلت تعلم أن للصيد غرّة ... فان لا تضيعها فإنّك قاتله[٢]

وقال ابن عباس: (تأذن ربّك) قال ربّك، وقال مجاهد: أمر ربّك، وقال عطاء: حتم، وقال أبو عبيد: أخبر، وقال قطرب: وعد.

﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ هم اليهود بعث الله عليهم محمداً وأمته يقاتلونهم حتّى يسلموا أو يعطوا الجزية، وقال سعيد بن جبير: هم أهل الكتاب بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج إلى يوم القيامة فهو سوء العذاب ولم يجب نبي قط الخراج إلاّ موسى (عليه السلام) فهو أول من وضع الخراج فجباه ثلاث عشرة سنة ثمّ أمسك **﴿فخلّف من بعدهم خلف﴾** أي حضرت وجاء وتبدل من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف.

قال أبو حاتم: الخلف بسكون اللام الأولاد والواحد والجميع فيه سواء والخلف بفتح اللام البدل ولداً كان أو غريباً، وقال الآخرون: هم خلف سوء.

وقال ابن الأعرابي: الخلف بالفتح الصالح و [بالجزم] الصالح. قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب[٣]

ومنه قيل للرديء من الكلام: خلف، ومنه المثل السائر: سكت الفاً وبطن خلفاً.

وقال النضر بن شميل: الخلف بجزم اللام واسكانها في غير القرآن السوء واحد، فأمّا في القرآن الصالح [بفتح] اللام لا غير، وأنشد:

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ٣٠٩.
(٢) معاني القرآن للنحاس: ٣ / ٩٦، ولسان العرب: ١٣ / ١٣.
(٣) كتاب العين: ٤ / ٢٦٦.

إنا وجدنا خلفاً بئس الخلف عبداً إذا ما ناء بالحمل خضف[١]

وقال محمد بن جرير الطبري: أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

لنا القدم الأولى وإليك وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع[٢]

قال: واحسب أنّه إذا وجّه إلى الفساد مأخوذ من قولهم: خلف اللبن وحمض من طول تركه في السقاء حتى تفسد، ومن قولهم: خلف فم الصائم إذا تغير ريحه وفسد، فكان الرجل الفاسد مشبه به.

﴿ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ والعرض متاع الدنيا أجمع. والعرض بسكون الراء ما كان من المال سوى الدراهم والدنانير.

قال المفسّرون: [إن] اليهود ورثوا كتاب الله فقرأوه وعلموه وضيعوا العمل به وخالفوا حكمه يرتشون في حكم الله وتبديل كتاب الله وتغيير صفة رسول الله ﷺ **﴿ويقولون سيغفر لنا﴾** ذنوبنا ما عملناه بالليل كُفّر عنا بالنهار، وما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل تمنياً على الله الأباطيل.

﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾. قال سعيد بن جبير: وإن عرض لهم ذنب آخر عملوه.

وقال مجاهد: ما أشرف لهم في اليوم من شيء من الدنيا الحلال أو حرام يشتهونه أخذوه. وكلما وهف[٣] لهم شيء من الدنيا أكلوه وأخذوا من الدنيا، ما وهف أي ما سهل، لا يبالون حلالاً كان أو حراماً ويبتغون في المغفرة فإن يجدوا الغد مثله يأخذوه[٤].

قال السدي: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلاّ ارتشى في الحكم. وإن خيارهم اجتمعوا فأخذوا منهم بعض العهود أن لا يفعلوا فجعل الرجل منهم إذا استقضى وارتشى يقال له: مالك ترتشي في الحكم، فيقول: سيُغفر لي، فيطعن عليه البقية [عَرَض] من بني إسرائيل فيما صنع، فإذا مات أو نزع وجعل مكانه رجلاً ممن كان يطعن فيرتشي فيقول وأن يأتي الآخرين عرض مثله يأخذوه ومعناه: وإن يأت يهود يثرب الذين كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ عرض مثله يأخذوه كما أخذ أسلافهم. والأدنى تذكير الدنيا وعرض هذه الدار الدنيا فلما ترك الاسم المؤنث ذكر النعت لتذكير اللفظ.

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ٣١١.

(٢) لسان العرب: ٩ / ٨٩.

(٣) وهف: بدا.

(٤) تفسير الطبري: ٩ / ١٤٢، وتفسير مجاهد: ١ / ٢٤٩.

سمعت أبا القاسم الحبيبي قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد [....][١] يقول فيه تقديم وتأخير أي: يأخذون هذا العرض الأدنى **﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحق ودرسوا ما فيه﴾** وقرأوا ما فيه، وقرأ السلمي: ادّارسوا أي تدارسوا مثل إذا زكّوا أي قارأ بعضهم بعضاً.

﴿والدار الآخرة خيرٌ للذين يتقون﴾ الشرك والحرام **﴿أفلا تعقلون﴾** بالياء قرأ أكثر القراء على الخبر.

وقرأ الحسن وابن الأشهب بالتاء على الخطاب **﴿والذين يمسكون الكتاب﴾** قرأ عمر بن الخطاب وأبو العالية وعاصم ورواية أبي بكر بسكون خفيفة. وقرأ الباقون بسكون التشديد.

قال أبو عبيد وأبو حاتم: لأنه يقال تمسكت بالشيء ولا يقال أمسكت بالشيء: إنما يقال أمسكته ويدل عليه قراءة أُبي ابن كعب (والذين مسكوا الكتاب) على الماضي وهو جيد لقوله: (وأقاموا الصلاة) إذ قال ما يعطف (من) على مستقبل إلاّ في المعنى.

وقرأ الأعمش: (والذين استمسكوا بالكتاب) ومعنى الآية: وأن يعملوا بما في كتاب الله قال مجاهد وابن زيد: هم من اليهود والنصارى الذين يمسكون بالكتاب الذي جاء به موسى فلا يحرفونه ولا يكتمونه أحلّوا حلاله وحرموا حرامه ولم يتخذوه [ما كُلُهُ نَزَل] في عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال عطاء: فيهم أنّه محمد ﷺ **﴿وأقاموا الصلاة إنّا لا نُضيع أجر المُصلحين﴾**.

﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ أي قلعنا الجبل.

قال مجاهد: كما ينتق الزبد[٢]. وقال المؤرخ: قطعنا.

وقال أبو عبيدة: زعزعنا. وقال الفراء: خلقنا. وقال بعضهم رفعناه. واحتج بقول العجاج:

ينتقن أقتاد الشليل نتقاً[٣]

يعني يرفعه عن ظهره.

وقال آخر:

ونتّقوا أحلامنا الأثاقلا[٤]

وقال بعضهم: أصل النتق والنتوق أن يقلع الشيء من موضعه فيرمى. قال أبان بن تغلب:

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) في تفسير القرطبي (١ / ٤٣٦): وقال القتيبي: أخذ ذلك من نتق السقاء وهو نفضه حتى تقتلع الزبدة منه.
(٣) تفسير الطبري: ٩ / ١٤٧.
(٤) تفسير الطبري: ٩ / ١٤٧.

سمعت رجلاً من العرب يقول لغلامه: فخذ الحجر ألقه فانتقه أي نكسه وانثره.

ويقال للمرأة الكثيرة الولد: ناتق ومنتاق لأنها ترمي [صدرها] رمياً قال النابغة:

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم حقت عليك بناتق مذكار[١]

وقال بعضهم: هو من التحريك فقال: ينتفي السير أي حَرَكني، يقال: ينتق برجله ويركض إذا حركت رجله على الدابة حين تعدو به. ﴿**كأنّه ظلّة**﴾ الظلة ما أظلك ﴿**وظنوا أنّه واقع بهم**﴾ نازل بهم ﴿**خذوا**﴾ أي قلنا خذوا ﴿**ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه**﴾ فاعملوا به ﴿**لعلّكم تتّقون**﴾ وذلك حين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة ويعملوا بها لتغليظها وكانت شريعة ثقيلة فرفع الله عز وجل جبلاً على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ.

وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها ليقعن عليكم. قال الحسن البصري: فلما نظروا للجبل خرَّ كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى على الجبل خوفاً من أن يسقط عليهم فلذلك ليس اليوم في الأرض يهودي يسجد إلاّ على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة.

نشر موسى الألواح فيها كتاب الله كتب بيده لم يبقَ على وجه الأرض جبل، ولا بحر ولا حجر إلاّ اهتزّ فليس اليوم يهودي على الأرض صغير ولا كبير يقرأ عليه التوراة إلاّ اهتزّ وتعفّر لها رأسه.

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

﴿وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾.

---

(١) تاج العروس: ٧ / ٧٥.

قال المفسّرون: لمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم مسح ظهره وأخرج منه ذريته كلهم وهي الذرية واختلفوا في موضع الميثاق.

فقال ابن عباس: يسكن نعمان واد إلى جنب عرفة، وروي فيه أيضاً أنّ ذلك [برهبا] أرض بالهند وهو الموضع الذي أهبط الله فيه آدم ﷺ(١).

وقال الكلبي: بين مكّة والطائف. وقال السدي: أخرج الله آدم من الجنّة ولم يهبط من السماء ثمّ مسح ظهره وأخرج ذريته. قالوا: فأخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سوداء فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. وأصحاب المنامة.

وقال لهم: جميعاً أعلموا أن لا إله غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئاً فإنّي مرسل إليكم رجالاً يذكرونكم بعهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتباً فتكلّموا وقالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا ولا رب لنا غيرك، فأقرّوا يومئذ كلهم طائفة طائعين. وطائفة على وجه التقدير تقيّة، فأخذوا بذلك مواثيقهم وسُمّيت آجالهم وأرزاقهم وحسابهم فنظر إليهم آدم، ورأى منهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب لولا سويت بينهم، فقال: إنّي [أحببت أن] أشكر(٢).

قالوا: وفيهم الأنبياء يومئذ أمثال السرج فرأى آدم نوراً ساطعاً فقال: من هذا؟ فقال: هذا داود نبي من ذريتك قال: كم عمره؟ قال: ستّون سنة قال: رب زده.

قال: جرى القلم بآجال بني آدم، قال: رب زده من عمري أربعين سنة، فأثبت لداود أربعين وكان عمر آدم ألف سنة، فلما استكمل آدم تسعمائة وستين سنة جاء ملك الموت، فلما رآه آدم قال: مالك؟ قال: استوفيت أجلك، قال له آدم: بقي من عمري أربعون سنة، قال: أليس قد وهبتها لداود؟ قال: لا فجحد آدم، فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطأ فخطئت ذريته، فرجع الملك إلى ربه فقال: إن آدم يدعي أنه بقي من عمره أربعون سنة، قال: أخبر آدم أنه وهبها لابنه داود (عليه السلام) والأقلام بطيئة فأثبتت لداود، فلما قررهم بتوحيده وآثر بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتّى يولد كل من أخذ ميثاقه ولا يزداد فيهم ولا ينقص عنهم، فذلك قوله تعالى ﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم**﴾ ونظم الآية: وإذا أخذ ربّك من ظهر بني آدم ذريتهم، ولم يذكر أمر آدم فإنما أعرجوا يوم الميثاق في ظهره، لأن الله عزّ وجلّ أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، فاستغنى عن ذكر

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ٣١٦، وراجع الدر المنثور: ١ / ٥٥.

(٢) راجع تاريخ دمشق: ٧ / ٣٩٨.

ظهر آدم بقوله (من بني آدم) فلما علم أنهم كلهم بنوه و[خرجوا] من ظهره ترك ذكر ظهر آدم وذكر ظهور بنيه.

وقوله: ﴿**ذرّياتهم**﴾ قرأ أهل مكة والكوفة: ذريتهم بغير ألف على الواحد، وقرأ الباقون على الجمع بالألف ﴿**وأشهدهم على أنفسهم**﴾ وقال لهم ﴿**ألستُ بربكم**﴾ سؤال تقرير ﴿**قالوا**﴾ جميعاً ﴿**بلى**﴾ أنت ربّنا ﴿**شهِدنا أن تقولوا**﴾ قرأ ابن عباس وابن محيصن وأبو عمرو: (يقولوا) بالياء، والباقون بالتاء كقوله: ﴿**ألست بربكم**﴾، واختلفوا في قوله: (شهدنا) فقال السدي: خبر من قوله تعالى عن نفسه وعن ملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم، وقال الآخرون: بل ذلك على إقرار بني آدم حين أشهد بعضهم على بعض أن يقولوا يعني أن لا يقولوا ﴿**يوم القيامة إنا كنا عن هذا**﴾ الميثاق والإقرار ﴿**غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم**﴾ فاتبعناهم ﴿**أفتهلكنا بما فعل المبطلون**﴾ يعني المشركين وإنما اقتدينا بهم وكنا في غفلة عن التوحيد ﴿**وكذلك نفصل الآيات**﴾ لقومك يامحمد ﴿**ولعلهم يرجعون**﴾ عن كفرهم ﴿**واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا**﴾ اختلفوا فيه.

فقال عبد الله بن مسعود: هو بلعم بن ابرة. وقال ابن عباس: هو بلعم بن باعورة. وقال مجاهد: هو بلعام بن باعر. وقال مقاتل: هو بلعام بن باعور بن ماث بن لوط. عطية عن ابن عباس: هو من بني إسرائيل.

وقال عليّ بن أبي طلحة: هو من الكنعانيين من مدينة الجبارين، وقال مقاتل: هو من مدينة بلقا، وسميت بلقا لأن ملكها كان رجلاً يقال له: بالق وكانت وصيته على ما ذكره ابن عباس وابن إسحاق والسدي وغيرهم: إن موسى (عليه السلام) لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتي قوم بلعم إلى بلعم وكان عنده اسم الله الأعظم.

فقالوا: إن موسى رجل شديد ومعه جنود كثيرة وإنّه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وأنا قومك وبنو عمك وليس لنا قول وأنت رجل مجاب الدعوة فأخرج وادع الله تعالى أن يرد عنا موسى وقومه فقال: ويلكم نبي الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي. وقالوا ما لنا من [نزل] وراجعوه في ذلك قال: حتى أُءامر ربّي، وكان لا يدعو حتّى ينظر ما يؤمر في المنام فيأمرني الدعاء عليهم.

فقيل له في المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إني قد أُمرت ربّي في الدعاء عليهم وإنّي قد نُهيت، فهدوا له هدية، فقبلها ثمّ راجعوه وقالوا: أدع عليهم، فقال: حتّى أؤمر فلما أُمّر لم يجيء إليه شيء. فقال: قد أُمّرت فلم يجيء إليّ شيء، فقالوا: لو كره ربّك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى. فلم يزالوا به [يروقونه] ويتضرعون إليه حتّى فتنوه فافتتن فركب [أتاناً] له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له جسبان.

فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتّى إذا أذاقها قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتّى ربضت، ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتّى ربضت فضربها حتّى إذا أذاقها أذن الله لها بالكلام فتكلمت حجة عليه فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا لنذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم، فلم ينزع عنها فخلّى الله سبيلها فانطلقت حتّى إذا أشرقت به على جبل جسبان جعل يدعو عليهم فلا يدعو عليهم بشيء إلاّ صرف به لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلاّ صرف مسألته إلى بني إسرائيل.

فقال له قومه: أتدري يابلعم ما تصنع إنما تدعو لهم وتدعو علينا، قال: فهذا ما لا أملك هذا شيء قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة، فلم يبقَ إلاّ المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال، اجملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثمّ أرسلوهن إلى العسكر يتعدوا فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنا رجل واحد منهم يفتنوهم ففعلوا.

فلمّا دخل النساء العسكر مرَّت امرأة بين الكنعانيين اسمها بشتي بنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل يُقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام) فقام إليها فأخذ بيدها حين أَفْتنه جمالها ثمّ أقبل حتّى وقف على موسى فقال: إني أظنك ستقول هذه حرام عليك قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها قال: فوالله لا نطيعك في هذا ثمّ دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت.

وكان لفنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى رجلٌ قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون [يمجّس] في بني إسرائيل وأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلّها ثمّ دخل عليه القبة وهما متضاجعان [فاستقبلها] بحربته ثمّ خرج بهما رافعاً بهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته.

وكان [يكره العيزار] وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون. فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجوده قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من نهار، فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص كل ذبيحة ذبحوها الفشة والذراع واللحى، لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها بذراعه وبإسناده إياها إلى لحيته، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنّه كان [بكراً] لعيزار بن هارون وفي بلعم أنزل الله تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا**﴾ الآية[١].

---

(١) بطوله في تفسير الطبري: ٩ / ١٦٩.

وقال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: أدعُ على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه فنصبت خشبة ليصلب فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليهم، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها فقالت: لم تضربني إني مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع وأخبر الملك، فقال: لتدعون عليه أو لأصلبنك فدعا على موسى بالاسم الأعظم ألا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى: يارب [بأي] ذنب وقعنا في التيه قال: بدعاء العالم، قال: فكما سمعت دعاءه عليّ فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه أن ينزع منه الاسم الأعظم والإيمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فذلك قوله تعالى ﴿**فانسلخ منها**﴾ فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية.

وقال عبد الله بن عمر بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم و أبو روق: نزلت هذه الآية في أُميّة بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصّته أنّه كان في ابتداء [أمره] قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول(١).

فلما أرسل محمد (عليه السلام) حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مرَّ على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه. فلمّا مات أميّة أتت أخته فارعة رسول الله ﷺ فسألها رسول الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت: بينا هو قد [أتانا فنام على سريري فأقبل طائران] ونزلا فقعد أحدهما عند رجله والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه: أَدُعي؟ قال: دُعي، قال: أزكّي؟ قال: أبى، قالت: فسألته عن ذلك. قال: خيراً زيدي، فصرف عني ثمّ غشي عليه فلما أفاق قال:

كل عيش وإن تطاول دهراً	صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما بدا لي	في قلال الحبال أرعى الوعولا
يوم الحساب يوم عظيم	شاب فيه الصغير نوماً ثقيلاً

ثمّ قال لها رسول الله ﷺ أنشديني شعر أخيك. فأنشدته:

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا	ولا شيء أعلى منك جداً وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن	لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة حتّى أتت على آخرها. وأنشدته قصيدته:

وقف الناس للحساب جميعاً	فشقي معذب وسعيد

ثمّ أنشدته قصيدته التي فيها

(١) زاد المسير: ٣ / ١٩٥.

عند ذي العرش يعرضون عليه ... يعلم الجهر والسرار الخفيا
يوم يأتي الرحمن وهو رحيم ... إنّه كان وعده مأتيا
يوم يأتيه مثل ما قال فرد ... ثم لابد راشداً أو غويا
أو سعيداً سعادة أنا أرجو ... أو مهاناً لما اكتسبت شقيا
إن أوءاخذ بما أجرمت فإني ... سوف ألقى في العذاب قويا
ورب إن تعفو فالمعافاة ظنّي ... أو تعاقب فلم تعاقب بريّا

قال رسول الله ﷺ: آمن شعره وكفر قلبه.

وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا**﴾ الآية[1].

ومنهم مَنْ قال: إنها نزلت في البسوس.

وكان رجلاً قد أعطي ثلاث دعوات مستجابات. وكانت له امرأة وكان له منها ولد فقالت له: اجعل منها دعوة واحدة لي. فقال: لك منها واحدة، فما تريدين؟ فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها فجعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل. فلما علمت أنّه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل. ودعا عليها فصارت كلبة نبّاحة فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها فقالوا: ليس لنا على هذا قرار دعوت على أمّنا فصارت كلبة نبّاحة والناس يُعيروننا أدعو الله أن يردها على الحال التي كانت عليها، فدعا الله عزّ وجلّ فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات.

وقال سعيد بن المسيب: نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سمّاه النبيّ ﷺ الفاسق.

وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوخ فقدم المدينة وقال للنبيّ ﷺ: ما هذا الذي جئت به.

قال: «جئت بالحنفية دين إبراهيم»، فقال: أنا جئتها، فقال النبيّ ﷺ: «لست عليها ولكنك أدخلت إبليس فيها» [١٩٨]، فقال أبو عامر: أمات الله الكاذباً منا طريداً وحيداً فخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا القوّة والسلاح وابنوا إلي مسجداً ثمّ أتى الراهب قيصر وأتى بجند ليُخرج النبيّ ﷺ وأصحابه من المدينة فذلك قوله: ﴿**وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله**﴾ يعني انتظاراً لمجيئه فمات بالشام طريداً وحيداً.

وقال عبادة بن الصامت: نزلت في قريش أتاهم الله الآيات فانسلخوا منها فلم يقبلوها،

---

(١) الاصابة: ٨ / ٢٦١ باختصار. وانظر القصة والأبيات في البداية والنهاية: ٢ / ٢٨٥.

فقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبيّ ﷺ كما يعرفون أبناءهم.

وقال عمرو بن دينار: سُئل عكرمة عن هذه الآية فقال: هذا وهذا ليست في خاصة.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله فذلك قوله: ﴿**واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا**﴾.

وقال ابن عباس والسدي: هي اسم الله الأعظم. وقال ابن زيد: كان لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه.

وقال ابن عباس في رواية أُخرى: أعظم أنها كتاباً من كتب الله. مجاهد: هو نبي من بني إسرائيل يقال له بلعم أوتي النبوّة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه[١].

﴿**فانسلخ**﴾ [خرج] ﴿**منها**﴾ كما تنسلخ الحيّة من جلدها ﴿**فأتبعه الشيطان**﴾ أي لحقه وأدركه ﴿**فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها**﴾ أي فضلناه وشرفناه ورفعنا منزلته بالآيات.

وقال ابن عباس: رفعناه بها.

وقال مجاهد وعطاء: يعني لرفعنا عنه الكفر بالآيات وعصمناه.

﴿**ولكنه أخلد إلى الأرض**﴾ قال سعيد بن جبير: ركن الى الأرض. مجاهد: سكن. مقاتل: رضي بالدنيا. أبو عبيدة: لزمها وأبطأ، والمخلد من الرجال هو الذي يبطئ شيبه ومن الدواب التي تبقى ثناياه حتّى تخرج رباعيتاه[٢].

قال الزجاج: خلد وأخلد واحد وأجعله من الخلود وهو الدوام والمقام يقال خلد فلان بالمقام إذا أقام به. ومنه قول زهير

لمن الديار غشيتها بالغرقد كالوحي في حجر المسيل المخلد[٣]

يعني: المقيم.

وقال مالك بن نويرة:

فما نبأ حيّ من قبائل مالك وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا[٤]

﴿**واتبع هواه**﴾ قال الكلبي: يتبع [خسيس] الأمور ويترك معاليها.

---

(١) زاد المسير: ٣ / ١٩٥.

(٢) تفسير الطبري: ٦ / ١٧١.

(٣) لسان العرب: ٣ / ١٦٤.

(٤) تفسير الطبري: ٦ / ١٧١

وقال أبو روق: اختار الدنيا على الآخرة. وقال ابن زيد: كان هواه مع [القدم] قال عطاء: أراد الدنيا وأطاع شيطانه، وقال يمان: واتبع هواه أي امرأته لأنّها حملته على الخيانة.

﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ قال مجاهد: هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به، وقال ابن جريج: الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده منقطع.

وروى معمر عن بعضهم قال: هو الكافر ضال إن وعظته أو لم تعظه.

قال ابن عباس: معناه إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها وإن تتركه لم يهتدِ بخير كالكلب إن كان [رابضاً] لهث وإن طرد لهث.

وقال الحسن: هو المنافق لا ينيب إلى الحق دعي أو لم يدع وعظ أو لم يوعظ [كالكلب] يلهث طرد أو ترك، قال عطاء: ينبح إن يحمل عليه وإن لم يحمل، وقال القتيبي: كل شيء يلهث من إعياء أو عطش إلاّ الكلب، فإنّه يلهث في حال الكلال وحال الراحة، وحال الصحة وحال المرض، وحال [الجوع] وحال العطش فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته.

فقال: إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته لهث ونظيره قوله **﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون﴾**[1] **﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون﴾** روى محمد بن إسحاق عن سالم [أبي الخضر] قال: يعني مثل بني إسرائيل أي إن جئتهم بخبر ما كان فيهم ما غاب عنك (لعلهم يتفكرون).

فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم إلاّ نبي يأتيهم خبر السماء **﴿ساء مثلاً﴾** أي بئس المثل مثلاً حال من المثل المضمر.

كما قال جرير:

فــنــعــم الــزاد زاد أبــيــك زاداً[2]

هذا إذا جعلت (ساء) من فعل المثل ورفعت القوم بدلاً من الضمير فيه. وإن حولت فعله إلى القوم ورفعتهم به كان [انتهاء] به على التمييز، يريد سأمثل القوم فلما حولته إليهم خرج المثل مفسّراًكما يقال: قربه عيناً وضاق ذرعاً، متى ما سقط التنوين عن المميز [المخفض] بالإضافة دليله قراءة [الجحدري] والأعمش سأمثّل القوم بالاضافة، وقال أبو حاتم: يريد بها (مثلاً) مثل القوم فحذف مثل.

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٣.

(٢) لسان العرب: ٣ / ١٩٨.

وأقام القوم [به أُمّة] فرفعهم كقوله: ﴿**واسأل القرية**﴾.

﴿**وأنفسهم كانوا يظلمون**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس**﴾ وإنما قال ذلك لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم ويُسمّي بعض أهل المعاني هذه اللام لام [الصيرورة] فيه كقوله: ﴿**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً**﴾[١]. وأنشدوا:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها [ودورنا] لخراب الدهر نبنيها[٢]

وقال الآخر:

فللموت تغدو الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن[٣]

وروى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «إن الله تعالى كما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم» [١٩٩]، ثمّ وصفهم فقال ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾ ولا يعلمون الخير والهدى ﴿**ولهم أعين لا يبصرون بها**﴾ طريق الحق والرشاد ﴿**ولهم آذانٌ لا يسمعون بها**﴾ مواعظ الله والقرآن فيفكرون ويعتبرون بها فيعرفون بذلك توحيد الله ثمّ يعملون بتحقيق [النبوّة] فآتينا بهم ثمّ ضرب لهم مثلاً في الجهل والاقتصاد على الشرب والأكل وبعدهم من موجبات العمل. وقال عز من قائل ﴿**أُولئك كالأنعام بل هم أضل**﴾ لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره ويطيعوه والكافرون لا يعرفون ربهم ولا يطيعونه وفي الخبر: «كل شيء أطوع لله من ابن آدم» [٢٠٠][٤].

﴿**أُولئك هم الغافلون**﴾.

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ قال مقاتل: وذلك أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن، فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما

---

(١) سورة القصص: ٨.
(٢) لسان العرب: ١٢ / ٥٦٢.
(٣) القاموس المحيط: ٤ / ١٧٨.
(٤) المعجم الصغير: ٢ / ٥١.

بال هذا يدعو ربين اثنين، فأنزل الله ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ وهو تأنيث الأحسن كالكبرى والأكبر والصغرى والأصغر، والأسماء الحسنى هي الرحمن الرحيم. الملك القدوس السلام ونحوها.

الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحدة، من أحصاها كلّها دخل الجنّة» [٢٠١](١).

﴿وذروا الذين يُلحدون في أسمائه﴾. قال ابن عباس: يكذبون، وقال قتادة: يشركون، وقال عطاء: ظامئون، زيد بن أسلم: يميلون عن الحق. ابن عباس ومجاهد: هم المشركون. وإلحادهم في أسماء الله عز وجل أنهم عدلوا بها عمّا هي عليه فسموا بها أوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها فاشتقوا اللات من الله تعالى والعزّى من العزيز ومنات من المنّان.

وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تعالى يسميه بما لم يسم به ولا ينطق به كتاب ولا دعا إليه رسول، وأصل الإلحاد الميل والعدول عن القصد ومنه لحد القبر. فيقال: ألحد يلحد إلحاداً ولحد يلحد لحداً ولحوداً إذا مال.

وقد قرئ بهما جميعاً فقرأ يحيى بن رئاب والأعمش وحمزة: بفتح الياء والحاء هاهنا وفي النحل (رحم). وقرأ الباقون: بضم الياء وكسر الحاء وهما لغتان [صحيحتان].

وأمّا الكسائي فإنّه قرأ التي في النحل بفتح الياء والحاء وفي الأعراف (رحم) بالضم وكل يفرق بين الإلحاد واللحود فيقول: الالحاد العديل عن القصد واللحد واللحود الركون، ويزعم أن التي في النحل يعني الركون ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ في الآخرة ﴿وممن خلقنا أُمة﴾ عصبة ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ قال قتادة وابن جريج: بلغنا أن النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية فقال: هي أحق بالحق يأخذون ويقضون ويعطون وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» [٢٠٢].

قال الربيع بن أنس: قرأ النبيّ ﷺ هذه الآية فقال: «إن من أمتي قوماً على الحق حتّى ينزل عيسى» (عليه السلام) [٢٠٣](٢).

عن عمير بن هاني قال: سمعت معاوية على هذا المنبر يقول: سمعت النبيّ ﷺ قال: لا يزال من أُمّتي أُمّة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من غالطهم حتّى يأتي أمر الله عزّ وجلّ، وهم ظاهرون على الناس» [٢٠٤](٣).

---

(١) مسند أحمد: ٢ / ٤٩٩.
(٢) تفسير القرطبي: ٧ / ٣٢٩.
(٣) مسند أحمد: ٤ / ١٠١.

وقال ابن حيان: هم مؤمنو أهل الكتاب. وقال عطاء: هم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان قد سماهم الله تعالى في سورة براءة. وقال الكلبي: هم من جميع الخلق ﴿**والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾ قال بعضهم: سنأخذهم بالعذاب، وقال الكلبي: نزّين لهم أعمالهم فنهلكهم. وقال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة، وقال الخليل بن أحمد: سنطوي وإن أعمارهم في اغترار منهم(١).

وقال أبو عبيدة والمؤرخ: الاستدراج أن يأتيه من حيث لا يعلم.

وقال أهل المعاني: الاستدراج أن ندرج إلى الشيء في خفيّة قليلاً قليلاً ولا يباغت ولا يجاهر. يقال: استدرج فلاناً حتّى تعرف ما صنع أي لا يجاهر ولا يهجم عليه، قال: ولكن استخرج ما عنده قليلاً قليلاً وأصله من [الدرج] وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة فاستعير [هذا عنه]. ومنه الكتاب إذا طوى شيئاً بعد شيء، ودرج القوم إذا مات بعضهم في دار بعض، ودرج الصبي إذا قارب من خطاه في المشي ﴿**وأُملي لهم**﴾ يعني أُمهلهم وأطيل من الملاواة وهو الدهر، ومنه مليت أي غشت دهراً ﴿**إن كيدي متين**﴾ أي أخذي قوي مديد قلت: في المستهزئين، فقتلهم الله في ليلة واحدة ﴿**أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنَّة**﴾ قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قام على الصفا ليلاً فجعل يدعو قريشاً فخذاً فخذاً يابني فلان يابني فلان يحذرهم بأس الله عزّ وجلّ، ووقائعه فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوّت حتى الصباح فأنزل الله ﴿**أولم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة**﴾. ما بمحمد من جنون(٢).

﴿**إن هو**﴾ ما هو ﴿**إلاّ نذير مبين**﴾ مخوف ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت**﴾ ملك ﴿**السمٰوات والأرض وما خلق الله**﴾ فيهما ﴿**من شيء وأن عسى**﴾ وهي أن لعلّ ﴿**أن يكون قد اقترب أجلهم**﴾ فيهلكوا على الكفر ويصبروا إلى العذاب ﴿**فبأي حديث بعده**﴾ بعد القرآن ﴿**يؤمنون**﴾ ثمّ بيّن العلّة في إعراضهم عن القرآن وتركهم الإيمان فقال عز من قائل: ﴿**من يضلل الله فلا هادي**﴾ فلا مرشد له ﴿**ويذرهم**﴾ قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بالياء، لأن ذكر الله سبحانه قد مرَّ من قبل. والباقون بالنون، لأنّه كلام [مستأنف] ومن جزم الراء فهو ممدود على يضلل.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

---

(١) راجع زاد المسير: ٣ / ٢٠٠.

(٢) زاد المسير: ٣ / ٢٠١.

﴿يسألونك عن الساعة﴾ قال ابن عباس: قال [وجيل] بن أبي فشير وسمؤال بن زيد: وهما من اليهود: يامحمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول فلنعلم متى هي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال قتادة: قالت قريش لمحمد ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة فأشر إلينا متى الساعة فأنزل الله ﴿يسألونك عن الساعة﴾ يعني القيامة ﴿أيان﴾ متى، ومنه قول الراجز:

أيـان تـقـضـي حـاجـتـي أيـانـا أمـا تـرى لـنـجـحـهـا إبـانـا[1]

﴿مرساها﴾ قال ابن عباس: ومنتهاها، وقال قتادة: قيامها. وأصل الكلمة الثبات والحبس ﴿قل إنّما علمها عند ربّى﴾ استأثر بعلمها ﴿لا يُجليها إلاّ هو﴾ لا يجليها لا يكشفها ولا يظهرها.

وقال مجاهد: لا يأتي بها، وقال السدي: [لا يرسلها] لوقتها إلاّ هو ﴿ثقلت في السمٰوات والأرض﴾ يعني ثقل علمها على أهل السموات والأرض لخفائها فلا يعرفون مجيئها ووقتها فلم يعلم قيامها مَلَك مقرّب ولا نبي مرسل.

وقال الحسن: يقول إذا جاءت ثقلت على السموات والأرض وأهلها وكبرت وعظمت وذلك أنها إذا جاءت انشقت السموات وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال. وليس من الخلق شيء إلاّ ويصيبه ضرر الساعة وثقلها ومشقتها ﴿لا تأتيكم إلاّ بغتةً﴾ فجأة على غفلة منكم.

سعيد عن قتادة قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول «إن الساعة تهيج الناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق ويخفض ميزانه ويرفعه» [٢٠٥][2].

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ «قال جبرئيل: تقوم الساعة عند ثلاث مواطن: إذا كثر القول وقلّ العمل وعند قلّة المواشي حتّى يمضي كل رجل ممّا عنده، وإذا قال الناس من يذكر الله فيها بدعة» [٢٠٦].

﴿يسألونك كأنك حفيّ عنها﴾ قال أهل التفسير في الآية تقديم وتأخير تقديرها. يسألونك عنها كأنّك حفي أي [بار فيهم] صديق لهم قريب، قاله ابن عباس وقتادة، وقال مجاهد والضحاك: كأنّك عالم بها وقد يوضع عن موضع مع الياء ﴿قل علمها عند الله﴾ إلى قوله (نفعاً وضراً).

فقال ابن عباس: إن أهل مكة قالوا: يامحمد ألا يخبرك بالسعر الرخيص قبل أن يغلا فتشتريه فتربح فيه، والأرض الذي تريد أن تجذب فترتحل منها إلى ما قد أخصبت فأنزل الله

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ١٨٤، ولسان العرب: ١٣/ ٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢ / ٢٨٢.

تعالى ﴿قل﴾ يامحمد ﴿لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾ أي اجتناب نفع ولا دفع ﴿إلاّ ما شاء الله﴾ أي أملكه بتمليكه إياي ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ يعني المال وتهيأت لسنة القحط ما يكفيها ﴿وما مسّني السوء﴾ وما مسّني الله [بسوء].

وقال ابن جريج: ﴿قل لا أملك نفعاً ولا ضراً﴾ يعني الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت من الخير من العمل الصالح وما مسّني السوء.

قال ابن زيد: فاجتنبت ما يكون من الشر وأتقيه. قال بعض أهل المعاني: (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من معرفته حتّى لا يخفى عليّ شيء ﴿وما مسني السوء﴾ يعني التكذيب.

وقال مقاتل: هذا متصل بالكلام الأول معناه: لا أقدر أن [أسوق] لنفسي خيراً أو أدفع عنها شراً حتّى ينزل بي فكيف أعلم وأملك علم الساعة؟ وتمام الكلام قوله: لاستكثرت من الخير، ثم ابتدأ فقال: (وما مسّني السوء) [يعني الجنون].

وقيل يعني لم يلحقني تكذيب ﴿إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ يصدقون.

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني آدم (عليه السلام) ﴿وجعل منها زوجها﴾ خلق منها حواء ﴿ليسكن إليها﴾ يستأنس إليها ويأوي إليها لقضاء حاجته ﴿فلما تغشاها﴾ واقعها وجامعها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ وهو ماء الرجل خفيف عليها ﴿فمرّت﴾ أي استمرت ﴿به﴾ وقامت وقعدت ولم تكترث بحملها، يدل عليه قراءة ابن عباس: فاستمرت به.

وقال قتادة: (فمرّت به) أي استبان حملها. وقرأ يحيى بن يعمر (فمرت) خفيفة الراء من لمرية أي: شكّت أحملت أم لا؟ ﴿فلما أثقلت﴾ أي كبر الولد في بطنها وتحرك وصارت ذات ثقل بحملها كما يقال: أثمر إذا صار ذا ثمر ﴿دعوا الله ربّهما﴾ يعني آدم وحواء ﴿لئن آتيتنا﴾ ياربنا ﴿صالحاً﴾.

قال الحسن: غلاماً ذكراً. وقال الآخرون: بشراً سويّاً مثلنا ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ وذلك أنهما أشفقا أن يكون بهما أو شيئاً سوى آدمي أو غير سوي.

قال الكلبي: إن إبليس أتى حواء في صورة رجل لما أثقلت في أول ما حملت فقال: ما هذا الذي في بطنك قالت: ما أدري، قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، فقالت ذلك لآدم، فلم يزالا في نِعَم من ذلك ثمّ عاد إليها فقال: إني من الله [منزّل] فإن دعوت الله فولدت انساناً [أتسمّينه فيّ] قالت: نعم، قال: فإنّي أدعو الله فأتاها وقد ولدت فقال: سميه باسمي، فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، ولو سمّى نفسه لعرفته فسمته عبد الحارث(١).

وقال سعيد بن جبير: لما هبط آدم وحواء (عليهما السلام) الأرض أُلقيت الشهوة في نفس آدم فأصابها فحملت فلما تحرك ولدها في بطنها جاءها إبليس فقال ما هذا [ماترين] في الأرض إلاّ ناقة أو بقرة أو ضاينة أو [كاجزة] أو نحوها فما يدريك ما في بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو أذنك أو عينيك أو فيك أو يشق بطنك فيقتلك، فخافت حواء من ذلك قال: فأطيعيني وسميه عبد الحرث. وكان اسمه في الملائكة الحرث، تلدين شبيهكما مثلكما، فذكرت ذلك لأدم فقال: لعلّه صاحبنا الذي قد علمت، فعاودها إبليس فلم يزل بهما حتّى غرهما فسمّياه عبد الحرث(٢).

قال السدي: ولدت حواء غلاماً فأتاها إبليس فقال سموه بي وإلاّ قتلته، قال له آدم: قد أطعتك فأخرجتني من الجنّة، فأبى أن يطيعه فمات الغلام، فحملت بآخر فلما ولدته قال لهما مثل ذلك فأبيا أن يطيعاه، فمات الولد، فحملت بآخر فأتاهما وقال لهما: إذ غلبتماني فسمياه عبد الحرث، وكان اسم إبليس الحرث.

ولم يشعروا به فوالله لا أزال أقتلهم حتّى تسمياه عبد الحرث. كما قتلت الأول والثاني فسمياه عبد الحرث فعاش.

وقال ابن عباس: كانت حواء تلد لآدم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال: إن [وعدتكما] أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت ابناً فسمياه عبد الحرث ففيهما أنزل الله عزّ وجلّ ﴿**فلما أتاهما صالحاً**﴾ أي ولداً بشراً سوياً حياً آدمياً ﴿**جعلا له شركاء**﴾.

قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وأبان بن ثعلب وعاصم وعكرمة وأهل المدينة شركاء بكسر الشين والتنوين أي شركه.

قال أبو عبيدة: أي حظاً ونصيباً من غيره، وقرأ الباقون شركاء مضمومة الشين ممدودة على جمع شريك أخبر عن الواحد بلفظ الجمع، لقوله تعالى ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد**

---

(١) أُنظر تفسير القرطبي: ٧ / ٣٣٨.

(٢) تحفة الأحوذي: ٨ / ٣٦٧.

جمعوا لكم﴾[١] مفرداً، تم الكلام هاهنا ثمّ قال: **﴿فتعالى الله عما يشركون﴾** يعني أهل مكة.

واختلف العلماء في تأويل الشرك المضاف إلى آدم وحواء فقال المفسرون: كان شركاء في التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية.

وقال أهل المعاني: أنهما لم يذهبا إلى أن الحرث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحرث لكنهما قصدا إلى أن الحرث سبب نجاة الولد وسلامة أُمّه فسمياه، كما [يُسمى] ربّ المنزل، وكما يسمي الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له لا على أن الضيف ربّه.

كما قال حاتم:

وإنّي لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما فيّ إلاّ تلك من شيمة العبد[٢]

وقال قوم من أهل العلم: إن هذا راجع إلى المشركين من ذرية آدم وإن معناه جعل أولادهما له شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كقوله تعالى **﴿واسأل القرية﴾**[٣] وكما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تفريقهم بفعل آبائهم، فقال لليهود الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ: ثمّ اتخذتم العجل من بعده. وقال **﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾**. وقال سبحانه: **﴿فلم تقتلون أنبياء الله﴾**[٤] ونحوها، ويدل عليه ما روى معمر عن الحسن قال: عني بهذا من أشرك من ذرية آدم ولم يكن عنى آدم.

وروى قتادة عنه قال: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصّروا.

وقال ابن كيسان: هم الكفار جعلوا لله شركاء عبد العزى وعبد مناة.

وقال عكرمة: لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع بني آدم من بعد آدم.

قال الحسين بن الفضل: وهذا حجب إلى أهل النظر لما في القول الأول من إلصاق العظائم بنبي الله آدم (عليه السلام) ويدل عليه جمعه في الخطاب حيث قال: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾**، ثمّ قال: **﴿فلما تغشاها﴾** انصرف من ذلك الخطاب إلى الخبر يعني فلما تغشى الرجل منكم امرأته.

قال الله عزّ وجلّ: **﴿أيشركون﴾** يعني كفار مكة **﴿ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾** يعني الأصنام.

قال ابن زيد: ولد لآدم ولد فسمياه عبد الله فاتاهما إبليس فقال: ما سميتما ابنكما هذا؟

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) تاريخ دمشق: ١٦ / ٤٢١.

(٣) سورة يوسف: ٨٢.

(٤) سورة البقرة: ٩١.

قال: وكان ولد لهما قبل ذلك ولد سمياه عبد الله فمات فقالا: سميناه عبد الله، فقال إبليس: أتظنان أن الله تارك عبده عندكما لا [والله] ليذهبن كما ذهب الآخر، ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس.

فذلك قوله ﴿**أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون**﴾. الشمس لا تخلق شيئاً حتّى يكون لها عبداً إنّما هي مخلوقة قال: وقال رسول الله ﷺ «خدعهما مرتين خدعهما في الجنّة وخدعهما في الأرض» [٢٠٧][١].

والذي يؤيد القول الأول قراءة السلمي: أتشركون بالتاء.

﴿**ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم الى الهدى**﴾ يعني الأصنام ﴿**لا يتبعوكم**﴾ لأنها غير عاقلة ﴿**سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون**﴾ ساكتون ﴿**إن الذين تدعون من دون الله عباد**﴾ مخلوقة مملوكة مقدرة مسخرة ﴿**أمثالكم**﴾ أشباهكم ﴿**فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين**﴾ أنّها آلهة.

﴿**ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها**﴾ يأخذون بها ﴿**أم لهم أعين يبصرون بها أم آذان يسمعون بها قل أُدعو شركاءكم**﴾ يامعشر المشركين ﴿**ثمّ كيدوني**﴾ أنتم وهم ﴿**فلا تنظرون**﴾.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ﴿٢٠٦﴾

﴿**إن وليَّ الله الذي**﴾ يعني الذي [يحفاني] ويمنعني منكم الله ﴿**نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين * والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون * وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم**﴾ يامحمد يعني الأصنام ﴿**ينظرون إليك وهم لا يبصرون**﴾ وهذا كما يقول العرب: داري ينظر إلى دارك أي يقابلها.

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ١١٩.

ويقول العرب: إذا أتيت مكان كذا فنظر إليك الحمل فخذ يميناً وشمالاً أي: استقبلك.

وحدث أبو عبيدة عن الكسائي قال: الحائط ينظر إليك إذا كان قريباً منك حيث تراه. ومنه قول الشاعر:

إذا نظرت بلاد بني تميم بعين أو بلاد بني صباح[١]

وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: معناه: وتراهم كأنهم ينظرون إليك كقوله: ﴿وترى الناس سكارى﴾[٢] أي كأنهم سكارى وإنّما أُخبر عنهم بالهاء والميم، لأنّها مصوّرة على صورة بني آدم مخبرة عنها بأفعالهم.

﴿خذ العفو﴾ قال مجاهد: يعني العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تخميس.

قال ابن الزبير: ما أنزل الله تعالى هذه الآية إلاّ في أخلاق الناس.

وقال ابن عباس والسدي والضحاك والكلبي: يعني ماعفا لك من أموالهم وهو الفضل من العيال والكل فما أتوك به عفواً فخذه ولا تسألهم ما ذرأ ذلك.

وهذا قبل أن ينزل فريضة الصدقات. ولما نزلت آية الصدقات نسخت هذه الآية وأمر بأخذها منهم طوعاً وكرهاً ﴿وأمر بالعرف﴾ أي بالمعروف. قرأ عيسى بن عمر: العُرُف ضمتين مثل الحُلُم وهما لغتان والعرف المعروف والعارفة كل خلصة حميدة فرضتها العقول وتطمئن إليها النفوس. قال الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس[٣]

قال عطاء: وأمر بالعرف يعني لا إله إلاّ الله ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ أبي جهل وأصحابه نسختها آية السيف. ويقال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: «ما هذه؟ قال: لا أدري حتّى أسأل، ثمّ رجع فقال: يا محمد إن ربّك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك» [٢٠٨][٤]. فنظم الشاعر فقال:

مكارم الأخلاق في ثلاث من كملت فيه فذاك الفتى

إعطاء من يحرمه ووصل من يقطعه والعفو عمن عليه اعتدى

قال جعفر الصادق: «أمر الله تعالى نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية» [٢٠٩][٥].

---

(١) جامع البيان للطبري: ٩ / ٢٠٣.
(٢) سورة الحج: ٢.
(٣) لسان العرب: ١٤ / ١٤٣، والبيت للحطيئة.
(٤) جامع البيان للطبري: ٩ / ٢٠٧.
(٥) فتح الباري: ٨ / ٢٣٠.

قال النبيّ ﷺ: (رحمهما الله) [٢١٠][١].

وقالت عائشة: مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث. وصدق البأس في طاعة الله. وإعطاء السائل. ومكافأة الصنيع. وصلة الرحم. وأداء الأمانة. والتذمم للصاحب. والتذمم للجار وقرى الضيف ورأسهن الحياء[٢].

أنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد المذكور أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، أنشدنا ابن أبي [الدنيا] أنشدني أبو جعفر القرشي.

كل الأمور تزول عنك وتنقضي ... إلاّ الثناء فإنه لك باق
لو أنني خُيّرتُ كل فضيلة ... ما اخترت غير مكارم الأخلاق[٣]

قال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية قال النبيّ ﷺ: «كيف يارب [والغضب]» [٢١١] فنزل ﴿**وإمّا ينزغنّك من الشيطان**﴾ يعني يصيبنك ويفتننك ويغرنك ويعرض لك من الشيطان ﴿**نزغ**﴾ وأصله الولوع بالفساد والشر.

يقال نزغ عرقه إذا [جُنَّ] وهاج، وفيه لغتان: نزغ ونغز، يقال: إياك والنزاغ والنغاز وهم المورشون[٤].

وقال الزجاج: النزغ أدنى حركة تكون من الإنسان ومن الشيطان أدنى وسوسة، وقال سعيد ابن المسيب: شهدت عثمان وعلياً وكان بينهما نزغ من الشيطان فما أبقى واحد منهما لصاحبه شيئاً ثمّ لم يبرحا حتّى استغفر كل واحد منهما لصاحبه[٥] ﴿**فاستعذ بالله**﴾ فاستجر بالله ﴿**إنّه سميع عليم إن الذين اتقوا**﴾ يعني المؤمنين ﴿**إذا مسهم**﴾ أصابهم ﴿**طائف من الشيطان**﴾ قرأ النخعي وابن كثير وأبو عمرو والأعمش وابن يزيد والجحدري وطلحة: طيف، وقرأ الباقون: طائف، وهما لغتان كالميت والمائت، ومعناهما الشيء الذي [بكم بك][٦] وفرق قوم بينهما[٧].

فقال أبو عمرو: الطائف ما يطوف حول الشيء والطيف اللمة والوسوسة الخطرة. وقال بعض [المكيين]: الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللحم والمس. ويجوز أن يكون الطيف مخفّفاً عن طيّف مثل هيّن وليّن. يدل عليه قراءة سعيد بن جبير: طيّف بالتثقيل.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ١٠ / ١٩٢.
(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٢٧ ح ٣٦.
(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ٣٠، وفيه: غير محاسن الأخلاق.
(٤) التوريش: التحريش.
(٥) تفسير القرطبي: ٧ / ٣٤٧.
(٦) كذا في المخطوط.
(٧) راجع لسان العرب: ٢ / ٩١.

وقال ابن عباس: ﴿**إذا مسهم طائف من الشيطان**﴾ أي نزغ من الشيطان.

وقال الكلبي: ذنب. وقال مجاهد: هو الغضب.

﴿**تذكروا**﴾ وتفكروا وعرفوا، وقال أبو روق: ابتهلوا، وفي قراءة عبد الله بن الزبير: إذا مسهم طائف من الشيطان [فأملوا].

قال سعيد بن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ، ليث عن مجاهد: هو الرجل هم بالذنب فيذكر الله فيدعه. وقال السدي: معناه إذا زلوا تابوا. وقال مقاتل: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنها معصية فأبصرها ونزغ من مخالفة الله ﴿**فإذا هم مبصرون**﴾ ينظرون مواضع خطيئتهم بالتفكر والتدبر [يمرون] فيقصرون، فإنّ المتّقي مَنْ يشتهي [. . . . . . .][1] ويبصر فيقصر، ثم ذكر الكفار فقال ﴿**وإخوانهم يمدونهم في الغي**﴾ يعني إخوان الشيطان وهم الكفار يمدهم الشياطين في الغي حتى يطبلوا لهم ويزيدوهم في الضلالة.

وقرأ أهل المدينة: يمدونهم بضم الياء وكسر الميم وهما لغتان بمعنى واحد. وقرأ الجحدري بما دونهم على يفاعلونهم.

﴿**ثمّ لا يُقصرون**﴾ أي لا يشكون ولا ينزغون. وقال ابن زيد: لا يسأمون ولا يفترون.

قال ابن عباس: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا [الجن ممسك] عنهم.

وقرأ عيسى بن عمر: يَقصُرون بفتح الياء وضم الصاد وقصَر وأقصَر واحد ﴿**وإذا لم تأتهم**﴾ يامحمد يعني المشركين ﴿**بآية قالوا لولا اجتبيتها**﴾ أي هلاّ أقلعتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك، قاله قتادة، وقال مجاهد: لولا اقتضيتها وأخرجتها من نفسك.

وقال ابن زيد: لولا يقبلها [لجئت] بها من عندك.

وقال ابن عباس: لولا تلقيتها من عندك، أيضاً لولا حدثتها فأنشأتها. قال العوفي عن ابن عباس: [فنسيتها وقلتها][2] من ربّك.

وقال الضحاك: لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء، قال الفراء: تقول العرب: [جئت] الكلام وأخلقته وارتجلته وانتحلته إذا افتعلته من قبل نفسك.

قال ابن زيد: إنّما يقول العرب ذلك الكلام بتهدئة الرجل ولم يكن قبل ذلك أعده لنفسه ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**إنّما أتبع ما يُوحى إليّ من ربّي**﴾ ثمّ قال ﴿**هذا**﴾ يعني القرآن ﴿**بصائر**﴾ حجج وبيان وبرهان ﴿**من ربّكم**﴾ واحدتها بصيره. وقال الزجاج: طرق من ربكم، والبصائر طرق[3] الدم.

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) كذا في المخطوط.

(٣) جمعها طرائق.

قال الجعفي:

راحوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وآي[(١)]

تعدّوا عداوي وأصلها ظهور الشيء وقيامه واستحكامه حتّى يبصر الانسان فيهتدي إليها وينتفع بها، ومنه قيل: [ما لي في الأمر][(٢)] من بصيرة **﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا﴾** قال عبد الله بن مسعود: كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجاء القرآن: **﴿وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾** يعني في الصلاة وقال أبو هريرة: كانوا يتكلّمون في الصلاة فأتت هذه الآية وأُمروا بالإنصات.

وقال الزهري: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه، فنزلت هذه الآية.

وروى داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال: صلّى ابن مسعود فسمع ناساً يقرأون مع الإمام فلما انصرف قال: أما آن لكم أن تفقهوا، أما آن لكم أن تعقلوا **﴿وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وانصتوا﴾** كما أمركم الله[(٣)].

وروى الحريري عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدّثان والقارئ يقرأ فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر وتستوحيان الموعود، قال: فنظرا إلي ثمّ أقبلا على حديثهما، قال: فأعدت الثانية فنظرا لي فقالا: إنّما ذلك في الصلاة: **﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾**.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة[(٤)].

وقال الكلبي: وكانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حتّى يسمعون ذكر الجنّة والنار فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال قتادة: كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم في أول ما فرضت عليهم، وكان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم كم صليتم؟ كم بقي؟ فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[(٥)].

---

(١) الصحاح: ٢ / ٥٩٢، وتفسير القرطبي: ٧ / ٣٥٣ وفيه بدل راحوا: جاءوا، وفي تفسير الطبري(٧ / ٣٩٧): حملوا.

(٢) بياض في المخطوط، والظاهر ما أثبتناه.

(٣) راجع تفسير الدر المنثور: ٣ / ١٥٦.

(٤) راجع تفسير الطبري: ٩ / ٢١٧، ونصب الراية: ٢ / ٢١.

(٥) أسباب النزول للواحدي: ١٥٤.

وقال ابن عباس: إنّ رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتومة وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب: كان المشركون يأتون رسول الله ﷺ إذا صلّى فيقول بعضهم لبعض بمكّة: لا تستمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فأنزل الله جواباً لهم ﴿**وإذا قرئ القرآن**﴾.

قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وزيد بن أسلم، والقاسم بن يسار، وشهر بن حوشب: هذا في الخطبة أمر بالإنصات للإمام يوم الجمعة.

قال عبد الله بن المبارك: والدليل على حكم هذه الآية في [الجمعة] إنّك لا ترى خطيباً على المنبر يوم الجمعة يخطب، فأراد أن يقرأ في الخطبة آية من القرآن إلاّ قرأ هذه الآية قبل [فواة] قراءة القرآن.

قال الحسن: هذا في الصلاة المكتوبة وعند الذكر. وقال مجاهد وعطاء: وجب الإنصات في اثنين عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلّي وعند الإمام وهو يخطب.

وقال عمر بن عبد العزيز: الإنصات لقول كل واعظ والإنصات الإصغاء والمراعاة.

قال الشاعر:

قال الإمام عليكم أمر سيّدكم فلم نخالف وأنصتنا كما قالا[1]

وقال سعيد بن جبير: هذا في الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الإمام[2].

قال الزجاج: ويجوز أن يكون معنى قوله ﴿**استمعوا وانصتوا**﴾ اعملوا بما فيه لا تجاوزوه، لأن معنى قول القائل: سمع الله: أجاب الله دعاءك.

﴿**واذكر ربّك في نفسك**﴾ قال ابن عباس: يعني بالذكر القراءة في الصلاة ﴿**تضرّعاً**﴾ جهراً ﴿**وخفية**﴾ ﴿**ودون الجهر**﴾ دون رفع القول في خفض وسكوت يسمع من خلفك.

وقال أهل المعاني: واذكر ربّك اتعظ بالقرآن وآمن بآياته واذكر **ربّك** بالطاعة في ما يأمرك (تضرّعاً) تواضعاً وتخشّعاً (وخيفة) خوفاً من عقابه، فإذا قرأت دعوت بالله أي دون الجهر: خفاء لا جهار[3].

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ٣٥٤.
(٢) أسباب النزول للواحدي: ١٥٥.
(٣) تفسير الطبري: ٩ / ٢٢١.

وقال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكروه في الصدور. ويؤمر بالتضرع فى الدعاء والاستكانة.

ويكره رفع الصوت [والبداء] بالدعاء وأمّا قوله ﴿**بالغدو والآصال**﴾ فإنه يعني بالبكر والعشيات، واحد الآصال أصيل، مثل أيمان ويمين، وقال أهل اللغة: هو ما بين العصر إلى المغرب ﴿**ولا تكن من الغافلين * إن الذين عند ربّك**﴾ يعني الملائكة والمراد هو عند قربهم من الفضل والرحمة لا من حيث المكان والمعاقبة.

وقال الحسين بن الفضل: قد يعبد الله غير الملائكة في المعنى من عند ربّك جاءهم التوفيق والعصمة ﴿**لا يستكبرون**﴾ لا يتكبرون ولا يتعظمون ﴿**عن عبادته ويسبحونه**﴾ وينزهونه ويذكرونه ويقولون سبحان الله ﴿**وله يسجدون**﴾ يُصلّون.

مغيرة عن إبراهيم: إن شاء ركع وإن شاء سجد.

سورة الأنفال

مدنيّة، وهي خمسة الآف ومئتان وأربعة وتسعون حرفاً، وألف ومئتان وإحدى وثلاثون كلمة

زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أُمامة عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له وشاهد يوم القيامة أنّه بريء من النفاق وأُعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومُحي عنه عشر سيّئات ورُفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلّون عليه أيام حياتهِ في الدنيا» [٢١٢](١).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الآية قال ابن عباس: أن النبيّ ﷺ قال يوم بدر: «مَنْ أتى مكان كذا وكذا فله من الفضل كذا، ومَنْ قتل قتيلاً فله كذا، ومَنْ أسر أسيراً فله كذا» [٢١٣]، فلمّا التقوا سارع إليه الشبّان والفتيان وأقام الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات، فلمّا فتح الله على المسلمين جاءوا يطلبون ما جعل النبيّ ﷺ فقال لهم الأشياخ: كنّا ردءاً لكم ولو انهزمتم فلا تستأثروا علينا، ولا تذهبوا [بالغنائم دوننا].

وقام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري أخو بني سلمة فقال: يا رسول الله إنّك وعدت مَن قتل قتيلاً فله كذا ومَنْ أسر أسيراً فله كذا وإنّا قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين، فقام سعد بن معاذ فقال: والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادةً في الآخرة ولا جبن عن العدو لكن كرهنا أن يعرّي مصافك فيعطف عليه خيل من خيل المشركين فيصيبوك، فأعرض عنهما رسول الله ﷺ

(١) تفسير مجمع البيان: ٤ / ٤٢٢.

ثمّ عاد أبو اليسر بمثل مقالته وقام سعد بمثل كلامه وقال: يا رسول الله إنّ الناس كثير وإن الغنيمة دون ذلك وإن تعطِ هؤلاء التي ذكرت لا يبقَ لأصحابك كثير شيء فنزلت **﴿يسألونك عن الأنفال﴾** الآية. فقسّم رسول الله ﷺ بينهم بالسويّة(١).

وروى مكحول عن أبي أُمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا معاشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الفعل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسّمه بين المسلمين عن سواء على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلاح ذات البين.

وقال سعد بن أبي وقاص: نزلت في هذه الآية ذلك أنّه لمّا كان يوم بدر وقتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص بن أميّة وأخذت سيفه وكان يُسمّى ذا الكثيفة فأعجبني فجئت به النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول الله إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض فطرحته ورجعت وبي ما لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ من قتل أخي وأخذ بيدي قلت: عسى أن يعطي من لم يُبل بلائي فما جاوزت إلاّ قليلاً حتّى جاءني الرسول ﷺ وقد أنزل الله عزّ وجلّ: **﴿يسألونك عن الأنفال﴾** فخفت أن يكون قد نزل فيّ شيء، فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال: «يا سعد إنّك سألتني السيف وليس لي وإنّه قد صار(٢) ليّ فاذهب فخذه فهو لك» [٢١٤](٣).

وقال أبو [أُميّة] مالك بن ربيعة: أُصبت سيف ابن زيد يوم بدر وكان السيف يُدعى المرزبان فلمّا نزلت هذه الآية أمر رسول الله ﷺ الناس أن يردّوا ما في أيديهم من النفل فأقبلت به وألقيته في النفل وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئاً يسأله فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فسأله رسول الله ﷺ فأعطاه إيّاه.

وقال ابن جريج: نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً فاختلفوا فكانوا أثلاثاً فنزلت هذه الآية وملّكها الله رسوله يقسّمها كما أراه الله.

عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس [قال:] كانت المغانم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء وما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به فمن حبس منه إبرة أو ملكاً فهو غلول فسألوا رسول الله أن يعطيهم منها فأنزل الله عزّ وجلّ يسألونك يا محمد عن الأنفال أي حكم الأنفال وعلمها وقسمها.

(١) تفسير ابن كثير: ٢ / ٢٩٦ وأسباب النزول للواحدي، ونصب الراية: ٤ / ٢٩٧.
(٢) في تفسير ابن كثير: وهب لي.
(٣) تفسير الطبري: ٩ / ٢٣٠، وتفسير ابن كثير: ٢ / ٢٩٥.

وقيل: معناه يسألونك من الأنفال ﴿عن﴾ بمعنى (من).

وقيل: «من» صلة أي يسألونك الأنفال. وهكذا قرأ ابن مسعود بحذف ﴿عن﴾ وهو قول الضحاك وعكرمة.

والأنفال الغنائم واحدها نفل. قال لبيد:

إن تقوى ربّنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي والعجل[١]

وأصله الزيادة يقال: نفلتك وأنفلتك أي: زدتّك.

واختلفوا في معناها:

فقال أكثر المفسّرين: معنى الآية يسألونك عن غنائم بدر لمن هي.

وقال عليّ بن صالح بن حيي: هي أنفال السرايا[٢].

وقال عطاء: فأنشد من المشركين إلى المسلمين بغير قبال من عبد أو أمة أو سلاح فهو للنبي ﷺ يصنع به ما يشاء.

وقال ابن عباس: هي ما يسقط من المتاع بعدما يقسم من الغنائم فهي نفل لله ولرسوله.

وقال مجاهد: هي الخمس وذلك أنّ المهاجرين سألوا النبيّ ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس وقالوا: لِمَ يرفع منّا هذا الخمس، لِمَ يخرج منّا فقال الله تعالى: **﴿قل الأنفال لله والرسول﴾** يقسّمانها كما شاءا أو ينفلان فيها ما شاءا أو يرضخان منها ما شاءا.

واختلفوا في هذه الآية أهي محكمة أم منسوخة:

فقال مجاهد وعكرمة والسدي: هي منسوخة نسخها قوله **﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمُسَهُ وللرسول﴾**[٣] الآية.

وكانت الغنائم يومئذ للنبيّ ﷺ خاصّة فنسخها الله بالخمس.

وقال عبد الرحمن بن أيد: هي ثابتة وليست منسوخة وإنّما معنى ذلك قل الأنفال لله. وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة. وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيها ثمّ أنزل حكم الغنائم بعد أربعين آية فإنّ لله خُمسه ولكم أربعة أخماس.

وقال النبيّ ﷺ «هذا الخمس مردود على فقرائكم» [٢١٥][٤]، وكذلك يقول في تنفيل

---

(١) لسان العرب: ١١ / ٦٧٠.

(٢) تفسير الطبري: ٩ / ٢٢٥.

(٣) سورة الأنفال: ٤١.

(٤) مسند أحمد: ٢ / ١٨٤.

الأيام بعض القوم واقتفائه إياه ليلاً، وعلى هذه يفرق بين الأنفال والغنائم بقوله تعالى: ﴿**واتّقوا الله وأصحلوا ذات بينكم**﴾ وذلك حين اختلفوا في الغنيمة أمرهم بالطاعة والجماعة ونهاهم عن المفارقة والمخالفة.

قال قتادة وابن جريج: كان نبيّ الله ﷺ ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفّار إذا قتله وكان ينفل على قدر عنائه وبلائه حتّى إذا كان يوم بدر ملأ الناس أيديهم غنائم، فقال أهل الضعف: ذهب أهل القوّة بالغنائم فنزلت ﴿**قل الأنفال لله وللرسول فاتقوا الله وأصحلوا ذات بينكم**﴾ ليرد أهل القوّة على أهل الضعف فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرد بعضهم على بعض فأمرهم الله بالطاعة فيها فقال ﴿**وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾[(١)] واختلفوا في تأنيث ذات البين فقال أهل البصرة أضاف ذات البين وجعله ذات لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم المؤنث وبعضها يُذكر نحو الدار والحائط أنّث الدار وذكّر الحائط.

وقال أهل الكوفة: إنّما أراد بقوله ﴿**ذات بينكم**﴾ الحال التي للبين فكذلك ذات العشاء يريد الساعة التي فيها العشاء.

قالوا: ولم يضعوا مذكّراً لمؤنّث ولا مؤنّثاً لمذكّر إلاّ لمعنى به وقوله ﴿**إنّما المؤمنون**﴾ الآية يقول الله تعالى ليس المؤمنون من الذي يخالف الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم ﴿**الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم**﴾ فرقّت به قلوبهم وهكذا هو في مصحف عبد الله.

وقال السدي: هو الرجل يريد أن يهتم بمعصية فينزع عنه ﴿**وإذا تُليت**﴾ قُرئت ﴿**عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾ وقال ابن عباس: تصديقاً، وقال الضحاك: يقيناً. وقال الربيع بن أنس: خشية. وقال عمير بن حبيب وكانت له صحبة: إن للإيمان زيادة ونقصان، قيل: فما زيادته؟

قال: إذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته وإذا سهونا وقصّرنا وغفلنا فذلك نقصان.

وقال عدي بن عدي: كُتب إلي عمر بن عبد العزيز أن للإيمان سنناً وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان، ومَنْ لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، [قال عمر بن عبد العزيز: فإن أعش فسأُبينها لكم، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص][(٢)].

﴿**وعلى ربّهم يتوكّلون**﴾ أي يفوّضون إليه أُمورهم ويثّقون به فلا يرجون غيره ولا يخافون سواه والتوكل الفعل من الوكول ﴿**الذين يُقيمون الصلاة وممّا رزقناهم يُنفقون أُولئك هم المؤمنون حقّاً**﴾ أي حقّوا حقاً يعني يقيناً صدقاً. وقال ابن عباس: يقول برأوا من الكفر. وقال مقاتل: حقّاً لا شك في إيمانهم كشك المنافقين[(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري: ٩/ ٢٣٦.

(٢) مستدرك عن تفسير القرطبي: ٨ / ٢٩٨.

(٣) زاد المسير: ٣ / ٢١٧.

وقال قتادة: استحقّوا الإيمان بحق فأحقّه الله لهم. وقال ابن عباس: مَنْ لم يكن منافقاً فهو مؤمن حقّاً.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الله الرازي، قال: أخبرنا عليّ بن محمد بن عمير قال: إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا هشام بن عبيد الله قال: حدّثنا عبيد [الله هشام] بن حاتم عن عمرو بن [درّ] عن إبراهيم قال: إذا قيل لأحدكم أمؤمن أنت حقّاً، فليقل: إنّي مؤمن حقّاً فإن كان صادقاً فإنّ الله لا يعذّب على الصدق ولكن يثيب عليه.

فإن كان كاذباً فما فيه من الكفر أشد عليه من قوله له: إنّي مؤمن حقّاً. وقال ابن أبي نجيح: سأل رجل الحسن فقال: أمؤمن أنت؟

فقال: الإيمان إيمانان فإنّ كنتَ تسأل عن الإيمان بالله وملائكته وكُتبه ورُسله واليوم الآخر والجنّة والنار والبعث والحساب فأنا بها مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله ﴿**إنّما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**عند ربّهم**﴾ فوالله ما أدري أمنهم أنا أم لا.

وقال علقمة: كنّا في سفر فلقينا قوماً فقلنا: من القوم؟ فقالوا: نحن المؤمنون حقّاً، فلم ندرِ ما نجيبهم حتّى لقينا عبد الله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا فقال: فما رددتم عليهم؟ قلنا: لم نرد عليهم شيئاً.

قال: أفلا قلتم أَمِنْ أهل الجنّة أنتم؟ إن المؤمنين من أهل الجنّة.

وقال سفيان الثوري: مَنْ زعم أنّه مؤمن حقّاً أمن عند الله ثمّ [وجد] أنّه في الجنّة بعد إيمانه بنصف الآية دون النصف، ووقف بعضهم على قوله: ﴿**أُولئك هم المؤمنون**﴾.

وقال: تم الكلام هاهنا.

ثمّ قال: حقّاً له درجات فجعل قوله حقّاً تأكيداً لقوله ﴿**لهم درجات عند ربّهم**﴾ وقال مجاهد: أعمال رفيعة. وقال عطاء: يعني درجات الجنّة يرقونها بأعمالهم.

هشام بن عروة: يعني ما أعدّ لهم في الجنّة من لذيذ المأكل والمشارب وهني العيش. وقال ابن محيريز: لهم درجات سبعون درجة كلّ درجة لحافر الفرس الجواد المغير سبعين عاماً ﴿**ومغفرة**﴾ لذنوبهم ﴿**ورزق كريم**﴾ أي حسن]وعظيم وهوا[الجنّة.

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى

مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

﴿**كما أخرجك ربُّك من بيتك**﴾ اختلفوا في الجالب لهذه الكاف التي في قوله: كما، فإما الذي شبه[1] بإخراج الله نبيّه من بيته ﴿**بالحق**﴾ قال عكرمة: معنى ذلك فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن ذلك خير لكم كما كان إخراج الله تعالى محمد من بيته بالحق خيراً لكم وإن كرهه فريق منكم.

وقال مجاهد: كما أخرجك ربّك يا محمد من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه، أي أنّهم يكرهون القتال ويجادلونك فيه كما فعلوا ببدر.

وقال بعضهم: أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون.

وقيل: معناه يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا: أخرجت العير ولم تعلمنا قتالاً]فنسخطه[.

وقيل: معناه أُولئك هم المؤمنون حقّاً كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق.

وقال بعضهم: الكاف بمعنى (علىٰ) تقديره: أمض على الذي أخرجك ربّك.

قال ابن حيّان: عن الكلبي وقال أبو عبيدة: هي بمعنى القسم مجازها: الذي أخرجك من بيتك بالحق. وقيل: الكاف بمعنى (إذ) تقديره: وإذ أخرجك ربّك من بيتك بالمدينة إلى بدر بالحق[2].

﴿**وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون**﴾ لطلب المشركين ﴿**يُجادلونك في الحق**﴾ أي في القتال وذلك أن المؤمنين لمّا أيقنوا [الشوكة] والحرب يوم بدر وعرفوا أنّه القتال كرهوا ذلك وقالوا: يا رسول الله إنّه لم تعلمنا إنّا نلقي العدو فنستعد لقتالهم وإنّما خرجنا للعير فذلك جدالهم ﴿**من بعد ما تبيّن لهم**﴾ إنّك لا تصنع إلاّ ما أمر الله به.

---

(١) وتكون الكاف للتشبيه راجع تفسير القرطبي: ٧ / ٣٦٨.

(٢) راجع زاد المسير لابن الجوزي: ٣ / ٢١٨.

وقال ابن زيد: هؤلاء المشركون يجادلونه في الحق ﴿**كما يُساقون إلى الموت**﴾ [يعني] من يدعون للإسلام لكراهتهم إيّاه.

﴿**وهم ينظرون * وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم**﴾ الآية. قال ابن عباس وابن الزبير وابن يسار والسدي: أغار كرز بن جابر القرشي على سرح المدينة حتّى بلغ الصفراء فبلغ النبيّ ﷺ فركب في أثره فسبقه كرز فرجع النبيّ ﷺ فأقام سنة وكان أبو سفيان أقبل من الشام في عير لقريش فيها عمرو بن العاص وعمرو بن هشام ومخرمة بن نوفل الزهري في أربعين راكباً من كبار قريش وفيها تجارة عظيمة. وهي اللطيمة. حتّى إذا كان قريباً من بدر بلغ النبيّ ﷺ فندب أصحابه إليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلّة الجنود فقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله عزّ وجلّ ينفلكموها» [٢١٦] فخرجوا لا يُريدون إلاّ أبا سفيان والركب لا يرونها إلاّ غنيمة لهم وخفّ بعضهم وثقل بعض.

وذلك أنّهم كانو لم يظنّوا أنّ رسول الله ﷺ يُلقي حرباً فلمّا سمع أبو سفيان بمسير النبيّ ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه إلى مكّة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم وأصحابه.

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكّة وخرج الشيطان معه في صورة سراقة بن خعشم فأتى مكّة فقال: إنّ محمداً وأصحابه قد عرضوا لعيركم فلا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، فغضب أهل مكّة وانتدبوا وتنادوا لا يتخلف عنا أحد إلاّ هدمنا داره واستبحناه، وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتّى بلغ وادياً يقال له: وفران، فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عيرهم، فخرج رسول الله عليه السلام حتّى إذا كانوا بالروحاء أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم وبعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له من جهينة حليفاً للأنصار يدعى ابن الاريقط فأتاه بخبر القوم، وسبقت العير رسول الله ﷺ فنزل جبرئيل فقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إمّا العير وإمّا قريش، وكان العير أحب إليهم فاستشار النبيّ ﷺ أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال: وأحسن وقام عمر وقال وأحسن، ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله ونحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿**أذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون**﴾[1]، ولكن إذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكم مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك العماد لجالدنا معك من دونه حتّى نبلغه.

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليّ أيُّها الناس» [٢١٧].

وإنّما يُريد الأنصار، وذلك أنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنّا براء من ذمامك

---

(١) سورة المائدة: ٢٤.

حتّى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلى دارنا فأنت في ذمامنا فنمنعك ممّا نمنع عنه أبناءنا ونساءنا، وكان رسول الله ﷺ يتخوّف أن تكون الأنصار لا ترى عليها نصرته إلاّ على مَنْ داهمه بالمدينة من عدّوه فإن ليس عليهم أن يسيّرهم إلى عدوّهم من بلادهم، فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ فقال له سعد بن معاذ: والله كأنّك تُريدنا يا رسول الله؟

قال ﷺ: «أجل».

قال: فقد آمنّا بكَ وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله ما أردت فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضت لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن يلقانا بنا عدوّنا غداً إنّا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء لعل الله عزّ وجلّ يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله، ففرح بذلك النبيّ ﷺ ونشّطه قول سعد ثمّ قال: سيروا على بركة الله وابشروا فإنّ الله قد وعدكم إحدى الطائفتين. والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[1] وذلك قوله ﴿**وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم**﴾ أي الفريقين أحدهما أبو سفيان مع العير والأُخرى أبو جهل مع النفير ﴿**وتودّون**﴾ تُريدون ﴿**أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم**﴾ يعني العير التي ليس فيها قتال والشوكة الشدة والقوة وأصلها من الشوك ﴿**ويريد الله أن يحق الحق**﴾ أي يحققه ويعلنه ﴿**بكلماته**﴾ بأمره إيّاكم بقتال الكفّار ﴿**ويقطع دابر الكافرين**﴾ فيستأصلهم ﴿**ليُحقّ الحق**﴾ الإسلام ﴿**ويُبطل الباطل**﴾ الكفر.

وقيل: الحق القرآن والباطل الشيطان ﴿**ولو كره المجرمون**﴾ أي المشركون.

﴿**إذا تستغيثون ربكم**﴾ أي تستجيرون به من عدّوكم وتسألونه النصر عليهم، قال عمر ابن الخطاب. رضي الله عنه: لمّا كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى كثرة المشركين وقلّة المسلمين دخل العرش هو وأبو بكر واستقبل القبلة وجعل يدعو ويقول: اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني اللّهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، فلم يزل كذلك حتّى سقط رداؤه وأخذ أبو بكر رداءه وألقاه على منكبيه ثمّ التزمه من ورائه وقال: يانبي الله كفا مناشدتك ربّك فإن الله سينجز لك ما وعدك ﴿**فاستجاب لكم أنّي**﴾ أي بأنّي. وقرأ عيسى: إنّي بكسر الألف وقال إنّي ﴿**مُمدّكم**﴾ وزائدكم ومرسل إليكم مدداً ﴿**بألف من الملائكة مُردفين**﴾ قرأ أهل المدينة: مردفين بفتح الدال والباقون بكسره، لغتان متتابعين بعضهم في أثر بعض يقال: اردفه وردَفته بمعنى تبعته قال الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريّا ظننت بآل فاطمة الظنونا[2]

---

(١) بطوله متفرقاً في تفسير الطبري: ٩ / ١٤٥ . ٢٤٨، ودلائل البيهقي: ٣ / ١١٠.

(٢) تاج العروس: ٦ / ١١٥، وتفسير الطبري: ٩ / ٢٤٥.

أراد ردفت جاءت بعدها، لأن الجوزاء تطلع بعد الثريا ومن فتح فعلى المفعول، أي أردف الله المسلمين وجاءهم به فأمدّهم الله بالملائكة ونزل جبرئيل في خمسمائة مَلكَ مجنبة على الميمنة فيها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ونزل ميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ وهم في صورة الرجال عليهم ثياب بيض، وعمائم بيض أرخوا ما بين أكتافهم، فقاتلت الملائكة يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ولا يوم حنين ولا تقاتل أبداً إنّما يكونون حدداً أو مدداً.

وقال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يشتدّ في أثر رجل من المشركين إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت لفارس يقول قدم حيزوم ونظر إلى المشرك أمامه خرّ مسلتقياً، فنظر إليه فإذا هو قد حُطم وشُق وجهه كضربة السوط فجاء الرجل فحدّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين [٢١٨].

قال مجاهد: ما مُدّ النبيّ ﷺ فيما ذكر الله تعالى غير الألف من الملائكة ﴿**مردفين**﴾ التي ذكر الله في الأنفال وأمّا الثلاثة والخمسة فكانت بُشرى ﴿**وما جعله الله**﴾ يعني الامداد.

الفراء: يعني الأرداف.

﴿**إلاّ بُشرى ولتطمئنّ به قلوبكم وما النصر إلاّ من عند الله إنّ الله عزيز حكيم * إذ يغشيكم النعاس أمنة**﴾ قرأ مجاهد وابن كثير وأبو عمرو: يغشيكم بفتح الياء النعاس رفع على أن الفعل له واحتجّوا بقوله في سورة آل عمران ﴿**أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم**﴾[١] فجعل الفعل له.

وقرأ أهل المدينة يغشيكم بضم الياء مخففة على أن الفعل لله عزّ وجلّ ليكون موافقاً لقوله (وينزل وليطهركم) واحتجّوا بقوله تعالى ﴿**كأنّما أُغشيت وجوههم**﴾[٢].

وقرأ عروة بن الزبير والحسن وأبو رجاء وعكرمة والجحدري وعيسى وأهل الكوفة: يُغشّيكم بضمّ الياء مشدّداً.

فاختاره أبو عبيد وأبو حاتم: لقوله ﴿**فغشاها ما غشى**﴾[٣] والنعاس النوم تخفيف. وقال أبو عبيدة: هو ابتداء القوم: أمنة بفتح الميم قراءة العامّة، وقرأ أبو حياة وابن محيصن: أمنة بسكون الميم وهو مصدر قولك: أمنت من كذا أمناً وأمنة وأمانة وكلّها بمعنى واحد فلذلك نصب.

قال عبد الله بن مسعود: النعاس في القتال أمنة من الله عزّ وجلّ وفي الصلاة من الشيطان

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) سورة يونس: ٢٧.

(٣) سورة النجم: ٥٤.

﴿وينزّل عليكم من السماء ماء﴾ وذلك أن المسلمين نزلوا كثيباً أخضر ببدر يسوخ فيه الأقدم وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليه وأصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين وأصابهم الظمأ ووسوس لهم الشيطان فقال تزعمون أن فيكم نبي الله وأنّكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تُصلّون مجنبين ومحدثين فكيف ترجون أن يظفركم عليهم.

قال: فأرسل الله عزّ وجلّ مطراً سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضّأوا وسقوا الركاب وملؤوا الأسقية وأطفى الغبار ولبّد الأرض حتّى ثبّت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله ﴿وينزّل عليكم من السماء ماء ليُطهركم به﴾ من الأحداث والجنابة.

وقرأ سعيد بن المسيب: ليُطهركم بطاء ساكنة من أطهره الله ﴿ويُذهب عنكم رجز الشيطان﴾ أي وسوسة الشيطان.

وقرأ ابن محيصن: رجز بضم الراء. وقرأ أبو العالية: رجس بالسين والعرب تعاقب بين السين والزاء فيقول بزق وبسق.

والسراط والزراط والأسد والأزد ﴿وليربط على قلوبكم﴾ اليقين والصبر ﴿ويثبت به الأقدام﴾ حتّى لا يسرح في الرمل بتلبيد الأرض.

وقيل: بالصبر وقوّة القلب ﴿إذ يُوحي ربّك إلى الملائكة﴾ للذين أمدّ بهم المؤمنين ﴿أنّي معكم﴾ بالعون والنصر ﴿فثبّتوا الذين آمنوا﴾ أي نوّروا قلوبهم وصحّحوا عزائمهم وثباتهم في الجهاد، فقيل: إنّ ذلك المثبت بحضورهم الحرب معهم.

وقيل: معونتهم إياهم في قتال عدوهم، وقال أبو روق: هو أن الملك كان يشبّه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي الرجل من أصحاب النبيّ ﷺ فيقول: إنّي قد دنوت من المشركين فسمعتهم يقولون والله لئن حملوا علينا [لنكشفنّ].

فتحدّث بذلك المسلمون بعضهم بعضاً فيقوّي أنفسهم ويزدادون جرأة، قال ابن إسحاق والمبرد: فثبّتوا الذين آمنوا أي وآزروهم ﴿سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ ثمّ علّمهم كيف الضرب والقتل فقال ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ قال بعضهم: هذا الأمر متّصل بقوله: ﴿فثبّتوا الذين آمنوا﴾.

وقال آخرون: هو أمر من الله عزّ وجلّ للمؤمنين واختلفوا في قوله ﴿فوق الأعناق﴾ فقال عطيّة والضحاك: معناه: فاضربوا الأعناق لقوله ﴿إذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾[1].

---

(١) سورة محمد: ٤.

وقال رسول الله ﷺ: «لم أبعث لأعذب بعذاب الله وإنّما بُعثت لضرب الرقاب وشدّ الوثاق» [٢١٩].

وقال بعضهم: معناه: فاضربوا على الأعناق، (فوق) بمعنى على. وقال عكرمة: معناه فاضربوا الرؤوس فوق الأعناق. وقال ابن عباس: معناه واضربوا فوق الأعناق أي على الأعناق، نظيره قوله ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾[١] أي اثنتين فما فوقهما.

﴿واضربوا منهم كلّ بنان﴾ قال عطيّة: يعني كل مفصل.

وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك: يعني الأطراف والبنان جمع بنانه، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين واشتقاقه من أَبَنَ بالمقام إذا قام به[٢].

قال الشاعر:

ألا ليتني قطعت منه بنانه ولاقيته في البيت يقظان حاذراً[٣]

وقال يمان بن رئاب: ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ يعني الصناديد ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ يعني السفلة، والصحيح: القول الأوّل. قال أبو داود المازني وكان شهد بدراً: اتّبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يديّ قبل أن يصل سيفي فعرفت أنّه قتله غيري.

وروى أبو أُمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيت يوم بدر وأن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وقال ابن عباس: حدثني رجل عن بني غفار قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتّى صعدنا في جبل ليشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الواقعة على مَنْ يكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب.

قال: فبينما نحن في الجبل إذ دنت منّا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل. فسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم[٤] قال فأمّا ابن عمّي فانكشف قناع قلبه فمات أمّا أنا فكدت أهلك ثمّ تماسكت.

وقال عكرمة: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمتْ أم الفضل وأسلمتُ وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلّف

---

(١) سورة النساء: ١١.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ٢ / ٣٠٥.

(٣) البيت لعباس بن مرادس كما في اللسان: ١٣ / ٥٩.

(٤) هو اسم فرس جبرائيل.

عن بدر فقد بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا لم يتخلّف رجل إلاّ بعث مكانه رجلا فلمّا جاء الخبر عمّا أصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوّة وحزماً فكان رجلاً ضعيفاً قال: وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم فوالله إنّي لجالس فيها أنحت الأقداح وعندي أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاء من الخبر إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتّى جلس على طنب الحجرة وكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم، فقال أبو لهب: هلم إلي يابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس، قال: لا شيء والله كأن الآن لقينا فمنحناهم أكتافاً يقتلون ويأسرون كيف شاؤوا وأيم الله مع تلك ما لمّت الناس:

لقينا رجالاً بيضاً على خيل [معلّق] بين السماء والأرض [ما تليق] شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طرف الحجرة بيدي ثمّ قلت: تلك الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فناورته فاحملني فضرب بي الأرض، ثمّ برك عليّ فضربني وكنت رجلا ضعيفاً فقامت أم الفضل الى عمود من عمد البيت فأخذته فضربته ضربة فلقت رأسه شجة منكرة وقالت: تستضعفه أن غاب عنه سيّده، فقام مولّياً ذليلاً فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتّى رماه الله بالعدسة[1] فقتله.

ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفناه حتّى أنتن في بيته، وكانت قريش تتقي العدسة كما تتّقي الناس الطاعون حتّى قال لهما رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أنَّ أباكما قد أنتن في بيته لا تغسّلانه فقالا: إنّا نخشى هذه القرحة، قال: فانطلقا فإنّا معكما فما غسلوه إلاّ قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسّونه ثمّ حملوه فدفنوه بأعلى مكّة إلى جدار وقذفوا عليه الحجارة حتّى واروه[2].

وروي مقسّم عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعاً وكان العباس رجلا جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: يا أبا اليسر كيف أسرت العباس؟

فقال: يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا، قال رسول الله ﷺ: لقد أعانك عليه مَلَك كريم[3].

﴿ذلك بأنّهم شاقوا الله﴾ خالفوا الله **﴿ورسوله ومَنْ يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد**

---

(١) العدسة: حبة تشبه العدسة تخرج على الجسد من جنس الطاعون تقتل غالباً.

(٢) مستدرك الصحيحين: ٣ / ٣٢٢، ومجمع الزوائد: ٦ / ٨٩.

(٣) جامع البيان للطبري: ٤ / ١٠٣.

العقاب﴾ أي هذا العقاب الذي أعجلته لكم أيّها الكفّار **﴿فذوقوه﴾** عاجلا **﴿وأن للكافرين﴾** في المعاد **﴿عذاب النار﴾** وفي فتح (أن) وجهان من الإعراب أحدهما الرفع والأخر النصب:

فأمّا الرفع فعلى تقدير ذلكم تقديره: ذلكم يذوقوه، وذلك أن للكافرين عذاب النار.

وأمّا النصب فعلى وجهين: أحدهما: بمعنى فعل مضمر: ذلكم فذوقوه وأعلموا وأيقنوا أن للكافرين.

والأخر بمعنى: وما للكافرين فلما حذف الياء نصب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٨) إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾

﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً﴾ أي]مخفقين[متزاحفين بعضكم إلى بعض والتزاحف التداني والتقارب.

قال الأعشى:

لمن الضعائن سيرهن زحيف   عرم السفين إذا تقاذف مقذف

والزحف مصدر ولذلك لم يجمع كقولهم: قوم عدل ورضى **﴿فلا تولّوهم الأدبار﴾** يقول: فلا تولّوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم **﴿ومَنْ يولهم يومئذ دبره﴾** ظهره وقرأ الحسن ساكنة **﴿إلاّ مُتحرّفاً لقتال﴾** أي متعطّفاً مستطرداً لقتال عدوّه بطلب عورة له تمكنه إصابتها فيكرّ عليه(١).

﴿أو متحيّزاً﴾ منضمّاً صابراً **﴿إلى فئة﴾** جماعة من المؤمنين يفيئون به بسهم الى القتال **﴿فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير﴾** واختلف العلماء في حكم قوله **﴿ومَنْ يولّهم يومئذ دبره﴾** الآية هل هو خاص في أهل بدر أم هو في المؤمنين جميعاً.

فقال أبو سعيد الخدري: إنّما كان ذلك يوم بدر خاصة لم يكن لهم أن ينحازوا ولو

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ٢٦٥.

انحازوا إلى المشركين، ولم يكن يومئذ في الأرض مسلم غيرهم ولا للمسلمين فيه غير النبيّ ﷺ فأمّا بعد ذلك فإنّ المسلمين بعضهم فئة لبعض ممثّلة، قاله الحسن والضحاك وقتادة.

قال يزيد ابن أبي حبيب: أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار.

فقال ﴿**مَنْ يولهم يومئذ دبره**﴾ الآية. فلمّا كان يوم أُحد بعد ذلك قال: ﴿**إنّما أستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم**﴾[1] ثمّ كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين. فقال: ﴿**ثمّ وليتم مدبرين ثمّ يتوب الله من بعد ذلك على مَنْ يشاء**﴾[2]. وقال عطاء بن أبي رباح: هذه الآية منسوخة بقوله ﴿**الآن خفّف الله عنكم**﴾[3] الآية فليس لقوم أن يفروا من مثليهم فنسخت تلك الآية إلاّ هذه العدّة.

وقال الكلبي: من قبل اليوم مقبلاً أو مدبراً فهو شهيد ولكن سبق المقبل المدبر الى الجنة.

وروي جرير عن منصور عن إبراهيم قال: انهزم رجل من القادسية فأتى المدينة الى عمر. فقال: يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ أنا فئتك[4].

وقال محمد بن سيرين: لمّا قُتل أبو عبيد جاء الخبر إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال لو أنحاز إليّ فكنت له فئة [فأنا فئة] كل مسلم[5].

عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال: كنّا في مُصيل بعثنا رسول الله ﷺ فخاض الناس خيضة فانهزمنا وكنّا نفر، قلنا نهرب في الأرض حياءً ممّا صنعنا فدخلنا البيوت. ثمّ قلنا: يا رسول الله نحن الفارون. قال رسول الله ﷺ «بل أنتم الكرارون وإنّا فئة المسلمين» [٢٢٠][6].

وقال بعضهم: بل حكمنا عام في كل من ولى عن العدو وفيهم مَنْ روى ما قال رسول الله ﷺ لبعض أهله: «[إياك والفرار] من الزحف فإن هلكوا فاثبتوا فما [. . . .][7] إلاّ على إرتكاب الكبائر وإلاّ الشرك بالله والفرار من الزحف لأن الله تعالى يقول ﴿**ومن يولهم يومئذ دبره**﴾.» الآية.

﴿**فلم تقتولهم ولكن الله قتلهم**﴾ الآية فقال أهل التفسير والمغازي لمّا ورد رسول الله ﷺ

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٥.
(٢) سورة التوبة: ٢٥ ـ ٢٧.
(٣) سورة الأنفال: ٦٦.
(٤) تفسير القرطبي: ٧ / ٣٨٣.
(٥) المصدر السابق.
(٦) بدائع الصنائع: ٧ / ٩٩، والبداية والنهاية: ٤ / ٢٨٣.
(٧) كلام غير مقروء ولم نجده في المصادر.

بدراً قال: «هذه مصارع القوم إن شاء الله»، فلمّا طلعوا عليه قال رسول الله ﷺ: «هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك، اللّهمّ إنّي أسألك ما وعدتّني فأتاه جبرئيل وقال: خذ حفنة من تراب فارمهم بها» [٢٢١].

فقال رسول الله ﷺ لمّا التقى الجمعان لعلّي رضي الله عنه: «أعطني قبضة من حصا الوادي» فناوله من حصى عليه تراب فرمى رسول الله ﷺ به في وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه».

فلم يبق مشرك إلاّ دخل في عينه وفمه ومنخريه منها شيء ثمّ ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب الهزيمة[١].

وقال حكيم بن حزام: لمّا كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء كأنّه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا.

وقال قتادة وابن زيد: ذكر له أنّ رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى حصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم.

وقال: «شاهت الوجوه» فانهزموا [٢٢٢][٢].

الزهري عن سعيد بن المسيب قال: نزلت هذه الآية في قتل أُبي بن كعب الجمحي. وذلك أنّه أتى رسول الله ﷺ بعظم حائل وهو يفتّه فقال: يا محمد الله يُحيي هذا وهو رميم؟

فقال النبيّ ﷺ: يحيه الله ثمّ يميتك ثمّ يدخلك النار فلمّا كان يوم بدر أسره ثمّ فدي، فلمّا افتدي قال لرسول الله ﷺ: إن لي فرساً أعلفها كل يوم [فرق] ذرة لكي أقتلك عليها، فقال رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلمّا كان يوم أُحُد أقبل أُبيّ بن خلف يركض بفرسه ذلك حتّى دنا من رسول الله ﷺ فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «استاخروا» [٢٢٣]، فاستأخروا فقام رسول الله ﷺ بحربة في يده فرمى بها أُبي بن خلف فكسرت الحربة ضلعاً من أضلاعه فرجع أبي إلى أصحابه ثقيلا فاحتملوه وطفقوا يقولون: لا بأس، فقال أُبي: والله لو كانت الناس لقتلهم، ألم يقل إني أقتلك إن شاء الله، فانطلق به أصحابه ينعونه حتّى مات ببعض الطريق فدفنوه ففي ذلك أنزل الله هذه الآية ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ الآية[٣].

وروى صفوان بن عمرو عن عبد العزيز بن [جبير] أنّ رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس

(١) تفسير الطبري: ٩ / ٢٧٠ ـ ٢٧١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الطبقات الكبرى: ٢ / ٤٦.

فأُتي بقوس طويلة فقال: جيئوني بغيرها، فجاءوا بقوس كبداء فرمى النبيّ ﷺ الحصن فأقبل السهم يهوي حتّى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو على فراشه فأنزل الله تعالى: **﴿وما رميت إذ رميت﴾** فهذا سبب نزول الآية[١].

فأمّا معناها فإن الله تعالى أضاف القتل والرمي إلى نفسه لأنّه كان منه تعالى التسبيب والتسديد ومن رسوله والمؤمنين الضرب والحذف. وكذلك سائر أفعال الخلق المكتسبه من الله تعالى الإنشاء والايجاد بالقدرة القديمة التامّة ومن الخلق الاكتساب بالقوى المحدثة، وفي هذا القول دليل على ثبوت مذهب أهل الحق وبطلان قول القدريّة.

وقيل: إنّما أضافها إلى نفسه لئلاّ يعجب القوم.

قال مجاهد: قال هذا: قتلت، وقال هذا: قتلت، فأنزل الله هذه الآية.

وقال الحسن: أراد فلم تُميتموهم ولكن الله أماتهم وأنتم جرحتموهم لأن إخراج الروح إليه لا إلى غيره.

قال **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** أي [قتل] يبلغ إلى المشركين بها وملأ عيونهم منها.

وقال ابن إسحاق: ولكن الله رمى أي لم يكن ذلك رميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك وما ألقى في صدور عدوك منها حتّى هزمهم.

وقال أبو عبيده: تقول العرب: رمى الله لك، أي نصرك. قال الأعمش: **﴿ولكن الله رمى﴾** أي وفّقك وسدّد رميتك[٢].

﴿وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً﴾ أي ولينعم على المؤمنين نعمه عظيمة بالنصر والغنيمة والأجر والثواب.

وقال ابن إسحاق: ليعرف المؤمنين نعمة نصرهم وإظهارهم على عدوهم مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا نعمه **﴿إن الله سميع﴾** لإقوالهم **﴿عليم﴾** بأفعالهم سميع بأسرارهم عليم بإضمارهم **﴿ذلكم﴾** يعني: ذكرت من القتل والرمي والأجل الحسن **﴿وأنّ**

---

(١) أسباب النزول: ١٥٦، وتفسير ابن كثير: ٢ / ٣٠٨.

(٢) أقول هذا حاصل من الآية، إنما الآية تريد أن تنزل ضربة الرسول الأعظم منزلة ضربة الباري عز وجل، ففي عين أن الرسول هو الرامي الله تعالى هو الرامي، وهو في قوة الحديث القدسي المشهور: «لايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل [والعبادات] حتى أُحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» راجع غوالي اللئالي: ١٠٣/٤ ح ١٥٢، وكنز العمال: ٢٢٩/١ ح ١١٥٥.

الله﴾ أي: وأعلموا أن الله، وفي فتح **﴿أن﴾** من الوجوه ما في قوله تعالى **﴿ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار﴾** [وقد بيناه هناك][(١)].

﴿موهن﴾ مضعف **﴿كيد الكافرين﴾** قرأ الحجازي والشامي والبصري: موهّن بالتشديد والتنوين (كيد) نصباً وقرأ أكثر أهل الكوفة (موهن) بالتخفيف والتنوين (كيد) نصباً واختاره أبو عبيد وأبو حاتم.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن محيصن و]الأعمش[وحفص: موهن كيد، مخفّفة مضافة بالجر فمن نوّن معناه: وهن، ومَنْ خفّف وأضاف قصر الخفّة كقوله **﴿مرسلو الناقة﴾**[(٢)] و**﴿كاشفو العذاب﴾**[(٣)] ووهن وأوهن لغتان صحيحتان فصيحتان **﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾** وذلك أنّ أبا جهل قال يوم بدر: اللّهمّ أينا كان أفجر وأقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فانصرنا عليه، فاستجاب الله دعاءه وجاء بالفتح وضربه ابنا عفراء: عوف ومسعود، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود[(٤)].

وقال السدي والكلبي: كان المشركون حين خرجوا الى النبيّ ﷺ من مكّة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللّهمّ انصرنا على الحزبين وأهدى القبتين وأكرم الجندين وأفضل الدينين فأنزل الله هذه الآية.

وقال عكرمة: قال المشركون اللّهمّ لا نعرف ما جاء به محمد فأفتح بيننا وبينه بالحق فأنزل الله تعالى **﴿وإن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾** أي أن تستقضوا فقد جاءكم القضاء.

وقال أُبي بن كعب وعطاء الخراساني: هذا خطاب أصحاب رسول الله قال الله للمسلمين: **﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾** أي تستنصروا الله وتسألوه الفتح فقد جاءكم الفتح أي بالنصرة.

وقال حبّاب بن الارت: شكونا الى رسول الله عليه السلام فقلنا: لا تستنصر لنا، فاحمر وجهه وقال: «كان الرجل قبلكم يؤخذ ويحفر له في الأرض، ثمّ يجاء بالمنشار فيقطع بنصفين ما يصرفه عن دينه شيء، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه عن دينه، ولُيتِمنَّ الله هذا الأمر حتّى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ولا يخشى إلاّ الله عزّ وجلّ والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون» [٢٢٤][(٥)].

---

(١) عبارة المخطوط غير مقروء والظاهر ما أثبتناه، وهو موافق لما في تفسير الطبري الحرف بالحرف: ٩ / ٢٧٣.

(٢) سورة القمر: ٢٧.

(٣) سورة الدخان: ١٥.

(٤) تفسير الطبري: ٩ / ٢٧٤.

(٥) مسند أحمد: ٥ / ١٠٩، والمعجم الكبير: ٤ / ٦٣.

ثمّ قال للكفّار ﴿**وإن تنتهوا**﴾ عن الكفر بالله وقتال نبيّه ﷺ ﴿**فهو خير لكم وإن تعودوا**﴾ لقتاله وحربه ﴿**نعد**﴾ بمثل الواقعة التي أوقعت لكم يوم بدر(١).

وقيل: وإن تعودوا إلى هذا القول وقتال محمد ﷺ ﴿**ولن تُغني عنكم فِئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين**﴾ [قرأ] أهل المدينة والشام: ﴿**وأن الله**﴾ بفتح الألف، والمعنى: ولأن الله، وقيل: هو عطف على قوله ﴿**وأنّ الله موهن كيد الكافرين**﴾.

وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف، واختلفوا فيه وقراءة أبي حاتم (لأن) في قراءة عبد الله: والله مع المؤمنين.

﴿**يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولّوا عنه**﴾ ولا تدبروا عن رسول الله ﷺ ﴿**وأنتم تسمعون**﴾ أمره وليّه.

قال ابن عباس: وأنتم تسمعون القرآن ومواعظه ﴿**ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا**﴾ يعني المنافقين والمشركين الذين سمعوا كتاب الله بآذانهم فقالوا سمعنا ﴿**وهم لا يسمعون**﴾ يعني لا يتّعظون بالقرآن ولا ينتفعون بسماعهم وكأنهم لم يسمعوا الحقيقة.

۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿**إن شر الدواب**﴾ يعني أن شرّ [الدواب] على وجه الأرض من خلق الله ﴿**عند الله**﴾ فقال الأخفش: كل محتاج إلى غذا فهو دابة.

﴿**الصُمُّ البُكمُ**﴾ عن الحق كأنّهم لا يسمعون ولا ينطقون.

قال ابن زيد: هم صم القلوب وبكمها وعميها. وقرأ ﴿**فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾(٢).

وقال ابن عباس وعكرمة: هم بنو عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صُمٌّ بُكم عُمّي عن

(١) راجع تفسير القرطبي: ٧ / ٣٨٧.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

مخاطبة محمد لا نسمعه ولا نجيبه،[فكانوا] جميعاً [بأُحد]، وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم إلاّ رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ﴿**الذين لا يعقلون**﴾ أمر الله ﴿**ولو علم الله فيهم خيراً**﴾ صدقاً وإسلاماً ﴿**لأسمعهم**﴾ لرزقهم الفهم والعلم بالقرآن ﴿**ولو أسمعهم لتولوا**﴾ عن القرآن ﴿**وهم معرضون**﴾ عن الإيمان بالقرآن لعلم الله فيهم وحكمه عليهم بالكفر ﴿**يا أيها الذين آمنوا أستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ اختلفوا في قوله (لما يُحييكم):

فقال السدي: هو الإيمان يحييهم بعد موتهم أي كفرهم. وقال مجاهد: للحق. وقال قتادة هو هذا القرآن فيه الحياة والفقه والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة.

وقال ابن إسحاق: لما يحييكم يعني الحرب والجهاد التي أعزكم الله بها بعد الذل. وقوّاكم بها بعد الضعف ومنعكم بها عن عدوكم بعد القهر منهم لكم.

وقال [القتيبي]: لمّا يحييكم: لما يُتقيكم، يعني الشهادة. وقرأ قوله ﴿**بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾(١) فاللام في قوله (لما) بمعنى إلى ومعنى الاستجابة في هذه الآية الطاعة يدلُّ عليه ما روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: مرّ رسول الله ﷺ على أُبي بن كعب وهو قائم يصلّي فصاح له فقال: «تعال إلي»، فعجل أُبي في صلاته ثمّ جاء الى رسول الله ﷺ فقال: «ما منعك يا أُبي أن تُجيبني إذا دعوتك؟ أليس الله يقول يا ايُّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم».

قال: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلاّ أجبتك وإن كنت مصلياً.

قال: «تحب أن أُعلمّك سورة لم تنزل في التوارة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها»؟

قال أُبي: نعم يا رسول الله.

قال: «لا تخرج من باب المسجد حتّى تعلمها» والنبيّ ﷺ يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أُبي: يا رسول الله، فوقف فقال: «نعم كيف تقرأ في صلاتك» فقرأ أُبي أُمّ القرآن فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أُنزلت في التوارة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن(٢) [مثلها] وإنّها لهي السبع المثاني التي أتاني الله عزّ وجلّ»(٣)[٢٢٥].

﴿**واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه**﴾ قال سعيد بن جبير: معناه يحول بين الكافر أن يؤمن وبين المؤمن أن يكفر.

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٢) وهي سورة الفاتحة.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: ٢ / ٣٧٦.

ابن عباس: بين الكافر وبين طاعته ويحول بين المؤمن وبين معصيته.

وقال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يفعل، وروى خصيف عنه قال: يحول بين قلب الكافر وبين أن يعمل خيراً.

وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلاّ بإذنه.

وقال قتادة: معنى ذلك أنّه قريب من قلبه ولا يخفى عليه شيء أظهره أو أسره. وهي كقوله عزّ وجلّ **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾**(١).

وقيل: هو أن القوم لما دعوا إلى القتال في الحال الصعبة جاءت ظنونهم واختلجت صدروهم فقيل [فيهم] **﴿قاتلوا في سبيل الله﴾**(٢) وأعلموا أن الله يحول بين المرء وبين ما في قلبه فيبدّل الخوف أمناً والجُبن جُرأة(٣).

وقيل: يحول بينه وبين مراده، لأن الأجل حال دون الأمل. والتقدير منع من التدبير.

وقرأ الحسن: بين المرء، وبتشديد الراء من غير همزة.

وقرأ الزهري: بضم الميم والهمزة وهي لغات صحيحة.

﴿وانّكم إليه تُحشرون﴾ ويجزيكم بأعمالكم.

قال أنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك، قلنا: يا رسول الله أمنّا بك فهل تخاف علينا؟

قال: «إن قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبه كيف شاء إن شاء أقامة وإن شاء أزاغة» [٢٢٦](٤).

والإصبع في اللغة الأثر الحسن، فمعنى قوله: بين إصبعين: بين أثرين من أثار الربوبية وفيها الإزاغة والإقامة.

قال الشاعر:

صلاة وتسبيح والخطأ نائل   وذو رحم تناله منك إصبع

أي أثر حسن.

وقال آخر:

---

(١) سورة ق: ١٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٧.

(٣) تفسير القرطبي: ٧ / ٣٩١.

(٤) جامع البيان للطبري: ٣ / ٢٥٦.

مَنْ يجعل الله عليه اصبعاً في الشر أو في الخير يلقه معاً

فالإصبع أيضاً في اللغة الإصبع.

فمعنى الحديث بين مملكتين من ممالكه، وبين الإزاغة والإقامة والتوفيق والخذلان.

قال الشاعر:

حدّثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع[١]

﴿**واتّقوا فتنةً**﴾ أي اختبار وبلاء يصيبكم.

وقال ابن زيد: الفتنة الضلالة ﴿**لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة**﴾ واختلفوا في وجه قوله ﴿**لا تصيبن**﴾ من الاعراب.

فقال أهل البصرة: قوله (لا تصيبن) ليس بجواب ولكنّه نهي بعد أمره، ولو كان جواباً ما دخلت النون.

وقال أهل الكوفة: أمرهم ثمّ نهاهم وفيه تأويل الجزاء فإن كان نهياً كقوله: ﴿**يا أيُّها النمل ادخلوا مساكنكم لايُحطّمنكم**﴾[٢]. أمرهم ثمّ نهاهم، وفيه تأويل الجزاء وتقديره: واتقوا الله إن لم تنتهوا أصابتكم.

وقال الكسائي: وقعت النون في الجر بمكان التحذير، فلو قلت: قم لا أغضب عليك لم يكن فيه النون لأنّه جزاء محض.

وقال الفراء: هو جزاء فيه طرف من النهي كما تقول: أنزل عن الدابة لا يطرحك. ولا يطرحنك فهذا [جزاء من] الأمر بلفظ النهي. ومعناه: إن تنزل عنه لا يطرحنّك.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أصحاب النبيّ ﷺ خاصة. وقال: أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب.

وقال الحسن: نزلت في عليّ وعمار وطلحة والزبير قال الزبير بن العوّام: يوم الجمل لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أرنا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها.

واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة. فحلفنا حتّى أصابتنا خاصّة. قال السدي: هذه الآية نزلت في أهل بدر خاصّة فأصابتهم يوم الجمل فأقبلوا.

وقال عبد الله بن مسعود ما منكم من أحد إلاّ هو مشتمل على الفتنة إنّ الله يقول: ﴿**إنّما**

(١) البيت أنشده أبو عبيد للكلابي كما في اللسان: ١٣ / ١٤٤، وتاج العروس: ٩ / ١٩٤.

(٢) سورة النمل: ١٨.

أموالكم وأولادكم فتنة﴾[١] فإيّكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلاّت الفتن.

حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون من ناس من أصحابي إساءة يغفرها الله لهم بصحبتهم إياي يستنّ بهم فيها ناس يعذبهم فيدخلهم الله بها النار» [٢٢٧][٢].

يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريره قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتّى تأتي فتنة [عمياء مظلمة] المضطجع فيها خير من الجالس والجالس فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي»[٣].

فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله إن أدركتني [وأنا مضطجع] قال: «فامش».

قال: أفرأيت إن أدركتني وأنا أمشي. قال «ارقد» قال: أفرأيت إن أدركتني وأنا راقد فأجلس. قال: أفرأيت إن أدركتني وأنا جالس.

قال: «فقل هكذا بيدك، وضم يديه الى جسده، حتّى تكون عند الله المظلوم ولا تكون عند الله الظالم» [٢٢٨].

عن زيد بن أبي زياد عن زيد بن الأصم عن حذيفه قال: أتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع وكل خطيب مشفع **﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾** في العدد **﴿مستضعفون في الأرض﴾** أرض مكّة في عنفوان الإسلام **﴿تخافون أن يتخطّفكم﴾** يُذهب بكم **﴿الناس﴾** كفّار مكّة، وقال وهب: فارس والروم **﴿فآواكم﴾** إلى المدينة **﴿وأيّدكم بنصره﴾** يوم بدر أيدكم بالانتصار وأُمدّكم بالملائكة **﴿ورزقكم من الطيّبات﴾** يعني الغنائم أجالها لكم ولم يجلها لأحد قبلكم **﴿لعلّكم تشكرون﴾**.

قال قتادة: كان هذا الحي من العرب أذلّ الناس ذلاً وأشقاهم عيشاً وأجوعهم بطناً وأغراهم جلوداً وآمنهم ضلالا، من عاش منهم عاش شقياً ومن مات منهم ردى في النار مكعوبين على رأس الحجرين الأشدين فارس والروم.

يؤكلون ولا يأكلون وما في بلادهم شيء عليه يحسدون، والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا شر منزلاً منهم حتّى جاء الله عزّ وجلّ بالاسلام فمكن في البلاد ووسع به في الرزق وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس.

---

(١) سورة الأنفال: ٢٨.

(٢) مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٤.

(٣) إلى هنا في مسند أحمد: ٥ / ٣٩.

وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا لله نعمه، فإن ربكم منعم يجب الشكر له [وأجمل] الشكر في مزيد من الله تعالى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ قال عطاء ابن أبي رباح: حدّثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكّة فأتى جبرئيل (عليه السلام) النبيّ ﷺ فقال: إنّ أبا سفيان في مكان كذا وكذا.

فقال النبيّ ﷺ لأصحابه: «إنّ أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا» [٢٢٩] قال: فكتب رجلا من المنافقين إليه أن محمداً يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله تعالى الآية[١].

وقال السدي: كانوا يسمعون الشيء من النبيّ ﷺ فيفشونه حتّى بلغ المشركين.

وقال الزهري والكلبي: نزلت هذه الآية في أبي لبابة واسم أبي لبابة هارون بن عبد المنذر الأنصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله الصلح على ما صالح عليه إخوانهم بني النظير على أن يسيروا الى إخوانهم إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلاّ أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحاً لهم، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى أنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده إلى طقه أنّه الذبح فلا تفعلوا.

قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي من مكانهما حتّى عرفت أن قد خنت الله والرسول فلمّا نزلت هذه الآية شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتّى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتّى خرّ مغمياً عليه ثمّ تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تُبت عليك.

قال: لا والله لا أحلّ نفسي حتّى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني فجاءه فحله بيده، ثمّ قال أبو لبابة: إن مَنْ تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب. وأن أنخلع من

---

(١) جامع البيان للطبري: ٩ ٢٩١.

مالي، فقال رسول الله ﷺ: «يجزيك الثلث إن تصدقت» [٢٣٠][1].

فقال المغيرة بن شعبة: نزلت هذه الآية في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه[2].

قال محمد بن إسحاق: معنى الآية لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثمّ تُخالفونه في السر إلى غيره.

وقال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سنته، وتخونوا أماناتكم.

قال السدي: إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم.

وعلى هذا التأويل يكون قوله (ويخونوا) نصباً على جواب النهي.

والعرب تنصب جواب النهي وقالوا كما ينصب بالفاء.

وقيل: هو نصب على الصرف كقول الشاعر:

لا تنهى عن خلق وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم[3]

وقال الأخفش: هو عطف على ما قبله من النهي، تقديره: ولا تخونوا أماناتكم.

وقرأ مجاهد: أمانتكم واحدة. واختلفوا في هذه [الآية] فقال ابن عباس: هو ما يخفي عن أعين الناس من فرائض الله عزّ وجلّ والأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يقول لا تنقضوها.

وقال ابن زيد: معنى الامانات هاهنا الدين وهؤلاء المنافقون ائتمنهم الله على دينه فخانوا، إذ أظهروا الإيمان وأسرّوا الكفر.

قال قتادة: إنّ دين الله أمانة فأدّوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده. ومَنْ كانت عليه أمانة فليردّها إلى مَنْ أئتمنه عليها.

﴿وأعلموا أنّما أموالكم وأولادكم﴾ التي عند بني قريظة **﴿فتنة وأنّ الله عنده أجر عظيم * يا أيُّها الذين آمنوا إن تتقوا الله﴾** بطاعته وترك معصيته واجتناب خيانته **﴿يجعل لكم فرقاناً﴾** قال مجاهد: مخرجاً في الدنيا والآخرة.

وقال مقاتل بن حيان: مخرجاً في الدين من الشبهات. وقال عكرمة: نجاة. وقال الضحاك: بياناً. وقال مقاتل: منقذاً.

---

(١) راجع جامع البيان للطبري: ٩ / ٢٩٢، والمعروف أن فاطمة بنت النبي عليهما السلام جاءت لتحلّه فأبى فقال رسول الله «فاطمة بضعة مني» فحلّته، راجع عمدة الأخبار: ٩٩ الباب الرابع، فصل في فضل المسجد الشريف، والروض الأنف للسهيلي: ١ / ١٦٠ كتاب المبعث، فصل في قوله لخديجة: إنّ جبرائيل يقرئك السلام، و٢ / ١٩٦ فصل في خبر أبي لبابة..

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال في اللسان: ٧ / ٤٤٧: البيت للمتوكل الليثي ويروى لأبي الأسود الدؤلي.

قال الكلبي: بصراً، وقال ابن إسحاق: فصلاً بين الحق والباطل، يظهر الله به حقكم ويطفئ به باطل مَنْ خالفكم.

وقال ابن زيد: فرقاً يفرق في قلوبهم بين الحق والباطل حتّى يعرفوه ويشهدوا به.

والفرقان مصدر كالرحمان والنقصان.

تقول: فرقت بين الشيء والشيء أفرق بينهما فرقاً وفروقاً وفرقاناً، **﴿ويكفر عنكم﴾** ما سلف من ذنوبكم **﴿ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم * وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾** هذه الآية معطوفة على قوله تعالى: **﴿فاذكروا إذ أنتم قليل﴾**[(١)]. **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾**. **﴿وإذا قالوا اللهم﴾**[(٢)] لأن هذه السورة مدنية.

وهذا القول والمكر كان بمكة، ولكن الله تعالى ذكرهم ذلك بالمدينة كقوله **﴿إلاّ تنصروه فقد نصره الله﴾**[(٣)] وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسّرين أن قريشاً لمّا أسلمت الأنصار فرقوا أن تتفاقم أُمور رسول الله ﷺ.

فاجتمع نفر من مشايخهم وكبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ. وكانت روؤسائهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبا جهل وأبا سفيان وطعمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبو البحتري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وبنيه ومنبّه ابنا الحجاج وأُميّة بن خلف فاعترض لهم إبليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا من رأي ونصح، قالوا: ادخل فدخل.

فقال أبو البحتري: أمّا أنا فأرى أن تأخذوه وتحبسوه في بيته وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت فتتركوه وتقدموا إليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتّى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، وإنّما هو كأحدهم.

فصرخ ـ إبليس ـ الشيخ النجدي وقال: بئس الرأي رأيتم تعمدون إلى الرجل وتحبسونه فيتم أجره، وقد سمع به مَنْ حولكم، [فأوشكوا أن يشبّوا فينتزعوه من أيديكم][(٤)] ويقاتلونكم عنه حتّى يأخذوه منكم.

قالوا: صدق الشيخ. فقال هشام بن عمرو وهو من بني عامر بن لؤي: أمّا أنا فأرى أن تحملوه على بعير فيخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم [ما ضر من] وقع إذا غاب عنكم

---

(١) سورة الأنفال: ٢٦.

(٢) سورة الأنفال: ٣٠ ـ ٣٢.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) زيادة عن تاريخ الطبري: ٢ / ٩٨.

واسترحم وكان أمره في غيركم. فقال إبليس بئس الرأي رأيكم تعمدون الى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجوا به الى غيركم يفسدهم كما أفسدكم، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقه لسانه وأخذ القلوب ما يسمع من حديثه. والله لئن فعلتم، ثمّ استعرض العرب لتجتمعن عليه ثم ليأتين إليكم فيخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم.

قالوا: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل: لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره: إني أرى أن نأخذ واحداً من كل بطن من قريش غلاماً وسبطاً ثمّ يعطى كل رجل منهم سيفاً صارماً ثمّ يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمّه في القبائل كلّها، ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلّها وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدّي قريش ديته واسترحنا، فقال إبليس: صدق هذا الفتى و[هذا] أجودكم رأياً، القول ما قاله لا أرى غيره.

فتفرقوا على قول أبي جهل، وهم مجتمعون فأتى جبرئيل النبيّ ﷺ وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت على مضجعه الذي كان يبيت فيه، وأذن الله تعالى له عند ذلك بالخروج الى المدينة وأمر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فنام في مضجعه فقال: اتشح ببردي فإنّه لن يخلص إليك أمر تكرهه.

ثمّ خرج النبيّ ﷺ وأخذ قبضه من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ ﴿**إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون**﴾ ومضى إلى الغار من ثور فدخله هو وأبو بكر وخلّف عليّا. رضي الله عنه. بمكّة حتّى يؤدّي عنه الودائع التي قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته وكان المشركون يتحرسون عليّاً. رضي الله عنه. وهو على فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنّه النبيّ، فلمّا أصبحوا ثاروا إليه فرأوا عليّاً. رضي الله عنه..

وقد ردّ الله مكرهم وما ترك منهم رجلا إلاّ وضع على رأسه التراب.

فقالوا: أين صاحبك؟

قال: لا أدري فاقتصّوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل، فمروا بالغار فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، وقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث أيام ثمّ قدم المدينة فذلك قوله تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك**﴾[1].

قال ابن عباس ومجاهد ومقسم والسدي: ليوثقوك. وقال قتادة: ليشدوك وثاقاً.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير: ٢ / ٣١٥، وتاريخ الطبري: ٢ / ٩٧ ـ ٩٩.

وقال عطاء. وعبد الله بن كثير: ليسجنوك. وقال أبان بن ثعلب. وأبو حاتم: ليثخنوك بالجراحات والضرب. وأنشد:

فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم قالوا ألخليفة امسى مثبتاً وجعاً[١]

وقيل: معناه ليسخروك.

وروى ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عبد المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله ﷺ: هل تدري ما أضمر بك قومك؟

قال: «نعم [يريدون] أن يسخروا بي ويقتلوني أو يخرجوني» فقال: مَنْ أخبرك بهذا؟

قال: «ربّي».

قال: نِعم الرب ربّك فاستوصِ ربّك خيراً.

فقال رسول الله ﷺ «أنا استوصي به بل هو يستوصي بي خيراً» [٢٣١][٢].

وقرأ إبراهيم النخعي (وليثبتوك) من البيات **﴿أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله﴾** قال الحسن: فيقولون ويقول الله.

وقال الضحاك: ويصنعون ويصنع الله **﴿والله خير الماكرين﴾** خير من استنقذك منهم وأهلكهم **﴿وإذا تتلى عليهم أياتنا قالوا﴾** يعنى النضر بن الحرث **﴿قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾** وذلك أنّه كان [يختلف] تاجراً إلى فارس والحيرة فيسمع سجع أهلها وذكرهم أخبار العجم وغيرهم من الأُمم، فمر باليهود والنصارى فرآهم يقرأون التوارة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكّة فوجد محمداً يقرأ القرآن ويصلّي. فقال النضر: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا **﴿إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين﴾** أخبار الأُمم الماضية وأعمارهم، قال السدي: أساجيع أهل الحيرة.

والأساطير جمع الجمع وأصلها من قوله: سطرت أي كتبت، وواحدها سطر ثمّ تجمع أسطار أو سطور ثمّ فيجمعان أساطر وأساطير. وقيل: الأساطير واحدها أُسطورة وأسطار. والجمع القليل: أسطر.

وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ

---

(١) نسبه ابن كثير في البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣، ليزيد بن معاوية.

(٢) تفسير الطبري: ٩ / ٢٩٩، وتفسير ابن كثير: ٢ / ٣١٤.

إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وإذ قالوا اللّهم﴾ الآية نزلت أيضاً في النضر بن الحرث بن علقمة بن كندة من بني عبد الدار.

قال ابن عباس: لمّا قصّ رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا إنْ هذا إلاّ أساطير الأوّلين في كتبهم.

فقال عثمان بن مظعون: اتق الله فإن محمداً يقول الحق. قال: فأنا أقول الحق. قال: فإن محمداً يقول: لا إله إلاّ الله. قال: فأنا أقول لا إله إلاّ الله. ولكن هذه شأن الله يعني الاصنام. فقال رسول الله ﷺ: **﴿إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين﴾**[١] قال النضر: ألا تَرون أن محمداً قد صدقني فيما أقول يعني قوله **﴿إن كان للرحمٰن ولد﴾**.

قال له المغيرة بن الوليد: والله ما صدّقك ولكنه يقول ما كان للرحمن ولد.

ففطن لذلك النضر فقال: اللّهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك.

﴿إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ **﴿هو﴾** عماداً[٢] وتوكيد وصلة في الكلام، و **﴿الحق﴾** نصب بخبر كان **﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾** كما أمطرتها على قوم لوط.

قال أبو عبيدة: ما كان من العذاب. يقال: فينا مطر ومن الرحمة مطر **﴿أو إئتنا بعذاب أليم﴾** أي بنفس ما عذبت به الأُمم وفيه نزل: **﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾**[٣].

قال عطاء: لقد نزل في النضر بضعة عشرة آية من كتاب الله فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر.

قال سعيد بن جبير: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «ثلاثة صبروا منكم من قريش المطعم بن عدي. وعقبة بن أبي معيط. والنضر بن الحرث».

وكان النضر أسير المقداد فلمّا أمر بقتله قال المقداد: أسيري يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إنّه كان يقول في كتاب الله ما يقول» قال المقداد: أسيري يا رسول الله، قالها ثلاث مرّات. فقال رسول الله ﷺ في الثالثة: «اللّهمّ اغن المقداد من فضلك» [٢٣٢].

فقال المقداد: هذا الذي أردت[٤].

---

(١) سورة الزخرف: ٨١.

(٢) العماد: الذي يكون بين كلامين لا يتم المعنى إلاّ به، ويسمى عند البصريين ضمير الفصل.

(٣) سورة المعارج: ١.

(٤) تاريخ دمشق: ٦٠ / ١٦٧.

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن إسحاق بن يسار: هذه حكاية عن المشركين، إنهم قالوها وهي متصلة بالآية الأُولى، [وقيل]: إن المشركين كانوا يقولون: والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أُمة ونبيّها معهم، وذلك من قولهم ورسول الله بين أظهرهم، فقال الله تعالى لنبيّه ﷺ يذكر له جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم إذ قالوا **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾** وقالوا: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** ثمّ قال ردّا عليهم **﴿وما لهم ألاّ يعذبهم الله﴾** وإن كنت بين أظهرهم أن كانوا يستغفرون **﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾**.

وقال آخرون: هذا كلام مستأنف وهو قول الله تعالى حكاية عن نفسه ثمّ اختلفوا في وجهها وتأوليها:

فقال ابن أبزي وأبو مالك والضحاك: تأويلها: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم.

قالوا: فأنزلت هذه الآية على النبيّ ﷺ وهو مقيم بمكّة ثمّ خرج النبيّ من بين أظهرهم.

وبقيت منها بقية من المسلمين يستغفرون. فأنزل الله بعد خروجه عليه حين استغفر أُولئك بها **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**.

ثمّ خرج أُولئك البقية من المسلمين من بينهم فعذبوا وأذن الله بفتح مكّة، فهو العذاب الذي وعدهم.

ابن عباس: لم يعذب أُولئك حتّى يخرج النبيّ منها والمؤمنون. قال الله: **﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله: **﴿وما لهم ألاّ يعذّبهم الله﴾** يعذبهم يوم بدر.

وقال بعضهم: هذا الاستغفار راجع الى المشركين: وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين ما دمتَ فيهم وما داموا يستغفرون. وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويقولون لبيك لبيك لا شريك لك إلاّ شريك هو لك بملكه لو ما ملك، ويقولون غفرانك غفرانك. هذه رواية أبي زميل عن ابن عباس.

وروى ابن معشر عن يزيد بن روحان ومحمد بن قيس قالا: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا **﴿اللّهمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾**. الآية فلمّا أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم. فأنزل الله عزّ وجلّ **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾**.

وقال أبو موسى الأشعري: إنّه كان فيكم أماناً لقوله تعالى **﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون﴾**.

وأمّا النبيّ ﷺ فقد مضى وأمّا الاستغفار فهو كائن إلى يوم القيامة.

وقال قتادة [وابن عباس] وابن يزيد معنى: ﴿**وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾: أن لو استغفروا، يقول إن القوم لو كانوا يستغفرون لما عذبوا ولكنهم لم يكونوا استغفروا ولو استغفروا فأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين.

وقال مجاهد وعكرمة: (وهم يستغفرون) أي يسلمون، يقول: لو أسلموا لمّا عُذّبوا.

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس (وهم يستغفرون) أي وفيهم من سبق له من الله الدخول في الإيمان.

وروى عن ابن عباس ومجاهد والضحاك: وهم يستغفرون أي يصلّون. وقال الحسن: هذه الآية منسوخة بالآية التي تلتها: ﴿**وما لهم ألاّ يعذبهم الله**﴾ إلى قوله: ﴿**بما كنتم تكفرون**﴾ فقاتلوا بمكّة فأصابوا فيها الجوع والخير.

وروى عبد الوهاب عن مجاهد (وهم يستغفرون) أي في [أصلابهم] من يستغفره.

قال ﴿**وما لهم ألاّ يعذّبهم الله**﴾ أي: مايمنعهم من أن يُعذّبوا. قيل: [إنّ ﴿**أن**﴾ هنا زائدة][1].

﴿**وهم يصدون عن المسجد الحرام**﴾ ﴿**وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلاّ المتّقون**﴾ المؤمنون من حيث كانوا ومن كانوا، يعني النبيّ ﷺ ومن آمن معه.

﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاءً وتصدية**﴾ والمكاء الصفير. يقال مكاءً تمكّوا مكا ومكوا. وقال عنترة:

وحليل غانية تركت مجدّلاً تمكوا فريصته كشدق الاعلم[2]

ومنه قيل: مكت اسم الدابة مكأ إذا نفخت بالريح. (وتصدية) يعني التصفيق.

قال جعفر بن ربيعة: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله ﴿**إلاّ مكاء وتصديه**﴾ فجمع كفيه ثمّ نفخ فيها صفيراً.

وقال ابن عباس: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون. و[قال] مجاهد: كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبيّ ﷺ في الطواف يستهزئون به فيدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون، يخلطون عليه صلاته وطوافه.

وقال مقاتل: كان النبيّ ﷺ إذا صلّى في المسجد قام رجلان من المشركين عن يمنيه

---

(١) المخطوط مشوش والظاهر ما أثبتناه وهو موافق لما في تفسير القرطبي: ٧/ ٤٠٠.

(٢) لسان العرب: ١١ / ١٦٤.

فيصفران ويصفقان ورجلان كذلك عن يساره ليخلطوا على النبيّ ﷺ صلاته. وهم بنو عبد الدار فقتلهم الله ببدر.

وقال السدي: المكاء الصفير على لحن طائر أبيض يكون بالحجاز يقال له: المكا.

قال الشاعر:

إذا غرّد المكاء في غير روضة ... قيل لأهل الشاء والحمرات(١)

وقال سعيد بن جبير وابن إسحاق وابن زيد: التصدية صدهم عن بيت الله وعن دين الله، والتصدية على هذا التأويل التصديد فقلبت إحدى الدالين تاءً كما يقال تظنيت من الظن.

قال الشاعر:

تقضي البازي إذا البازي كسر(٢)

يريد: تظنيت وتفضض.

وقرأ الفضل عن عاصم: وما كان صلاتهم بالنصف إلا مكاء وتصدية بالرفع محل الخبر في الصلاة كما قال القطامي:

قفي قبل التفرق يا ضباعاً ... ولا يك موقف منك الوداعا(٣)

وسمعت مَنْ يقول: كان المكاء أذانهم والتصفيق إقامتهم ﴿**فذوقوا العذاب**﴾ يوم بدر ﴿**بما كنتم تكفرون**﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

﴿**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله**﴾ ليصرفوا عن دين الله الناس.

قال سعيد بن جبير: وابن ابزى نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أُحد ألفين من [الأحابيش] يقاتل بهم النبيّ ﷺ [سوى] من أشخاص من العرب. وفيهم يقول كعب بن مالك:

---

(١) كتاب العين للفراهيدي: ٤ / ٣٩١، ولم ينسبه.

(٢) هذا من رجز للعجاج كما في اللسان: ٤ / ٣٥٨.

(٣) لسان العرب: ٨ / ٢١٨.

فجينا إلى موج البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
وفينا رسول الله نتبع قوله إذ قال فينا القول لاينقطع
ثلاثة الألف ونحن نظنه ثلاث مئين أن كثرن فاربع[١]

وقال الحكم بن عيينة: نزلت في أبي سفيان بن حرب حيث أنفق على المشركين يوم أُحُد أربعين أوقية وكانت أوقيته اثنين وأربعين مثقالاً.

وقال ابن إسحاق عن رجاله: لما أُصيبت قريش من أصحاب القليب يوم بدر، فرجع فِيَلهم إلى مكّة ورجع أبو سفيان ببعيره إلى مكّة [مشى] عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أميّة في رجال من قريش أُصيب أباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم [بدر] فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَنْ كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه أملنا أن ندرك منه ثأراً بمن أُصيب منا، ففعلوا فأنزل الله فيهم هذه الآية[٢].

وقال الضحاك: هم أهل بدر.

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا: عتبه وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وبنيه ومنبه ابنا الحجّاج البحتري بن هشام والنضر بن حارث وحكم بن حزام وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر ونوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم عشر جزر.

قال الله ﴿**فسينفقونها ثمّ تكون عليهم حسرة ثمّ يغلبون**﴾ ولا يظفرون ﴿**والذين كفروا**﴾ منهم خصّ الكفّار لأجل مَنْ أسلم منهم ﴿**إلى جهنّم يُحشرون ليميّز الله**﴾ بذلك الحشر ﴿**الخبيث من الطيب**﴾ الكافر من المؤمن فيدخل الله المؤمن الجنان والكافر النيران.

وقال الكلبي: يعني العمل الخبيث من العمل الطيب الصالح فيثيب على الأعمال الصالحة الجنّة ويثيب على الأعمال الخبيثة النار.

قرأ أهل الكوفة والحسن وقتادة والأعمش وعيسى: ﴿**ليميز الله**﴾ بالتشديد.

واختاره أبو عبيد وأبو حاتم.

وقال ابن زيد: يعني الإنفاق الطيب في سبيل الله من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان فجعل نفقاتهم في قعر جهنم ثمّ يقال لهم: الحقوا بها.

---

(١) تفسير الطبري: ٩ / ٣٢٢، والبداية والنهاية ٤ / ٦٢ وذكر بقية الأبيات.

(٢) عين العبرة: ٥٤، وعيون الأثر: ١ / ٣٩٢.

وقال مرّة الهمداني: يعني يميز المؤمن في علمه السابق الذي خلقه حين خلقه طيباً من الخبيث الكافر في علمه السابق الذي خلقه خبيثاً، وذلك أنّهم كانوا على ملة الكفر فبعث الله الرسول بالكتاب ليميّز [الله] الخبيث من الطيب فمن [أطاع] استبان أنّه طيب ومن خالفه استبان أنّه خبيث[١] **﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾** بعضه فوق بعض **﴿فيركمه جميعاً﴾** أي يجمعه حتّى يصيّره مثل السحاب الركام وهو المجتمع الكثيف **﴿فيجعله في جهنم﴾** فوحد الخبر عنهم لتوحيد قول الله تعالى **﴿ليميز الله الخبيث﴾** ثمّ قال **﴿أُولئك هم الخاسرون﴾** فجمع، رده إلى أول الخبر[٢]، يعني قوله: **﴿الذين كفروا ينفقون أموالهم أُولئك هم الخاسرون﴾** الذين غنيت صفقتهم وخسرت تجارتهم لأنّهم اشتروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة **﴿قل للذين كفروا﴾** أبي سفيان وأصحابه **﴿إن ينتهوا يغفر لهم﴾** ان ينتهوا من الشرك وقال محمد: يغفر لهم **﴿ما قد سلف﴾** من عملهم قبل الإسلام **﴿وإن يعودوا﴾** لقتال محمد ﷺ **﴿فقد مضت سنّة الأوّلين﴾** في نصر الأنبياء والأولياء وهلاك الكفّار والأعداء مثل يوم بدر.

قال الأستاذ الإمام أبو إسحاق: سمعت الحسن بن محمد بن الحسن يقول: سمعت أبي يقول: سمعت عليّ بن محمد الوراق يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: إنّي لأرجو أنّ توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب.

وأنشدني أبو القاسم الحبيبي بذلك أنشدني أبو سعيد أحمد بن محمد الزيدي:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... ثمّ انتهى عمّا أتاه واقترف[٣]

لقوله سبحانه [في المعترف:] **﴿قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾**.

﴿وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة﴾ أي شرك، وقال أبو العالية: بلاء، وقال الربيع: حتّى لا يفتن مؤمن عن دينه **﴿ويكون الدين﴾** التوحيد خالصاً **﴿كلّه لله﴾** عزّ وجلّ ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد.

وقال قتادة: حتّى يقال: لا إله إلاّ الله، عليها قاتل نبي الله وإليها دعا.

وقيل: حتّى تكون الطاعة والعبادة لله خالصة دون غيره[٤] **﴿فإن أنتهوا﴾** عن الكفر والقتال **﴿فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا﴾** عن الإيمان وعادوا إلي فقال أهله **﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾** ناصركم ومعينكم **﴿نعم المولى ونعم النصير﴾** الناصر.

---

(١) تفسير القرطبي: ٧ / ٤٠١.
(٢) تفسير الطبري: ٩ / ٣٢٥.
(٣) تفسير القرطبي: ٧ / ٤٠١.
(٤) تفسير الطبري: ٢ / ٢٦٢.

﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)﴾

﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء﴾ حتّى الخيط والمخيط.

واختلف العلماء في معنى الغنيمة والفي، ففرّق قوم بينهما:

قال الحسن بن صالح: سألت عطاء بن السائب عن الفي والغنيمة فقال: إذا ظهر المسلمون على المشركين على أرضهم فأخذوه عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة. وأمّا الأرض فهو في سواد هذا الفيء.

وقال سفيان الثوري: الغنيمة ما أصاب المسلمون عنوة بقتال، والفي ما كان من صلح بغير قتال.

وقال قتادة: هما بمعنى واحد ومصرفهما واحد وهو قوله تعالى **﴿فأن لله خمسه﴾**.

اختلاف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم قوله: **﴿فأن لله خُمسه﴾** مفتاح الكلام. ولله الدنيا والآخرة فإنّما معنى الكلام: فأنّ للرسول خُمسه وهو قول الحسن وقتادة وعطاء، فإنّهم جعلوا سهم الله وسهم الرسول واحداً، وهي رواية الضحاك عن ابن عباس. قالوا: كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فأربعة أخماس لمن قاتل عليها، وقسّم الخمس الباقي على خمسة أخماس: خمس للنبيّ ﷺ كان له ويصنع فيه ما شاء وسهم لذوي القربى، وخمس اليتامى وخمس للمساكين وخُمس لابن السبيل. فسهم رسول الله ﷺ خمس الخمس.

وقال بعضهم: معنى قوله: (فأن لله) فإن لبيت الله خمسه. وهو قول الربيع وأبي العالية قالا: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله ﷺ خمسة أسهم، فجعل أربعة لمن شهد القتال ويعزل أسهماً [فيضرب يده] في جميع ذلك فما قبض من شيء جعله للكعبة وهو الذي سُميّ لله ثمّ يقسّم ما بقي على خمسة أسهم: سهم للنبيّ ﷺ، وسهم لذي القربى، وسهم اليتامى، وسهم للمساكين، وخمس لابن السبيل، وسهم رسول الله ﷺ خمس الخمس.

وقال ابن عباس: سهم الله وسهم رسوله جميعاً لذوي القربى وليس لله ولا لرسوله منه شيء.

وكانت الغنيمة تُقسّم على خمسة أخماس فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد تقسّم على أربعة، فربع لله والرسول ولذي القربى. فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبيّ ﷺ، ولم يأخذ النبيّ من الخمس شيئاً. والربع الثاني لليتامى، والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل.

وأمّا قوله (ولذي القربي) فهم رسول الله ﷺ لا يحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس مكان الصدقة واختلفوا فيهم.

فقال مجاهد وعليّ بن الحسين وعبد الله بن الحسن: هم بنو هاشم.

وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب خاصّة. واحتج في ذلك بما روى الزهري عن سعيد بن جبير بن مطعم قال: لما قسم رسول الله ﷺ سهم لذوي القربى من خيبر على بني هاشم والمطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخوانك بنو هاشم لا تنكر فضلهم مكانك الذي حملك الله منهم أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا، وإنّما نحن وهم بمنزلة واحدة، فقال ﷺ: «إنّهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام. إنّما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد» ثمّ أمسك رسول الله ﷺ إحدى يديه بالأُخرى [٢٣٣](١).

وقال بعضهم: هم قريش كلّها.

كتب نجدة الى ابن عباس وسأله عن ذوي القربى فكتب إليه ابن عباس: قد كنا نقول: إنا هم، فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا: قريش كلّها ذو قربى(٢).

واختلفوا في حكم النبيّ ﷺ وسهم ذي القربى بعد رسول الله ﷺ. فكان ابن عباس والحسن يجعلانه في الخيل والسلاح، والعدّة في سبيل الله ومعونة الإسلام وأهله.

وروى الأعمش عن إبراهيم. قال: كان أبو بكر رضي الله عنه وعمر يجعلان سهم النبيّ ﷺ في الكراع والسلاح، فقلت لإبراهيم: ما كان لعليّ رضي الله عنه قول فيه. قال: كان أشدهم فيه.

قال الزهري: إنّ فاطمة والعباس أتيا أبا بكر الصديق يطلبان ميراثهم من فدك وخيبر. فقال

(١) مسند أحمد: ٤ / ٨١.

(٢) الأم للشافعي: ٤ / ١٦٠، والمصنف لابن أبي شيبة: ٧ / ٧٠٠.

لهم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركنا صدقة» فانصرفا[١] [٢٣٤].[٢].

---

(١) مسند أحمد: ١ / ٤، وليس فيه فانصرفا.

(٢) قال ابن طاووس في الطرائف: ومن الطرائف العجيبة ما تجدّدت على فاطمة (عليها السلام) بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) نبيّهم من الأذى والظلم وكسر حرمتها وحرمة أبيها والاستخفاف بتعظيمه لها وتزكيتها، كما تقدّمت رواياتهم عنه في حقّها من الشهادة بطهارتها وجلالتها وشرفها على سائر النسوان وأنّها سيّدة نساء أهل الجنّة.

فذكر أصحاب التواريخ في ذلك رسالة طويلة تتضمّن صورة الحال أمر المأمون الخليفة العباسي بإنشائها وقراءتها في موسم الحج. وقد ذكرها صاحب التاريخ المعروف بالعبّاسي وأشار الروحي الفقيه صاحب التاريخ إلى ذلك في حوادث سنة ثماني عشرة ومائتين جملتها:

أن جماعة من ولد الحسن والحسين(عليهما السلام) رفعوا قصة إلى المأمون الخليفة العباسي من بني العبّاس يذكرون أن فدك والعوالي كانت لأمّهم فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله)نبيّهم، وان أبا بكر أخرج يدها عنها بغير حق، وسألوا المأمون انصافهم وكشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مائتي رجل من علماء الحجاز والعراق وغيرهم وهو يؤكّد عليهم في أداء الأمانة واتباع الصدق، وعرفهم ما ذكره ورثة فاطمة في قضيتهم وسألهم عمّا عندهم من الحديث الصحيح في ذلك.

فروى غير واحد منهم عن بشير بن الوليد والواقدي وبشر بن عتاب في أحاديث يرفعونها إلى محمّد (صلى الله عليه وآله) نبيّهم لما فتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود، فنزل عليه جبرائيل (عليه السلام) بهذه الآية (وآت ذا القربى حقّه) (الاسراء: ٢٦.).

فقال محمّد (صلى الله عليه وآله): ومَنْ ذو القربى وما حقّه ؟

قال: فاطمة (عليها السلام) تدفع إليها فدك، فدفع إليها فدك.

ثم أعطاها العوالي بعد ذلك، فاستغلتها حتى توفي أبوها محمّد (صلى الله عليه وآله) فلمّا بويع أبو بكر منعها أبو بكر منها، فكلّمته فاطمة (عليها السلام) في ردّ فدك والعوالي عليها وقالت له: انها لي وان أبي دفعها إليّ.

فقال أبو بكر: ولا أمنعك ما دفع إليك أبوك.

فأراد أن يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر بن الخطاب وقال: إنها امرأة فادعها بالبيّنة على ما ادّعت، فأمر أبو بكر أن تفعل، فجاءت بأمّ أيمن وأسماء بنت عميس مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) فشهدوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها أبو بكر، فبلغ ذلك عمر فأتاه فأخبره أبو بكر الخبر، فأخذ الصحيفة فمحاها (ذكره في السيرة الحلبية: ٣ / ٣٦٢ ط. بيروت المكتبة الاسلامية ومصر ١٣٢٠ هـ نعم بلفظ: شق عمر الكتاب) فقال: إن فاطمة امرأة وعلي بن أبي طالب زوجها وهو جار إلى نفسه ولا يكون بشهادة امرأتين دون رجل.

فأرسل أبو بكر إلى فاطمة (عليها السلام) فأعلمها بذلك، فحلفت بالله الذي لا إله إلاّ هو أنّهم ما شهدوا إلاّ بالحق.

فقال أبو بكر: فلعل أن تكوني صادقة ولكن احضري شاهداً لا يجر إلى نفسه.

فقالت فاطمة: ألم تسمعا من أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) قول: أسماء بنت عميس وأم أيمن من أهل الجنّة ؟ فقالا: بلى.

فقالت: امرأتان من الجنة تشهدان بباطل! فانصرفت صارخة تنادي أباها وتقول: قد أخبرني أبي بأنّي أوّل من يلحق به، فوالله لأشكونهما، فلم تلبث أن مرضت فأوصت علياً أن لا يصلّيا عليها وهجرتهما فلم تكلّمهما حتى ماتت، فدفنها علي (عليه السلام) والعباس ليلاً. =

وقال قتادة: كان سهم ذي القربى طعمة لرسول الله ﷺ ما كان حيّاً. فلمّا توفي جعل لولي الأمر بعده.

= فدفع المأمون الجماعة عن مجلسه ذلك اليوم، ثم أحضر في اليوم الآخر ألف رجل من أهل الفقه والعلم وشرح لهم الحال وأمرهم بتقوى الله ومراقبته، فتناظروا واستظهروا ثم افترقوا فرقتين، فقالت طائفة منهم: الزوج عندنا جار إلى نفسه فلا شهادة له، ولكنّا نرى يمين فاطمة قد أوجبت لها ما ادّعت مع شهادة الامرأتين، وقالت طائفة: نرى اليمين مع الشهادة لا توجب حكماً ولكن شهادة الزوج عندنا جائزة ولا نراه جاراً إلى نفسه، فقد وجب بشهادته مع شهادة الامرأتين لفاطمة (عليها السلام) ما ادّعت، فكان اختلاف الطائفتين إجماعاً منهما على استحقاق فاطمة (عليها السلام) فدك والعوالي.

فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فذكروا منها طرفاً جليلة قد تضمّنه رسالة المأمون، وسألهم عن فاطمة (عليها السلام) فرووا لها عن أبيها فضائل جميلة، وسألهم عن أمّ أيمن وأسماء بنت عميس فرووا عن نبيّهم محمّد (صلى الله عليه وآله)انّهما من أهل الجنّة، فقال المأمون: أيجوز أن يقال أو يعتقد أن علي بن أبي طالب مع ورعه وزهده يشهد لفاطمة بغير حق ؟

وقد شهد الله تعالى ورسوله بهذه الفضائل له، أو يجوز مع علمه وفضله أن يقال إنه يمشي في شهادة وهو يجهل الحكم فيها ؟

وهل يجوز أن يقال إن فاطمة مع طهارتها وعصمتها وانها سيّدة نساء العالمين وسيّدة نساء أهل الجنّة كما رويتم تطلب شيئاً ليس لها، تَظْلُمُ فيه جميع المسلمين وتقسم عليه بالله الذي لا إله إلاّ هو ؟

أو يجوز أن يقال عن أمّ أيمن وأسماء بنت عميس انّهما شهدتا بالزور وهما من أهل الجنّة ؟ إن الطعن على فاطمة وشهودها طعن على كتاب الله وإلحاد في دين الله، حاشا الله أن يكون ذلك كذلك.

ثم عارضهم المأمون بحديث رووه أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أقام منادياً بعد وفاة محمّد (صلى الله عليه وآله) نبيّهم ينادي: من كان له على رسول الله (صلى الله عليه وآله) دين أو عدّة فليحضر، فحضر جماعة فأعطاهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ما ذكروه بغير بيّنة، وان أبا بكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك فحضر جرير بن عبد الله وادّعى على نبيّهم عدّة فأعطاها أبو بكر بغير بيّنة، وحضر جابر بن عبد الله وذكر أن نبيّهم وعده أن يحثو له ثلاث حثوات من مال البحرين، فلما قدم مال البحرين بعد وفاة نبيّهم أعطاه أبو بكر الثلاث الحثوات بدعواه بغير بيّنة.

(قال عبد المحمود): وقد ذكر الحميدي هذا الحديث في الجمع بين الصحيحين في الحديث التاسع من أفراد مسلم من مسند جابر وان جابراً قال: فعددتها فإذا هي خمسمائة فقال أبو بكر خذ مثليها (راجع صحيح مسلم: ٤ / ١٨٠٧ كتاب الفضائل ح ٤٢٧٨، وفتح الباري بشرح البخاري: ٤ / ٥٩٨ ح ٢٢٩٦ كتاب الكفالة باب من تكفل عن يتيم).

قال رواة رسالة المأمون: فتعجّب المأمون من ذلك وقال: أما كانت فاطمة وشهودها يجرون مجرى جرير بن عبد الله وجابر بن عبد الله، ثم تقدّم بسطر الرسالة المشار إليها وأمر أن تقرأ بالموسم على رؤوس الاشهاد، وجعل فدك والعوالي في يد محمد بن يحيى بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يعمرها ويستغلها ويقسم دخلها بين ورثة فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) نبيّهم. انتهى. (ذكر بعض هذه الامور المسعودي في مروج الذهب: ٢ / ٤٠٢ ط. مصر و٤ / ٥١ ط. بيروت، والسقيفة وفدك: ١٠٣ـ١٤٦، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١ / ٥٦ شرح الخطبة ٢٦ و١٦ / ٢١٠ إلى ٢٨٦، وسيرة ابن هشام: ٣ / ٣٠١، وبلاغات النساء: ٢٦ . ٢٨ . ٣٠: وتاريخ الذهبي: ٣ / ٢١، وكنز العمال: ٥ / ٥٨٥ و٦٣٦ ح١٤٠٤٠ و١٤١٠١ و١٤٠٤٥ و١٤١٢٠ و١٤٠٩٧).

وقال عليّ كرم الله وجهه: يعطى كل إنسان نصيبه من الخمس لا يعطى غيره، ويلي الإمام سهم الله ورسوله.

وقال بعضهم: سهم رسول الله ﷺ مردود بعده في الخمس. والخمس بعده مقسوم على ثلاث أسهم: على اليتامى والمساكين وابن السبيل وهو قول جماعة من أهل العراق.

وقال عمرو عن عيينة: صلّى رسول الله ﷺ إلى بعير من المغنم فلمّا فرغ أخذ وبره من جسد البعير فقال: «إنّه لا يحلّ لي من هذا المغنم مثل هذا إلاّ الخمس، والخمس مردود فيكم»[١] [٢٣٥].

وقال آخرون: الخمس كلّه لقرابة رسول الله ﷺ.

فقال المنهال ابن عمرو: سألت عبد الله بن محمد بن عليّ وعليّ بن الحسين عن الخمس فقالا: هو لنا، فقلت لعلي رضي الله عنه: إن الله تعالى يقول ﴿**والیتامی والمساكين وابن السبيل**﴾ فقال: يتامانا ومساكيننا.

وأمّا اليتامى فهم أطفال المسلمين الذين هلك أباؤهم، والمساكين أهل الفاقة والحاجة من المسلمين، وابن السبيل المسافر المنقطع.

وقال ابن عباس: هو الفتى الضعيف الذي ترك المسلمين ﴿**إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا**﴾ محمد ﷺ ﴿**يوم الفرقان**﴾ يوم فرق فيه بين الحق والباطل ببدر ﴿**يوم التقى الجمعان**﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين وهو يوم بدر وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة وكان يوم الجمعة لسبع عشر مضت من شهر رمضان ﴿**والله على كل شيء قدير إذ أنتم**﴾ يا معشر المسلمين ﴿**بالعدوّة الدنيا**﴾ شفير الوادي الأدنى إلى المدينة ﴿**وهم**﴾ يعني عدوكم من المشركين ﴿**بالعدوة القصوى**﴾ من الوادي الأقصى من المدينة ﴿**والركب أسفل منكم**﴾ إلى ساحل البحر كان رسول الله ﷺ بأعلى الوادي والمشركين بأسفله والعير قد [انهرم] به أبو سفيان على الساحل حتّى قدم مكّة.

وفي العدوة قراءتان: كسر العين وهو قراءة أهل مكّة والبصرة.

وضم العين وهو قرأ الباقين واختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وهما لغتان مشهورتان كالكُسوة والكَسوة. والرُشوة والرَشوة. وينشد بيت الراعي:

وعينان حمر مآقيهما ... كما نظر العِدوة الجؤذر

بكسر العين[٢].

---

(١) مسند أحمد: ٥ / ٣١٦.

(٢) من العَدوة.

وينشد بيت أوس بن حجر:

وفارس لو تحل الخيل عُدوته ولّوا سراعاً وما همّوا بإقبال

بالضم[١].

والدنيا تأنيث الأدنى، والقصوى تأنيث الأقصى.

وكان المسلمون خرجوا ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها فالتقوا من غير ميعاد قال الله **﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾** لقلّلكم وكثرة عدوكم **﴿ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا﴾** من نصر أوليائه وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه **﴿ليهلك﴾** هذه اللام مكررة على اللام في قوله **﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولا﴾** ويهلك **﴿مَنْ هلك عن بيّنة﴾** أي ليموت مَنْ يموت على بينة [ولَهاً وعِبْرةً] عاينها وحجّة قامت عليه، وكذلك حياة من يحيى لوعده **﴿وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً﴾**.

وقال محمد بن إسحاق: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت معذرته ويؤمن من آمن على [مثواك].

وقال قتادة: ليضل من ضل عن بينة ويهتدي من اهتدى على بيّنة.

وقال عطاء: ليهلك من هلك عن بينة عن علم بما دخل فيه من الفجور **﴿ويحيى مَنْ حي عن بيّنة﴾** عن علم ويقين بلا إله إلاّ الله. وفي (حي) قولان، قرأ أهل المدينة: (حيي) بيائين مثل خشيي على الإيمان، وقرأ الباقون (حيّ) بياء واحدة مشددة على الإدغام، لأنّه في الكتاب بياء واحدة **﴿وإن الله لسميع عليم إذ يُريكهم الله﴾** يا محمد يعني المشركين **﴿في منامك﴾** أي في نومك، وقيل: في موضع نومك يعني عينك **﴿قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم﴾** لجبنتم **﴿ولتنازعتم﴾** اختلفتم **﴿في الأمر﴾** وذلك أن الله تعالى أراهم إياه في منامه قليلا فأخبر ﷺ بذلك، فكان تثبيتاً لهم ونعمة من الله عليهم شجعهم بها على عدوهم فذلك قوله عزّ وجلّ **﴿ولكن الله سلم﴾** قال ابن عباس: سلم الله أمرهم حين أظهرهم على عدوهم **﴿وإذ يُريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا﴾** قال مقاتل: ذلك أن النبيّ ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل [لقاء] العدو فأخبر النبيّ ﷺ أصحابه بما رأى. فقالوا: رؤيا النبيّ حق، القوم قليل، فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين وأصدق رؤيا النبيّ ﷺ.

قال عبد الله بن مسعود: لقد قُللوا في أعيننا يوم بدر حتّى قلت لرجل إلى جنبي: [نراهم سبعين] قال أراهم مائة فأسرنا رجلا فقلنا كم كنتم؟ قال: ألفاً. ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعينهم.

---

(١) تفسير الطبري: ١٠ / ١٥.

قال السدي: قال أُناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعوا. فقال أبو جهل: الآن إذا [ينحدر لكم] محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتّى تستأصلوهم ولا تقتلوهم بالسلاح خذوهم أخذاً كي لا يعبد الله بعد اليوم، إنّما محمد وأصحابه أكلة جزور فاربطوهم بالجبال.

كقوله من القدرة على نفسه.

قال الكلبي: استقلّ المؤمنون المشركين والمشركون المؤمنين، البحتري: بعضهم على بعض. ﴿**ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ كائناً في علمه، نصر الإسلام وأهله وذل الشرك وأهله.

وقال محمد بن إسحاق: ليقضي الله أمرا كان مفعولاً بالانتقام من أعدائه والإنعام على أوليائه ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

﴿**يا أيُّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة**﴾ أي جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا ﴿**واذكروا الله كثيراً**﴾ أي ادعو الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وقال قتادة: أمر الله بذكره [أثقل] ما يكونون عند الضراب بالسيوف ﴿**لعلّكم تُفلحون**﴾ تنجحون بالنصر والظفر ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا**﴾ ولا تختلفوا ﴿**فتفشلوا**﴾ أي تخسروا وتضعفوا.

وقال الحسن: فتفشلوا بكسر الشين ﴿**وتذهب ريحكم**﴾ قال مجاهد: نصركم وذهبت ريح أصحاب محمد ﷺ حين نازعوه يوم أُحد[1].

وقال السدي: جماعتكم وحدتكم، وقال مقاتل: [حياتكم]، وقال عطاء: جَلَدكم.

وقال يمان: غَلَبَتكم، وقال النضر بن شميل: قوتكم، وقال الأخفش: دولتكم، وقال ابن زيد: هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلاّ بريح يبعثه الله في وجوه العدو، فإذا كان كذلك لم

---

(١) تفسير الطبري: ١٠ / ٢١.

يكن لهم قوام، ومنه قول النبيّ ﷺ: «نصرت بالصّبا وأهلكت عاد بالدّبور» [٢٣٦][١].

يقال للرجل إذا أقبلت الدنيا عليه بما يهواه: الريح اليوم لفلان.

قال عبيد بن الأبرص:

كما حميناك يوم النعف من شطب ... والفضل للقوم من ريح ومن عدد[٢]

وقال الشاعر:

يا صاحبي ألا لا حي بالوادي ... إلا عبيد وأم بين أذواد[٣]

أتنتظران قليلاً ريث غفلتهم ... أو تعدوان فإن الريح للعادي[٤]

أنشدني أبو القاسم المذكور قال: أنشدني أبا نصر بن منصور الكرجي الكاتب:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكلّ خافقة سكون

ولا يغفل عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون[٥]

قوله تعالى **﴿واصبروا إنّ الله مع الصابرين * ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾** فخرا وأشَراً **﴿ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله﴾** معطوف على قوله: (بطراً ورئاء الناس) ومعناه ينظرون ويرون، إذ لا يعطف مستقبل على ماض، **﴿والله بما تعملون محيط﴾** وهؤلاء أهل مكّة خرجوا يوم بدر ولهم بغيٌ وفخر فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها ليحادك ورسولك» [٢٣٧][٦].

قال ابن عباس: لمّا رأى أبو سفيان أنّه أحرز عيره أرسل إلى قريش أنّكم خرجتم لتمنعوا عليكم فقد نجاها الله فارجعوا فوافى الركب الذي فيه أبو سفيان ليأمروا قريشاً بالرجعة إلى مكّة فقال لهم: انصرفوا، فقال أبو جهل: والله لا ننصرف حتّى نرد بدراً. وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام. فنقيم بها ثلاثاً وننحر الجزر ونطعِم الطعام ونسقي الخمور ونعزف علينا القيان[٧] وتسمع بها العرب. فلا يزالون يهابوننا أبداً فوافوها فسُقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان[٨].

---

(١) مسند أحمد: ١ / ٢٢٨، وصحيح البخاري: ٢ / ٢٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٠ / ٢١، ومعجم البلدان: ٣ / ٣٤٣.
(٣) تاج العروس: ١٠ / ٢٢.
(٤) الصحاح: ١ / ٣٦٨، والبيت لامرىء القيس في معلقته.
(٥) تاج العروس: ٢ / ١٤٩، وتفسير القرطبي: ٥ / ٣٨٤.
(٦) تفسير الطبري: ١٠ / ٢٤.
(٧) القيان: جمع القينة وهي الفتيات المغنيات.
(٨) زاد المسير: ٣ / ٢٤٩.

ونهى الله عباده المؤمنين بأن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النيّة والخشية في نصرة دينه وموأزرة نبي هﷺ.

﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم﴾ وكانت الزينة لهم على ما قاله ابن عباس وابن إسحاق والسدي والكلبي وغيرهم: إن قريشاً لمّا أجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناف بن كنانة من الحرب التي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فكان ذلك أن يثبتهم، فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته فتبدّى في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني، وكان من أشراف كنانة[1].

قال الشاعر:

يـــا ظـــالـــمـــي أنّـــى تـــروم ظلامتي والله من كل الحوادث خالي

﴿فلما تراءت الفئتان﴾ أي التقى الجمعان ورأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم أنّه لا طاقة له بهم **﴿نكص على عقبيه﴾**. قال الضحاك: ولّى مدبراً. قال النضر بن شميل: رجع القهقري على قفاه هارباً، وقال قطرب وابان بن ثعلبة: رجع من حيث جاء.

قال الشاعر:

نـكـصـتـم عـلـى أعـقـابـكـم يـوم جـئـتـمُ وتـزجـون أنـفـال الـخـمـيـس الـعـرمـرم

وقال عبد الله بن رواحة: فلمّا رأيتم رسول الله نكصتم على أعقابكم هاربينا.

قال الكلبي: لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة بن كنانة آخذاً بيد الحرث بن هشام، فنكص على عقبيه وقال له الحرث: يا سراقة أين؟ أتخذلنا على هذه الحالة؟ فقال له **﴿إني أرى ما لا ترون﴾** فقال: والله ما نرى إلا جواسيس يثرب. فقال: **﴿أني أخاف الله﴾**.

قال الحرث: فهلاّ كان هذا أمس، فدفع في صدر الحرث فانطلق وانهزم الناس، فلمّا قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني أنكم تقولون أني هزمت الناس، فوالله ماشعرت حتى بلغني هزيمتكم، فقالوا أما أتيتنا في يوم كذا فحلف لهم، فلمّا تابوا علموا أن ذلك كان الشيطان.

وقال الحسن في قوله: (أني أرى مالا ترون) فأتى إبليس جبرئيل معتجراً بردة يمشي بين يدي النبي ﷺ وفي يده اللجام يقود الفرس ماركب.

سمعت أبا القاسم الحبيبي سمعت أبا زكريا العنبري، سمعت أبا عبد الله محمد بن

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٤ / ٤٧٧.

إبراهيم البوشنجي يقول أفخر بيت قيل في الإسلام قوله بغيض الأنصاري يوم بدر:

وببئر بدر إذ نردّ وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد[(١)]

وقال قتادة وابن إسحاق. قال إبليس: إني أرى مالا ترون وصدق الله في عدوّه، وقال: إني أخاف الله، وكذب عدوّ الله، والله ما به مخافة الله ولكن علم أنّه لاقوة له ولامنعة فأيّدهم وأسلمهم، وذلك عادة عدو الله لمن أطاعه، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرّأ منهم.

قال عطاء إني أخاف الله أن يهلكني فيمن هلك، وقال الكلبي: خاف أن يأخذه جبرئيل ويعرّفهم حاله فلا يطيعوه من بعد، وقال معناه: إني أخاف الله، أي أعلم صدق وعده لأوليائه لأنه على ثقة من أمره.

قال الاستاذ الامام أبو إسحاق، رأيت في بعض التفاسير: إني أخاف الله عليكم والله شديد العقاب. قال بعضهم هذا حكاية عن إبليس، وقال أخرون: انقطع الكلام عند قوله: إني أخاف الله قال الله ﴿**والله شديد العقاب**﴾.

إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدجر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لمّا رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر» [٢٣٨]، وذلك أنه رأى جبرائيل وهو يزع الملائكة[(٢)].

﴿**إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**﴾ شك ونفاق ﴿**غرّ هؤلاء دينهم**﴾ يعني المؤمنين هؤلاء قوم بمكة مستضعفين حبسهم آباؤهم وأقرباؤهم من الهجرة، فلمّا خرجت قريش إلى بدر أخرجوهم كرهاً، فلمّا نظروا إلى حلة المسلمين ارتابوا وارتدّوا وقالوا: غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا جميعاً منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان والحرث بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج والوليد بن عتبة وعمرو بن بن أمية، فلما قُتلوا مع المشركين ضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم فذلك قوله تعالى: ﴿**ولو ترى**﴾ تعاين يا محمد ﴿**إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة**﴾ أي يقبضون أرواحهم ببدر ﴿**يضربون**﴾ حال أي ضاربين ﴿**وجوههم وأدبارهم**﴾ قال سعيد بن جبير، ومجاهد: يريد أستاههم ولكن الله تعالى كريم [يكني].

وقال مُرّة الهمذاني وابن جريج: وجوههم ما أقبل عنهم، وأدبارهم ما أدبر عنهم،

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ١ / ٣٩١، وقد نسب البيت فيه إلى حسّان بن ثابت. ونسبه البكري الأندلسي لكعب بن مالك انظر: معجم ما استعجم: ١ / ٢٣٢.

(٢) تفسير القرطبي: ٢ / ٤١٩، وتاريخ دمشق: ٤٣ / ٥٣٩، وموطأ مالك: ١ / ٤٢٢، ح٢٤٥.

وتقديره: يضربون أجسادهم كلها، وقال ابن عباس: كانوا إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولّوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم، وقال الحسن: قال رجل: يا رسول الله رأيت بظهراني رجل مثل الشراك، قال: ذلك ضرب الملائكة، وقال الحسين بن الفضل: ضرب الوجه عقوبة كفرهم، وضرب الأدبار عقوبة معاصيهم.

﴿**وذوقوا**﴾ فيه إضمار، أي ويقولون لهم ذوقوا ﴿**عذاب الحريق**﴾ في الآخرة، ورأيت في بعض التفاسير: كان مع الملائكة مقامع من حديد كلمّا ضربوا التهب النار في الجراحات فذلك قوله تعالى: وذوقوا عذاب الحريق، ومعنى قوله ذوقوا: قاسوا واحتملوا. قال الشاعر:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في أكبادنا والتحوب[1]

ويجوز ذوقوا بمعنى موضع الابتلاء والاختبار يقول العرب اركب هذا الفرس فذقه، وانظر فلاناً وذق ما عنده. قال الشماخ في وصف قوس:

فذاق وأعطاه من اللين جانباً كفى ولهاً أن يغرق السهم حاجز[2]

وأصله من الذوق بالفم ﴿**ذلك بما قدمت**﴾ كسبت وعملت ﴿**أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾ أخذهم من غير جزم، وفي محل «أنّ» وجهان من الاعراب: أحدهما النصب عطفاً على قوله (بما قدمت) تقديره: وأن الله، والآخر: الرفع عطفاً على قوله (ذلك) معناه: وذلك أن الله.

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوٓا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

---

(١) البيت لطفيل الغنوي كما في لسان العرب: ١ / ٣٣٩.

(٢) لسان العرب: ١٠ / ١١٢ وفيه: النبل حاجز.

﴿كدأب آل فرعون﴾ قال ابن عباس: كفعل آل فرعون، وقال الضحاك: كصنيعهم، وقال مجاهد، وعطاء: كسنّتهم، وقال يمان: كمثلهم يعني أن أهل بدر فعلوا كفعل آل فرعون من الكفر والذنوب، ففعل الله بهم كما فعل بآل فرعون من الهلاك والعذاب، وقال الكسائي: كما أن آل فرعون جحدوا كما جحدتم وكفروا كما كفرتم. قال الاخفش، والمؤرخ، وأبو عبيدة: كعادة آل فرعون.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ فعاقبهم الله **﴿بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾**.

قال الكلبي: يعني أهل مكة، أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، وبعث إليهم محمداً (عليه السلام) فغيّروا نعم الله، وتغييرها أن كفروا بها وتركوا شكرها، وقال السدّي: نعمة الله محمد ﷺ أنعم به على قريش فكذبوه وكفروا به فنقله إلى الأنصار.

﴿وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الامم **﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾** بعضاً بالرجفة وبعضاً بالخسف وبعضاً بالمسخ وبعضاً بالحصى وبعضاً بالماء، فكذلك أهلكنا كفار مكة بالسيف والذل **﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾** الآية **﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾**.

سمعت أبا القاسم بن حبيب، سمعت أبا بكر عبدش يقول: من هاهنا صلة الذين عاهدتهم، وسمعته يقول سمعت المنهل بن محمد بن محمد بن الاشعث يقول: دخلت بين لأن المعنى: الذين أخذت منهم العهد، وقيل: عاهدت منهم أي معهم **﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾** وهم بنو قريظة، نقظوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قبال النبي ﷺ وأصحابه، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم الثانية فنقضوا العهد ومالوا إلى الكفار على رسول الله يوم الخندق، وكتب كعب بن الاشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ **﴿وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾** لايخافون الله في نقض العهد.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ ترينّهم وتجدنّهم **﴿فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾** قال ابن عباس: فنكّل بهم من ورائهم، وقال قتادة: عِظ بهم مَنْ سواهم من الناس، وقال سعيد بن جبير: أنذر بهم مَنْ خلفهم، وقال ابن زيد: أخفهم بهم.

وقيل: فرِّق جمع كل ناقض مما بلغ من هؤلاء، وقال عطاء: أثخن فيهم القتل حتى يخافك غيرهم من أهل مكة وأهل اليمن، وقال ابن كيسان: اقتلهم فلا من يهرب عنك مَن بعدهم.

وقال القتيبي: سمّع بهم، وأنشد:

أُطوّف في الاباطح كل يوم ... مخافة أن يشردّ بي حكيمُ

وأصل التشريد: التطريد والتفريق والتبديد، وقرأ أبن مسعود (وشرّذ) بالذال معجم وهو واحد. قال قطرب التشريذ بالذال التنكيل، وبالدال للتفريق من خلفهم أي من ورائهم، وقيل من يأتي خلفهم، وقرأ الأعمش مِن (خلفِهم) بكسر الميم والفاء تقديره: فشرِّد بهم من خلفهم من عمل قبل عملهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعتبرون العهد فلا ينقضون العهد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ تعلمنّ يا محمد ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ معاهدين لك ﴿خِيَانَةً﴾ نكث عهد ونقض عقد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر والخيانة كما ظهر من قريظة والنضير ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ فاطرح إليهم عهدهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ وهذا من الحان القرآن، ومعناه: فناجزهم الحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك فسخت العهد بينك وبينهم حتى تصير أنت وهم على سواء من العلم بأنك محارب، فيأخذوا للحرب أهبتها وتبرؤوا من الغدر، وقال الوليد بن مسلم: على سواء أي على مهل وذلك قوله ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾[1].

﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر بالباء على معنى لاتحسبن الذين كفروا انهم أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ﴾ قرأ العامة بالكسر على الابتداء، وقرأ أهل الشام وفارس بالفتح ويكون لا صلة، تقديره: ولا تحسبن الذين كفروا أن سبقوا أنّهم يعجزون أي يفوتون.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي من الآلات يكون قوة له عليهم من الخيل والسلاح والكراع. صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن مسافرالجهني أن النبي ﷺ قرأ على المنبر، وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة، فقال: ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، وروى ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة فقال: لقي رجل مجاهداً بمكة ومع مجاهد جوالق فقال مجاهد هذا من القوة، ومجاهد يتجهز للغزو[2]، وقال عكرمة القوة الحصون.

﴿وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ﴾ [الاناث][3] ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ تخوفون، ابن عباس: تخزون، وقرأ يعقوب: ترهبون بتشديد الهاء وهما لغتان: أرهبته ورهّبته ﴿عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قال مجاهد: بنو قريظة. السدّي: أهل فارس. ابن زيد: المنافقون لا تعلمونهم لأنهم منكم يقولون: لا إله إلا الله، ويغزون معكم، وقال بعضم: هم كفار الجن، وقال بعضهم: هم كل عدو من المسلمين غير الذي أمر النبي ﷺ أن يشردّ بهم.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سبيل اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يدّخر ويوفّر لكم أجره ﴿وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾.

---

(١) سورة التوبة: ٢.

(٢) تفسير الطبري: ١٠ / ٤٠.

(٣) تفسير الطبري: ١٠ / ٤٠.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي فمل إليها وصالحهم، قالوا: وكانت هذه قبل (براءة) ثم مسخت بقوله: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وقوله: قاتلوا الذين يؤمنون بالله، الآية **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾** **﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾** يغدروا ويمكروا بك، قال مجاهد: يعني قريظة **﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ﴾** كافيك الله **﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمُؤْمِنِينَ﴾** قال السدّي: يعني الأنصار **﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾** جمع بين قلوبهم. وهم الأوس والخزرج. على دينه بعد حرب سنين، فصيرّهم جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً، وأخواناً بعد أن كانوا أعداءً **﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾** إلى قوله تعالى **﴿حكيم﴾**.

روى ابن عفّان عن عمير بن إسحاق، قال: كنّا نتحدث أن أول مايرفع من الناس الالفة **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ﴾**.

[........][1] أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، قال: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وستّ نسوة، ثم أسلم عمر(رضي الله عنه) فنزلت هذه الآية: يا أيها النبيّ حسبك الله **﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾** قال اكثر المفسرين: محل من نصب عطفاً على الكاف في قوله حسبك، ومعنى الآية: وحسب من أتبعك، وقال بعضهم رفع عطفاً على اسم الله تقديره: حسبك الله ومتّبعوك من المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ﴾ حثّهم على القتال **﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ﴾** رجلاً صابرون محتسبون **﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾** من عدوّهم ويقهروهم **﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾** صابرة محتسبة تثبت عند اللقاء وقتال العدو **﴿يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾** من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير احتساب، ولا طلب ثواب، فهم لا يثبتون إذا صدقتموهم القتال

(١) كلمة غير مقروءة.

خشية أن يُقتلوا، وصورة الآية خبر ومعناه أمر.

وكان هذا يوم بدر قَرَنَ على الرجل من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين، فثقلت على المؤمنين وضجّوا فخفف الله الكريم عنهم وأنزل ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً**﴾ أي في الواحد عن قتال عشرة والمائة عن قتال الألف، وقرأ أبو جعفر ضعفاً بفتح الضاد، وقرأ بعضهم: ضعفاء بالمد على جمع ضعيف مثل شركاء.

﴿**فَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ من الكفّار وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [أي عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد فكُسر أول عشرين كما كسر اثنان][١]، وإذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغِ [لهم أن يفروا منهم، وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم] القتال وجاز لهم أن [يتحوزوا][٢] عنهم.

﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى**﴾ روى الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: لما كان يوم بدر جيء بالأسرى، قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك، استبقهم فاستعن بهم، لعلّ الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية [تكن] لنا قوة على الكفار.

وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فاضرب أعناقهم، ومكّن علياً من عقيل يضرب عنقه، ومكّني من فلان ـ نسيب لعمر ـ أضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر، وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً، فقال العباس، قطعتك رحمك، فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم. ثم دخل فقال أُناس: يأخذ بقول أبو بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة.

ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: إن الله يلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين، وأن الله يشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: فمن تبعني فإنّه منّي، ومن عصاني فإنك غفور رحيم، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى. قال: إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، ومثلك ياعمر مثل نوح قال رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً، ومثلك كمثل موسى قال ﴿**ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم**﴾[٣] الآية.

ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم اليوم عالة فلا يفلتنّ أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق، قال

---

(١) زيادة عن تفسير القرطبي: ٨ / ٤٤ والمخطوط ممسوح.
(٢) تفسير الطبري: ١٠ / ٥٠ وتصويب العبارة منه والمخطوط ممسوح.
(٣) سورة يونس: ٨٨.

عبد الله بن مسعود إلا سهيل بن البيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام، فسكت رسول الله ﷺ، قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن يقع عليّ الحجارة من السماء مني ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ: «إلا سهيل بن البيضاء»(١).

قال: فلمّا كان من الغد جئت رسول الله ﷺ وإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء ما بكيت، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض على اصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عُرض عليّ عذابكم، ودنا من هذه الشجرة شجرة، قريبة من نبي الله فأنزل الله تعالى ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى**﴾ بالتاء بصري الباقون بالياء، أسرى: جمع أسير مثل قتيل وقتلى ﴿**حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ**﴾ أي يبالغ في قتل المشركين وأسرهم وقهرهم، أثخن فلان في هذا الأمر أي بالغ، وأثخنته معرفة بمعنى قلته معرفة.

قال قتادة هذا يوم بدر، فاداهم رسول الله بأربعة آلاف بأربعة آلاف، ولعمري ما كان أثخن رسول الله ﷺ يومئذ، وكان أول قتال قاتل المشركين.

قال ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلمّا كثروا واشتد سلطانهم، أنزل الله تعالى بعد هذا في الأُسارى ﴿**فإمّا منّاً بعد وإمّا فداء**﴾ فجعل الله نبيه والمؤمنين في أمر الأُسارى بالخيار إن شاؤوا قتلوهم وإن شاؤوا استعبدوهم وأن شاءوا فادوهم وإن شاؤوا رفقوا بهم.

﴿**تُرِيدُونَ**﴾ أيها المؤمنون ﴿**عَرَضَ الدُّنيَا**﴾ بأخذكم الفداء ﴿**وَاللهُ يُرِيدُ**﴾ ثواب ﴿**الآخِرَةَ**﴾ بقهركم المشركين ونصركم دين الله ﴿**وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.

لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ

---

(١) انظر: مسند أحمد: ١ / ٣٨٤. وجامع البيان للطبري: ١٠ / ٥٧.

بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

﴿**لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ**﴾ الآية، قال ابن عباس كانت الغنائم قبل أن يُبعث النبي ﷺ حرام على الأنبياء والأُمم كلهم كانوا إذا أصابوا مغنماً جعلوه للنيران[1] وحرّم عليه أن يأخذوا منه قليلاً أو كثيراً، وكان الله عز وجل كتب في أم الكتاب أن الغنائم والأُسارى حلال لمحمد وأُمته، فلمّا كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم، فأنزل الله تعالى ﴿**لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ**﴾ لولا قضاء من الله سبق لكم يا أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله تعالى أحل لكم الغنيمة.

وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن زيد: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذّب أحداً شهد بدر مع النبي ﷺ وقال: لولا كتاب سبق أن يغفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر، وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لايضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم مايتقون، وأنه لايأخذ قوماً فعلوا شيئاً بجهالة ﴿**لَمَسَّكُمْ**﴾ لنالكم وأصابكم ﴿**فِيمَا أَخَذْتُمْ**﴾ من الغنيمة والفداء قبل أن يؤمروا به ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

روى محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه في أسارى بدر: «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم، واستشهد منكم بعدّتهم»، وكانت الاسارى سبعون. فقالوا: بل نأخذ الفداء ونتمتع به ونقوى على عدونا ويستشهد منا بعدتهم، قال عبيدة طلبوا الخيرتين كليهما فقتل منهم يوم أحد سبعون، قال ابن إسحاق وابن زيد: لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر إلاّ أحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، وقال لرسول الله: ما لنا والغنائم! نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يُعبد الله، وأشار على رسول الله بقتل الأسرى، وسعد بن معاذ قال: يا رسول الله كان الإثخان في القتل أحب إليّ من استبقاء الرجال، فقال رسول الله ﷺ: لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ فقال الله ﴿**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ همام بن منبه قال: هذا ما حدّثنا أبو هريرة عن محمدقال: قال ﷺ: «لم تحل الغنائم لمن كان قبلنا» ذلك أن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيّبها لنا.

عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يُعطهنّ نبي قبلي من الأنبياء وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ولم يكن نبي من الأنبياء يصلي حتى بلغ محرابه وأُعطيت الرعب مسيرة شهر يكون بيني وبين المشركين شهر فيقذف الله الرعب في قلوبهم وكان النبي ﷺ يبعث إلى خاصة قومه، وبعثت إلى الجن والإنس، وكان الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله، وأمرت أن أقاسمها في فقراء أمتي ولم يبقَ نبي إلا قد أُعطي سؤله وأُخّرت

(١) في المخطوط: للقرآن.

شفاعتي لأمتي» [٢٣٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى﴾ نزلت في العباس بن عبد المطلب وكان أسيراً يومئذ، وكان العباس أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر فبلغته التوبة يوم بدر، وكان خرج بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها الناس، فأراد أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا قبل ذلك وبقيت العشرون أوقية مع العباس فأخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحسب العشرون أوقية من فدائه فأبى، وقال: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك، وكلّفه فداء بني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس: يا محمد تركتني اتكفف قريشاً ما بقيت فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل أوّل خروجك من مكة، فقلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقثم يعني بنيه» فقال له العباس: وما يدريك؟

قال: «أخبرني ربي» فقال العباس: فأنا أشهد أنك صادق، وأن لا إله الا الله وأنك عبده ورسوله، ولم يطلع عليه أحد إلا الله فذلك قوله **﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾** الذين أخذتم منهم الفداء [٢٤٠](١).

وقرأ أبو محمد وأبو جعفر: من الأُسارى وهما لغتان **﴿إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً﴾** أي إيماناً **﴿يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾** من الفداء **﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾** ذنوبكم، قال العباس: فأبدلني الله مكانها عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كثير، فأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين الأُوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي، وقال قتادة: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا، وقد توضأ لصلاة الظهر، فما أعطى يومئذ ساكناً ولا حرم سايلا حتى فرّقه، فأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ، فكان العباس يقول: هذا خير مما أُخذ منا، وأرجو المغفرة.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ يعني الأسرى **﴿خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾** قومهم وعشيرتهم ودورهم يعني المهاجرين **﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾** رسول الله ﷺ والمهاجرين رضي الله عنهم، أي أسكنوهم منازلهم **﴿وَنَصَرُوا﴾** على أعدائهم، وهم الأنصار **﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** دون أقربائهم من الكفار، وقال ابن عباس: هذا في الميراث، كانوا يتوارثون بالهجرة، وجعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام، وكان الذي آمن ولم يهاجر لايرث لأنه لم يهاجر، ولم ينصر، وكانوا يعملون بذلك، حتى أنزل الله عز وجل: **﴿وأولوا الأرحام بعضهم**

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ١٦٢.

أولى ببعض في كتاب الله﴾ فنسخت هذا وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث أهل ملّتين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني الميراث **﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾** وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بالفتح وهما واحد، وقال الكسائي: الولاية بالنصب: الفتح، والولاية بالكسر: الإمارة.

﴿وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لأنهم مسلمون **﴿إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾** عهد **﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** في العون والنصرة.

قال ابن عباس: نزلت في مواريث مشركي أهل العهد وقال السدّي: قالوا نورث ذوي أرحامنا من المشركين فنزلت هذه الآية، وقال ابن زيد: كان المهاجر والمؤمن الذي لم يهاجر لايتوارثان. وإن كانا أخوين مؤمنَين، وذلك لأن هذا الدين بهذا البلد كان قليلاً، حتى كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا بالأرحام حيثما كانوا، وقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح إنّما هي الشهادة» [٢٤١].

وقال قتادة: كان الرجل ينزل بين المسلمين والمشركين فيقول إنْ ظهر هؤلاء كنت معهم، وإنْ ظهر هؤلاء كنت معهم فأبى، الله عليهم ذلك، وأنزل فيه **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾**(١) فلا تراءى نار مسلم و]نار [مشرك إلا صاحب جزية مقرّاً بالخراج(٢).

﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد: إلاّ تتركهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون، وقال ابن عباس: إلاّ تأخذوه في الميراث ما أمرتكم به، وقال ابن جريج: إلاّ تعاونوا وتناصروا، وقال ابن إسحاق: جعل الله سبحانه المهاجرين والأنصار أهل ولايته في الدين دون سواهم، وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض، ثم قال: إلاّ تفعلوه، هو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن.

﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ إلى قوله تعالى **﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾** قال ابن كيسان حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل المال في دين الله **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ وَ أُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾** الذي عنده وهو اللوح المحفوظ، وقيل: كتاب الله في قسمته التي قسمها وبيّنها في القرآن في سورة النساء.

﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وقال قتادة: كان الاعرابي لايرث المهاجر فأنزل الله هذه الآية، وقال ابن الزبير: كان الرجل يعاقد الرجل ويقول: ترثني وأرثك فنزلت هذه الآية.

---

(١) سورة الأنفال: ٧٣.

(٢) تفسير الطبري: ١٠ / ٧٢.

محتوى الجزء الرابع من كتاب تفسير الثعلبي

سورة المائدة ٥
سورة الأنعام ١٣١
سورة الأعراف ٢١٤
سورة الأنفال ٣٢٤

طبع على مطابع
دار إحياء التراث العربي